الجزء السابع

تاريخ الأمم والملوك

لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري

الطبعة الأولى

بالمطبعة الحسينية المصريه

على نفقة السيد محمد عبد اللطيف الخطيب وشركاه

وحقيبة وأداته وتُناخ لكم الابل فى السوق فاذا أتاكم رسولى فاكسروا باب السجن ثم ليقمْ كلُّ رجل منكم الى جمله فليركبه ثم أقبلوا علىّ حتى تأتونى فجاء رسوله حتى اشترى الابل ثم جهّزها بما ينبغى لها ثم أناخها فى السوق ثم أتاهم حتى أعلمهم ذلك فكسروا باب السجن ثم خرجوا الى الابل فاستووا عليها ثم أقبلوا حتى انتهوا الى عمرو بن سعيد فوجدوه حين قدم على يزيد بن معاوية فلما دخل عليه رحّب به وأدنى مجلسَه ثم انه عاتبه فى تقصيره فى أشياء كان يأمره بها فى ابن الزبير فلا ينفذ منها الا ما أراد فقال يا أمير المؤمنين الشاهدُ يرى ما لا يرى الغائبُ وانّ جلّ أهل مكة واهل المدينة قد كانوا مالوا اليه وهووه وأعطوه الرضا ودعا بعضهم بعضا سرًّا وعلانية ولم يكن معى جند أقوى بهم عليه لو ناهضته وقد كان يحذَرُنى ويتحرّزمنى وكنت أرفق به وأداريه لاستمكن منه فأثبَ عليه مع أنى قد ضيّقتُ عليه ومنعته من أشياء كثيرة لو تركته واياها ما كانت له الا معونةً وجعلت على مكة وطُرُقها وشعابها رجالا لا يدَعون أحدا يدخلها حتى يكتبوا الىّ باسمه واسم أبيه ومن أى بلاد الله هو وما جاء به وما يريد فان كان من أصحابه أو ممن أرى انه يريده رددته صاغرا وان كان ممن لا أتّهم خليت سبيله وقد بعثت الوليد وسيأتيك من عمله وأثره ما لعلك تعرف به فضل مبالغتى فى أمرك ومناصحتى لك ان شاء الله واللهُ يصنع لك ويكبت عدوّك يا أمير المؤمنين فقال له يزيد أنت أصدق ممن رقّى هذه الاشياء عنك وحملنى بها عليك وأنت ممن أثق به وأرجو معونته وادّخره لرأب الصدع وكفاية المهمّ وكشف نوازل الامور العظام فقال له عمرو وما أرى يا أمير المؤمنين ان أحدا أولى بالقيام بتشديد سلطانك وتوهين عدوّك والشدة على من نابذك منى وأقام الوليد بن عتبة يريد ابن الزبير فلا يجده الا متحذّرا متمنعا وثار نجدة بن عامر الحنفى باليمامة حين قتل الحسين وثار ابن الزبير فكان الوليد يُفيض من المُعرّف وتفيض معه عامة الناس وابن الزبير واقفٌ وأصحابه ونجدة واقفٌ فى أصحابه ثم يفيض ابن الزبير بأصحابه ونجدة بأصحابه لا يفيض واحد منهم بافاضة صاحبه وكان نجدة يلقى ابن الزبير فيكثر حتى ظن الناس انه سيبايعه ثم ان ابن الزبير عمل بالمكر فى أمر الوليد بن عتبة فكتب الى يزيد بن معاوية انك بعثت الينا رجلا أخرق لا يتّجه لامر رشد ولا يرعوى لعظة الحكيم ولو بعثت الينا رجلا سهل الخُلق ليّن الكنف رجوتُ أن يسهل من الامور ما استوعر منها وان يجمع ما تفرّق فانظرْ فى ذلك فإنّ فيه صلاح خواصّنا وعوامّنا ان شاء الله والسلام فبعث يزيد بن معاوية الى الوليد فعزله وبعث عثمان بن محمد بن أبى سفيان فما ذكر أبو مخنف عن عبد الملك بن نوفل بن مساحق عن حميد بن حمزة مولى لبنى أمية قال فقدم فتى غرٌّ حدَثٌ غمرٌ لم يُجرّب الأمورَ ولم يحنكه السِّنُّ ولم تُضرّسه التجارب وكان لا يكاد ينظر فى شئ من سلطانه ولا عمله وبعث الى يزيد وفدا من أهل المدينة فيهم عبد الله بن حنظلة الغسيل

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ ثم دخلت سنة اثنتين وستين ﴾

﴿ ذكر الخبر عما كان في هذه السنة من الاحداث ﴾

فمن ذلك مقدم وفد أهل المدينة على يزيد بن معاويه

﴿ ذكر الخبر عن سبب مقدمهم عليه ﴾

وكان السبب في ذلك فيما ذكر لوط بن يحيى عن عبد الملك بن نوفل بن مساحق عن عبد الله ابن عروة ان يزيد بن معاويه لمّا سرّح الوليد بن عتبه على الحجاز أميرا وعزل عمرو بن سعيد قدم الوليد المدينه فأخذ غلمانا كثيرا لعمرو وموالى له فحبسهم فكلمه فيهم عمرو فأبى أن يخليهم وقال له لا تجزع يا عمرو فقال أخوه أبان بن سعيد بن العاص أعمرٌو يجزع والله لو قبضتم على الجمر وقبض عليه ما تركه حتى تتركوه وخرج عمرو وسار حتى نزل من المدينه على ليلتين وكتب الى غلمانه ومواليه وهم نحو من ثلثمائة رجل انى باعث الى كل رجل منكم جملا

وحقيبه

أمرنا فقال النعمان أمَ والله لكأنى بك لو قد نزلت تلك التى تدعو اليها وقامت الرجال على الرُكب تضرب مفارق القوم وجباههم بالسيوف ودارت رحا الموت بين الفريقين قد هربت على بغلتك تضرب جنبيها الى مكة وقد خلفت هؤلاء المساكين يعنى الانصار يُقتَلون فى سِككهم ومساجدهم وعلى أبواب دُورهم فعصاه الناس فانصرف وكان والله كما قال وحج بالناس فى هذه السنة الوليد بن عتبة وكانت العمال في هذه السنة على العراق وخراسان العُمّال الذين ذكرتُ في سنة ٦١ وفي هذه السنة وُلِدَ فيما ذُكِر محمد بن عبد الله بن العباس

﴿ ثم دخلت سنة ثلاث وستين ﴾

﴿ ذكر الخبر عن الأحداث التى كانت فيها ﴾

فمن ذلك ما كان من اخراج أهل المدينة عامل يزيد بن معاوية عثمان بن محمد بن أبى سفيان من المدينة وإظهارهم خلعَ يزيد بن معاوية وحصارهم مَن كان بها من بنى أميّة ذكر هشام بن محمد عن أبى مخنف عن عبد الملك بن نوفل بن مساحق عن حبيب بن كرّة ان أهل المدينة لما بايعوا عبد الله بن حنظلة الغسيل على خلع يزيد بن معاوية وثبوا على عثمان ابن محمد بن أبى سفيان ومَن بالمدينة من بنى أميـة ومواليهم ومن رأى رأيهم من قريش فكانوا نحواً من ألف رجل فخرجوا بجماعتهم حتى نزلوا دار مَروان بن الحكم فحاصرهم الناس فيها حصاراً ضعيفاً قال فدعت بنو أميّة حبيب بن كرة وكان الذى بعث اليه منهم مروان بن الحكم وعمرو بن عثمان بن عفان وكان مروان هو يدبر أمرهم فأما عثمان ابن محمد بن أبى سفيان فإنما كان غلاماً حدثاً لم يكن له رأى قال عبد الملك بن نوفل فحدّثنى حبيب بن كرّة قال كنت مع مروان فكتب معى هو وجماعة من بنى أميـة كتاباً الى يزيد بن معاوية فأخذ الكتاب عبد الملك بن مروان حتى خرج معى الى ثنية الوَداع فدفع الىّ الكتاب وقال قد أجّلتك اثنتى عشرة ليلة ذاهباً واثنتى عشرة ليلة مُقبلاً فوافنى لاربع وعشرين ليلة فى هذا المكان تجدنى ان شاء الله فى هذه الساعة جالساً أنتظرك وكان الكتاب ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ أما بعد فإنا قد حُصرنا فى دار مروان بن الحكم ومُنعنا العذاب ورمينا بالحبوب فياغوثاه ياغوثاه قال فأخذتُ الكتاب ومضيت به حتى قدمت على يزيد وهو جالس على كُرسىّ واضع قدمَيه فى ماء في طست من وجع كان يجده فيهما ويقال كان به النقرِس فقرأه ثم قال فيما بلغنا متمثّلا

لقد بَدّلوا الحلمَ الذى مِن سَجِيّتى * فَبدلتُ قومى غلظةً بليانِ

ثم قال أمَا يكون بنو أميّـة ومواليهم ألفَ رجل بالمدينـة قال قلت بلى والله وأكثر قال فما استطاعوا أن يقاتلوا ساعةً من نهارٍ قال فقلتُ يا أمير المؤمنين أجمع الناسُ كلهم عليهم فلم يكن لهم بجمع الناس طاقةٌ قال فبعث الى عمرو بن سعيد فأقرأه الكتاب وأخبره الخبر

الانصارى وعبد الله بن أبى عمرو بن حفص بن المغيرة المخزومى والمنذر بن الزبير ورجالاً كثيراً من أشراف أهل المدينة فقدموا على يزيد بن معاوية فأكرمهم وأحسن اليهم وأعظم جوائزهم ثم انصرفوا من عنده وقدموا المدينة كلهم إلا المنذر بن الزبير فإنه قدم على عبيد الله بن زياد بالبصرة وكان يزيد قد أجازه بمائة ألف درهم فلما قدم أولئك النفر الوفد المدينة قاموا فيهم فأظهروا شتم يزيد وعتبه وقالوا انا قدمنا من عند رجل ليس له دين يشرب الخمر ويعزف بالطنابير ويضرب عنده القيان ويلعب بالكلاب ويسامر الخراب والفتيان وإنا نشهدكم انا قد خلعناه فتابعهم الناس (قال لوط) بن يحيى فحدثنى عبد الملك بن نوفل بن مساحق ان الناس أتوا عبد الله بن حنظلة الغسيل فبايعوه وولوه عليهم قال لوط وحدثنى أيضا محمد بن عبد العزيز بن عمر بن عبد الرحمن بن عوف ورجع المنذر من عند يزيد بن معاوية فقدم على عبيد الله بن زياد البصرة فأكرمه وأحسن ضيافته وكان لزياد صديقاً اذ سقط اليه كتاب من يزيد بن معاوية حيث بلغه أمر أصحابه بالمدينة أن أوثق منذر ابن الزبير واحبسه عندك حتى يأتيك فيه أمرى فكره ذلك عبيد الله بن زياد لانه ضيفه فدعاه فأخبره بالكتاب وأقرأه اياه وقال له انك كنت لزياد وداً وقد أصبحت لى ضيفاً وقد أتيت اليك معروفاً فأنا أحب ان أسدى ذلك كله باحسان فاذا اجتمع الناس عندى فقم فقل ائذن لى فلأنصرف الى بلادى فاذا قلت لا بل أقم عندى فان لك الكرامة والمواساة والاثرة فقل لى ضيعة وشغل لا أجد من الانصراف بداً فأذن لى فانى آذن لك عند ذلك فالحق بأهلك فلما اجتمع الناس عند عبيد الله قام اليه فاستأذنه فقال لا بل أقم عندى فانى مكرمك ومواسيك ومؤثرك فقال له ان لى ضيعة وشغلا ولا أجد من الانصراف بدا فأذن لى فأذن له فانطلق حتى لحق بالحجاز فأتى أهل المدينة فكان فيمن يحرض الناس على يزيد وكان من قوله يومئذ ان يزيد والله لقد أجازنى بمائة ألف درهم وانه لا يمنعنى ما صنع الىّ أن أخبركم خبره وأصدقكم عنه والله انه ليشرب الخمر وانه ليسكر حتى يدع الصلاة وعابه بمثل ما عابه به أصحابه الذين كانوا معه وأشد فكان سعيد بن عمرو يحدث بالكوفة أن يزيد بن معاوية بلغه قوله فيه فقال اللهم انى آثرته وأكرمته ففعل ما قد رأيت فاذكره بالكذب والقطيعة (قال أبو مخنف) فحدثنى سعيد بن زيد أبو المثلم ان يزيد بن معاوية بعث النعمان بن بشير الانصارى فقال له ائت الناس وقومك فافثأهم عما يريدون فانهم ان لم ينهضوا فى هذا الامر لم يجترئ الناس على خلافى وبها من عشيرتى من لا أحب ان ينهض فى هذه الفتنة فيهلك فأقبل النعمان بن بشير فأتى قومه ودعا الناس اليه عامة وأمرهم بالطاعة ولزوم الجماعة وخوفهم الفتنة وقال لهم انه لا طاقة لكم بأهل الشأم فقال عبد الله بن مطيع العدوى ما يحملك يا نعمان على تفريق جماعتنا وفساد ما أصلح الله من

امرنا

أو سلاح أو طعام فهو للجند فإذا مضت الثلاث فاكفف عن الناس وانظر علىّ بن الحسين
فاكفف عنه واستوص به خيراً وأدن مجلسه فإنه لم يدخل في شئ مما دخلوا فيه وقد أتاني
كتابه وعلىّ لا يعلم بشئ مما أوصى به يزيد بن معاوية مسلم بن عقبة وقد كان علىّ بن الحسين
لما خرج بنو أمية نحو الشأم أوى اليه ثقل مروان بن الحكم وامرأته عائشة بنت عثمان
ابن عفان وهى أم أبان بن مروان وقد حدثت عن محمد بن سعد عن محمد بن عمر قال لما
أخرج أهل المدينة عثمان بن محمد من المدينة كلم مروان بن الحكم ابن عمر ان يغيّب
أهله عنده فأبى ابن عمر أن يفعل وكلم علىّ بن الحسين وقال يا أبا الحسن ان لى رحماً وحرمى
تكون مع حرمك فقال افعل فبعث بحرمه الى علىّ بن الحسين فخرج بحرمه وحرم
مروان حتى وضعهم بينبع وكان مروان شاكراً لعلىّ بن الحسين مع صداقة كانت بينهما
قديمة ﴿رجع الحديث الى حديث أبى مخنف﴾ عن عبد الملك بن نوفل قال وأقبل مسلم بن
عقبة بالجيش حتى اذا بلغ أهل المدينة اقباله وثبوا على من معهم من بنى أمية فحصروهم فى
دار مروان وقالوا والله لا نكف عنكم حتى نستنزلكم ونضرب أعناقكم أو تعطونا
عهد الله وميثاقه لا تبغونا غائلة ولا تدلوا لنا على عورة ولا تظاهروا علينا عدواً فنكف
عنكم ونخرجكم عنا فاعطوهم عهد الله وميثاقه لا نبغيكم غائلة ولا ندل لكم على عورة
فأخرجوهم من المدينة فخرجت بنو أمية بأثقالهم حتى لقوا مسلم بن عقبة بوادى القرى
وخرجت عائشة بنت عثمان بن عفان الى الطائف فتمر بعلىّ بن حسين وهو بمال له الى
جنب المدينة قد اعتزلها كراهية أن يشهد شيأ من أمرهم فقال لها احملى ابنى عبد الله معك
الى الطائف فحملته الى الطائف حتى نقضت أمور أهل المدينة * ولما قدمت بنو أمية على
مسلم بن عقبة بوادى القرى دعا بعمرو بن عثمان بن عفان أوّل الناس فقال له أخبرنى خبر
ما وراءك وأشر علىّ قال لا أستطيع ان أخبرك أخذ علينا العهود والمواثيق ألا ندل على
عورة ولا نظاهر عدواً فانتهره ثم قال والله لولا انك ابن عثمان لضربت عنقك وايم الله
لا أقيلها قرشيّاً بعدك فخرج بما لقى من عنده الى أصحابه فقال مروان بن الحكم لابنه عبد
الملك ادخل قبلى لعله يجتزئ بك عنى فدخل عليه عبد الملك فقال هات ما عندك أخبرنى
خبر الناس وكيف ترى فقال له نعم أرى ان تسير بمن معك فتنكّب هذا الطريق الى المدينة
حتى اذا انتهيت الى أدنى نخل بها نزلت فاستظل الناس فى ظله وأكلوا من صقره حتى اذا
كان الليل اذكيت الحرس الليل كله عقبا بين أهل العسكر حتى اذا أصبحت صليت بالناس
الغداة ثم مضيت بهم وتركت المدينة ذات اليسار ثم أدرت بالمدينة حتى تأتيهم من قبل
الحرة مشرقاً ثم تستقبل القوم فاذا استقبلتهم وقد أشرقت عليهم وطلعت الشمس طلعت
بين أكتاف أصحابك فلا تؤذيهم وتقع فى وجوههم فيؤذيهم حرها ويصيبهم أذاها ويرون

وأمره أن يسير اليهم في الناس فقال له قد كنت ضبطت لك البلاد وأحكمت لك الامور فأمّا الآن اذ صارت انما هي دماء قريش تُهراق بالصعيد فلا أحبّ أن أكون أنا أتولى ذلك يتولاها منهم من هو أبعد منهم منّي قال فبعثني بذلك الكتاب الى مسلم بن عقبة المرّيّ وهو شيخ كبير ضعيف مريض فدفعتُ اليه الكتاب فقرأه وسألني عن الخبر فأخبرته فقال لي مثل مقالة يزيد أمَا يكون بنو أميّة ومواليهم وأنصارهم بالمدينة ألف رجل قال قلت بلى يكونون قال فما استطاعوا ان يقاتلوا ساعةً من نهارٍ ليس هؤلاء بأهلٍ ان يُنصَر واحتى يجهدوا أنفسهم في جهاد عدوّهم وعزّ سلطانهم ثم جاء حتى دخل على يزيد فقال يا أمير المؤمنين لا تنصرْ هؤلاء فإنهم الأذلّاء أما استطاعوا أن يقاتلوا يوما واحداً أو شَطْرَه أو ساعةً منه دَعهم يا أمير المؤمنين حتى يجهدوا أنفسهم في جهاد عدوّهم وعزّ سلطانهم ويستبين لك مَن يقاتل منهم على طاعتك ويصبر عليها أو يستسلم قال ويحك انه لا خيرَ في العيش بعدهم فاخرج فأنبئني نبأك وسر بالناس فخرج مناديه فنادى ان سيروا الى الحجاز على أخذِ أعطياتكم كَملاً ومعونة مائة دينار توضعُ في يد الرجل من ساعته فانتدب لذلك اثنا عشر ألف رجل ❊ حدّثنا ابن حميد قال حدثنا جرير عن مغيرة قال كتب يزيد الى ابن مرجانة أن اغزُ ابن الزبير فقال لا أجمعهما للفاسق أبدا أقتل ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وأغزو البيت قال وكانت مرجانة امرأةً صدق فقالت لعبيد الله حين قتل الحسين عليه السلام ويلك ماذا صنعتَ وماذا ركبتَ ﴿ رجع الحديث الى حديث حبيب بن كُرّة ﴾ قال فأقبلت حتى أوافي عبد الملك بن مروان في ذلك المكان في تلك الساعة أو بُعَيدها شيأ قال فوجدته جالساً متقنّعاً تحت شجرة فأخبرته بالذي كان فسُرّ به فانطلقنا حتى دخلنا دار مروان على جماعة بني أميّة فنبأتهم بالذي قدمت به فحمدوا الله عز وجل قال عبد الملك بن نوفل حدّثني حبيب انه بلغه في عشرة قال فلم أبرح حتى رأيت يزيد ابن معاوية خرج الى الخيل يتصفحها وينظر اليها قال فسمعته وهو يقول وهو متقلد سيفاً متنكّب قوساً عربيّة

أبلغْ أبا بكرٍ إذا الليلُ سَرى * وهبَطَ القومُ على وادي القرى
عشرون ألف بين كهلٍ وفتى * أَجَمعَ سَكرانٍ من القوم ترى
أم جَمعَ يقظانٍ نفى عنه الكرَى * يا عجباً من مُلحِدٍ يا عجبا
مُخادِعٍ في الدينِ يَقفُو بالعُرَى

قال عبد الملك بن نوفل وفصل ذلك الجيش من عند يزيد وعليهم مُسلم بن عُقبة وقال له ان حدث بك حَدَثٌ فاستخلف على الجيش حُصَين بن نُمَير السكونيّ وقال له ادعُ القوم ثلاثا فإن هم أجابوك والا فقاتِلهم فإذا أظهرت عليهم فأبِحْها ثلاثا فما فيها من مال أو رِقَةٍ

من معك فارسا فليأتني فليقف معي فاذا حملت فليحملوا فوالله لا أنتهي حتى أبلغ مسلما فإما أن أقتله وإما أن أقتل دونه فقال عبد الله بن حنظلة لعبد الله بن الضحاك من بني عبد الأشهل من الأنصار نادِ في الخيل فلتقف مع الفضل بن العباس فنادى فيهم الضحاك فجمعهم الى الفضل فلما اجتمعت الخيل اليه حمل على أهل الشأم فانكشفوا فقال لأصحابه ألا ترونهم كشفًا لئاما احملوا أخرى جُعِلتُ فداكم فوالله لئن عاينتُ أميرهم لأقتلنّه أو لأقتلنّ دونه إنّ صبر ساعة مُعقبٌ سرورًا انه ليس بعد الصبر الا النصرُ ثم حمل وحمل أصحابه معه فانفرجت خيل أهل الشأم عن مسلم بن عقبة في نحو من خمسمائة راجل جثاةٍ على الركب مشرعي الأسنة نحو القوم ومضى كما هو نحوَ رايته حتى يضرب رأس صاحب الراية وان عليه لمغفرا فقطّ المغفر وفلق هامته فخرّ ميتا فقال خذها مني وأنا ابن عبد المطلب فظن انه قتل مسلما فقال قتلتُ طاغية القوم وربِّ الكعبة فقال مسلم اخطأت استُك الحفرةَ وإنما كان ذلك غلاما له يقال له رومىّ وكان شجاعا فأخذ مسلم رايته ونادى يا أهل الشأم أهذا القتال قتالُ قوم يريدون ان يدفعوا به عن دينهم وان يُعزّوا به نصر امامهم قبّح الله قتالكم منذُ اليوم ما أوجعه لقلبي وأغيظه لنفسي أم والله ما جزاؤكم عليه إلا ان تحرَموا العطاء وان تجمروا في أقاصي الثغور شدّوا مع هذه الراية ترّح الله وجوهكم ان لم تعتبوا فمشى برايته وشدّت تلك الرجال امام الراية فصرع الفضل بن عباس فقتل وما بينه وبين أطناب مسلم بن عقبة الا نحو من عشر أذرع وقتل معه زيد بن عبد الرحمن بن عوف وقتل معه ابراهيم بن نعيم العدوى في رجال من أهل المدينة كثير (قال هشام) عن عوانة وقد بلغنا في حديث آخر ان مسلم بن عقبة كان مريضا يوم القتال وانه أمر بسرير وكرسيّ فوضع بين الصفّين ثم قال يا أهل الشأم قاتلوا عن أميركم أو دعوا ثم زحفوا نحوهم فأخذوا لا يصمدون لربعٍ من تلك الأرباع إلا هزموه ولا يقاتلون الا قليلا حتى تولوا ثم انه أقبل الى عبد الله بن حنظلة فقاتله أشدّ القتال واجتمع من أراد القتال من تلك الأرباع الى عبد الله بن حنظلة فاقتتلوا قتالا شديدا فحمل الفضل بن العباس بن ربيعة في جماعة من وجوه الناس وفرسانهم يريد مسلم بن عقبة ومسلم على سريره مريض فقال احملوني فضعوني في الصف فوضعوه بعد ما حملوه امام فسطاطه في الصف وحمل الفضل بن العباس هو وأصحابه أولئك حتى انتهى الى السرير وكان الفضل أحمر فلما رفع السيف ليضرب به صاح بأصحابه ان العبد الأحمر قاتلي فأين أنتم يا بني الحرائر اشجروه بالرماح فوثبوا اليه فطعنوه حتى سقط (قال هشام) قال أبو مخنف ثم ان خيل مسلم ورجاله أقبلت نحو عبد الله بن حنظلة الغسيل ورجاله بعدُ كما حدثني عبد الله بن منقذ حتى دنوا منه وركب مسلم بن عقبة فرسا له فأخذ يسير في أهل الشأم ويحرضهم ويقول يا أهل الشأم انكم لستم بأفضل العرب في أحسابها ولا أنسابها ولا أكثرها عددا ولا أوسعها بلدا ولم يخصصكم

ما دمتم مشرقين ائتلاف بعضكم وحرابكم واسنة رماحكم وسيوفكم ودروعكم وسواعدكم مالاترونه أنتم لشىء من سلاحهم ماداموا مغربين ثم قاتلهم واستعن بالله عليهم فإن الله ناصرك اذ خالفوا الامام وخرجوا من الجماعة فقال له مسلم لله أبوك أى امرئ ولد اذ ولدك لقد رأى بك خلفا ثم ان مروان دخل عليه فقال له ايه قال أليس قد دخل عليك عبد الملك قال بلى وأى رجل عبد الملك قلما كلمت من رجال قريش رجلا به شبيها فقال له مروان اذا لقيت عبد الملك فقد لقيتنى قال أجل ثم ارتحل من مكانه ذلك وارتحل الناس معه حتى نزل المنزل الذى أمره به عبد الملك فصنع فيه ما أمره به ثم مضى فى الحرة حتى نزلها فأتاهم من قبل المشرق ثم دعاهم مسلم بن عقبة فقال يا أهل المدينة ان أمير المؤمنين يزيد بن معاوية يزعم انكم الأصل وإنى أكره هراقة دمائكم وانى أؤجلكم ثلاثا فمن ارعوى وراجع الحق قبلنا منه وانصرفت عنكم وسرت الى هذا الملحد الذى بمكة وإن أبيتم كنا قد أعذرنا اليكم وذلك فى ذى الحجة من سنة ٦٤ هكذا وجدته فى كتابى وهو خطأ لأن يزيد هلك فى شهر ربيع الأول سنة ٦٤ وكانت وقعة الحرة فى ذى الحجة من سنة ٦٣ يوم الأربعاء لليلتين بقيتا منه ولما مضت الايام الثلاثة قال يا أهل المدينة قد مضت الايام الثلاثة فما تصنعون أتسالمون أم تحاربون فقالوا بل نحارب فقال لهم لا تفعلوا بل ادخلوا فى الطاعة ونجعل حدنا وشوكتنا على هذا الملحد الذى قد جمع اليه المراق والفساق من كل أوب فقالوا لهم يا أعداء الله والله لو أردتم ان تجوزوا اليهم ما تركنا كم حتى نقاتلكم نحن ندعكم أن تأتوا بيت الله الحرام وتخيفوا أهله وتلحدوا فيه وتستحلوا حرمته لا والله لا نفعل وقد كان أهل المدينة اتخذوا خندقا فى جانب المدينة ونزله جمع منهم عظيم وكان عليهم عبد الرحمن بن زهير بن عبد عوف ابن عم عبد الرحمن بن عوف الزهرى وكان عبد الله بن مطيع على ربع آخر فى جانب المدينة وكان معقل بن سنان الأشجعى على ربع آخر فى جانب المدينة وكان أمير جماعتهم عبد الله بن حنظلة الغسيل الأنصارى فى أعظم تلك الأرباع وأكثره عددا (قال هشام) وأما عوانة بن الحكم الكلبى فذكر ان عبد الله بن مطيع كان على قريش من أهل المدينة وعبد الله بن حنظلة الغسيل على الأنصار ومعقل ابن سنان على المهاجرين (قال هشام) عن أبى مخنف قال عبد الملك بن نوفل وصمد مسلم ابن عقبة بجميع من معه فأقبل من قبل الحرة حتى ضرب فسطاطه على طريق الكوفة ثم وجه الخيل نحو ابن الغسيل فحمل ابن الغسيل على الخيل فى الرجال الذين معه حتى كشف الخيل حتى انتهوا الى مسلم بن عقبة فنهض فى وجوههم بالرجال وصاح بهم فانصرفوا فقاتلوا قتالا شديدا ثم إن الفضل بن عباس بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب جاء الى عبد الله ابن حنظلة الغسيل فقاتل فى نحو من عشرين فارسا قتالا شديدا حسنا ثم قال لعبد الله مر

من

لايلبثُ القتيلُ حتّى يجدِ لَهُ * يقتُلُ ذا الذنبِ ومَنْ لاذَنْبَ لَهُ

(قال هشام) عن أبي مخنف وخرج محمد بن سعد بن أبي وقاص يومئذ يقاتل فلما انهزم الناسُ مال عليهم يضربهم بسيفه حتى غلبته الهزيمةُ فذهب فيمن ذهب من الناس وأباح مسلم المدينة ثلاثا يقتلون الناس ويأخذون الأموال فأفزع ذلك من كان بها من الصحابة فخرج أبو سعيد الخدرى حتى دخل في كهفٍ في الجبل فبصر به رجل من أهل الشام فجاء حتى اقتحم عليه الغار (قال أبو مخنف) فحدثني الحسن بن عطية العوفيُّ عن أبي سعيد الخدرى قال دخل الى الشاميّ يمشي بسيفه قال فانتضيتُ سيفي فمشيت اليه لأرعبَهُ لعله ينصرف عني فأبى إلا الإقدامَ عليَّ فلما رأيت ان قد جدّ شمتُ سيفي ثم قلتُ له لئن بسطتَ الىّ يدَكَ لتقتلني ما أنا بباسط يدي اليك لأقتلك اني أخاف الله رب العالمين فقال لي من أنت لله أبوك فقلت أنا أبو سعيد الخدرى قال صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم قلت نعم فانصرف عني (قال هشام) حدثني عوانة قال دعا الناسَ مسلم بن عقبة بقُبَا الى البيعة وطلب الامان لرجلين من قريش ليزيد بن عبد الله بن زمعة بن الأسود بن المطلب بن أسد ابن عبد العزّى ومحمد بن أبي الجهم بن حذيفة العدوى ولمعقل بن سنان الأشجعيّ فأتى بهم بعد الوقعة بيومٍ فقال بايعوا فقال القرشيان نبايعك على كتاب الله وسنّة نبيه فقال لا والله لا أقيلكم هذا أبداً فقدمهما فضرب أعناقهما فقال له مروان سبحان الله أتقتل رجلينِ من قريش أتيا ليؤمنا فضربت أعناقهما فنخس بالقضيب في خاصرته ثم قال وأنت والله لو قلت بمقالتهما ما رأيتَ السماء إلا برقَة (قال هشام) قال أبو مخنف وجاء معقل بن سنان فجلس مع القوم فدعا بشراب ليسقى فقال له مسلم أى الشراب أحب اليك قال العسل قال اسقوه فشرب حتى ارتوى فقال له أقضيت ريّك من شرابك قال نعم قال لا والله لا تشرب بعده شرابا أبداً إلا الحميم في نار جهنم أتذكر مقالتك لأمير المؤمنين سرتُ شهراً ورجعتُ شهراً وأصبحتُ صِفراً اللهمّ غيّر تعنى يزيد فقدّمه فضرب عنقه (قال هشام) وأما عوانة بن الحكم فذكر ان مسلم بن عقبة بعث عمرو بن مُحْرِز الأشجعيّ فأتاه بمعقل بن سنان فقال له مسلم مرحبا بأبي محمد أراك عطشانَ قال أجل قال شوبوا له عسلا بالثلج الذى حملتموه معنا وكان له صديقا قبل ذلك فشابوه له فلما شرب معقل قال له سقاك الله من شراب الجنة فقال له مسلم أمَ والله لا تشربُ بعدها شرابا أبدا حتى تشرب من شراب الحميم قال أنشدك الله والرَحِمَ فقال له مسلم أنت الذى لقيتني بطبريّة ليلة خرجتَ من عند يزيد فقلتَ سرنا شهرا ورجعنا من عند يزيد صفراً نرجع الى المدينة فنخلع هذا الفاسق ونبايع لرجل من أبناء المهاجرين فيم غطفان وأشجع من الخلع والخلافة انى آليت بيمين لا ألقاك في حرب أقدر فيه على ضرب عنقك إلا فعلتُ ثم أمر به فقتل (قال هشام) قال عوانة وأتى بيزيد بن وهب

الله بالذى خصكم به من النصر على عدوكم وحسن المنزلة عند أئمتكم إلا بطاعتكم واستقامتكم وانّ هؤلاء القوم وأشباههم من العرب غير وافغيّر الله بهم فتموا على أحسن ما كنتم عليه من الطاعة يتم الله لكم أحسن ما ينيلكم من النصر والفلج ثم جاء حتى انتهى الى مكانه الذى كان فيه وأمر الخيل ان تقدم على ابن الغسيل وأصحابه فأخذت الخيل اذا أقدمت على الرجال فثاروا في وجوهها بالرماح والسيوف نفرت وانذعرت وأحجمت فنادى فيهم مسلم بن عقبة يا أهل الشأم ما جعلهم الله أولى بالأرض منكم يا حصين بن نُمَير انزل فى جندك فنزل فى أهل حمص فمشى اليهم فلما رآهم قد أقبلوا يمشوا تحت راياتهم نحو ابن الغسيل قام في أصحابه فقال يا هؤلاء ان عدوكم قد أصابوا وجه القتال الذى كان ينبغى ان تقاتلوهم به وانى قد ظننت ألا تلبثوا إلا ساعة حتى يفصل الله بينكم وبينهم إما لكم وإما عليكم أما انكم أهل البصيرة ودار الهجرة والله ما أظن ربكم أصبح عن أهل بلد من بلدان المسلمين بأرضى منه عنكم ولا على أهل بلد من بلدان العرب بأسخط منه على هؤلاء القوم الذين يقاتلونكم ان لكل امرىء منكم ميتةً هو ميت بها والله ما من ميتة بأفضل من ميتة الشهادة وقد ساقها الله اليكم فاغتنموها فوالله ما كل ما أردتموها وجدتموها ثم مشى برايته غير بعيد ثم وقف وجاء ابن نمير برايته حتى أدناها وأمر مسلم بن عقبة عبد الله بن عضاه الأشعرى فمشى فى خمسمائة مرامٍ حتى دنوا من ابن الغسيل وأصحابه فأخذوا ينضحونهم بالنبل فقال ابن الغسيل علامَ تستهدفون لهم من أراد التعجل الى الجنة فليلزم هذه الراية فقام اليه كل مستميت فقال اغدوا الى ربكم فوالله انى لأرجو ان تكونوا عن ساعة قريرى عين فنهض القوم بعضهم الى بعض فاقتتلوا أشد قتال رؤى فى ذلك الزمان ساعة من نهار وأخذ يقدّم بنيه أمامه واحدا واحداً حتى قتلوا بين يديه وابن الغسيل يضرب بسيفه ويقول

بُعدا لمن رامَ الفَساد وطغى * وجانَبَ الحقّ وآياتِ الهدى
لا يُبْعِدِ الرَّحمنُ إلا مَنْ عَصَى

فقتل وقتل معه أخوه لأمه محمد بن ثابت بن قيس بن شماس استقدم فقاتل حتى قتل وقال ما أحب ان الديلم قتلونى مكان هؤلاء القوم ثم قاتل حتى قتل وقتل معه محمد بن عمرو بن حزم الأنصارى فمرّ عليه مروان بن الحكم وكأنه برْطِيلٌ من فضّةٍ فقال رحمك الله فربّ سارية قد رأيتك تطيل القيام فى الصلاة الى جنبها (قال هشام) فحدثنى عوانة قال فبلغنا ان مسلم بن عقبة كان يجلس على كرسىّ ويحمله الرجال وهو يقاتل ابن الغسيل يوم الحرة وهو يقول

أحْيا أباه هاشِمَ بنُ حَرْمَلَهْ * يومَ الهباتين ويومَ اليَعْمُلَهْ
كلُّ الملوكِ عِنْدَهُ مُغَرْبَلَهْ * ورُمْحُهُ للوالداتِ مثْكلَهْ

مولى المسور بن مخرمة فخبّرنا بما أوقع مسلم بأهل المدينة وما نيل منهم فجاءهم أمر عظيم فرأيت القوم شهروا وجدّوا وأعدّوا وعرفوا انه نازل بهم وقد ذكر من أمر وقعة الحرّة ومقتل ابن الغسيل أمرٌ غيرُ الذي رُوي عن أبي مخنف عن الذين رَوَى ذلك عنهم وذلك ما حدثني أحمد بن زهير قال حدثنا أبي قال حدثنا وهب بن جرير قال حدثنا جويرية ابن أسماء قال سمعت أشياخ أهل المدينة يحدثون ان معاوية لما حضرته الوفاة دعا يزيد فقال له ان لك من أهل المدينة يوما فإن فعلوا فارمهم بمسلم بن عقبة فإنه رجل قد عرفت نصيحته فلما هلك معاوية وفد اليه وفدٌ من أهل المدينة وكان ممن وفد عليه عبد الله بن حنظلة بن أبي عامر وكان شريفا فاضلا سيّدا عابدا معه ثمانية بنين له فأعطاه مائة ألف درهم وأعطى بنيه لكل واحد منهم عشرة آلاف سوى كسوتهم وحُملانهم فلما قدم المدينة عبد الله بن حنظلة أتاه الناس فقالوا ما وراءك قال جئتكم من عند رجل والله لو لم أجد الا بنيّ هؤلاء لجاهدته بهم قالوا قد بلغنا انه أجداك وأعطاك وأكرمك قال قد فعل وما قبلت منه الا لأتقوّى به وحضّض الناس فبايعوه فبلغ ذلك يزيد فبعث مسلم بن عقبة اليهم وقد بعث أهل المدينة الى كل ماء بينهم وبين الشأم فصبّوا فيه زقّا من قطران وعوّر فارسل الله السماء عليهم فلم يستقوا بدلو حتى وردوا المدينة فخرج اليهم أهل المدينة بجموع كثيرة وهيئة لم يُرَ مثلها فلما رآهم أهل الشأم هابوهم وكرهوا قتالهم ومسلم شديد الوجع فبينما الناس في قتالهم اذ سمعوا التكبير من خلفهم في جوف المدينة وأقحم عليهم بنو حارثة أهل الشأم وهم على الجدّ فانهزم الناس فكان من أصيب في الخندق أكثر ممن قُتل من الناس فدخلوا المدينة وهُزم الناس وعبد الله بن حنظلة مستند الى أحد بنيه يغطّ نوما فنبّهه ابنه فلما فتح عينيه فرأى ما صنع الناس أمر أكبر بنيه فتقدم حتى قُتل فدخل مسلم بن عقبة المدينة فدعا الناس للبيعة على انهم خَوَلٌ ليزيد بن معاوية يحكم في دمائهم وأموالهم وأهليهم ما شاء

﴿ ثم دخلت سنة أربع وستين ﴾

﴿ ذكر الخبر عما كان فيها من الاحداث ﴾

﴿ قال أبو جعفر ﴾ فمن ذلك مسيرُ أهل الشأم الى مكة لحرب عبد الله بن الزبير ومن كان على مثل رأيه في الامتناع على يزيد بن معاوية ولما فرغ مسلم بن عقبة من قتال أهل المدينة وإنهاب جنده أموالهم ثلاثا شخص بمن معه من الجند متوجها الى مكة كالذي ذكر هشام بن محمد عن أبي مخنف قال حدثني عبد الملك بن نوفل ان مسلما خرج بالناس الى مكة يريد ابن الزبير وخلف على المدينة رَوْح بن زنباع الجذامي * وأما الواقدي فانه قال خلف عليها عمرو ابن محرز الاشجعي قال ويقال خلف عليها روح بن زنباع الجذامي

ابن زمعة فقال بايع قال أبايعك على سنة عمر قال اقتلوه قال أنا أبايع قال لا والله لا أقيلك عثرتك فكلمه مروان بن الحكم لصهر كان بينهما فأمر بمروان فوجئت عنقه ثم قال بايعوا على أنكم خول ليزيد بن معاوية ثم أمر به فقتل (قال هشام) قال عوانة عن أبي مخنف قال قال عبد الملك بن نوفل بن مساحق ثم ان مروان أتى بعليّ بن الحسين وقد كان عليّ بن الحسين حين أخرجت بنو أمية منع ثقل مروان وامرأته وآواها ثم خرجت الى الطائف فهي أم أبان ابنة عثمان بن عفان فبعث ابنه عبد الله معها فشكر ذلك له مروان وأقبل عليّ ابن الحسين يمشي بين مروان وعبد الملك يلتمس بهما عند مسلم الأمان فجاء حتى جلس عنده بينهما فدعا مروان بشراب ليتحرّم بذلك من مسلم فأتى له بشراب فشرب منه مروان شيأ يسيرا ثم ناوله عليا فلما وقع في يده قال له مسلم لا تشرب من شرابنا فأرعدت كفه ولم يأمنه على نفسه وأمسك القدح بكفه لا يشربه ولا يضعه فقال انك انما جئت تمشي بين هؤلاء لتأمن عندي والله لو كان هذا الأمر اليهما لقتلتك ولكن أمير المؤمنين أوصاني بك وأخبرني انك كاتبته فذلك نافعك عندي فإن شئت فاشرب شرابك الذي في يدك وان شئت دعونا بغيره فقال هذه التي في كفي أريد قال اشربها فشربها ثم قال الى ههنا فأجلسه معه (قال هشام) قال وقال عوانة بن الحكم لما أتي بعليّ بن الحسين الى مسلم قال من هذا قالوا هذا عليّ ابن الحسين قال مرحبا وأهلا ثم أجلسه معه على السرير والطنفسة ثم قال ان أمير المؤمنين أوصاني بك قبلاً وهو يقول ان هؤلاء الخبثاء شغلوني عنك وعن وصلتك ثم قال لعليّ لعل أهلك فزعوا قال اي والله فأمر بدابته فأسرجت ثم حمله فرده عليها (قال هشام) وذكر عوانة أن عمرو بن عثمان لم يكن فيمن خرج من بني أمية وأنه أتي به يومئذ الى مسلم بن عقبة فقال يا أهل الشأم تعرفون هذا قالوا لا قال هذا الخبيث ابن الطيب هذا عمرو بن عثمان بن عفان أمير المؤمنين هي يا عمرو اذا ظهر أهل المدينة قلت أنا رجل منكم وان ظهر أهل الشأم قلت أنا ابن أمير المؤمنين عثمان بن عفان فأمر به فنتفت لحيته ثم قال يا أهل الشأم ان أم هذا كانت تدخل الجعل في فيها ثم تقول يا أمير المؤمنين حاجيتك ما في فمي وفي فمها ما ساءها وناءها فخلى سبيله وكانت أمه من دوس ﴿قال أبو جعفر الطبري﴾ فحدثني أحمد بن ثابت عمن حدثه عن اسحاق بن عيسى عن أبي معشر وحدثني الحارث قال حدثنا ابن سعد عن محمد ابن عمر قالا كانت وقعة الحرّة يوم الأربعاء لليلتين بقيتا من ذي الحجة سنة ٦٣ وقال بعضهم لثلاث ليال بقين منه ﴿وحج بالناس في هذه السنة عبد الله بن الزبير﴾

حدثني الحارث قال حدثنا ابن سعد قال أخبرنا محمد بن عمر قال حدثني عبد الله ابن جعفر عن ابن عوف قال حج ابن الزبير بالناس سنة ٦٣ وكان يسمى يومئذ العائذ ويرون الامر شورى قال فلما كانت ليلة هلال المحرم ونحن في منزلنا اذ قدم علينا سعيد

مولى

(قال هشام) قال أبو عوانة جعل عمرو بن حوط السدوسي يقول

كيف ترى صنيع أم فروه * تأخذهم بين الصفا والمروه

يعني بأم فروة المنجنيق ﴿وقال الواقدي﴾ سار الحصين بن نمير حين دفن مسلم بن عقبة بالمشلل لسبع بقين من المحرم وقدم مكة لاربع بقين من المحرم فحاصر ابن الزبير أربعا وستين يوما حتى جاءهم نعي يزيد بن معاوية لهلال ربيع الآخر ﴿وفي هذه السنة﴾ حرقت الكعبة

﴿ذكر السبب في احراقها﴾

قال محمد بن عمر احترقت الكعبة يوم السبت لثلاث ليال خلون من شهر ربيع الاول سنة ٦٤ قبل أن يأتي نعي يزيد بن معاوية بتسعة وعشرين يوما وجاء نعيه لهلال ربيع الآخر ليلة الثلاثاء * قال محمد بن عمر حدثنا رياح بن مسلم عن أبيه قال كانوا يوقدون حول الكعبة فأقبلت شررة هبت بها الريح فاحترقت ثياب الكعبة واحترق خشب البيت يوم السبت لثلاث ليال خلون من ربيع الاول * قال محمد بن عمر وحدثني عبد الله بن زيد قال حدثني عروة بن أذينة قال قدمت مكة مع أمي يوم احترقت الكعبة قد خلصت اليها النار ورأيتها مجردة من الحرير ورأيت الركن قد اسود وانصدع في ثلاثة أمكنة فقلت ما أصاب الكعبة فأشاروا الى رجل من أصحاب عبد الله بن الزبير قالوا هذا احترقت بسببه أخذ قبسا في رأس رمح له فطيرت الريح به فضرب أستار الكعبة ما بين الركن اليماني والاسود ﴿وفيها﴾ هلك يزيد بن معاوية وكانت وفاته بقرية من قرى حمص يقال لها حوارين من أرض الشأم لاربع عشرة ليلة خلت من ربيع الاول سنة ٦٤ وهو ابن ثمان وثلاثين سنة في قول بعضهم ﴿حدثني﴾ عمر بن شبة قال حدثنا محمد بن يحيى عن هشام بن الوليد المخزومي ان الزهري كتب لجده اسنان الخلفاء فكان فيما كتب من ذلك ومات يزيد بن معاوية وهو ابن تسع وثلاثين وكانت ولايته ثلاث سنين وستة أشهر في قول بعضهم ويقال ثمانية أشهر ﴿وحدثني﴾ أحمد بن ثابت عمن حدثه عن اسحاق بن عيسى عن أبي معشر انه قال توفي يزيد بن معاوية يوم الثلاثاء لاربع عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الاول وكانت خلافته ثلاث سنين وثمانية أشهر الا ثماني ليال وصلى على يزيد ابنه معاوية بن يزيد (وأما هشام) بن محمد الكلبي فانه قال في سن يزيد خلاف الذي ذكره الزهري والذي قال هشام في ذلك فيما حدثنا عنه استخلف أبو خالد يزيد بن معاوية بن أبي سفيان وهو ابن اثنين وثلاثين سنة وأشهر في هلال رجب سنة ٦٠ وولي سنتين وثمانية أشهر وتوفي لاربع عشرة ليلة خلت من ربيع الاول سنة ٦٣ وهو ابن خمس وثلاثين وأمه ميسون بنت بحدل بن أنيف بن ولجة بن قنافة ابن عدي بن زهير بن حارثة الكلبي

﴿ذكر موت مسلم بن عقبة ورمي الكعبة واحراقها﴾

﴿رجع الحديث الى أبي مخنف﴾ قال حتى اذا انتهى الى المُشَلَّل ويقال الى قفا المشلل نزل به الموت وذلك في آخر المحرّم من سنة ٦٤ فدعا حصين بن نمير السكوني فقال له يا ابن برذعة الحمار أمَ والله لو كان هذا الامر الىّ ما وليتك هذا الجند ولكن أمير المؤمنين ولاك بعدى وليس لأمر أمير المؤمنين مَرَدٌّ خذ عنى أربعا أسرع السير وعجّل الوقاع وعمّ الاخبار ولا تمكن قُرَشيًّا من أذنك ثم انه مات فدفن بقفا المشلل (قال هشام) بن محمد الكلبي وذكر عَوَانة ان مسلم بن عقبة شخص يريد ابن الزبير حتى اذا بلغ ثنية هرشا نزل به الموت فبعث الى رؤس الاجناد فقال ان أمير المؤمنين عهد الىّ إن حدث بى حدثُ الموت ان أستخلف عليكم حصين بن نمير السكوني والله لو كان الامر الىّ ما فعلت ولكن أكره معصية أمر أمير المؤمنين عند الموت ثم دعا به فقال انظر يا برذعة الحمار فاحفظ ما أوصيك به عمّ الاخبار ولا تُرْع سمعك قريشا أبدا ولا تردّن أهل الشأم عن عدوهم ولا تقيمن الا ثلاثا حتى تناجز ابن الزبير الفاسق ثم قال اللهم انى لم أعمل عملا قط بعد شهادة أن لا اله الا الله وأن محمدا عبده ورسوله أحبّ الىّ من قتلى أهل المدينة ولا أرجى عندى فى الآخرة ثم قال لبنى مُرَّة زراعتى التى بحوران صدقةٌ على مرّة وما أغلقت عليه فلانة بابها فهو لها يعنى أمّ ولده ثم مات ولما مات خرج حصين بن نمير بالناس فقدم على ابن الزبير مكة وقد بايعه أهلها وأهل الحجاز (قال هشام) قال عوانة قال مسلم قبل الوصية ان ابنى يزعم ان أم ولدى هذه سقتنى السمّ وهو كاذب هذا داء يُصيبنا فى بطوننا أهل البيت قال وقدم عليه يعنى ابن الزبير كلُّ أهل المدينة وقد قدم عليه نجدة بن عامر الحنفى فى أناس من الخوارج يمنعون البيت فقال لاخيه المنذر ما لهذا الامر ولدفع هؤلاء القوم غيرى وغيرُك وأخوه المنذر ممن شهد الحرّة ثم لحق به فجرّد اليهم أخاه فى الناس فقاتلهم ساعة قتالا شديدا ثم ان رجلا من أهل الشأم دعا المنذر الى المبارزة قال والشأميّ على بغلة له فخرج اليه المنذر فضرب كل واحد منهما صاحبه ضربة خرّ صاحبه لها ميّتا فجثا عبد الله بن الزبير على ركبتيه وهو يقول يارب أبرزها من أصلها ولا تشدّها وهو يدعو على الذى بارز أخاه ثم ان أهل الشأم شدوا عليهم شدةً منكرة وانكشف أصحابه انكشافةً وعثرت بغلته فقال تَعْسًا ثم نزل وصاح بأصحابه الىّ فأقبل اليه المِسْور بن مخرمة ابن نوفل بن أُهَيب بن عبد مناف بن زُهرة ومصعب بن عبد الرحمن بن عوف الزهرى فقاتلوا حتى قتلوا جميعا وصابرهم ابن الزبير يجالدهم حتى الليل ثم انصرفوا عنه وهذا فى الحصار الاول ثم انهم أقاموا عليه يقاتلونه بقية المحرّم وصفر كله حتى اذا مضت ثلاثة أيام من شهر ربيع الاول يوم السبت سنة ٦٤ قذفوا البيت بالمجانيق وحرّقوه بالنار وأخذوا يرتجزون ويقولون

خطّارةٌ مثلُ الفنيق المُزْبدِ * نَرمى بها أعوادَ هذا المسجدِ

موعدُ ما بيننا وبينك الليلةَ الأبطحُ فالتقيا فقال له الحصين إن يك هذا الرجل قد هلك فأنت أحق الناس بهذا الأمر هلمّ فلنبايعك ثم اخرج معي إلى الشأم فإن هذا الجند الذين معي هم وجوه أهل الشأم وفرسانهم فوالله لا يختلف عليك اثنان وتؤمن الناس وتهدر هذه الدماء التي كانت بيننا وبينك والتي كانت بيننا وبين أهل الحرّة وكان سعيد بن عمرو يقول ما منعه أن يبايعهم ويخرج إلى الشأم إلا تطيّر لأن مكة التي منعه الله بها وكان ذلك من جدّ مروان وآل عبد الله والله لو سار معهم حتى يدخل الشأم ما اختلف عليه منهم اثنان فزعم بعضُ قريشٍ أنه قال أنا أهدر تلك الدماء أما والله لا أرضى أن أقتل بكل رجل منهم عشرة وأخذ الحصين يكلمه سرًّا وهو يجهر جهرًا وأخذ يقول لا والله لا أفعل فقال له الحصين بن نمير قبّح الله من يعدّك بعد هذه داهيًا قط أو أديبًا قد كنت أظن أن لك رأيًا ألا أراني أكلمك سرًّا وتكلمني جهرًا وأدعوك إلى الخلافة وتعدني القتل والهلكة ثم قام فخرج وصاح في الناس فأقبل فيهم نحو المدينة وندم ابن الزبير على الذي صنع فأرسل إليه أما أن أسير إلى الشأم فلستُ فاعلًا وأكره الخروج من مكة ولكن بايعوا لي هنالك فإني مؤمّنكم وعادلٌ فيكم فقال له الحصين أرأيت إن لم تقدم بنفسك ووجدتُ هنالك أناسًا كثيرًا من أهل هذا البيت يطلبونها يجيبهم الناس فما أنا صانعٌ فأقبل بأصحابه ومن معه نحو المدينة فاستقبله عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب ومعه قتٌّ وشعيرٌ وهو على راحلة له فسلم على الحصين فلم يكد يلتفت إليه ومع الحصين بن نمير فرسٌ له عتيقٌ وقد فني قتُّه وشعيرُه فهو غرضٌ وهو يسبّ غلامه ويقول من أين نجد ههنا لدابتنا علفًا فقال له علي بن الحسين هذا علفٌ عندنا فاعلف منه دابتك فأقبل على عليّ عند ذلك بوجهه وأمر له بما كان عنده من علف واجترأ أهل المدينة وأهل الحجاز على أهل الشأم فذلّوا حتى كان لا ينفرد منهم رجل إلا أخذ بلجام دابته ثم نُكس عنها فكانوا يجتمعون في معسكرهم فلا يفترقون وقالت لهم بنو أمية لا تبرحوا حتى تحملونا معكم إلى الشأم ففعلوا ومضى ذلك الجيش حتى دخل الشأم وقد أوصى يزيد بن معاوية بالبيعة لابنه معاوية بن يزيد فلم يلبث إلا ثلاثة أشهر حتى مات * وقال عوانة استخلف يزيد بن معاوية ابنه معاوية بن يزيد فلم يمكث إلا أربعين يومًا حتى مات

وحدثني عمر عن علي بن محمد قال لما استخلف معاوية بن يزيد وجمع عُمّال أبيه وبويع له بدمشق هلك بها بعد أربعين يومًا من ولايته ويكنى أبا عبد الرحمن وهو أبو ليلى وأمه أم هاشم بنت أبي هاشم بن عتبة بن ربيعة وتوفي وهو ابن ثلاث عشرة سنة وثمانية عشر يومًا

﴿وفي هذه السنة﴾ بايع أهل البصرة عبيد الله بن زياد على أن يقوم لهم بأمرهم حتى يصطلح الناس على إمام يرتضونه لأنفسهم ثم أرسل عبيد الله رسولًا إلى الكوفة يدعوهم إلى مثل الذي فعل من ذلك أهل البصرة فأبوا عليه وحصبوا الوالي الذي كان عليهم ثم خالفه أهل البصرة أيضًا فهاجت بالبصرة فتنة ولحق

﴿ذكر عدد ولده﴾

فمنهم معاوية بن يزيد بن معاوية يُكنَى أبا ليلى وهو الذى يقول فيه الشاعر

انى أرى فتنةً قد حانَ أَوَّلُهَا * والمُلكُ بعد أبى لَيْلى لِمَنْ غَلَبَا

وخالد بن يزيد وكان يكنى أبا هاشم وكان يقال انه أصاب عمل الكيمياء وأبو سفيان وأمهما أم هاشم بنت أبى هاشم بن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس تزوجها بعد يزيد مروان وهى التى يقول لها الشاعر

إنْعَمى أمَّ خالدٍ * رُبَّ ساعٍ لقاعدِ

وعبد الله بن يزيد قيل انه مِن أرمى العرب فى زمانه وأمه أم كلثوم بنت عبد الله بن عامر وهو الاسوار وله يقول الشاعر

زَعَمَ الناسُ أنّ خيرَ قريشٍ * كلهمْ حين تُذْكرُ الاسوارْ

وعبد الله الاصغر وعمر وأبو بكر وعتبة وحرب وعبد الرحمن والربيع ومحمد لامهات أولاد شتّى

﴿ ثم دخلت سنة خمس وستين ﴾

﴿خلافة معاوية بن يزيد﴾

﴿وفى هذه السنة﴾ بويع لمعاوية بن يزيد بن معاوية بن أبى سفيان بالشأم بالخلافة ولعبد الله ابن الزبير بالحجاز * ولما هلك يزيد بن معاوية مكث الحصين بن نمير وأهل الشأم يقاتلون ابن الزبير وأصحابه بمكة فيما ذكر هشام عن عوانة أربعين يوما قد حصروهم حصارا شديدا وضيّقوا عليهم ثم بلغ موته ابن الزبير وأصحابه ولم يبلغ الحصين بن نمير وأصحابه * حدثنا اسحاق بن أبى اسرائيل قال حدثنا عبد العزيز بن خالد بن رستم الصنعانى أبو محمد قال حدثنا زياد بن جيل قال بينا حصين بن نمير يقاتل ابن الزبير اذ جاء موت يزيد فصاح بهم ابن الزبير فقال انّ طاغيتَكم قد هلك فمن شاء منكم أن يدخل فيما دخل فيه الناس فليفعل فمن كره فليلحق بشأمه فغدوا عليه يقاتلونه قال فقال ابن الزبير للحصين بن نمير ادنُ منى أحدّثك فدنا منه فحدّثه فجعل فرس أحدهما يجفل والجفل الروث فجاء حمام الحرم يلتقط من الجفل فكفّ الحصين فرسه عنهن فقال له ابن الزبير ما لك قال أخاف أن يقتل فرسى حمام الحرم فقال له ابن الزبير أتحرّج من هذا وتريد أن تقتل المسلمين فقال له لا أقاتلك فأذن لنا نطف بالبيت وننصرف عنك ففعل فانصرفوا * وأما عوانة بن الحكم فانه قال فيما ذكر هشام عنه قال لما بلغ ابن الزبير موت يزيد وأهل الشأم لا يعلمون بذلك قد حصروه حصارا شديدا وضيّقوا عليه أخذ يناديهم هو وأهل مكة علامَ تقاتلون قد هلك طاغيتكم وأخذوا لا يصدّقونه حتى قدم ثابت بن قيس بن المُنقع النخعى من أهل الكوفة فى رؤس أهل العراق فمرّ بالحصين ابن نمير وكان له صديقا وكان بينهما صهرٌ وكان يراه عند معاوية فكان يعرف فضله واسلامه وشرفه فسأله عن الخبر فأخبره بهلاك يزيد فبعث الحصين بن نمير الى عبد الله بن الزبير فقال

وضعت إصبعي في أذني ثم صرخت بأعلى صوتي يامعشر بكر بن وائل هذا شقيق بن ثور وحصين بن المنذر ومالك بن المسمع قد انطلقوا الى ابن زياد فاختلفوا في دمائكم قال ماله فعل الله به وفعل ويلك أعطه خمسمائة درهم قال فأخذتها ثم صبحت غاديا على مالك قال وهب فلم أحفظ ما أمر له به مالك قال ثم رأيت حصينا فدخلت عليه فقال ماصنع ابن عمك فأخبرته وقلت أعطني من هذا المال فقال انا قد أخذنا هذا المال ونجونا به فلن نخشى من الناس شيأ فلم يعطني شيأ ﴿قال أبو جعفر﴾ وحدثني أبو عبيدة معمر بن المثنى ان يونس بن حبيب الجرمي حدثه قال لما قتل عبيد الله بن زياد الحسين بن علي عليه السلام وبني أبيه بعث برؤسهم الى يزيد بن معاوية فسر بقتلهم أولا وحسنت بذلك منزلة عبيد الله عنده ثم لم يلبث الا قليلا حتى ندم على قتل الحسين فكان يقول وما كان علي لو احتملت الاذى وأنزلته معي في داري وحكمته فيما يريد وان كان علي في ذلك وكف ووهن في سلطاني حفظا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ورعاية لحقه وقرابته لعن الله ابن مرجانة فانه أخرجه واضطره وقد كان سأله أن يخلي سبيله ويرجع فلم يفعل أو يضع يده في يدي أو يلحق بثغر من ثغور المسلمين يتوفاه الله عز وجل فلم يفعل فأبى ذلك ورده عليه وقتله فبغضني بقتله الى المسلمين وزرع لي في قلوبهم العداوة فبغضني البر والفاجر بما استعظم الناس من قتلي حسينا مالي ولابن مرجانة لعنه الله وغضب عليه ثم ان عبيد الله بعث مولى له يقال له أيوب بن حمران الى الشأم ليأتيه بخبر يزيد فركب عبيد الله ذات يوم حتى اذا كان في رحبة القصابين اذا هو بأيوب بن حمران قد قدم فلحقه فأسر اليه موت يزيد بن معاوية فرجع عبيد الله من مسيره ذلك فأتى منزله وأمر عبد الله بن حصن أحد بني ثعلبة بن يربوع فنادى الصلاة جامعة (قال أبو عبيدة) وأما عمير بن معن الكاتب فحدثني قال الذي بعثه عبيد الله حمران مولاه فعاد عبيد الله عبد الله بن نافع أخا زياد لأمه ثم خرج عبيد الله ماشيا من خوخة كانت في دار نافع الى المسجد فلما كان في صحنه اذا هو بمولاه حمران أدنى ظلمة عند المساء وكان حمران رسول عبيد الله بن زياد الى معاوية حياته والى يزيد فلما رآه ولم يكن له أن يقدم قال مهيم قال خير قال وما وراءك قال ادنو منك قال نعم وأسر اليه موت يزيد واختلاف أمر الناس بالشأم وكان يزيد مات يوم الخميس للنصف من شهر ربيع الاول سنة ٦٤ فأقبل عبيد الله من فوره فأمر مناديا فنادى الصلاة جامعة فلما اجتمع الناس صعد المنبر فنعى يزيد وعرض بثلبه لقصد يزيد اياه قبل موته حتى يخافه عبيد الله فقال الاحنف لعبيد الله انه قد كانت ليزيد في أعناقنا بيعة وكان يقال أعرض عن ذي فنن فأعرض عنه ثم قام عبيد الله يذكر اختلاف أهل الشأم وقال اني قد وليتكم ثم ذكر نحو حديث عمر بن شبة عن زهير بن حرب الى فبايعوه عن رضى منهم ومشورة ثم قال فلما خرجوا من عنده جعلوا

عبيد الله بن زياد بالشأم

﴿ذكر الخبر عما كان من أمر عبيد الله بن زياد وأمر أهل البصرة معه بها بعد موت يزيد﴾

وحدثني عمر بن شبة قال حدثني موسى بن اسماعيل قال حدثنا حمّاد بن سلمة عن علىّ بن زيد عن الحسن قال كتب الضحاك بن قيس الى قيس بن الهيثم حين مات يزيد بن معاوية سلامٌ عليك أما بعد فانّ يزيد بن معاوية قد مات وأنتم اخواننا فلا تسبقونا بشىء حتى نختار لانفسنا حدثنى عمر قال حدثنا زهير بن حرب قال حدثنا وهب بن جماد قال حدثنا محمد بن أبى عُيَيْنة قال حدثنى شهرك قال شهدتُ عبيد الله بن زياد حين مات يزيد ابن معاوية قام خطيبا فحمد الله وأثنى عليه ثم قال يا أهل البصرة انسبونى فوالله لتجدُنّى أهاجر والدى ومولدى فيكم ودارى ولقد وليتكُم وما أحصى ديوان مقاتلتكم الا سبعين ألف مقاتل ولقد أحصى اليومَ ديوانُ مقاتلتكم ثمانين ألفا وما أحصىَ ديوان عُمّالكم الا تسعين ألفا ولقد أحصى اليوم مائة وأربعين ألفا وما تركتُ لكم ذا ظنّة أخافه عليكم الا وهو فى سجنكم هذا وان أمير المؤمنين يزيد بن معاوية قد توفى وقد اختلف أهل الشأم وأنتم اليوم أكثر الناس عددا وأعرضُهُ فناءً وأغناه عن الناس وأوسعُهُ بلادا فاختاروا لانفسكم رجلا ترتضُونه لدينكم وجماعتكم فأنا أولُ راضٍ مَن رضيتموه وتابع فان اجتمع أهل الشأم على رجلٍ ترتضُونه دخلتم فيما دخل فيه المسلمون وان كرهتم ذلك كنتم على جديلتكم حتى تُعطوا حاجتكم فما بكم الى أحد من أهل البلدان حاجةٌ وما يستغنى الناس عنكم فقامت خُطباء أهل البصرة فقالوا قد سمعنا مقالتك أيها الامير وانّا والله ما نعلم أحدا أقوى عليها منك فهلمّ فلنبايعك فقال لا حاجة لى فى ذلك فاختاروا لانفسكم فأبوا عليه وأبى عليهم حتى كرروا ذلك عليه ثلاث مرات فلما أبوا بسط يده فبايعوه ثم انصرفوا بعد البيعة وهم يقولون لا يظن ابن مرجانة أنّا نستقاد له فى الجماعة والفُرقة كذب والله ثم وثبوا عليه حدثنى عمر قال زهير قال حدثنا وهب قال وحدثنا الاسود بن شيبان عن خالد بن سُمير ان شقيق بن ثور ومالك بن مِسْمَع وحصين بن المنذر أتوا عبيد الله ليلا وهو فى دار الإمارة فبلغ ذلك رجلا من الحىّ من بنى سَدُوس قال فانطلقتُ فلزمتْ دار الامارة فلبثوا معه حتى مضى عليه الليل ثم خرجوا ومعهم بغلٌ مُوقَرٌ مالا قال فأتيت حصينا فقلت مُرْ لى من هذا المال بشىء فقال عليك ببنى عمك فأتيت شقيقا فقلت مر لى من هذا المال بشىء قال وعلى المال مولى له يقال له أيوب فقال يا أيوب أعطِه مائة درهم قلت أما مائة درهم والله لا أقبلها فسكت عنى ساعةً وسارَ هُنَيْهة فأقبلت عليه فقلت مر لى من هذا المال بشىء فقال يا أيوب أعطه مائتى درهم قلت لا أقبل والله مائتين ثم أمر لى بثلثمائه ثم أربعمائة فلما انتهينا الى الطُفاوة قلت مر لى بشىء قال أرأيت ان لم أفعل ما أنت صانع قلت انطلقْ والله حتى اذا توسّطتْ دور الحىّ

وضعت

الاسماء واستعجل الكتّاب في ذلك حتى وكّل بهم من يحبسهم بالليل في الديوان وأسرجوا بالشمع * قال فلما صنعوا ما صنعوا وقعدوا عنه وكان من خلاف سلمة عليه ما كان كف عن ذلك ونقلها حين هرب فهي الى اليوم تردّد في آل زياد فيكون فيهم العرس أو المأتم فلا يُرى في قريش مثلهم ولا في قريش أحسن منهم في الغضارة والكسوة فدعا عبيد الله رؤساء خاصّة السلطان فأرادهم أن يقاتلوا معه فقالوا ان أمرنا قوّادنا قاتلنا معك فقال اخوة عبيد الله لعبيد الله والله ما من خليفة فتقاتل عنه فان هزمت فئت اليه وان استمددته أمدّك وقد علمت ان الحرب دُول فلا ندري لعلها تدول عليك وقد اتخذنا بين أظهر هؤلاء القوم أموالا فان ظفروا اهلكونا واهلكوها فلم تبق لك باقية وقال له أخوه عبد الله لأبيه وأمه مرجانة والله لئن قاتلت القوم لأعتمدنّ على ظُبة السيف حتى يخرج من صُلبي فلما رأى ذلك عبيد الله أرسل الى حارث بن قيس بن صُهبان بن عون بن علاج ابن مازن بن أسود بن جهضم بن جذيمة بن مالك بن فهم فقال له يا حارِ ان أبي كان أوصاني ان احتجتُ الى الهرب يوماً أن أختاركم وإن نفسي تأبى غيركم فقال الحارث قد أبلوك في أبيك ما قد علمت وبلوه فلم يجدوا عنده ولا عندك مكافاة ومالك مردٌّ اذا اخترتنا وما أدري كيف اباثى لك ان أخرجتك نهاراً اني أخاف ألّا أصل بك الى قومي حتى نُقتل وأقتل ولكني أقيم معك حتى اذا وارى دمس دمسا وهدأت القدم ردفت خلفي لئلّا تُعرف ثم أخذت لك على اخوالي بني ناجية قال عبيد الله نعم ما رأيت فأقام حتى اذا قلت أخولك أم الذئب حمله خلفه وقد نقل تلك الأموال فأحرزها ثم انطلق به يمرّ به على الناس وكانوا يتحارسون مخافة الحاروريّة فيسأل عبيد الله أين نحن فيخبره فلمّا كانوا في بني سُليم قال عبيد الله أين نحن قال في بني سليم قال سلمنا ان شاء الله فلمّا أتى بني ناجية قال أين نحن قال في بني ناجية قال نجونا ان شاء الله فقال بنو ناجية مَن أنت قال الحارث بن قيس قالوا ابن أخيكم وعرف رجلٌ منهم عبيد الله فقال ابن مرجانة فأرسل سهما فوقع في عمامته ومضى به الحارث حتى ينزله دار نفسه في الجهاضم ثم مضى الى مسعود بن عمرو بن عديّ بن محارب ابن صُنيم بن مليح بن شرطان بن معن بن مالك بن فهم فقالت الأزد ومحمد بن أبي عيينة فلما رآه مسعود قال يا حارِ قد كان يتعوّذ من سوء طوارق الليل فنعوذ بالله من شرّ ما طرقتنا به قال الحارث لم أطرقك إلا بخير وقد علمت ان قومك قد أنجوا زياداً فوفوا له فصارت لهم مكرُمة في العرب يفتخرون بها عليهم وقد بايعتم عبيد الله بيعة الرضا رضى من مشورة وبيعة أخرى قد كانت في أعناقكم قبل هذه البيعة يعني بيعة الجماعة فقال له مسعود يا حارِ أترى لنا ان نعادي أهل مصرنا في عبيد الله وقد أبلينا في أبيه ما أبلينا ثم لم نُكافأ عليه ولم نُشكر ما كنت أحسب انّ هذا من رأيك قال الحارث انه لا يعاديك أحدٌ على الوفاء ببيعتك

يسحون أكفهم بباب الدار وحيطانه ويقولون ظن ابن مرجانة انا نوليه أمرنا في الفرقة قال فاقام عبيد الله أميراً غير كثير حتى جعل سلطانه يضعف ويأمرنا بالامر فلا يُقضى ويرى الرأي فيُرَدّ عليه ويأمر بحبس المخطئ فيُحال بين أعوانه وبينه (قال أبو عبيدة) فسمعت غيلان بن محمد يحدث عن عثمان البتّي قال حدثني عبد الرحمن بن حَوْشب قال تبعت جنازةً فلما كان في سوق الابل اذا رجلٌ على فرس شهباء متقنّعٌ بسلاح وفي يده لواء وهو يقول أيها الناس هلمّوا اليّ أدعكم الى ما لم يدعكم اليه أحد أدعوكم الى العائذ بالحرم يعني عبد الله بن الزبير * قال فتجمّع اليه نُوَيْسٌ فجعلوا يصفقون على يديه ومضينا حتى صلينا على الجنازة فلما رجعنا اذا هو قد انضم اليه أكثر من الاولين ثم أخذ بين دار قيس بن الهيثم بن أسماء بن الصلت السلمي ودار الحارثيين قبل بني تميم في الطريق الذي يأخذ عليهم فقال ألا من أرادني فأنا سلمة بن ذُؤيب وهو سلمة بن ذؤيب بن عبد الله ابن محكم بن زيد بن رياح بن يربوع بن حنظلة قال فلقيني عبد الرحمن بن بكر عند الرحبة فأخبرته بخبر سلمة بعد رجوعي فأتى عبد الرحمن عبيد الله فحدثه بالحديث عني فبعث اليّ فأتيته فقال ما هذا الذي خبّر به عنك أبو بحر قال فاقتصصت عليه القصة حتى أتيت على آخرها فأمر فنودي على المكان الصلاة جامعة فتجمع الناس فانشأ عبيد الله يقص أول أمره وأمرهم وما قد كان دعاهم الى من يرتضونه فيبايعه معهم وانكم أبيتم غيري وانه بلغني انكم مسحتم أكفّكم بالحيطان وباب الدار وقلتم ما قلتم واني آمر بالامر فلا يُنفذ ويُرَدّ عليّ رأيي وتحول القبائل بين أعواني وطلبتي ثم هذا سلمة بن ذؤيب يدعو الى الخلاف عليكم ارادة أن يفرّق جماعتكم ويضرب بعضكم جباه بعض بالسيف فقال الاحنف صخر بن قيس بن معاوية بن حصين بن عُبادة بن النزّال بن مُرّة بن عبيد ابن الحارث بن عمرو بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم والناس جميعاً نحن نأتيك بسلمة فأتوا سلمة فاذا جمعهُ قد كثف واذا الفتق قد اتسع على الراتق وامتنع عليهم فلما رأوا ذلك قعدوا عن عبيد الله بن زياد فلم يأتوه (قال أبو عبيدة) فحدثني غير واحد عن سبرة ابن الجارود الهُذليّ عن أبيه الجارود قال وقال عبيد الله في خطبته يا أهل البصرة والله لقد لبسنا الخزّ واليمنة واللين من الثياب حتى لقد أجنأذلك وأجمته جلودنا فما بنا الى أن نعقبها الحديد يا أهل البصرة والله لو اجتمعتم على ذنب عير لتكسروه ما كسرتموه (قال الجارود) فوالله ما رُمي بجُمّاح حتى هرب فتوارى عند مسعود فلما قتل مسعود لحق بالشأم (قال يونس) وكان في بيت مال عبيد الله يوم خطب الناس قبل خروج سلمة ثمانية آلاف ألف أو أقلّ وقال علي بن محمد تسعة عشر ألف ألف فقال للناس ان هذا فيئكم فخذوا أعطياتكم وأرزاق ذراريكم منه وأمر الكتبة بتحصيل الناس وتخريج

قيس قال وعليك السلام قلت بعثني اليك شقيق بن ثور يقرأ عليك السلام و يقول لك انه بلغني فرد الكلام بعينه الى فاخرجهما عنك قال مسعود والله قلت ذاك فقال عبيد الله كيف أبانور ونسي كنيته انما كان يكنى أبا الفضل فقال أخوه عبد الله انا والله لانخرج عنكم قد أجرتمونا وعقدتم لنا ذمتكم فلا نخرج حتى نقتل بين أظهركم فيكون عارا عليكم الى يوم القيامة قال وهب حدثنا الزبير بن الخريت عن أبي لبيد ان أهل البصرة اجتمعوا فقلدوا أمرهم النعمان بن صهبان الراسبي و رجلا من مضر ليختارا لهم رجلا فيولوه عليهم وقالوا من رضيتما لنا فقد رضيناه وقال غير أبي لبيد الرجل المضري قيس ابن الهيثم السلمي قال أبو لبيد ورأى المضري في بني أمية ورأى النعمان في بني هاشم فقال النعمان ما أرى أحدا أحق بهذا الأمر من فلان لرجل من بني أمية قال وذلك رأيك قال نعم قال قد قلدتك أمري و رضيت من رضيت ثم خرجا الى الناس فقال المضري قد رضيت من رضي النعمان فمن سمى لكم فأنا به راض فقالوا للنعمان ما تقول فقال ما أرى أحدا غير عبد الله بن الحارث وهو ببة فقال المضري ما هذا الذي سميت لي قال بلى لعمري انه لهو فرضي الناس بعبد الله و بايعوه قال أصحابنا دعت مضر الى العباس بن الأسود بن عوف الزهري ابن أخي عبد الرحمن بن عوف ودعت اليمن الى عبد الله بن الحارث بن نوفل فتراضى الناس ان حكموا قيس بن الهيثم والنعمان بن صهبان الراسبي لينظرا في أمر الرجلين فاتفق رأيهما على ان يوليا المضري الهاشمي الى أن يجتمع أمر الناس على امام فقيل في ذلك

نزعنا وولينا وبكر بن وائل * تجر خصاها تبتغي من تحالف

فلما أمر وابية على البصرة ولى شرطته همیان بن عدي السدوسي ﴿قال أبو جعفر﴾ وأما أبو عبيدة فإنه فيما حدثني محمد بن علي عن أبي سعدان عنه قص من خبر مسعود وعبيد الله ابن زياد وأخيه غير القصة التي قصها وهب بن جرير عمن روى عنهم خبرهم قال حدثني مسلمة بن محارب بن سلم بن زياد وغيره من آل زياد عمن أدرك ذلك منهم ومن مواليهم والقوم أعلم بحديثهم ان الحارث بن قيس لم يكلم مسعودا ولكنه آمن عبيد الله فحمل معه مائة ألف درهم ثم أتى بها الى أم بسطام امرأة مسعود وهي بنت عمه ومعه عبيد الله وعبد الله ابنا زياد فاستأذن عليها فأذنت له فقال لها الحارث قد أتيتك بأمر تسودين به نساءك وتتمين به شرف قومك وتعجلين غنى ودنيا لك خاصة هذه مائة ألف درهم فاقبضيها فهي لك وضمي عبيد الله قالت اني أخاف ألا يرضى مسعود بذلك ولا يقبله فقال الحارث ألبسيه ثوبا من أثوابك وأدخليه بيتك وخلي بيننا و بين مسعود فقبضت المال وفعلت فلما جاء مسعود أخبرته فأخذ برأسها فخرج عبيد الله والحارث من حجلتها عليه فقال عبيد الله قد

حتى تبلّغه مأمنه (قال أبو جعفر) وأمّا عمر فحدّثني قال حدثني زهير بن حرب قال حدثنا وهب بن جرير قال حدثنا أبي عن الزبير بن الخرّيت عن أبي لبيد الجهضميّ عن الحارث ابن قيس قال عرض نفسه يعني عبيد الله بن زياد عليّ فقال أمَ والله اني لأعرف سوء رأيٍ كان في قومك قال فرققت له فأردفته على بغلتي وذلك ليلاً فأخذت على بني سليم فقال من هؤلاء قلت بنو سليم قال سلمنا ان شاء الله ثم مررنا ببني ناجية وهم جلوس ومعهم السلاح وكان الناس يتحارسون اذ ذاك في مجالسهم فقالوا من هذا قلت الحارث بن قيس قالوا امض راشداً فلما مضينا قال رجل منهم هذا والله ابن مرجانة خلفه فرماه بسهم فوضعه في كور عمامته فقال يا أبا محمد من هؤلاء قال الذين كنت تزعم انهم من قريش هؤلاء بنو ناجية قال نجونا ان شاء الله ثم قال يا حارث انك قد أحسنت وأجملت فهل أنت صانع ما أشير به عليك قد علمت منزلة مسعود بن عمرو في قومه وشرفه وسنّه وطاعة قومه له فهل لك ان تذهب بي اليه فأكون في داره فهي وسط الأزد فإنك ان لم تفعل صدع عليك أمر قومك قلت نعم فانطلقت به فما شعر مسعود بشيء حتى دخلنا عليه وهو جالس ليلتئذ يوقد بقضيب على لبنة وهو يعالج خفّيه قد خلع أحدهما وبقي الآخر فلمّا نظر في وجوهنا عرفنا وقال انه كان يتعوّذ من طوارق السوء فقلت له أفتخرجه بعد ما دخل عليك بيتك قال فأمره فدخل بيت عبد الغافر بن مسعود وامرأة عبد الغافر يومئذ خيرة بنت خفاف ابن عمرو قال ثم ركب مسعود من ليلته ومعه الحارث وجماعة من قومه فطافوا في الأزد ومجالسهم فقالوا ان ابن زياد قد فُقد وإنا لا نأمن ان تلطّخوا به فأصبحوا في السلاح وفقد الناس ابن زياد فقالوا أين توجه فقالوا ما هو إلا في الأزد قال وهب فحدثنا أبو بكر ابن الفضل عن قبيصة بن مروان انهم جعلوا يقولون أين ترونه توجه فقالت عجوز من بني عقيل أين ترونه توجه اندحس والله في أجمة أبيه وكانت وفاة يزيد حين جاءت ابن زياد وفي بيوت مال البصرة ستة عشر ألف ألف ففرّق ابن زياد طائفة منها في بني أبيه وحمل الباقي معه وقد كان دعا البخارية الى القتال معه ودعا بني زياد الى ذلك فأبوا عليه ❊ حدثني عمر قال حدثني زهير بن حرب قال حدثنا الأسود بن شيبان عن عبد الله بن جرير المازنيّ قال بعث الى شقيق بن ثور فقال لي انه قد بلغني ان ابن منجوف هذا وابن مسمع يدلجان بالليل الى دار مسعود ليردّا ابن زياد الى الدار ليصلوا بين هذين الغارين فيهريقوا دماءكم ويعزّوا أنفسهم ولقد هممت ان أبعث الى ابن منجوف فأشدّه وثاقاً وأخرجه عنّي فاذهب الى مسعود فاقرأ عليه السلام منّي وقل له ان ابن منجوف وابن مسمع يفعلان كذا وكذا فأخرج هذين الرجلين عنك قال وكان معه عبيد الله وعبد الله ابنا زياد قال فدخلت على مسعود وابنا زياد عنده أحدهما عن يمينه والآخر عن شماله فقلت السلام عليك أبا

الدعوة عصبةٌ من ضبّة بن أدّ كانوا عند القاضى فأخذوا رماح حرس من المسجد وترستهم ثم شدّوا على الرَّبعيّين فهزموهم وبلغ ذلك شقيق بن ثور السدوسىّ وهو يومئذ رئيس بكر ابن وائل فأقبل الى المسجد فقال لا تجدنّ مضريًّا إلّا قتلتموه فبلغ ذلك مالك بن مسمع فأقبل متفضلاً يُسكن الناس فكفّ بعضُهم عن بعض فمكث الناس شهرا أو أقلّ وكان رجل من بنى يشكر يجالس رجلا من بنى ضبة في المسجد فتذاكرا لطمة البكرىّ القرشىّ ففخر اليشكرىُّ قال ثم قال ذهبت طِلْقًا فأحفظ الضبّىَّ بذلك فوجأ عنقه فوقذه الناس فى الجمعة فحمل الى أهله ميّتا أعنى اليشكرىَّ فثارت بكر الى رأسهم أشيَم بن شقيق فقالوا سِر بنا فقال بل أبعث اليهم رسولاً فإن سيّبوا لنا حقنا والا سرنا اليهم فأبت ذلك بكر فأتوا مالك بن مسمع وقد كان قبل ذلك مالكاً عليهم قبل أشيم فغلب أشيم على الرئاسة حين شخص أشيم الى يزيد بن معاوية فكتب له الى عبيد الله بن زياد ان ردّوا الرئاسة الى أشيم فأبت اللهازم وهم بنو قيس بن ثعلبة وحلفاؤهم عنزة وشيع اللات وحلفاؤها عجل حتى توافوا هم وآل ذُهل بن شيبان وحلفاؤها يشكر وذهل بن ثعلبة وحلفاؤها ضُبيعة بن ربيعة بن نزار أربع قبائل وأربع قبائل وكان هذا الحلف فى أهل الوبر فى الجاهلية فكانت حنيفة بقيت من قبائل بكر لم تكن دخلت فى الجاهلية فى هذا الحلف لأنهم أهل مدر فدخلوا فى الاسلام مع أخيهم عجل فصاروا الهزمة ثم تراضوا بحكم عمران بن عِصام العَنَزىّ أحد بنى هُميم وردّها الى أشيم فلما كانت هذه الفتنة استخفت بكر مالك بن مسمع فخف وجمع وأعدّ فطلب الى الازد أن يجدّدوا الحلف الذى كان بينهم قبل ذلك فى الجماعة على يزيد بن معاوية فقال حارثة بن بدر فى ذلك

نزعنا وأمّرْنا وبكر بن وائل * تجرّ خصاها تبتغى من تحالف
وما بات بكرىٌّ من الدهر ليلة * فيُصبحُ إلا وهو للذُّل عارفُ

قال فبلغ عبيد الله الخبر وهو فى رحل مسعود من تباعد ما بين بكر وتميم فقال لمسعود الق مالكا فجدّد الحلف الأوّل فلقيه فترادّا ذلك وتأبّى عليهما نفر من هؤلاء وأولائك فبعث عبيد الله أخاه عبد الله مع مسعود فأعطاه جزيلا من المال حتى أنفق فى ذلك أكثر من مائتى ألف درهم على ان بايعوهما وقال عبيد الله لا خيه استوثق من القوم لأهل اليمن فجدّدوا الحلف وكتبوا بينهم كتابًا سوى الكتابين اللذين كانا كتبا بينهما فى الجماعة فوضعوا كتاباً عند مسعود بن عمرو قال أبو عبيدة فحدّثنى بعض ولد مسعود ان أوّل تسمية من فيه الصلت بن حُرَيْث بن جابر الحنفىّ ووضعوا كتابا عند الصلت بن حريث أوّل تسميته ابن رجاء العوْذىّ من عوذ بن سود وقد كان بينهم قبل هذا حلفٌ قال أبو عبيدة وزعم محمد ابن حفص ويونس بن حبيب وهبيرة بن حُدير وزهير بن هنيد ان مضر كانت تكثر ربيعة

أجارتني ابنة عمك عليك وهذا ثوبك عليّ وطعامك في بطني وقد التف عليّ بيتك وشهد له على ذلك الحارث وتلطّفا له حتى رضي قال أبو عبيدة وأعطى عبيد الله الحارث نحوًا من خمسين ألفا فلم يزل عبيد الله في بيت مسعود حتى قُتل مسعود قال أبو عبيدة فحدثني يزيد ابن سُمير الجرمي عن سوّار بن عبد الله بن سعيد الجرمي قال فلما هرب عبيد الله غبر أهل البصرة بغير أمير فاختلفوا فيمن يؤمّرون عليهم ثم تراضوا برجلين يختاران لهم خيرة فيرضون بها اذا اجتمعا عليها فتراضوا بقيس بن الهيثم السلمي وبنعمان بن سفيان الراسي راسب بن جَرْم بن ربّان بن حُلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة أن يختارا من يرضيان لهم فذكرا عبد الله بن الحارث بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب وأمه هند بنت ابي سفيان ابن حرب بن أمية وكان يلقب ببّة وهو جدّ سليمان بن عبد الله بن الحارث وذكرا عبد الله بن الأسود الزهري فلمّا أطبقا عليهما اتّعدا المربد وواعدا الناس ان يجتمع آراؤهم على أحد هذين قال فحضر الناس وحضرت معهم قارعة المربد أي أعلاه فجاء قيس بن الهيثم ثم جاء النعمان بعد فتجاول قيس والنعمان فأرى النعمان قيسا ان هواه في ابن الأسود ثم قال أنا لا نستطيع أن نتكلم معا وأراده أن يجعل الكلام اليه ففعل قيس وقد اعتقد أحدهما على الآخر فأخذ النعمان على الناس عهد ليرضون بما يختار قال ثم أتى النعمان عبد الله بن الأسود فأخذ بيده وجعل يشترط عليه شرائط حتى ظن الناس انه مبايعه ثم تركه وأخذ بيد عبد الله بن الحارث فاشترط عليه مثل ذلك ثم حمد الله تعالى وأثنى عليه وذكر النبي صلى الله عليه وسلم وحق أهل بيته وقرابته ثم قال يا أيها الناس ما تنقمون من رجل من بني عم نبيكم صلى الله عليه وسلم وأمه هند بنت أبي سفيان فإن كان فيهم فهو ابن أختكم ثم صفق على يده وقال ألا اني قد رضيت لكم به فنادوا قد رضينا فأقبلوا بعبد الله بن الحارث الى دار الإمارة حتى نزلها وذلك في أوّل جمادى الآخرة سنة ٦٤ واستعمل على شرطه هميان بن عدي السدوسي ونادى في الناس ان احضروا البيعة فحضروا فبايعوه فقال الفرزدق حين بايعه

وبايعت أقواما وفيت بعهدهم ✱ وببّة قد بايعته غير نادم

قال أبو عبيدة فحدّثني زهير بن هنيدة عن عمرو بن عيسى قال كان منزل مالك بن مسمع الجحدري في الباطنة عند باب عبد الله الاصبهاني في خط بني جحدر الذي عند مسجد الجامع فكان مالك يحضر المسجد فبيناهو قاعد فيه وذلك بعد يسير من أمر ببّة وافى الحلقة رجل من ولد عبد الله بن عامر بن كريز القرشي يريد بيعة ومعه رسالة من عبد الله بن خازم وبيعته هراة فتنازعوا فأغلظ القرشي لمالك فلطم رجل من بكر بن وائل القرشي فتهايج من ثم من مضر وربيعة وكثرتهم ربيعة الذين في الحلقة فنادى رجل يا آل تميم فسمعت

الى الاحنف ينظرون قال فأتيته وأتته بنو تميم فقالوا ان مسعودا قد دخل الدار وأنت سيدنا فقال لست بسيدكم انما سيدكم الشيطان وأما هبيرة بن جدير فحدثنى عن اسحاق بن سويد العدوى قال أوتيت منزل الاحنف فى النظارة فأتوا الاحنف فقالوا يا أبا بحر ان ربيعة والازد قد دخلوا الرحبة فقال لستم بأحق بالمسجد منهم ثم أتوه فقالوا قد دخلوا الدار فقال لستم بأحق بالدار منهم فتسرع سلمة بن ذؤيب الرياحى فقال الىّ يا معشر الفتيان فانما هذا جيش لا خير لكم عنده فبدرت ذؤبان بنى تميم فانتدب معه خمسمائة وهم مع ماه أفريذون فقال لهم سلمة أين تريدون قالوا ايا لم أردنا قال فتقدموا قال أبو عبيدة فحدثنى زهير بن هنيدة عن أبى نعامة عن ناشب بن الحسحاس وحميد بن هلال قالا أتينا منزل الاحنف بحضرة المسجد قالا فكنا فيمن ينظر فأتته امرأة بمجمر فقالت مالك والرئاسة تجمّر فانما أنت امرأة فقال است المرأة أحقّ بالمجمر فأتوه فقالوا ان علية بنت ناجية الرياحىّ وهى أخت مطر وقال آخرون عزّة بنت الحرّ الرياحية قد سلبت خلاخيلها من ساقيها وكان منزلها شارعا فى رحبة بنى تميم على الميضاة وقالوا اقتلوا الصباغ الذى على طريقك وقتلوا المقعد الذى كان على باب المسجد وقالوا ان مالك بن مسمع قد دخل سكة بنى العدوية من قبل الجبان فحرّق دورا فقال الأحنف أقيموا البينة على هذا ففى دون هذا ما يحلّ قتالهم فشهدوا عنده على ذلك فقال الاحنف أجاء عبّاد وهو عباد بن حصين بن يزيد بن عمرو بن أوس بن سيف بن عزم بن حلزّة بن بيان بن سعد بن الحارث الحبطة بن عمرو بن تميم قالوا لا ثم مكث غير طويل فقال أجاء عباد قالوا لا قال فهل ههنا عبس بن طلق بن ربيعة بن عامر بن بسطام بن الحكم بن ظالم ابن صريم بن الحارث بن عمرو بن كعب بن سعد فقالوا نعم فدعاه فانتزع معجرا فى رأسه ثم جثا على ركبتيه فعقده فى رمح ثم دفعه اليه فقال سر قالا فلما ولى قال اللهم لا تخزها اليوم فانك لم تخزها فيما مضى وصاح الناس هاجت زبرا وزبرا أمة للاحنف وانما كنوا بها عنه قالا فلما سار عبس جاء عباد فى ستين فارسا فسأل ما صنع الناس فقالوا ساروا قال ومن عليهم قالوا عبس بن طلق الصّريمى فقال عباد أنا أسير تحت لواء عبس فرجع والفرسان الى أهله فحدثنى زهير قال حدثنا أبو ريحانة العريْنىّ قال كنت يوم قتل مسعود تحت بطن فرس الزرد بن عبد الله السعدى أعدو حتى بلغنا شريعة القديم قال اسحاق بن سويد فاقبلوا فلما بلغوا أفواه السكك وقفوا فقال لهم ماه أفريدون بالفارسية ما لكم يا معشر الفتيان قالوا تلقونا بأسنة الرماح فقال لهم بالفارسية صكوهم بالفنجقان أى بخمس نشابات فى رمية بالفارسية والأساورة أربعمائة فصكوهم بألفى نشابة فى دفعة وأجلوا عن أبواب السكك وقاموا على باب المسجد ودلفت التميمية اليهم فلما بلغوا الأبواب وقفوا فسألهم ماه أفريدون ما لكم قالوا اسندوا الينا أطراف رماحهم قال أرموهم أيضا فرموهم بألفى نشابة فأجلوهم عن الابواب

بالبصرة وكانت جماعة الأزد آخر من نزل بالبصرة كانوا حيث مُصِّرت البصرة فحوّل عمر بن الخطاب رحمه الله من تنوّخ من المسلمين الى البصرة وأقامت جماعة الأزد لم يتحوّلوا ثم لحقوا بالبصرة بعد ذلك في آخر خلافة معاوية وأول خلافة يزيد بن معاوية فلمّا قدموا قالت بنو تميم للأحنف بادِرْ الى هؤلاء قبل ان تسبقنا اليهم ربيعة وقال الأحنف ان أتوكم فاقبلوهم والا لا تأتوهم فانكم ان أتيتموهم صرتم لهم أتباعا فأتاهم مالك بن مسمع ورئيس الأزد يومئذ مسعود بن عمرو المعنيّ فقال مالك جدّدوا حلفنا وحلف كندة في الجاهلية وحلف بني ذهل بن ثعلبة في طيّ بن أدد من ثعل فقال الأحنف اما اذ أتوهم فلن يزالوا لهم أتباعا أذنابا قال أبو عبيدة فحدّثني هبيرة بن حدير عن اسحاق بن سويد قال فلما ان جرت بكر الى نصر الأزد على مضر وجدّدوا الحلف الاوّل وأرادوا أن يسيروا قالت الأزد لا نسير معكم الا أن يكون الرئيس منا فرأسوا مسعودا عليهم قال أبو عبيدة فحدّثني مسلمة بن محارب قال قال مسعود لعبيد الله سر معنا حتى نعيدك في الدار فقال ما أقدر على ذلك امض أنت وأمر برواحله فشدوا عليها أدواتها وسوادها وتزمل في أهبة السفر وألقوا له كرسيا على باب مسعود فقعد عليه وسار مسعود وبعث عبيد الله غلمانا له على الخيل مع مسعود وقال لهم انى لا أدرى ما يحدث فأقول اذا كان كذا فليأتني بعضكم بالخبر ولكن لا يحدث خير ولا شرّ إلا أتانى بعضكم به فجعل مسعود لا يأتي على سكة ولا يتجاوز قبيلة إلا أتى بعض أولئك الغلمان بخبر ذلك وقدم مسعود ربيعة وعليهم مالك بن مسمع فأخذوا جميعا سكة المربد فجاء مسعود حتى دخل المسجد فصعد المنبر وعبد الله بن الحارث في دار الامارة فقيل له إن مسعودا وأهل اليمن وربيعة قد ساروا وسيهيج بين الناس شرّ فلو أصلحت بينهم أو ركبت في بني تميم عليهم وقال أبعدهم الله لا والله لا أفسدت نفسي في اصلاحهم وجعل رجل من أصحاب مسعود يقول

لأنكحنَّ ببّهْ * جارية في قبّهْ * تمشط رأس لعبّهْ

فهذا قول الأزد وربيعة فأما مضر فيقولون ان أمه هند بنت أبي سفيان كانت ترقصه وتقول هذا فلما لم يحل أحد بين مسعود وبين صعود المنبر خرج مالك بن مسمع في كتيبته حتى علا الجبّان من سكة المربد ثم جعل يمر بعدادد وربنى تميم حتى دخل سكة بني العدوية من قبل الجبان فجعل يحرّق دورهم للشحناء التي في صدورهم لقتل الضبّيّ اليشكريّ ولاستعراض ابن حازم ربيعة بهراة قال فبيناهو في ذلك اذ أتوه فقالوا اقتلوا مسعودا وقالوا سارت بنو تميم الى مسعود فأقبل حتى اذا كان عند مسجد بني قيس في سكة المربد وبلغه قتل مسعود وقف قال أبو عبيدة فحدثني زهير بن هنيدة قال حدثنا الضحاك أو الوصاح بن حيثمة أحد بني عبد الله بن دارم قال حدثني مالك بن دينار قال ذهبت في الشباب الذين ذهبوا

وَمَسْعُودَ بْنَ عَمْرٍو إِذ أَتَانَا * صَبَحْنَا حَدَّ مَطْرُورٍ سَنِينَا

رَجَا التَّأْمِيرَ مسعودٌ فَأَضْحَى * صَرِيعًا قَدْ أَزَرْنَاهُ الْمَنُونَا

﴿قال أبو جعفر﴾ محمد بن جرير وأما عمر فانه حدثني في أمر خروج عبيد الله الى الشأم قال حدثنا زهير قال حدثنا وهب بن جرير بن حازم قال حدثنا الزبير بن الخريت قال بعث مسعود مع ابن زياد مائة من الأزد عليهم قرة بن عمرو بن قيس حتى قدموا به الشأم ﴿و﴾ وحدثني عمر قال حدثنا أبو عاصم النبيل عن عمرو بن الزبير وخلاد بن يزيد الباهلي والوليد بن هشام عن عمه عن أبيه عن عمرو بن هبيرة عن يساف بن شريح اليشكرى قال وحدثنيه على بن محمد قال قد اختلفوا فزاد بعضهم على بعض ان ابن زياد خرج من البصرة فقال ذات ليلة انه قد ثقل على ركوب الابل فوطئوا لى على ذى حافر قال فألقيت له قطيفة على حمار فركبه وان رجليه لتكادان تخدان فى الارض قال اليشكرى فإنه ليسير أمامى اذ سكت سكتة فأطالها فقلت فى نفسى هذا عبيد الله أمير العراق أمس نائم الساعة على حمار لو قد سقط منه أعنته ثم قلت والله لئن كان نائما لأنغصن عليه نومه فدنوت منه فقلت أنائم أنت قال لا قلت فما أسكتك قال كنت أحدث نفسى قلت أفلا أحدثك ما كنت تحدث به نفسك قال هات فوالله ما أراك بكيس ولا مصيب قال قلت كنت تقول ليتنى لم أقتل الحسين قال وماذا قلت تقول ليتنى لم أكن قتلت من قتلت قال وماذا قلت كنت تقول ليتنى لم أكن بنيت البيضاء قال وماذا قلت تقول ليتنى لم أكن استعملت الدهاقين قال وماذا قلت وتقول ليتنى كنت أسخى مما كنت قال فقال والله ما نطقت بصواب ولا سكت عن خطإ أما الحسين فانه سار الىّ يريد قتلى فاخترت قتله على ان يقتلنى وأما البيضاء فانى اشتريتها من عبد الله بن عثمان الثقفى وأرسل يزيد بألف ألف فأنفقتها عليها فإن بقيت فلأهلى وان هلكت لم آس عليها مما لم أعنف فيه وأما استعمال الدهاقين فان عبد الرحمن بن أبى بكرة وزاذان فروخ وقعا فىّ عند معاوية حتى ذكرا قشور الأرز فبلغا بخراج العراق مائة ألف ألف فخيرنى معاوية بين الضمان والعزل فكرهت العزل فكنت اذا استعملت الرجل من العرب فكسر الخراج فتقدمت اليه أو أغرمت صدور قومه أو أغرمت عشيرته أضررت بهم وان تركته تركت مال الله وأنا أعرف مكانه فوجدت الدهاقين أبصر بالجباية وأوفى بالامانة وأهون فى المطالبة منكم مع انى قد جعلتكم أمناء عليهم لئلا يظلموا أحدا وأما قولك فى السخاء فوالله ما كان لى مال فأجود به عليكم ولو شئت لأخذت بعض مالكم فخصصت به بعضكم دون بعض فيقولون ما أسخاه ولكنى عممتكم وكان عندى أنفع لكم وأما قولك ليتنى لم أكن قتلت من قتلت فما عملت بعد كلمة الإخلاص عملا هو أقرب الى الله عندى من قتلى من قتلت من الخوارج ولكنى سأخبرك بما حدثت به نفسى قلت ليتنى كنت قاتلت أهل

فدخلوا المسجد فأقبلوا ومسعود يخطب على المنبر ويحضض فحمل غطفان بن أنيف بن يزيد بن فهدة أحد بنى كعب بن عمرو بن تميم وكان يزيد بن فهدة فارسا فى الجاهلية يقاتل ويحض قومه ويرتجز

يال تميم انها مَذْكورَهْ * إن فات مسعودٌ بها مَشْهُورَهْ
فاستمسكوا بجانب المقصورَهْ

أى لا يهرب فيفوت قال اسحاق بن يزيد فأتوا مسعودًا وهو على المنبر يحض فاستنزلوه فقتلوه وذلك فى أول شوال سنة ٦٤ فلم يكن القوم شيأ فانهزموا وبادر أشيمُ بن شقيق القوم باب المقصورة هاربا فطعنه أحدهم فنجا بها ففى ذلك يقول الفرزدق

لو أنَّ أشيمَ لم يسبقْ أسنَّتنا * وأخطأ الباب إذ نيرانُنا تقدْ
إذا لصاحبَ مَسْعودا وصاحبَه * وقد تهافتتِ الأعفاجُ والكبدْ

قال أبو عبيدة فحدثنى سلام بن أبى خيرة وسمعته أيضا من أبى الخنساء كسيب العنبرىّ يحدث فى حلقة يونس قالا سمعنا الحسن بن أبى الحسن يقول فى مجلسه فى مسجد الأمير فأقبل مسعود من ههنا وأشار بيده الى منازل الازد فى أمثال الطير معلما بقباء ديباج أصفر مغيّر بسواد يأمر الناس بالسنة وينهى عن الفتنة ألا إنّ من السنّة ان تأخذ فوق يديك وهم يقولون القمر القمَر فوالله مالبثوا الا ساعةً حتى صار قرهم قُمَيرًا فأتوه فاستنزلوه عن المنبر وهو عليه قد علم الله فقتلوه (قال سلام فى حديثه) قال الحسن وجاء الناس من ههنا وأشار بيده الى دور بنى تميم قال أبو عبيدة فحدثنى سلمة بن محارب قال فأتوا عبيد الله فقالوا قد صعد مسعود المنبر ولم يُرْم دون الدار بكتاب فبيناهم فى ذلك يتهيأ للمجئ الى الدار اذ جاؤا فقالوا قد قتل مسعود فاغترز فى ركابه فلحق بالشأم وذلك فى شوال سنه ٦٤ قال أبو عبيدة فحدثنى رَوّاد الكعبىّ قال فأتى مالك بن مسمع اناسٌ من مضر فحصروه فى داره وحرّقوا ففى ذلك يقول غطفان بن أنيف الكعبىّ فى أرجوزة

وأصبحَ ابنُ مِسْمَعَ محصورا * يبْغى قُصُورا دونَه ودُورا
حَتّى شَبَبْنا حوْلَه السَّعيرا

ولما هرب عبيد الله بن زياد اتبعوه فأعجز الطلبة فانتهبوا ما وجدوا له ففى ذلك يقول واقد بن خليفة بن أسماء أحد بنى صخر بن منقر بن عبيد بن الحارث بن عمرو بن كعب بن سعد

يارُبَّ جبّارٍ شَديد كَلَبُهْ * قد صارفينا تاجُهُ وسلبُهْ
مِنْهم عُبَيْدُ الله حين نَسْلُبُهْ * جيادُهْ وبزُّهْ ونَهْبُهْ
يَوْمَ التَقَى مِقْنَبُنا ومِقْنَبُهْ * لولم يَنْج ابْنُ زيادٍ هَرَبُهْ

وقال جرهم بن عبد الله بن قيس أحد بنى العدوية فى قتل مسعود فى كلمة طويلة

ومسعود

ابن الحارث بن يزيد الشيباني وهو ابن رويم فحصبهما أول الناس ثم حصبهما الناس بعده
ثم قال أنحن نبايع لابن مرجانة لا ولا كرامة فشرفت تلك الفعلة يزيد في المصر ورفعته
ورجع الوفد الى البصرة فأعلم الناس الخبر فقالوا أهل الكوفة يخلعونه وأنتم تولونه وتبايعونه
فوثب به الناس وقال ما كان في ابن زياد وصمة الا استجارته بالأزد قال فلما نابذه الناس
استجار بمسعود بن عمرو الأزدي فأجاره ومنعه فمكث تسعين يوما بعد موت يزيد ثم خرج
الى الشأم وبعثت الأزد وبكر بن وائل رجالا منهم معه حتى أوردوه الشأم فاستخلف حين توجه
الى الشأم مسعود بن عمرو على البصرة فقالت بنو تميم وقيس لا نرضى ولا نجيز ولا نولي إلا
رجلا ترضاه جماعتنا فقال مسعود فقد استخلفني فلا أدع ذلك أبدا فخرج في قومه حتى
انتهى الى القصر فدخله واجتمعت تميم الى الأحنف بن قيس فقالوا له ان الأزد قد دخلوا
المسجد قال ودخل المسجد فمه انما هو لكم ولهم وأنتم تدخلونه قالوا فانه قد دخل القصر
فصعد المنبر وكانت خوارج قد خرجوا فنزلوا بنهر الأساورة حين خرج عبيد الله بن زياد
الى الشأم فزعم الناس ان الأحنف بعث اليهم ان هذا الرجل الذي قد دخل القصر لنا ولكم
عدو فما يمنعكم من ان تبدؤا به فجاءت عصابة منهم حتى دخلوا المسجد ومسعود بن عمرو
على المنبر يبايع من أتاه فيرميه علج يقال له مسلم من أهل فارس دخل البصرة فأسلم ثم دخل
في الخوارج فاصاب قلبه فقتله وخرج وجال الناس بعضهم في بعض فقالوا قتل مسعود
ابن عمرو وقتلته الخوارج فخرجت الأزد الى تلك الخوارج فقتلوا منهم وجرحوا وطردوهم
عن البصرة ودفنوا مسعودا فجاءهم الناس فقالوا لهم تعلمون ان بني تميم يزعمون انهم قتلوا
مسعود بن عمرو فبعثت الأزد تسأل عن ذلك فاذا أناس منهم يقولونه فاجتمعت الأزد عند
ذلك فرأسوا عليهم زياد بن عمرو العتكي ثم ازدلفوا الى بني تميم وخرجت مع بني تميم قيس
وخرج مع الأزد مالك بن مسمع وبكر بن وائل فاقبلوا نحو بني تميم وأقبلت تميم الى الأحنف
يقولون قد جاء القوم اخرج وهو متمكث اذ جاءته امرأة من قومه بمجمر فقالت يا أحنف
اجلس على هذا أي انما أنت امرأة فقال استك أحق بها فما سمع منه بعد كلمة كانت
ارفث منها وكان يعرف بالحلم ثم انه دعا برايته فقال اللهم انصرها ولا تذلها وإن نصرتها
ألا يظفر بها ولا يظهر عليها اللهم احقن دماءنا وأصلح ذات بيننا ثم سار وسار ابن أخيه
اياس بن معاوية بين يديه فالتقى القوم فاقتتلوا أشد القتال فقتل من الفريقين قتلى كثيرة
فقالت لهم بنو تميم الله الله يا معشر الأزد في دمائنا ودمائكم بيننا وبينكم القرآن ومن شئتم
من أهل الاسلام فإن كانت لكم علينا بينة أنا قتلنا صاحبكم فاختاروا أفضل رجل فينا
فاقتلوه بصاحبكم وان لم تكن لكم بينة فإنا نحلف بالله ما قتلنا ولا أمرنا ولا نعلم لصاحبكم
قاتلا وان لم تريدوا ذلك فنحن ندي صاحبكم بمائة ألف درهم فاصطلحوا فأتاهم الأحنف بن

البصرة فانهم بايعونى طائعين غير مكرهين وايم الله لقد حرصتُ على ذلك ولكن بنى زياد أتونى فقالوا انك اذ قاتلتهم فظهر واعليك لم يبقوا منا أحداً وإن تركتهم يغيب الرجل مناعند اخواله وأصهاره فرفقت لهم فلم أقاتل وكنت أقول ليتنى كنت أخرجت أهل السجن فضربت أعناقهم فاما اذ فاتت هاتان فليتنى كنت أقدم الشأم ولم يبرموا أمرا قال بعضهم فقدم الشأم ولم يبرموا أمرا فكأنما كانوا معه صبياناً وقال بعضهم قدم الشأم وقد أبرموا فنقض ما أبرموا الى رأيه ﴿وفي هذه السنة﴾ طرد أهل الكوفة عمرو بن حريث وعزلوه عنهم واجتمعوا على عامر بن مسعود

﴿ذكر الخبر عن عزلهم عمرو بن حُريث وتأميرهم عامرا﴾

﴿قال أبو جعفر﴾ ذكر الهيثم بن عدى قال حدثنا ابن عياش قال كان أول من جمع له المصران الكوفة والبصرة زياد وابنه فقتلا من الخوارج ثلاثة عشر ألفا وحبس عبيد الله منهم أربعة آلاف فلما هلك يزيد قام خطيبا فقال ان الذى كنا نقاتل عن طاعته قد مات فان أمرتمونى جبيتُ فيئكم وقاتلت عدوكم وبعث بذلك الى أهل الكوفة مقاتل بن مسمع وسعيد بن قرحا أحد بنى مازن وخليفته على الكوفة عمرو بن حريث فقاما بذلك فقام يزيد ابن الحارث بن رُوَيم الشيبانى فقال الحمد لله الذى أراحنا من ابن سُمية لا ولا كرامة فأمر به عمرو فلبّب ومضى به الى السجن فحالت بكر بينهم وبينه فانطلق يزيد الى أهله خائفا فأرسل اليه محمد بن الأشعث انك على رأيك وتتابعتْ عليه الرُسل بذلك وصعد عمرو المنبر فحصبوه فدخل داره واجتمع الناس فى المسجد فقالوا نؤمّر رجلا الى أن يجتمع الناس على خليفة فاجمعوا على عمرو بن سعيد فجاءت نساء همدان يبكين حسينا ورجالهم متقلدو السيوف فأطافوا المنبر فقال محمد بن الاشعث جاء أمرٌ غير ما كنا فيه وكانت كندة تقوم بأمر عمرو ابن سعيد لانهم أخواله فاجتمعوا على عامر بن مسعود وكتبوا بذلك الى ابن الزبير فأقرّه وأما عوانة بن الحكم فانه قال فيما ذكر هشام بن محمد عنه لما بايع أهل البصرة عبيد الله بن زياد بعث وافدين من قبله الى الكوفة عمرو بن مسمع وسعد بن القرحا التميمى ليعلم أهل الكوفة ما صنع أهل البصرة ويسألانهم البيعة لعبيد الله بن زياد حتى يصطلح الناس فجمع الناسَ عمرو بن حريث فحمد الله وأثنى عليه ثم قال ان هذين الرجلين قد أتياكم من قبل أميركم يدعوانكم الى أمرٍ يجمع الله به كلمتكم ويصلح به ذات بينكم فاسمعوا منهما واقبلوا عنهما فانهما برُشد ما أتياكم فقام عمرو بن مسمع فحمد الله وأثنى عليه وذكر أهل البصرة واجتماع رأيهم على تأمير عبيد الله بن زياد حتى يرى الناس رأيهم فيمن يولون عليهم وقد جئناكم لنجمع أمرنا وأمركم فيكونَ أميرُنا وأميركم واحدا انما الكوفة من البصرة والبصرة من الكوفة وقام ابن القرحا فتكلم نحوًا من كلام صاحبه قال فقام يزيد

ابن

فأقبل ومعه مالك بن مسمع حتى صعد المنبر فقال أيّ مصريٍّ وجدتموه فاسلبوه وزعم بنو مسمع أن مالكا جاء يومئذ متفضلا في غير سلاح ليردّ أشيم عن رأيه ثم انصرفت بكر وقد تحاجزوا هم والمضرية واغتنمت الأزد ذلك فحالفوا بكرا وأقبلوا مع مسعود إلى المسجد الجامع وفزعت تميم إلى الأحنف فعقد عمامته على قناة ودفعها إلى سلمة بن ذؤيب الرياحيّ فأقبل بين يديه الأساورة حتى دخل المسجد ومسعود يخطب فاستنزلوه فقتلوه وزعمت الأزد أن الأزارقة قتلوه فكانت الفتنة وسفر بينهم عمر بن عبيد الله بن معمر وعبد الرحمن ابن الحارث بن هشام حتى رضيت الأزد من مسعود بعشر دياتٍ ولزم عبد الله بن الحارث بيته وكان يتديّن وقال ما كنتُ لأصلح الناس بفساد نفسي قال عمر قال أبو الحسن فكتب أهل البصرة إلى ابن الزبير فكتب إلى أنس بن مالك يأمره بالصلاة بالناس فصلى بهم أربعين يوما حدثني عمر قال حدثنا عليّ بن محمد قال كتب ابن الزبير إلى عمر بن عبيد الله ابن مَعمر التيميّ بعهده على البصرة ووجه به إليه فوافقه وهو متوجه يريد العُمرة فكتب إلى عبيد الله يأمره أن يصلي بالناس فصلى بهم حتى قدم عمر حدثني عمر قال حدثني زهير بن حرب قال حدثنا وهب بن جرير قال حدّثني أبي قال سمعت محمد بن الزبير قال كان الناس اصطلحوا على عبد الله بن الحارث الهاشميّ فولي أمرهم أربعة أشهر وخرج نافع بن الأزرق إلى الأهواز فقال الناس لعبد الله إن الناس قد أكل بعضُهم بعضا تؤخذ المرأة من الطريق فلا يمنعها أحد حتى تُفضح قال فتريدون ماذا قالوا تضع سيفك وتشُدّ على الناس قال ما كنت لأصلحهم بفساد نفسي يا غلام ناولني نعليّ فانتعل ثم لحق بأهله وأمَّر الناس عليهم عمر بن عبيد الله بن معمر التيميّ قال أبي عن الصَّعب بن زيدان الخارف وقع وعبد الله على البصرة فماتت أمه في الخارف فما وجدوا لها من يحملها حتى استأجروا لها أربعة أعلاج فحملوها إلى حُفرتها وهو الأمير يومئذ حدثني عمر قال حدّثني عليّ بن محمد قال كان ببّة قد تناول في عمله على البصرة أربعين ألفا من بيت المال فاستودعها رجلا فلما قدم عمر بن عبيد الله أميرًا أخذ عبد الله بن الحارث فحبسه وعذب مولى له في ذلك المال حتى أغرمه إياه حدثني عمر قال حدثني عليّ بن محمد عن القاولانيّ عن يزيد بن عبد الله بن الشّخير قال قلت لعبد الله بن الحارث بن نوفل رأيتك زمان استُعملت علينا أصبت من المال واتّقيت الدم فقال إن تبعة المال أهون من تبعةِ الدم

﴿وفي هذه السنة﴾ ولي أهل الكوفة عامر بن مسعود أمرهم فذكر هشام بن محمد الكلبيّ عن عوانة بن الحكم أنهم لما ردّوا وافدي أهل البصرة اجتمع أشراف أهل الكوفة فاصطلحوا على أن يصلي بهم عامر بن مسعود وهو عامر بن مسعود بن خلف القرشيّ وهو دُحرُوجة الجُعَل الذي يقول فيه عبد الله بن همام السّلوليّ

قيس في وجوه مضر الى زياد بن عمرو العتكي فقال يا معشر الأزد أنتم جيرتنا في الدار واخوتنا عند القتال وقد آتيناكم في رحالكم لإطفاء حشيشتكم وسل سخيمتكم ولكم الحكم مرسلاً فقولوا على أحلامنا وأموالنا فانه لا يتعاظمنا ذهاب شيء من أموالنا كان فيه صلاح بيننا فقالوا أتدون صاحبنا عشر ديات قال هي لكم فانصرف الناس واصطلحوا فقال الهيثم بن الاسود

أعلي بمسعود الناعي فقلت له * نعم اليماني نجر أعلى الناعي
أوفى ثمانين ما يستطيعه أحد * فتى دعاه لرأس العدة الداعي
أدى ابن حرب وقد سدت مذاهبه * فأوسع السرب منه أي ايساع
حتى توارت به أرض وعامرها * وكان ذا ناصر فيها وأشياع

وقال عبد الله بن الحر

مازلت أرجو الأزد حتى رأيتها * تقصر عن بنيانها المتطاول
أيقتل مسعود ولم يثأروا به * وصارت سيوف الأزد مثل المناجل
وما خير عقل أورث الأزد ذلة * تسب به أحياؤهم في المحافل
على أنهم شمط كأن لحاهم * ثعالب في أعناقها كالجلاجل

واجتمع أهل البصرة على أن يجعلوا عليهم منهم أميراً يصلي بهم حتى يجتمع الناس على امام فجعلوا عبد الملك بن عبد الله بن عامر شهراً ثم جعلوا ببة وهو عبد الله بن الحارث بن عبد المطلب فصلى بهم شهرين ثم قدم عليهم عمر بن عبد الله بن معمر من قبل ابن الزبير فمكث شهراً ثم قدم الحارث بن عبد الله بن ربيعة المخزومي بعزله فوليها الحارث وهو القباع ﴿قال أبو جعفر﴾ وأما عمر بن شبة فانه حدثني في أمر عبد الملك بن عبد الله بن عامر بن كريز وأمر ببة ومسعود وقتله وأمر عمر بن عبد الله غير ما قال هشام عن عوانة والذي حدثني عمر بن شبة في ذلك انه قال حدثني علي بن محمد عن أبي مقرن عبيد الله الدهني قال لما بايع الناس ببة ولي ببة شرطته هميان بن عدي وقدم على ببة بعض أهل المدينة وأمر هميان بن عدي باِنزاله قريباً منه فأتى هميان دار الفيل مولى زياد التي في بني سليم وهم بتفريغها لينزلها اياه وقد كان هرب وأقفل أبوابه فمنعت بنو سليم هميان حتى قاتلوه واستصرخوا عبد الملك بن عبد الله بن عامر بن كريز فأرسل بجاريته ومواليه في السلاح حتى طردوا هميان ومنعوه الدار وغدا عبد الملك من الغد الى دار الامارة ليسلم على ببة فلقيه على الباب رجل من بني قيس بن ثعلبة فقال أنت المعين علينا بالأمس فرفع يده فلطمه فضرب لأوم من البخارية يد القيسي فأطارها ويقال بل سلم القيسي وغضب ابن عامر فرجع وغضبت له مضر فاجتمعت وأتت بكر بن وائل أشيم بن شقيق بن ثور فاستصرخوه

هذا الحي من لخم وجذام ولست بدون رجل اذ كنت عينهم قاتلت بمن معك من قومك وخرج حسان بن مالك الى الأردن واستخلف روح بن زنباع على فلسطين فثار ناتل بن قيس بروح بن زنباع فأخرجه فاستولى على فلسطين وبايع لابن الزبير وقد كان عبد الله ابن الزبير كتب الى عامله بالمدينة ان ينفي بني أمية من المدينة فنفوا بعيالاتهم ونسائهم الى الشأم فقدمت بنو أمية دمشق وفيها مروان بن الحكم فكان الناس فريقين حسان بن مالك بالأردن يهوى هوى بني أمية ويدعو اليهم والضحاك بن قيس الفهري بدمشق يهوى هوى عبد الله بن الزبير ويدعو اليه قال فقام حسان بن مالك بالأردن فقال يا أهل الأردن ماشهادتكم على ابن الزبير وعلى قتلى أهل الحرة قالوا نشهد ان ابن الزبير منافق وان قتلى أهل الحرة في النار قال فما شهادتكم على يزيد بن معاوية وقتلاكم بالحرة قالوا نشهد ان يزيد على الحق وان قتلانا في الجنة قال وأنا أشهد لئن كان دين يزيد بن معاوية وهو حي حقا يومئذ انه اليوم وشيعته على حق وإن كان ابن الزبير يومئذ وشيعته على باطل انه اليوم على باطل وشيعته قالوا له قد صدقت نحن نبايعك على ان نقاتل من خالفك من الناس وأطاع ابن الزبير على ان تجنبنا هذين الغلامين فإنا نكره ذلك يعنون ابني يزيد بن معاوية عبد الله وخالدا فانهما حديثة أسنانهما ونحن نكره ان يأتينا الناس بشيخ ونأتيهم بصبي وقد كان الضحاك بن قيس بدمشق يهوى هوى ابن الزبير وكان يمنعه من اظهار ذلك ان بني أمية كانوا بحضرته وكان يعمل في ذلك سرا فبلغ ذلك حسان بن مالك بن بحدل فكتب الى الضحاك كتابا يعظم فيه حق بني أمية ويذكر الطاعة والجماعة وحسن بلاء بني أمية عنده وصنيعهم اليه ويدعوه الى طاعتهم ويذكر ابن الزبير ويقع فيه ويشتمه ويذكر انه منافق قد خلع خليفتين وأمره أن يقرأ كتابه على الناس ودعا رجلا من كلب يدعى ناغضة فسرح بالكتاب معه الى الضحاك بن قيس وكتب حسان بن مالك نسخة ذلك الكتاب ودفعه الى ناغضة وقال ان قرأ الضحاك كتابي على الناس والا فقم فاقرأ هذا الكتاب على الناس وكتب حسان الى بني أمية يأمرهم أن يحضروا ذلك فقدم ناغضة بالكتاب على الضحاك فدفعه اليه ودفع كتاب بني أمية اليهم فلما كان يوم الجمعة صعد الضحاك المنبر فقام اليه ناغضة فقال أصلح الله الأمير ادع بكتاب حسان فاقرأه على الناس فقال له الضحاك اجلس فجلس ثم قام اليه الثانية فقال له اجلس ثم قام اليه الثالثة فقال له اجلس فلما رآه ناغضة لا يفعل اخرج الكتاب الذى معه فقرأه على الناس فقام الوليد بن عتبة بن أبي سفيان فصدق حسانا وكذب ابن الزبير وشتمه وقام يزيد بن أبي النمس الغساني فصدق مقالة حسان وكتابه وشتم ابن الزبير وقام سفيان بن الأبرد الكلبي فصدق مقالة حسان وكتابه وشتم ابن الزبير وقام عمرو بن يزيد الحكمي فشتم حسانا وأثنى على ابن الزبير واضطرب الناس تبعا لهم ثم أمر

أَشدُدْ يَدَيكَ بزَيدٍ إن ظَفِرتَ به * واشفِ الأراملَ من دُحرُوجةِ الجُعَلِ

وكان قصيراً حتى يرى الناس رأيهم فمكث ثلاثة أشهر من مهلك يزيد بن معاوية ثم قدم عليهم عبد الله بن يزيد الأنصاري ثم الخطمي على الصلاة وابراهيم بن محمد بن طلحة بن عبيد الله على الخراج فاجتمع لابن الزبير أهل الكوفة وأهل البصرة ومن بالقبلة من العرب وأهل الشام وأهل الجزيرة إلا أهل الأردن ﴿وفي هذه السنة﴾ بويع لمروان بن الحكم بالخلافة بالشأم

﴿ ذكر السبب في البيعة له ﴾

حدثني الحارث قال حدثنا ابن سعد قال حدثنا محمد بن عمر قال لما بويع عبد الله ابن الزبير ولي المدينة عبيدة بن الزبير وعبد الرحمن بن جحدم الفهري مصر وأخرج بني أمية ومروان بن الحكم الى الشام وعبد الملك يومئذ ابن ثمان وعشرين فلما قدم حصين ابن نمير ومن معه الى الشام أخبر مروان بما خلف عليه ابن الزبير وأنه دعاه الى البيعة فأبى فقال له ولبني أمية نحن نراكم في اختلاط شديد فأقيموا أمركم قبل أن يدخل عليكم شأمكم فتكون فتنة عمياء صماء فكان من رأى مروان ان يرحل فينطلق الى ابن الزبير فيبايعه فقدم عبيد الله بن زياد واجتمعت عنده بنو أمية وكان قد بلغ عبيد الله ما يريد مروان فقال له استحييت لك مما تريد أنت كبير قريش وسيدها تصنع ما تصنعه فقال ما فاتَ شيءٌ بعدُ فقام معه بنو أمية ومواليهم وتجمع اليه أهل اليمن فسار وهو يقول ما فات شيء بعد فقدم دمشق ومن معه والضحاك بن قيس الفهري قد بايعه أهل دمشق على أن يصلي بهم ويقيم لهم أمرهم حتى يجتمع أمر أمة محمد (وأما عوانة) فإنه قال فيما ذكر هشام عنه أن يزيد بن معاوية لما مات وابنه معاوية من بعده وكان معاوية بن يزيد بن معاوية فيما بلغني أمر بعد ولايته فنودي بالشأم الصلاة جامعة فحمد الله وأثنى عليه ثم قال أما بعد فإني قد نظرت في أمركم فضعفت عنه فابتغيت لكم رجلا مثل عمر بن الخطاب رحمة الله عليه حين فزع اليه أبو بكر فلم أجده فابتغيت لكم ستة في الشورى مثل ستة عمر فلم أجدها فأنتم أولى بأمركم فاختاروا له من أحببتم ثم دخل منزله ولم يخرج الى الناس وتغيب حتى مات فقال بعض الناس دُسَّ اليه فسُقي سمًّا وقال بعضهم طُعن ﴿رجع الحديث الى حديث عوانة﴾ ثم قدم عبيد الله بن زياد دمشق وعليها الضحاك بن قيس الفهري فثار زفر بن عبد الله الكلابي بقنسرين يبايع لعبد الله بن الزبير وبايع النعمان بن بشير الأنصاري بحمص لابن الزبير وكان حسان بن مالك بن بحدل الكلبي بفلسطين عاملا لمعاوية بن أبي سفيان ثم ليزيد بن معاوية بعده وكان يهوى هوى بني أمية وكان سيد أهل فلسطين فدعا حسان بن مالك بن بحدل الكلبي رَوح بن زِنباع الجذامي فقال اني مستخلفك على فلسطين وأدخل

هذا

وقال غير واحد كانت الوقعة بمرج راهط بين الضحاك ومروان في سنة ٦٤ وقد حدثت عن ابن سعد عن محمد بن عمر قال حدثني موسى بن يعقوب عن أبي الحويرث قال قال أهل الأردن وغيرهم لمروان أنت شيخ كبير وابن يزيد غلام وابن الزبير كهل وانما يقرع الحديد بعضه ببعض فلا تباره بهذا الغلام وارم بنحرك في نحره ونحن نبايعك ابسط يدك فبسطها فبايعوه بالجابية يوم الاربعاء لثلاث خلون من ذي القعدة سنة ٦٤ قال محمد بن عمر وحدثني مصعب بن ثابت عن عامر بن عبد الله ان الضحاك لما بلغه ان مروان قد بايعه من بايعه على الخلافة بايع من معه لابن الزبير ثم سار كل واحد منهما الى صاحبه فاقتتلوا قتالاً شديداً فقتل الضحاك وأصحابه قال محمد بن عمر وحدثني ابن أبي الزناد عن أبيه قال لما ولي المدينة عبد الرحمن بن الضحاك كان فتى شاباً فقال ان الضحاك بن قيس قد كان دعا قيساً وغيرها الى البيعة لنفسه فبايعهم يومئذ على الخلافة فقال له زفر بن عقيل الفهري هذا الذي كنا نعرف ونسمع وان بني الزبير يقولون انما كان بايع لعبد الله بن الزبير وخرج في طاعته حتى قتل الباطل والله يقولون كان أول ذلك ان قريشاً دعته اليها فأبى عليها حتى دخل فيها كارهاً

﴿ذكر الخبر عن الوقعة بمرج راهط بين الضحاك بن قيس ومروان بن الحكم وتمام الخبر عن الكائن من جليل الاخبار والاحداث في سنة ٦٤﴾

﴿قال أبو جعفر﴾ حدثنا نوح بن حبيب قال حدثنا هشام بن محمد عن عوانة بن الحكم الكلبي قال مال الضحاك بن قيس بمن معه من الناس حين سار يريد الجابية للقاء حسان ابن مالك فعطفهم ثم أقبل يسير حتى نزل مرج راهط وأظهر البيعة لابن الزبير وخلع بني أمية وبايعه على ذلك جل أهل دمشق من أهل اليمن وغيرهم قال وسارت بنو أمية ومن تبعهم حتى وافوا حسان بالجابية فصلى بهم حسان أربعين يوماً والناس يتشاورون وكتب الضحاك الى النعمان بن بشير وهو على حمص والى زفر بن الحارث وهو على قنسرين والى نائل بن قيس وهو على فلسطين يستمدهم وكانوا على طاعة ابن الزبير فأمده النعمان بشرحبيل بن ذي الكلاع وأمده زفر بأهل قنسرين وأمده نائل بأهل فلسطين فاجتمعت الاجناد الى الضحاك بالمرج وكان الناس بالجابية لهم اهواء مختلفة فأما مالك بن هبيرة السكوني فكان يهوى هوى بني يزيد بن معاوية ويحب أن تكون الخلافة فيهم وأما الحصين بن نمير السكوني فكان يهوى أن تكون الخلافة لمروان بن الحكم فقال مالك بن هبيرة لحصين بن نمير هلم فلنبايع لهذا الغلام الذي نحن ولدنا أباه وهو ابن أختنا فقد عرفت منزلتنا كانت من أبيه فانه يحملنا على رقاب العرب غداً يعني خالد بن يزيد فقال الحصين لا لعمر الله لا تأتينا العرب بشيخ ونأتيهم بصبي فقال مالك هذا ولم تردي تهامة ولما يبلغ الحزامُ

الضحاك بالوليد بن عتبة ويزيد بن أبي النمس وسفيان بن الأبرد الذين كانوا صدّقوا مقالة حسان وشتموا ابن الزبير فحبسوا وجال الناس بعضهم في بعض ووثبت كلاب على عمرو بن يزيد الحكمي فضربوه وحرّقوه بالنار وخرّقوا ثيابه وقام خالد بن يزيد بن معاوية فصعد مرقاتين من المنبر وهو يومئذ غلام والضحاك بن قيس على المنبر فتكلم خالد بن يزيد بكلام أوجز فيه لم يسمع مثله وسكن الناس ونزل الضحاك فصلى بالناس الجمعة ثم دخل فجاءت كلب فاخرجوا سفيان بن الأبرد وجاءت غسّان فأخرجوا يزيد بن أبي النمس فقال الوليد بن عتبة لو كنت من كلب أو غسان أخرجت قال فجاء ابنا يزيد بن معاوية خالد وعبد الله معهما اخوالهما من كلب فأخرجوه من السجن فكان ذلك اليوم يسمّيه أهل الشام يوم جيرون الأول وأقام الناس بدمشق وخرج الضحاك الى مسجد دمشق فجلس فيه فذكر يزيد بن معاوية فوقع فيه فقام اليه شاب من كلب بعصا معه فضربه بها والناس جلوس في الحلق متقلدي السيوف فقام بعضهم الى بعض في المسجد فاقتتلوا قيس تدعو الى ابن الزبير ونصرة الضحاك وكلب تدعو الى بني أميّة ثم الى خالد بن يزيد ويتعصبون ليزيد ودخل الضحاك دار الإمارة وأصبح الناس فلم يخرج الى صلاة الفجر وكان من الأجناد ناس يهوون هوى بني أمية وناس يهوون هوى ابن الزبير فبعث الضحاك الى بني أمية فدخلوا عليه من الغد فاعتذر اليهم وذكر حسن بلائهم عنده واليه وعنده وأنه ليس يريد شيأ يكرهونه قال فتكتبون الى حسان ونكتب فيسير من الأردن حتى ينزل الجابية ونسير نحن وأنتم حتى نوافيه بها فنبايع لرجل منكم فرضيت بذلك بنو أمية وكتبوا الى حسان وكتب اليه الضحاك وخرج الناس وخرجت بنو أمية واستقبلت الرايات وتوجهوا يريدون الجابية فجاء ثور بن معن بن يزيد بن الأخنس السلمي الى الضحاك فقال دعوتنا الى طاعة ابن الزبير فبايعناك على ذلك وأنت تسير الى هذا الأعرابي من كلب تستخلف ابن أخيه خالد ابن يزيد فقال له الضحاك فما الرأي قال الرأي أن نظهر ما كنا نسرّ وندعو الى طاعة ابن الزبير ونقاتل عليها فمال الضحاك بمن معه من الناس فعطفهم ثم أقبل يسير حتى نزل بمرج راهط واختلف في الوقعة التي كانت بمرج راهط بين الضحاك بن قيس ومروان بن الحكم فقال محمد بن عمر الواقدي بويع مروان بن الحكم في المحرّم سنة ٦٥ وكان مروان بالشأم لا يحدّث نفسه بهذا الأمر حتى أطمعه فيه عبيد الله ابن زياد حين قدم عليه من العراق فقال له أنت كبير قريش ورئيسها يلي عليك الضحاك بن قيس فذلك حين كان ما كان فخرج الى الضحاك في جيش فقتلهم مروان والضحاك يومئذ في طاعة ابن الزبير وقتلت قيس بمرج راهط مقتلة لم يقتل مثلها في موطن قط قال محمد ابن عمر حدّثني ابن أبي الزناد عن هشام بن عروة قال قتل الضحاك يوم مرج راهط على انه يدعو الى عبد الله بن الزبير وكتب به الى عبد الله لنا وذكر من طاعته عنه وحسن رأيه

وقال

ميسرته رجل آخر لم أحفظ اسمه وكان يزيد بن أبي النمس الغسّاني لم يشهد الجابية وكان مختبئاً بدمشق فلما نزل مروان مرج راهط ثار يزيد بن أبي نمس بأهل دمشق في عبيدها فغلب عليها وأخرج عامل الضحاك منها وغلب على الخزائن وبيت المال وبايع لمروان وأمدّه بالأموال والرجال والسلاح فكان أوّل فتح فُتح على بني أمية قال وقاتل مروان الضحاك عشرين ليلة ثم هزم أهل المرج وقتلوا وقُتل الضحاك وقُتل يومئذ من أشراف الناس من أهل الشأم ممن كان مع الضحاك ثمانون رجلاً كلهم كان يأخذ القطيفة والذي كان يأخذ القطيفة يأخذ ألفين في العطاء وقتل أهل الشأم يومئذ مقتلة عظيمة لم يقتلوا مثلها قطّ من القبائل كلها وقتل مع الضحاك يومئذ رجل من كلب من بني عُليم يقال له مالك بن يزيد ابن مالك بن كعب وقتل يومئذ صاحب لواء قضاعة حيث دخلت قضاعة الشأم وهو جدّ مُدلج بن المقدام بن زمل بن عمرو بن ربيعة بن عمرو الجُرشي وقتل ثور بن معن بن يزيد السلمي وهو الذي كان ردّ الضحاك عن رأيه قال وجاء برأس الضحاك رجل من كلب وذكروا ان مروان حين أتى برأسه ساءه ذلك وقال الآن حين كبرت سنّي ودقّ عظمي وصرت في مثل ظمء الحمار أقبلت بالكتائب أضرب بعضها ببعض قال وذكروا انه مرّ يومئذ برجل قتيل فقال

وما ضرّهم غير حين النفو * س أيّ أميري قريش غلب

وقال مروان حين بويع له ودعا الى نفسه

لما رأيت الأمر أمراً نهبا * يسّرت غسّان لهم وكلبا
والسكسكيّين رجالاً غلبا * وطيئاً تأباه إلا ضربا
والقين تمشي في الحديد نكبا * ومن تنوخ مشمخرّاً صعبا
لا يأخذون الملك إلا غصبا * وإن دنت قيس فقل لا قربا

(قال هشام بن محمد) حدثني أبو مخنف لوط بن يحيى قال حدثني رجل من بني عبدودّ من أهل الشأم قال حدثني من شهد مقتل الضحاك بن قيس قال مرّ بنا رجل من كلب يقال له زحنة بن عبد الله كأنما يرمي بالرجال الجذاء ما يطعن رجلاً إلا صرعه ولا يضرب رجلاً الا قتله فجعلت أنظر اليه أتعجّب من فعله ومن قتله الرجال اذ حمل عليه رجل فصرعه زحنة وتركه فأتيته فنظرت الى المقتول فاذا هو الضحاك بن قيس فأخذت رأسه فأتيت به الى مروان فقال أنت قتلته فقلت لا ولكن قتله زحنة بن عبد الله الكلبي فأعجبه صدقي إياه وتركي ادّعاءه فأمر لي بمعروف وأحسن الى زحنة (قال أبو مخنف) وحدثني عبد الملك بن نوفل بن مساحق عن حبيب بن كرّة قال والله ان راية مروان يومئذ لمعي وانه ليدفع بنعل سيفه في ظهري وقال ادن برايتك لا أبا لك ان هؤلاء لو قد وجدوا لهم حدّ السيوف انفرجوا

الظَّنِينَ فقالوا مهلاً يا أبا سليمان فقال له مالك والله لئن استخلفت مروان وآل مروان ليحسدُنَّك على سوطك وشراك نعلك وظلِّ شجرةٍ تستظلّ بها ان مروان أبو عشيرة وأخو عشيرة وعمّ عشيرة فإن بايعتموه كنتم عبيداً لهم ولكن عليكم بابن أختكم خالد فقال حصين اني رأيت في المنام قنديلا معلقا من السماء وان من يمدّ عنقه الى الخلافة تناوله فلم ينله وتناوله مروان فناله والله ليستخلفنه فقال له مالك ويحك يا حصين أتبايع لمروان وآل مروان وأنت تعلم انهم أهل بيت من قيس فلما اجتمع رأيهم للبيعة لمروان ابن الحكم قام روح بن زنباع الجذامي فحمد الله وأثنى عليه ثم قال أيها الناس انكم تذكرون عبد الله بن عمر بن الخطاب وصُحبتَه من رسول الله صلى الله عليه وسلم وقدمه في الإسلام وهو كما تذكرون ولكن ابن عمر رجلٌ ضعيفٌ وليس بصاحب أمة محمد الضعيفُ وأما ما يذكر الناس من عبد الله بن الزبير ويدّعون اليه من أمره فهو والله كما يذكرون بأنه لابن الزبير حواريّ رسول الله صلى الله عليه وسلم وابن أسماء ابنة أبي بكر الصدّيق ذات النطاقين وهو بعد كما تذكرون في قدمه وفضله ولكن ابن الزبير منافق قد خلع خليفتين يزيد وابنه معاوية ابن يزيد وسفك الدماء وشق عصا المسلمين وليس صاحب أمر أمة محمد صلى الله عليه المنافقُ وأما مروان بن الحكم فوالله ما كان في الاسلام صَدْعٌ قط الا كان مروان ممن يشعب ذلك الصدع وهو الذي قاتل عن أمير المؤمنين عثمان بن عفان يوم الدار والذي قاتل عليّ بن أبي طالب يوم الجمل وإنا نرى للناس أن يبايعوا الكبير ويستشبّوا الصغير يعني بالكبير مروان بن الحكم وبالصغير خالد بن يزيد بن معاوية قال فأجمع رأي الناس على البيعة لمروان ثم لخالد بن يزيد من بعده ثم لعمرو بن سعيد بن العاص من بعد خالد على ان امارة دمشق لعمرو بن سعيد بن العاص وامارة حمص لخالد بن يزيد بن معاوية قال فدعا حسّان بن مالك ابن بحدل خالد بن يزيد فقال أُبنيّ أختي ان الناس قد أبوك لحداثة سنّك واني والله ما أريد هذا الامر الا لك ولاهل بيتك وما أبايع مروان الا نظرا لكم فقال له خالد بن يزيد بل عُجّزت عنا قال لا والله ما عجزت عنك ولكن الرأي لك ما رأيتُ ثم دعا حسان بمروان فقال يا مروان ان الناس والله ما كلهم يرضى بك فقال له مروان ان يرد الله أن يعطنيها لا يمنعني اياها أحدٌ من خلقه وان يرد أن يمنعنيها لا يُعطنيها أحدٌ من خلقه قال فقال له حسان صدقتَ وصعد حسان المنبر يوم الاثنين فقال يا أيها الناس انا نستخلف يوم الخميس ان شاء الله فلما كان يوم الخميس بايع لمروان وبايع الناس له وسار مروان الى الجابية في الناس حتى نزل مرج راهط على الضحاك في أهل الاردنّ من كلب وأتته السكاسك والسكون وغسان وربع حسان بن مالك بن بحدل الى الاردن قال وعلى ميمنته أعني مروان عمرو بن سعيد بن العاص وعلى ميسرته عبيد الله بن زياد وعلى ميمنة الضحاك زياد بن عمرو بن معاوية العقيلي وعلى

له محمد بن حريث بن سليم وهو خال بني الأشدق فقال والله ما رأيت مثل مصعب بن الزبير رجلا قط أشدّ قتالاً فارساً وراجلاً ولقد رأيته في الطريق يترجل فيطّرد بأصحابه ويشدّ على رجليه حتى رأيتهما قد دميتا قال وانصرف مروان حتى استقرّت به دمشق ورجع إليه عمرو بن سعيد قال ويقال إنه لما قدم عبيد الله بن زياد من العراق فنزل الشأم أصاب بني أمية بتدمر قد نفاهم ابن الزبير من المدينة ومكة ومن الحجاز كله فنزلوا بتدمر وأصابوا الضحاك بن قيس أميرا على الشأم لعبد الله بن الزبير فقدم ابن زياد حين قدم ومروان يريد أن يركب إلى ابن الزبير فيبايعه بالخلافة فيأخذ منه الأمان لبني أمية فقال له ابن زياد أنشدك الله أن تفعل ليس هذا برأي أن تنطلق وأنت شيخ قريش إلى أبي خبيب بالخلافة ولكن ادع أهل تدمر فبايعهم ثم سر بهم وبمن معك من بني أمية إلى الضحاك بن قيس حتى تخرجه من الشأم فقال عمرو بن سعيد بن العاص صدق والله عبيد الله بن زياد ثم أنت سيد قريش وفرعها وأنت أحق الناس بالقيام بهذا الأمر إنما ينظر الناس إلى هذا الغلام يعني خالد بن يزيد بن معاوية فتزوج أمّه فيكون في حجرك قال ففعل مروان ذلك فتزوج أم خالد بن يزيد وهي فاختة ابنة أبي هاشم بن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس ثم جمع بني أمية فبايعوه بالإمارة عليهم وبايعه أهل تدمر ثم سار في جمع عظيم إلى الضحاك بن قيس وهو يومئذ بدمشق فلما بلغ الضحاك ما صنع بنو أمية ومسيرهم إليه خرج بمن تبعه من أهل دمشق وغيرهم فيهم زفر بن الحارث فالتقوا بمرج راهط فاقتتلوا قتالا شديدا فقتل الضحاك بن قيس الفهري وعامة أصحابه وانهزم بقيّتهم فتفرقوا وأخذ زفر بن الحارث وجها من تلك الوجوه هو وشابان من بني سليم فجاءت خيل مروان تطلبهم فلما خاف السلميان أن تلحقهم خيل مروان قالا لزفر يا هذا انج بنفسك فأما نحن فمقتولان فمضى زفر وتركهما حتى أتى قرقيسيا فاجتمعت إليه قيس فرأسوه عليهم فذلك حيث يقول زفر بن الحارث

أريني سلاحي لا أبا لك إنّني * أرى الحرب لا تزداد إلا تماديا
أتاني عن مروان بالغيب أنّه * مقيد دمي أو قاطعٌ من لسانيا
ففي العيس منجاة وفي الأرض مهْرب * إذا نحن رفّعنا لهنّ المثانيا
فلا تحسبوني إن تغيبت غافلا * ولا تفرحوا إن جئتكم بلقائيا
فقد ينبُتُ المرعى على دمن الثرى * وتبقى حزازاتُ النفوس كما هيا
أتذهب كلب لم تنلها رماحنا * وتُترك قتلى راهط هي ما هيا
لعمري لقد أبقت وقيعةُ راهط * لحسان صدْعا بينا متنائيا
أبعد ابن عمرو وابن معن تتابعا * ومقتل همام أمنّي الأمانيا

انفراج الرأس وانفراج الغنم عن راعيها قال وكان مروان في ستة آلاف وكان على خيله عبيد الله بن زياد وكان على الرجال مالك بن هبيرة قال عبد الملك بن نوفل وذكروا ان بشر بن مروان كانت معه يومئذ راية يقاتل بها وهو يقول

إنّ على الرئيس حقًّا حقًّا * أن يخضب الصعدة أو تندقّا

قال وصُرع يومئذ عبد العزيز بن مروان قال ومرّ مروان يومئذ برجل من محارب وهو في نفر يسير تحت راية يقاتل عن مروان فقال مروان يرحمك الله لو انك انضممت بأصحابك فإني أراك في قلة فقال ان معنا يا أمير المؤمنين من الملائكة مددا أضعاف من تأمرنا ننضم اليه قال فسُرّ بذلك مروان وضحك وضمّ أناسا اليه ممن كان حوله قال وخرج الناس منهزمين من المرج الى أجنادهم فانتهى أهل حمص الى حمص والنعمان بن بشير عليها فلما بلغ النعمان الخبر خرج هاربا بالليل ومعه امرأته نائلة بنت عمارة الكلبية ومعه ثقله وولده فتحير ليلته كلها وأصبح أهل حمص فطلبوه وكان الذي طلبه رجل من الكلاعيين يقال له عمرو بن الخليّ فقتله وأقبل برأس النعمان بن بشير وبنائلة امرأته وولدها فألقى الرأس في حجر أمّ أبان ابنة النعمان التي كانت تحت الحجاج بن يوسف بعد قال فقالت نائلة ألقوا الرأس اليّ فأنا أحق به منها فألقي الرأس في حجرها ثم أقبلوا بهم وبالرأس حتى انتهوا بهم الى حمص فجاءت كلب من أهل حمص فأخذوا نائلة وولدها قال وخرج زفر بن الحارث من قنّسرين هاربا فلحق بقرقيسيا فلما انتهى اليها وعليها عياض الجرشيّ وهو ابن أسلم من كعب بن مالك بن لغز بن أسود بن كعب بن حدس بن أسلم وكان يزيد بن معاوية ولاه قرقيسيا فحال عياض بين زفر وبين دخول قرقيسيا فقال له زفر أوثق لك بالطلاق والعتاق اذا أنا دخلت حمامها ان أخرج منها فلما انتهى اليها ودخلها لم يدخل حمامها وأقام بها وأخرج عياضا منها وتحصن زفر بها وثابت اليه قيس قال وخرج ناتل بن قيس الجذاميّ صاحب فلسطين هاربا فلحق بابن الزبير بمكة وأطبق أهل الشأم على مروان واستوثقوا له واستعمل عليها عماله (قال أبو مخنف) حدثني رجل من بني عبد وُدّ من أهل الشأم يعني الشرقيّ قال وخرج مروان حتى أتى مصر بعد ما اجتمع له أمر الشأم فقدم مصر وعليها عبد الرحمن بن جحدم القرشيّ يدعو الى ابن الزبير فخرج اليه فيمن معه من بني فهر وبعث مروان عمرو بن سعيد الأشدق من ورائه حتى دخل مصر وقام على منبرها يخطب الناس وقيل لهم قد دخل عمرو مصر فرجعوا وأمر الناس مروان وبايعوه ثم أقبل راجعا نحو دمشق حتى اذا دنا منها بلغه ان ابن الزبير قد بعث أخاه مصعب بن الزبير نحو فلسطين فسرح اليه مروان عمرو بن سعيد بن العاص في جيش واستقبله قبل ان يدخل الشأم فقاتله فهزم أصحاب مصعب وكان معه رجل من بني عذرة يقال

له

﴿قال أبو جعفر﴾ ولما بايع حصين بن نمير مروان بن الحكم وعصا مالك بن هبيرة فيما أشار به عليه من بيعة خالد بن يزيد بن معاوية واستقر لمروان بن الحكم الملك وقد كان الحصين بن نمير اشترط على مروان أن ينزل البلقاء من كان بالشأم من كندة وأن يجعلها لهم مأكلة فأعطاه ذلك وان بني الحكم لما استوثق الامر لمروان وقد كانوا اشترطوا لخالد بن يزيد بن معاوية شروطا قال مروان ذات يوم وهو جالس في مجلسه ومالك بن هبيرة جالس عنده ان قوما يدّعون شروطا منهم عطّارة مكحلة يعني مالك بن هبيرة وكان رجلا يتطيّب ويكتحل فقال مالك بن هبيرة هذا ولمّا ترِدِي تهامة ولما يبلغ الحزام الطُّبْيَيْن فقال مروان مهلا يا أبا سليمان انما داعبناك فقال مالك هو ذاك وقال عويج الطائي يمتدح كلبا وحميد بن بحدل

لقد علِمَ الاقوامُ وقْعَ ابن بحْدَلٍ * وأخرَى عليهم ان بقي سيُعيدُها
يَقُودُونَ أولادَ الوَجيهِ ولاحق * من الرِّيف شهرا ما يَني من يقُودُها
فهذا لهذا ثم انى لنافضٌ * على الناسِ أقوالا كثيرا حُدُودُها
فلولا أمير المؤمنين لاصبَحَتْ * قُضاعَةُ أرْبابًا وقيْسٌ عَبيدُها

﴿وفي هذه السنة﴾ بايع جند خراسان لسلم بن زياد بعد موت يزيد بن معاوية على أن يقوم بأمرهم حتى يجتمع الناس على خليفة ﴿وفيها﴾ كانت فتنة عبد الله بن خازم بخراسان

﴿ذكر الخبر عن ذلك﴾

حدثني عمر بن شبة قال حدثنا علىّ بن محمد قال أخبرنا مسلمة بن محارب قال بعث سلم بن زياد بما أصاب من هدايا سمرقند وخوارزم الى يزيد بن معاوية مع عبد الله بن خازم وأقام سلم واليا على خراسان حتى مات يزيد بن معاوية ومعاوية بن يزيد فبلغ سلما موته وأتاه مقتل يزيد بن زياد في سجستان وأسرُ أبي عبيدة بن زياد وكتم الخبر سلم فقال ابنُ عرادة

يا أيها المَلكُ المغلِّقُ بابَهُ * حدَثَتْ أمورٌ شأنُهُنَّ عظيمُ
قتلى بجِنْزَةَ والذينَ بكابُلٍ * ويزيدُ أعْلِنَ شأنُهُ المكتُومُ
أبني أميَّةَ ان آخرَ ملككُمْ * جسدٌ بحُوَّارين ثَمَّ مُقيمُ
طرَقَتْ منيَّتُهُ وعندَ وسادِهِ * كُوبٌ وزِقٌّ راعِفٌ مرْثُومُ
ومُرِنَّةٌ تبْكي على نَشْوانِهِ * بالصَّنْجِ تقْعُدُ تارةً وتقومُ

(قال مسلمة) فلما ظهر شعر ابن عرادة أظهر سلم موت يزيد بن معاوية ومعاوية بن يزيد ودعا الناس الى البيعة على الرضا حتى يستقيم أمر الناس على خليفة فبايعوه ثم مكثوا بذلك شهرين ثم نكثوا به * قال على بن محمد وحدثنا شيخ من أهل خراسان قال لم يحبّ أهل خراسان أميرا قط حُبَّهم سلمَ بن زياد فسُمي في تلك السنين التي كان بها سلم أكثر من عشرين

فلم تر مني نبوة قبل هذه * فراري وتركي صاحبيّ ورائيا
عشية أغدو بالقران فلا أرى * من الناس إلا من عليّ ولا ليا
أيذهب يوم واحد إن أسأته * بصالح أيامي وحسن بلائيا
فلا صلح حتى تنحط الخيل بالقنا * وتثأر من نسوان كلب نسائيا
ألا ليت شعري هل تصيبن غارتي * تنوخا وحيّي طيئ من شفائيا

فأجابه جوّاس بن قعطل

لعمري لقد أبقت وقيعة راهط * على زفر داء من الداء باقيا
مقيما ثوى بين الضلوع محله * وبين الحشا أعيا الطبيب المداويا
تبكي على قتلى سليم وعامر * وذبيان معذورا وتبكي البواكيا
دعا بسلاح ثم أحجم إذ رأى * سيوف جناب والطوال المذاكيا
عليها كأسد الغاب فتيان نجدة * اذا شرعوا نحو الطعان العواليا

فأجابه عمرو بن المخلاة الكلبي من تيم اللات بن رفيدة فقال

بكى زفر القيسي من هلك قومه * بعبرة عين ما يجف سجومها
يبكي على قتلى أصيبت براهط * تجاوبه هام القفار وبومها
أبحنا حمى للحي قيس براهط * وولت شلالا واستبيح حريمها
يبكيهم حران تجري دموعه * يرجي نزارا أن تؤوب حلومها
فمت كمدا أو عش ذليلا مهضما * بحسرة نفس لا تنام همومها
إذا خطرت حولي قضاعة بالقنا * تخبط فعل المصعبات قرومها
حبطت بهم من كادني من قبيلة * فمن ذا إذا عز الخطوب يرومها

وقال زفر بن الحارث أيضا

أفي الله أما بحدل وابن بحدل * فيحيى وأما ابن الزبير فيقتل
كذبتم وبيت الله لا تقتلونه * ولما يكن يوم أغر محجل
ولما يكن للمشرفية فوقكم * شعاع كقرن الشمس حين ترجل

فأجابه عبد الرحمن بن الحكم أخو مروان بن الحكم فقال

أتذهب كلب قد حمتها رماحها * وتترك قتلى راهط ما أجنت
لحا الله قيسا قيس عيلان انها * أضاعت ثغور المسلمين وولت
فباه بقيس في الرخاء ولا تكن * أخاها اذا ما المشرفية سلت

كثير عليهم أوس بن ثعلبة قال فقالوا له نبايعك على أن تسير الى ابن خازم وتخرج مضر من
خراسان كلها فقال لهم هذا بغي وأهل البغي مخذولون أقيموا مكانكم هذا فان تركم ابن خازم
وما أراه يفعل فارضوا بهذه الناحية وخلوه وما هو فيه فقال بنو صهيب وهم موالي بني جحدر
لا والله لا نرضى أن نكون نحن ومضر في بلد وقد قتلوا ابني مرثد فان أجبتنا الى هذا
والا أمرنا علينا غيرك قال انما أنا رجل منكم فاصنعوا ما بدا لكم فبايعوه وسار اليهم ابن خازم
واستخلف ابنه موسى وأقبل حتى نزل على واد بين عسكره وبين هراه قال فقال البكريون
لأوس اخرج فخندق خندقا دون المدينة فقاتلهم فيه وتكون المدينة من ورائنا فقال لهم
أوس الزموا المدينة فانها حصينة وخلوا ابن خازم ومنزله الذي هو فيه فانه ان طال مقامه ضجر
فأعطاكم ما ترضون به فان اضطررتم الى القتال قاتلتم فأبوا وخرجوا من المدينة فخندقوا
خندقا دونها فقاتلهم ابن خازم نحوا من سنة * قال وزعم الاحنف بن الاشهب الضبي وأخبرنا
أبو الذيال زهير بن الهنيد سار ابن خازم الى هراة وفيها جمع كثير لبكر بن وائل قد خندقوا
عليهم وتعاقدوا على اخراج مضر من خراسان فنزل بهم ابن خازم فقال له هلال الضبي
أحد بني ذهل ثم أحد بني أوس انما تقاتل اخوتك من بني أبيك والله ان نلت منهم ما تريد
ما في العيش بعدهم من خير وقد قتلت بمرو الروذ منهم من قتلت فلو أعطيتهم شيئا يرضون به
وأصلحت هذا الامر قال والله لو خرجت لهم عن خراسان ما رضوا به ولو استطاعوا أن
يخرجوكم من الدنيا لأخرجوكم قال لا والله لا أرمي معك بسهم ولا رجل يطيعني من
خندف حتى تعذر اليهم قال فأنت رسولي اليهم فأرضهم فأتى هلال الى أوس بن ثعلبة فناشده
الله والقرابة وقال أذكرك الله في نزار أن تسفك دماءها وتضرب بعضها ببعض قال لقيت
بني صهيب قال لا والله قال فالقهم فخرج فلقي أرقم بن مطرف الحنفي وضمضم بن يزيد
أو عبد الله بن ضمضم بن يزيد وعاصم بن الصلت بن الحريث الحنفيين وجماعة من بكر
ابن وائل وكلمهم بمثل ما كلم به أوسا فقالوا هل لقيت بني صهيب فقال لقد عظم الله أمر بني
صهيب عندكم لا ألم لقهم قالوا القهم فأتى بني صهيب فكلمهم فقالوا لولا انك رسول لقتلناك
قال أفما يرضيكم شيء قالوا واحدة من اثنتين اما أن تخرجوا عن خراسان ولا يدعو فيها لمضر
داع واما أن تقيموا وتنزلوا لنا عن كل كراع وسلاح وذهب وفضة قال أفما شيء غير هاتين
قالوا لا قال حسبنا الله ونعم الوكيل فرجع الى ابن خازم فقال ما عندك قال وجدت اخوتنا قطاعا
للرحم قال قد أخبرتك أن ربيعة لم تزل غضابا على ربها منذ بعث الله النبي صلى الله عليه وسلم
من مضر * (قال أبو جعفر) * وأخبرنا سليمان بن مجالد الضبي قال أغارت الترك على قصر
اسفاد وابن خازم بهراة فحصروا أهله وفيه ناس من الازد هم أكثر من فيه فهزمتهم فبعثوا الى
من حولهم من الازد فجاؤا لينصروهم فهزمتهم الترك فأرسلوا الى ابن خازم فوجه اليهم

ألف مولود بسلم من حبهم سلماً قال وأخبرنا حفص الازدي عن عمه قال لما اختلف الناس بخراسان ونكثوا بيعة سلم خرج سلم عن خراسان وخلف عليها المهلب بن أبي صفرة فلما كان بسرخس لقيه سليمان بن مرثد أحد بني قيس بن ثعلبة فقال له من خلفت على خراسان قال المهلب فقال ضاقت عليك نزار حتى وليت رجلا من أهل اليمن فولاه مرو الروذ والفارياب والطالقان والجوزجان وولى أوس بن ثعلبة بن زفر وهو صاحب قصر أوس بالبصرة هراة ومضى فلما سار بنيسابور لقيه عبد الله بن خازم فقال من وليت خراسان فأخبره فقال أما وجدت في مضر رجلا تستعمله حتى فرقت خراسان بين بكر بن وائل ومزون عمان وقال له اكتب لي عهدا على خراسان قال أو إلى خراسان أنا قال اكتب لي عهدا وخلاك ذم قال فكتب له عهدا على خراسان قال فأعنى الآن بمائة ألف درهم فأمر له بها وأقبل الى مرو وبلغ الخبر المهلب بن أبي صفرة فأقبل واستخلف رجلا من بني جشم بن سعد بن زيد مناة بن تميم قال وأخبرنا المفضل بن محمد الضبي عن أبيه قال لما صار عبد الله ابن خازم الى مرو بعهد سلم بن زياد منعه الجشمي فكانت بينهما مناوشة فأصابت الجشمي رمية بحجر في جبهته وتحاجزوا وخلى الجشمي بين مرو الروذ وبينه فدخلها ابن خازم ومات الجشمي بعد ذلك بيومين * قال علي بن محمد المدائني حدثنا الحسن بن رشيد الجوزجاني عن أبيه قال لما مات يزيد بن معاوية ومعاوية بن يزيد وثب أهل خراسان بعمالهم فأخرجوهم وغلب كل قوم على ناحية ووقعت الفتنة وغلب ابن خازم على خراسان ووقعت الحرب ﴿ قال أبو جعفر ﴾ وأخبرنا أبو الذيال زهير بن هنيد عن أبي نعامة قال أقبل عبد الله بن خازم فغلب على مرو ثم سار الى سليمان بن مرثد فلقيه بمرو الروذ فقاتله أياما فقتل سليمان بن مرثد ثم سار عبد الله بن خازم الى عمرو بن مرثد وهو بالطالقان في سبعمائة وبلغ عمرا اقبال عبد الله اليه وقتله أخاه سليمان فأقبل اليه فالتقوا على نهر قبل أن يتوافى الى ابن خازم أصحابه فأمر عبد الله من كان معه فنزلوا فنزل وسأل عن زهير بن ذؤيب العدوي فقالوا لم يجئ حتى أقبل وهو على حاله فلما أقبل قيل له هذا زهير قد جاء فقال له عبد الله تقدم فالتقوا فاقتتلوا طويلا فقتل عمرو بن مرثد وانهزم أصحابه فلحقوا بهراة بأوس بن ثعلبة ورجع عبد الله بن خازم الى مرو * قال وكان الذي ولي قتل عمرو بن مرثد زهير بن حيان العدوي فيما يرون فقال الشاعر

أتذهب أيام الحروب ولم تبئ * زهير بن حيان بعمرو بن مرثد

قال وحدثنا أبو السري الخراساني وكان من أهل هراة قال قتل عبد الله بن خازم سليمان وعمرا ابني مرثد المرثديين من بني قيس بن ثعلبة ثم رجع الى مرو وهرب من كان بمرو الروذ من بكر بن وائل الى هراة وانضم اليها من كان بكور خراسان من بكر بن وائل فكان لهم بها جمع

فطعنت فرسه فى نحرته فصرعه وحمل أبى بنى عدى وأتبعته بنو تميم من كل وجه فاقتتلوا ساعة فانهزمت بكر بن وائل حتى انتهوا الى خندقهم وأخذوا يمينا وشمالا وسقط ناس فى الخندق فقتلوا قتلا ذريعا وهرب أوس بن ثعلبة وبه جراحات وحلف ابن خازم لا يؤتى بأسير الا قتله حتى يغيب الشمس فكان آخر من أتى به رجل من بنى حنيفة يقال له محمية فقالوا لابى حازم قد غابت الشمس قال وفوا به القتلى فقتل قال فأخبرنى شيخ من بنى سعد بن زيد مناة ان أوس بن ثعلبة هرب وبه جراحات الى سجستان فلما صار بها أو قريبا منها مات وفى مقتل ابن مرثد وأمر أوس بن ثعلبة يقول المغيرة بن حبناء أحد بنى ربيعة بن حنظلة

وفى الحرب كنتم فى خراسان كلها * قتيلا ومسجونا بها ومسيرا
ويوم احتوا كم فى الحفير ابن خازم * فلم تجدوا الا الخنادق مقبرا
ويوم تركتم فى الغبار ابن مرثد * وأوسا تركتم حيث سار وعسكرا

قال وأخبرنى أبو الذيال زهير بن هنيد عن جده أبى أمه قال قتل من بكر بن وائل يومئذ ثمانية آلاف * قال وحدثنا التيمى رجل من أهل خراسان عن مولى لابن حازم قال قاتل ابن حازم أوس بن ثعلبة وبكر بن وائل فظفر بهراة وهرب أوس وغلبه ابن حازم على هراة واستعمل عليها ابنه محمدا وضم اليه شماس بن دثار العطاردى وجعل بكير بن وشاح على شرطته وقال لهما ربياه فانه ابن أختكما فكانت أمه من بنى سعد يقال لها صفية وقال له لا تخالفهما ورجع ابن حازم الى مرو ﴿قال أبو جعفر﴾ وفى هذه السنة تحركت الشيعة بالكوفة واتعدوا الاجتماع بالنخيلة فى سنة ٦٥ للمسير الى أهل الشأم للطلب بدم الحسين بن على وتكاتبوا فى ذلك

﴿ذكر الخبر عن مبدأ أمرهم فى ذلك﴾

(قال هشام) بن محمد حدثنا أبو مخنف قال حدثنى يوسف بن يزيد عن عبد الله بن عوف بن الاحمر الازدى قال لما قتل الحسين بن على ورجع ابن زياد من معسكره بالنخيلة فدخل الكوفة تلاقت الشيعة بالتلاوم والتندم ورأت انها قد أخطأت خطأ كبيرا بدعائهم الحسين الى النصرة وتركهم اجابته ومقتله الى جانبهم لم ينصروه ورأوا انه لا يغسل عارهم والاثم عنهم فى مقتله الا بقتل من قتله أو القتل فيه ففزعوا بالكوفة الى خمسة نفر من رؤس الشيعة الى سليمان بن صرد الخزاعى وكانت له صحبة مع النبى صلى الله عليه وسلم والى المسيب بن نجبة الفزارى وكان من أصحاب على وخيارهم والى عبد الله بن سعد بن نفيل الازدى والى عبد الله بن وال التيمى والى رفاعة بن شداد البجلى ثم ان هؤلاء النفر الخمسة اجتمعوا فى منزل سليمان بن صرد وكانوا من خيار أصحاب على ومعهم أناس من الشيعة وخيارهم ووجوههم قال فلما اجتمعوا الى منزل سليمان بن صرد بدأ المسيب بن نجبة القوم بالكلام فتكلم فحمد الله

زهير بن حيان في بني تميم وقال له اياك ومُشاولة الترك اذا رأيتموهم فاحملوا عليهم فأقبل فوافاهم في يوم باردٍ قال فلما التقوا شدوا عليهم فلم يثبتوا لهم وانهزمت الترك واتبعوهم حتى مضى عامّةُ الليل حتى انتهوا الى قصر في المفازة فأقامت الجماعة ومضى زهير في فوارس يتبعهم وكان عالما بالطريق ثم رجع في نصف من الليل وقد يبست يدهُ على رُمحه من البرد فدعا غلاما له كمبا فخرج اليه فأدخله وجعل يُسخن له الشحم فيضعه على يده ودهنوه وأوقدوا له نارا حتى لان ودفئ ثم رجع الى هراة فقال في ذلك كعب بن معدان الاشقرى

أتاكَ أتاكَ الغوثُ في برقِ عارضٍ * دُرُوعٌ وبيضٌ حَشوُهُنَّ تميمُ
أبَوْا أن يَضُمّوا حَشْوَ ما تجمعَ القُرَى * فضمَّهُمُ يومَ اللقاءِ صميمُ
وَرزقهمُ من رائحاتٍ تزينها * ضروعٌ عريضاتُ الخواصرِ كُومُ

وقال ثابت قُطنَة

فدَتْ نفسي فوارسَ من تميمٍ * على ما كان من ضنْكِ المقامِ
بقصر الباهليّ وقد أراني * أحامي حين قلَّ به المحامي
بسيفي بعد كسرِ الرمحِ فيهم * أذودُهُمُ بذي شُطبٍ حُسامِ
أكرُّ عليهمُ اليحمومَ كرًّا * ككَرِّ الشَّربِ آنيةَ المُدامِ
فلولا اللهُ ليس له شريكٌ * وضَربي قَونسَ المَلِكِ الهُمامِ
اذًا فاظَتْ نساءُ بني دِثارٍ * أمامَ التُّركِ باديةَ الخِدامِ

(قال أبو جعفر) وحدثني أبو الحسن الخراساني عن أبي حماد السلمي قال أقام ابن خازم بهراة يقاتل أوس بن ثعلبة أكثر من سنة فقال يوما لاصحابه قد طال مقامنا على هؤلاء فنادوهم يا معشر ربيعة انكم قد اعتصمتم بخندقكم أفرضيتم من خراسان بهذا الخندق فاحفظهم ذلك فتنادى الناس للقتال فقال لهم أوس بن ثعلبة الزموا خندقكم وقاتلوهم كما كنتم تقاتلونهم ولا تخرجوا اليهم بجماعتكم قال فعصوه وخرجوا اليهم فالتقى الناس فقال ابن خازم لاصحابه اجعلوه يومكم فيكون المُلك لمن غلب فان قتلتُ فأميركم شمّاس بن دِثار العُطاردي فان قُتل فأميركم بكير بن وشاح الثقفيُ * قال عليّ وحدثنا أبو الذيّال زهير بن هنيدة عن أبي نعامة العدوى عن عبيد بن نقيد عن اياس بن زهير بن حيان لما كان اليوم الذي هرب فيه أوس بن ثعلبة وظفر ابن خازم ببكر بن وائل قال ابن خازم لاصحابه حين التقوا انى قليعٌ فشدوني على السرج واعلموا ان عليّ من السلاح ما لا أقتل قدر جزر جزورٍ فان قيل لكم انى قد قُتلت فلا تصدّقوني قال وكانت راية بني عدى مع أبي وأنا على فرس مُحزم وقد قال لنا ابن خازم اذا لقيتم الخيل فاطعنوها في مناخرها فانه لن يطعن فرسٌ في نحرته الاّ أدبر أو رمى بصاحبه فلما سمع فرسي قَعقَعَةَ السلاح وثب بي واديا كان بيني وبينهم قال فتلقاني رجل من بكر بن وائل

فطعنت

مدّ أعناقنا الى قدوم آل نبينا ونمنيهم النصر ونحثهم على القدوم فلما قدموا ونينا وعجزنا وأدهنا وتربصنا وانتظرنا ما يكون حتى قتل فينا ولد نبينا وسلالته وعصارته وبضعة من لحمه ودمه اذ جعل يستصرخ ويسأل النصف فلا يعطاه اتخذه الفاسقون غرضاً للنبل ودريّة للرماح حتى أقصدوه وعدوا عليه فسلبوه ألا انهضوا فقد سخط ربكم ولا ترجعوا الى الحلائل والأبناء حتى يرضى الله والله ما أظنه راضياً دون أن تناجزوا من قتله أو تبيروا ألا لا تهابوا الموت فوالله ما هابه امرؤ قط الا ذل كونوا كالأولى من بني اسرائيل اذ قال لهم نبيهم إنكم ظلمتم أنفسكم باتخاذكم العجل فتوبوا إلى بارئكم فاقتلوا أنفسكم ذلكم خير لكم عند بارئكم فما فعل القوم جثوا على الركب والله ومدوا الأعناق ورضوا بالقضاء حتى حين علموا انه لا ينجيهم من عظيم الذنب الا الصبر على القتل فكيف بكم لو قد دعيتم الى مثل ما دعي القوم اليه اشحذوا السيوف وركبوا الأسنة وأعدّوا لهم ما استطعتم من قوّة ومن رباط الخيل حتى تدعوا حين تدعوا وتستنفروا قال فقام خالد بن سعد بن نفيل فقال أما أنا فوالله لو أعلم ان قتلي نفسي يخرجني من ذنبي ويرضي عني ربي لقتلتها ولكن هذا أمر به قوم كانوا قبلنا ونهينا عنه فأشهد الله ومن حضر من المسلمين ان كل ما أصبحت أملكه سوى سلاحي الذي أقاتل به عدوّي صدقة على المسلمين أقوّيهم به على قتال القاسطين وقام أبو المعتمر حنش بن ربيعة الكناني فقال وأنا أشهدكم على مثل ذلك فقال سليمان بن صرد حسبكم من أراد من هذا شيأ فليأت بماله عبد الله بن وال التيمي تيم بكر بن وائل فاذا اجتمع عنده كل ما تريدون اخراجه من أموالكم جهّزنا به ذوي الخلة والمسكنة من أشياعكم (قال أبو مخنف) لوط بن يحيى عن سليمان بن أبي راشد قال فحدّثنا حميد بن مسلم الأزدي ان سليمان بن صرد قال لخالد بن سعد بن نفيل حين قال له والله لو علمت ان قتلي نفسي يخرجني من ذنبي ويرضي عني ربي لقتلتها ولكن هذا أمر به قوم غيرنا كانوا من قبلنا ونهينا عنه قال أخوكم هذا غداً أول من يُسن أوّل الأسنة قال فلما تصدّق بماله على المسلمين قال له أبشر بجزيل ثواب الله الذين لأنفسهم يمهدون (قال أبو مخنف) حدثني الحصين بن يزيد بن عبد الله بن سعد بن نفيل قال أخذت كتاباً كان سليمان بن صرد كتب به الى سعد بن حذيفة بن اليمان بالمدائن فقرأته زمان ولي سليمان قال فلما قرأته أعجبني فتعلمته فما نسيته كتب اليه بسم الله الرحمن الرحيم من سليمان بن صرد الى سعد بن حذيفة ومن قبله من المؤمنين سلام عليكم أما بعد فان الدنيا دار قد أدبر منها ما كان معروفاً وأقبل منها ما كان منكراً وأصبحت قد تشنأت الى ذوي الألباب وأزمع بالترحال منها عباد الله الأخيار وباعوا قليلاً من الدنيا لا يبقى بجزيل مثوبة عند الله لا يفنى ان أولياء الله من اخوانكم وشيعة آل نبيكم نظروا لأنفسهم فيما ابتلوا به من أمر ابن بنت

وأثنى عليه وصلى على نبيه صلى الله عليه وسلم ثم قال أما بعد فانا قد ابتلينا بطول العمر والتعرض لانواع الفتن فنرغب الى ربنا ألا يجعلنا ممن يقول له غدا أولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر وجاءكم النذير فان أمير المؤمنين قال العمر الذي أعذر الله فيه الى ابن آدم ستون سنة وليس فينا رجل الا وقد بلغه وقد كنا مغرمين بتزكية أنفسنا وتقريظ شيعتنا حتى بلا الله أخيارنا فوجدنا كاذبين في موطنين من مواطن ابن ابنة نبينا صلى الله عليه وسلم وقد بلغتنا قبل ذلك كتبه وقدمت علينا رسله وأعذر الينا يسألنا نصره عودا وبدءا وعلانية وسرا فبخلنا عنه بأنفسنا حتى قتل الى جانبنا لا نحن نصرناه بأيدينا ولا جادلنا عنه بألسنتنا ولا قويناه بأموالنا ولا طلبنا له النصرة الى عشائرنا فما عذرنا الى ربنا وعند لقاء نبينا صلى الله عليه وسلم وقد قتل فينا ولده وحبيبه وذريته ونسله لا والله لا عذر دون أن تقتلوا قاتله والموالين عليه أو تقتلوا في طلب ذلك فعسى ربنا أن يرضى عنا عند ذلك وما أنا بعد لقائه لعقوبته بآمن أيها القوم ولوا عليكم رجلا منكم فانه لا بد لكم من أمير تفزعون اليه وراية تحفون بها أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم قال فبدر القوم رفاعة بن شداد بعد المسيب الكلام فحمد الله وأثنى عليه وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم ثم قال أما بعد فان الله قد هداك لأصوب القول ودعوت الى أرشد الامور بدأت بحمد الله والثناء عليه والصلاة على نبيه صلى الله عليه وسلم ودعوت الى جهاد الفاسقين والى التوبة من الذنب العظيم فمسموع منك مستجاب لك مقبول قولك قلت ولوا أمركم رجلا منكم تفزعون اليه وتحفون برايته وذلك رأي قد رأينا مثل الذي رأيت فان تكن أنت ذلك الرجل تكن عندنا مرضيا وفينا متنصحا وفي جماعتنا محبا وان رأيت ورأى أصحابنا ذلك ولينا هذا الامر شيخ الشيعة صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وذا السابقة والقدم سليمان بن صرد المحمود في بأسه ودينه والموثوق بحزمه أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم قال ثم تكلم عبد الله بن وال وعبد الله ابن سعد فحمدا ربهما وأثنيا عليه وتكلما بنحو من كلام رفاعة بن شداد فذكرا المسيب بن نجبة بفضله وذكرا سليمان بن صرد بسابقته ورضاهما بتوليته فقال المسيب بن نجبة أصبتم ووفقتم وأنا أرى مثل الذي رأيتم فولوا أمركم سليمان بن صرد (قال أبو مخنف) فحدثت سليمان بن أبي راشد بهذا الحديث فقال حدثني حميد بن مسلم قال والله اني لشاهد بهذا اليوم يوم ولوا سليمان بن صرد وانا يومئذ لأكثر من مائة رجل من فرسان الشيعة ووجوههم في داره قال فتكلم سليمان بن صرد فشدد وما زال يردد ذلك القول في كل جمعة حتى حفظته بدأ فقال أثني على الله خيرا وأحمد آلاءه وبلاءه وأشهد أن لا إله الا الله وأن محمدا رسوله أما بعد فإني والله لخائف ألا يكون أخرنا الى هذا الدهر الذي نكدت فيه المعيشة وعظمت فيه الرزية وشمل فيه الجور أولي الفضل من هذه الشيعة لما هو خير انا كنا

ويستمدّونكم ويدعونكم الى الحق والى ما ترجون لكم به عند الله أفضل الأجر والحظ فماذا ترون وماذا تقولون فقال القوم بأجمعهم نجيبهم ونقاتل معهم ورأينا في ذلك مثل رأيهم فقام عبد الله بن الحنظل الطائي ثم الحزمري فحمد الله وأثنى عليه ثم قال أما بعد فإنا قد أجبنا اخواننا الى ما دعونا اليه وقد رأينا مثل الذى قد رأوا فسرّحنى اليهم في الخيل فقال له رويداً لا تعجل استعدّوا للعدوّ وأعدّوا له الحرب ثم نسير وتسيرون وكتب سعد بن حذيفة ابن اليمان الى سليمان بن صرد مع عبد الله بن مالك الطائي بسم الله الرحمن الرحيم الى سليمان ابن صرد من سعد بن حذيفة ومن قبله من المؤمنين سلام عليكم اما بعد فقد قرأنا كتابك وفهمنا الذى دعوتنا اليه من الأمر الذى عليه رأي الملأ من اخوانك فقد هديت لحظّك ويسّرت لرشدك ونحن جادّون مجدّون معدّون مسرجون ملجمون ننتظر الأمر ونستمع الداعي فاذا جاء الصريخ أقبلنا ولم نعرّج ان شاء الله والسلام فلما قرأ كتابه سليمان ابن صرد قرأه على أصحابه فسرّوا بذلك قال وكتب الى المثنى بن مخرّبة العبدي نسخة الكتاب الذى كان كتب به الى سعد بن حذيفة بن اليمان وبعث به مع ظبيان بن عمارة التميمي من بني سعد فكتب اليه المثنى أما بعد فقد قرأت كتابك وأقرأته اخوانك فحمدوا رأيك واستجابوا لك فنحن موافوك ان شاء الله للأجل الذى ضربت وفي الموطن الذى ذكرت والسلام عليك وكتب في أسفل كتابه

تبصّر كأني قد أتيتك معلما * على أتلع الهادى أجشّ هزيم
طويل القرى نهد الشواة مقلّص * ملحّ على فأس اللجام أزوم
بكل فتى لا يملأ الروع نحره * محسّ لعضّ الحرب غير سؤوم
أخي ثقة ينوي الإله بسعيه * ضروب بنصل السيف غير أثيم

(قال أبو مخنف) لوط بن يحيى عن الحارث بن حصيرة عن عبد الله بن سعد بن نفيل قال كان أوّل ما ابتدعوا به من أمرهم سنة ٦١ وهي السنة التى قتل فيها الحسين رضى الله عنه فلم يزل القوم في جمع آلة الحرب والاستعداد للقتال ودعاء الناس في السرّ من الشيعة وغيرها الى الطلب بدم الحسين فكان يجيبهم القوم بعد القوم والنفر بعد النفر فلم يزالوا كذلك وفي ذلك حتى مات يزيد بن معاوية يوم الخميس لأربع عشرة ليلة مضت من شهر ربيع الاوّل سنة ٦٤ وكان بين قتل الحسين وهلاك يزيد بن معاوية ثلاث سنين وشهران وأربعة أيام وهلك يزيد وأمير العراق عبيد الله بن زياد وهو بالبصرة وخليفته بالكوفة عمرو بن حريث المخزومي فجاء الى سليمان أصحابه من الشيعة فقالوا قد مات هذا الطاغية والامر الآن ضعيف فإن شئت وثبنا على عمرو بن حريث فأخرجناه من القصر ثم أظهرنا الطلب بدم الحسين وتتبعنا قتلته ودعونا الناس الى أهل هذا البيت المستأثر عليهم المدفوعين عن حقهم

نبيهم الذي دُعي فأجاب ودعا فلم يجب وأراد الرجعة فحُبس وسأل الأمان فمُنع وترك الناس فلم يتركوه وعدوا عليه فقتلوه ثم سلبوه وجردوه ظلماً وعدواناً وغرة بالله وجهلاً وبعين الله ما يعملون وإلى الله ما يرجعون وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون فلما نظروا اخوانكم وتدبروا عواقب ما استقبلوا رأوا ان قد خطئوا بخذلان الزكي الطيب واسلامه وترك مواساته والنصر له خطأ كبيراً ليس لهم منه مخرج ولا توبة دون قتل قاتليه أو قتلهم حتى تفنى على ذلك أرواحهم فقد جدّوا اخوانكم فجدّوا وأعدّوا واستعدّوا وقد ضربنا لاخواننا أجلاً يوافوننا اليه وموطناً يلقوننا فيه فأما الأجل فغرة شهر ربيع الآخر سنة ٦٥ وأما الموطن الذي يلقوننا فيه فالنخيلة أنتم الذين لم تزالوا لنا شيعة واخواناً وإلا وقد رأينا ان ندعوكم الى هذا الأمر الذي أراد الله به اخوانكم فيما يزعمون ويظهرون لنا انهم يتوبون وانكم جدراء بتطلاب الفضل والتماس الأجر والتوبة الى ربكم من الذنب ولو كان في ذلك حز الرقاب وقتل الأولاد واستيفاء الأموال وهلاك العشائر ما ضر أهل عذراء الذين قتلوا ألا يكونوا اليوم أحياء وهم عند ربهم يرزقون شهداء قد لقوا الله صابرين محتسبين فأثابهم ثواب الصابرين يعني حجراً وأصحابه وما ضر اخوانكم المقتلين صبراً والمصلبين ظلماً والممثول بهم المعتدى عليهم ألا يكونوا أحياء مبتلين بخطاياكم قد خير لهم فلقوا ربهم ووفاهم الله ان شاء الله أجرهم فاصبروا رحمكم الله على البأساء والضراء وحين البأس وتوبوا الى الله عن قريب فوالله انكم لأحرياء ان لا يكون أحد من اخوانكم صبر على شيء من البلاء ارادة ثوابه إلا صبرتم التماس الأجر فيه على مثله ولا يطلب رضاء الله طالب بشيء من الاشياء ولو انه القتل إلا طلبتم رضاء الله به ان التقوى أفضل الزاد في الدنيا وما سوى ذلك يبور ويفنى فلتعزف عنها أنفسكم ولتكن رغبتكم في دار عافيتكم وجهاد عدو الله وعدوكم وعدو أهل بيت نبيكم حتى تقدموا على الله تائبين راغبين أحيانا الله وإياكم حياة طيبة وأجارنا وإياكم من النار وجعل منايانا قتلاً في سبيله على يدي أبغض خلقه اليه وأشدهم عداوة له انه القدير على ما يشاء والصانع لأوليائه في الأشياء والسلام عليكم قال وكتب ابن صرد الكتاب وبعث به الى سعد ابن حذيفة بن اليمان مع عبد الله بن مالك الطائي فبعث به سعد حين قرأ كتابه الى من كان بالمدائن من الشيعة وكان بها أقوام من أهل الكوفة قد أعجبتهم فأوطنوها وهم يقدمون الكوفة في كل حين عطاء ورزق فيأخذون حقوقهم وينصرفون الى أوطانهم فقرأ عليهم سعد كتاب سليمان بن صرد ثم انه حمد الله وأثنى عليه ثم قال أما بعد فانكم قد كنتم مجتمعين مزمعين على نصر الحسين وقتال عدوه فلم يفجأكم أول من قتله والله مثيبكم على حسن النية وما أجمعتم عليه من النصر أحسن المثوبة وقد بعث اليكم اخوانكم يستنجدونكم

السَّلُولِيّ

أَشْدُدْ يَدَيْكَ بِزَيْدٍ إِنْ ظَفِرْتَ بِهِ * وَاشْفِ الأَرَامِلَ مِنْ دُحْرُوجَةِ الجُعَلِ

وكان كأنه ابهام قصرا وزيد مولاه وخازنه فكان يصلي بالناس وبايع لابن الزبير ولم يزل أصحاب سليمان بن صرد يدعون شيعتهم وغيرهم من أهل مصرهم حتى كثر تبعهم وكان الناس الى اتباعهم بعد هلاك يزيد بن معاوية أسرع منهم قبل ذلك فلما مضت ستة أشهر من هلاك يزيد بن معاوية قدم المختار بن أبي عبيد الكوفة فقدم في النصف من شهر رمضان يوم الجمعة قال وقدم عبد الله بن يزيد الانصاري ثم الخطمي من قبل عبد الله ابن الزبير أميرا على الكوفة على حربها وثغرها وقدم معه من قبل ابن الزبير ابراهيم بن محمد ابن طلحة بن عبيد الله الأعرج أميرا على خراج الكوفة وكان قدوم عبد الله بن يزيد الأنصاري ثم الخطمي يوم الجمعة لثمان بقين من شهر رمضان سنة ٦٤ قال وقدم المختار قبل عبد الله بن يزيد وابراهيم بن محمد بثمانية أيام ودخل المختار الكوفة وقد اجتمعت رؤس الشيعة ووجوهها مع سليمان بن صرد فليس يعدلونه به فكان المختار اذا دعاهم الى نفسه والى الطلب بدم الحسين قالت له الشيعة هذا سليمان بن صرد شيخ الشيعة قد انقادوا له واجتمعوا عليه فأخذ يقول للشيعة اني قد جئتكم من قبل المهدي محمد بن علي ابن الحنفية مؤتمنا مأمونا منتجبا ووزيرا فوالله مازال بالشيعة حتى انشعبت اليه طائفة تعظمه وتجيبه وتنتظر أمره وعظم الشيعة مع سليمان بن صرد فسليمان أثقل خلق الله على المختار وكان المختار يقول لأصحابه أتدرون ما يريد هذا يعني سليمان بن صرد انما يريد أن يخرج فيقتل نفسه ويقتلكم ليس له بصر بالحروب ولا له علم بها قال وأتى يزيد بن الحارث بن يزيد بن رويم الشيباني عبد الله بن يزيد الأنصاري فقال ان الناس يتحدثون ان هذه الشيعة خارجة عليك مع ابن صرد ومنهم طائفة أخرى مع المختار وهي أقل الطائفتين عددا والمختار فيما يذكرون الناس لا يريد أن يخرج حتى ينظر الى ما يصير اليه أمر سليمان بن صرد وقد اجتمع له أمره وهو خارج من أيامه هذه فان رأيت أن تجمع الشرط والمقاتلة ووجوه الناس ثم تنهض اليهم وننهض معك فاذا دفعت الى منزله دعوته فان أجابك حبسه وان قاتلك قاتلته وقد جمعت له وعبأت وهو مغتر فاني أخاف عليك ان هو بدأك وأقررته حتى يخرج عليك ان تشتد شوكته وأن يتفاقم أمره فقال عبد الله بن يزيد الله بيننا وبينهم انهم قاتلونا قاتلناهم وان تركونا لم نطلبهم حدثني ما يريدون الناس قال يذكر الناس انهم يطلبون بدم الحسين ابن علي قال فأنا قتلت الحسين لعن الله قاتل الحسين قال وكان سليمان بن صرد وأصحابه يريدون أن يثبوا بالكوفة فخرج عبد الله بن يزيد حتى صعد المنبر ثم قام في الناس فحمد الله وأثنى عليه ثم قال اما بعد فقد بلغني ان طائفة من أهل هذا المصر أرادوا أن يخرجوا علينا

فقالوا في ذلك فأكثروا فقال لهم سليمان بن صرد رويدًا لا تعجلوا انى قد نظرت فيما تذكرون فرأيت ان قتلة الحسين هم أشراف أهل الكوفة وفرسان العرب وهم المطالبون بدمه ومتى علموا ما تريدون وعلموا انهم المطلوبون كانوا أشد عليكم ونظرت فيمن تبعنى منكم فعلمت انهم لو خرجوا لم يدركوا ثأرهم ولم يشفوا أنفسهم ولم ينكوا في عدوّهم وكانوا لهم جزرا ولكن بثوا دعاتكم في المصر فادعوا الى أمركم هذا شيعتكم وغير شيعتكم فانى أرجو أن يكون الناس اليوم حيث هلك هذا الطاغية أسرع الى أمركم استجابة منهم قبل هلاكه ففعلوا وخرجت طائفة منهم دعاة يدعون الناس فاستجاب لهم ناس كثير بعد هلاك يزيد ابن معاوية أضعاف من كان استجاب لهم قبل ذلك (قال هشام) قال أبو مخنف وحدثنا الحصين بن يزيد عن رجل من مزينة قال ما رأيت من هذه الأمة أحدا كان أبلغ من عبيد الله بن عبد الله المرّى في منطق ولا عظة وكان من دعاة أهل المصر زمان سليمان بن صرد وكان اذا اجتمعت اليه جماعة من الناس فوعظهم بدأ بحمد الله والثناء عليه والصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم يقول أما بعد فإن الله اصطفى محمدا صلى الله عليه وسلم على خلقه بنبوته وخصه بالفضل كله وأعزكم باتباعه وأكرمكم بالايمان به فحقن به دماءكم المسفوكة وآمن به سبلكم المخوفة وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها كذلك يبيّن الله لكم آياته لعلكم تهتدون فهل خلق ربكم في الاوّلين والآخرين أعظم حقا على هذه الأمة من نبيها وهل ذرّية أحد من النبيين والمرسلين أو غيرهم أعظم حقا على هذه الامة من ذرّية رسولها لا والله ما كان ولا يكون لله أنتم ألم تروا ويبلغكم ما اجترم الى ابن بنت نبيكم أما رأيتم الى انتهاك القوم حرمته واستضعافهم وحدته وترميلهم اياه بالدم وتجرارهموه على الأرض لم يرقبوا فيه ربهم ولا قرابته من الرسول صلى الله عليه وسلم اتخذوه للنبل غرضا وغادروه للضباع جزرا فلله عينا من رأى مثله ولله حسين بن علىّ ماذا غادروا به ذا صدق وصبر وذا امانة ونجدة وحزم ابن أول المسلمين اسلاما وابن بنت رسول رب العالمين قلّت حماته وكثرت عداته حوله فقتله عدوّه وخذله وليه فويل للقاتل وملامة للخاذل ان الله لم يجعل لقاتله حجة ولا لخاذله معذرة إلا أن يناصح لله في التوبة فيجاهد القاتلين وينابذ القاسطين فعسى الله عند ذلك أن يقبل التوبة ويقيل العثرة انا ندعوكم الى كتاب الله وسنة نبيّه والطلب بدماء أهل بيته والى جهاد المحلين والمارقين فإن قتلنا فما عند الله خير للأبرار وان ظهرنا رددنا هذا الأمر الى أهل بيت نبينا قال وكان يعيد هذا الكلام علينا في كل يوم حتى حفظه عامّتنا قال ووثب الناس على عمرو ابن حريث عند هلاك يزيد بن معاوية فأخرجوه من القصر واصطلحوا على عامر بن مسعود بن أمية بن خلف الجمحىّ وهو دحروجة الجعل الذى قال له ابن همام

عبد الله بن يزيد فأخبره بذلك فركب به ويزيد بن الحارث بن رويم حتى دخل على ابراهيم بن محمد بن طلحة فحلف له بالله ما أردت بالقول الذي سمعت الا العافية وصلاح ذات البين انما أتاني يزيد بن الحارث بكذا وكذا فرأيت ان أقوم فيهم بما سمعت ارادة أن لا تختلف الكلمة ولا تتفرق الالفة وألا تقع بأس هؤلاء القوم بينهم فعذره وقبل منه قال ثم ان أصحاب سليمان بن صرد خرجوا ينشرون السلاح ظاهرين ويتجهزون يجاهرون بجهازهم وما يصلحهم ﴿وفي هذه السنة﴾ فارق عبد الله بن الزبير الخوارج الذين كانوا قدموا عليه مكة فقاتلوا معه حصين بن نمير السكوني فصاروا الى البصرة ثم افترقت كلمتهم فصاروا احزابا

﴿ ذكر الخبر عن فراقهم ابن الزبير والسبب الذي من أجله فارقوه والذي من أجله افترقت كلمتهم ﴾

حدثت عن هشام بن محمد الكلبي عن أبي مخنف لوط بن يحيى قال حدثني أبو المخارق الراسبي قال لما ركب ابن زياد من الخوارج بعد قتل أبي بلال ما ركب وقد كان قبل ذلك لا يكف عنهم ولا يستبقيهم غير انه بعد قتل أبي بلال تجرد لاستئصالهم وهلاكهم واجتمعت الخوارج حين ثار ابن الزبير بمكة وسار اليه أهل الشام فتذاكروا ما أتى اليهم فقال لهم نافع ابن الأزرق ان الله قد أنزل عليكم الكتاب وفرض عليكم فيه الجهاد واحتج عليكم بالبيان وقد جرد فيكم السيوف أهل الظلم وأولو العدى والغشم وهذا من قد ثار بمكة فاخرجوا بنا نأت البيت ونلق هذا الرجل فإن يكن على رأينا جاهدنا معه العدو وان يكن على غير رأينا دافعنا عن البيت ما استطعنا ونظرنا بعد ذلك في أمورنا فخرجوا حتى قدموا على عبد الله بن الزبير فسر بمقدمهم ونبأهم انه على رأيهم وأعطاهم الرضا من غير توقف ولا تفتيش فقاتلوا معه حتى مات يزيد بن معاوية وانصرف أهل الشام عن مكة ثم ان القوم لقي بعضهم بعضا فقالوا ان هذا الذي صنعتم أمس بغير رأي ولا صواب من الامر تقاتلون مع رجل لا تدرون لعله ليس على رأيكم انما كان أمس يقاتلكم هو وأبوه ينادي يا لثارات عثمان فأتوه وسلوه عن عثمان فإن برئ منه كان وليكم وان أبى كان عدوكم فمشوا نحوه فقالوا له أيها الانسان انا قد قاتلنا معك ولم نفتشك عن رأيك حتى نعلم أمنا أنت أم من عدونا خبرنا ما مقالتك في عثمان فنظر فاذا من حوله من أصحابه قليل فقال لهم انكم أتيتموني فصادفتموني حين أردت القيام ولكن روحوا الي العشية حتى أعلمكم من ذلك الذي تريدون فانصرفوا وبعث الى أصحابه فقال البسوا السلاح واحضروني بأجمعكم العشية ففعلوا وجاءت الخوارج وقد أقام أصحابه حوله سماطين عليهم السلاح وقامت جماعة منهم عظيمة على رأسه بأيديهم الاعمدة فقال ابن الازرق لاصحابه خشي الرجل غائلتكم وقد أزمع بخلافكم واستعد لكم

فسألت عن الذى دعاهم الى ذلك ماهو فقيل لى زعموا انهم يطلبون بدم الحسين ابن على
فرحم الله هؤلاء القوم قد والله دُللت على أماكنهم وأُمرت بأخذهم وقيل ابدأهم قبل ان
يبدؤك فأبيت ذلك فقلت ان قاتلونى قاتلتهم وان تركونى لم أطلبهم وعلام يقاتلونى فوالله
ما أنا قتلت حسينا ولا أنا ممن قاتله ولقد أصبت بمقتله رحمة الله عليه فإن هؤلاء القوم آمنون
فليخرجوا ولينتشروا ظاهرين ليسيروا الى من قاتل الحسين فقد أقبل اليهم وأنا لهم على
قاتله ظهير هذا ابن زياد قاتل الحسين وقاتل خياركم وأماثلكم قد توجه اليكم عهد
العاهد به على مسيرة ليلة من جسر منبج فقتاله والاستعداد له أولى وأرشد من ان تجعلوا
بأسكم بينكم فيقتل بعضكم بعضا ويسفك بعضكم دماء بعض فيلقاكم ذلك العدو غدا
وقد رققتم وتلك والله أمنية عدوكم وانه قد أقبل اليكم أعدى خلق الله لكم من ولى عليكم
هو وأبوه سبع سنين لا يقلعان عن قتل أهل العفاف والدين هو الذى قتلكم ومن قبله أوتيتم
والذى قتل من تثأرون بدمه قد جاءكم فاستقبلوه بحدكم وشوكتكم واجعلوها به ولا تجعلوها
بأنفسكم انى لم آلكم نصحا جمع الله لنا كلمتنا وأصلح لنا أئمتنا قال فقال ابراهيم بن محمد
ابن طلحة أيها الناس لا يغرنكم من السيف والغشم مقالة هذا المداهن الموادع والله لئن
خرج علينا خارج لنقتلنه ولئن استيقنا ان قوما يريدون الخروج علينا لنأخذن الوالد
بولده والمولود بوالده ولنأخذن الحميم بالحميم والعريف بما فى عرافته حتى يدينوا للحق ويذلوا
للطاعة فوثب اليه المسيب بن نجبة فقطع عليه منطقه ثم قال يا ابن الناكثين أنت تهددنا
بسيفك وغشمك أنت والله أذل من ذلك انا لا نلومك على بغضنا وقد قتلنا أباك وجدك
والله انى لأرجو ان لا يخرجك الله من بين ظهرانى أهل هذا المصر حتى يثلثوا بك
جدك وأباك وأما أنت أيها الامير فقد قلت قولا سديدا وانى والله لأظن من يريد هذا
الأمر مستنصحا لك وقابلا قولك فقال ابراهيم بن محمد بن طلحة أى والله ليقتلن وقد أدهن
ثم أعلن فقام اليه عبد الله بن وال التيمى فقال ما اعتراضك يا أخا بنى تيم بن مرة فيما بيننا
وبين أميرنا فوالله ما أنت علينا بأمير ولا لك علينا سلطان انما أنت أمير الجزية فأقبل على
خراجك فلعمر الله لئن كنت مفسدا ما أفسد أمر هذه الأمة الا والدك وجدك الناكثان
فكانت بهما اليدان وكانت عليهما دائرة السوء قال ثم أقبل مسيب بن نجبة وعبد الله بن
وال على عبد الله بن يزيد فقالا اما رأيك أيها الأمير فوالله انا لنرجو أن تكون به عند العامة
محمودا وان تكون عند الذى عنيت واعتريت مقبولا فغضب أناس من عمال ابراهيم بن
محمد بن طلحة وجماعة ممن كان معه فتشاتموا دونه فشتمهم الناس وخصموهم * فلما سمع
ذلك عبد الله بن يزيد نزل ودخل وانطلق ابراهيم بن محمد وهو يقول قد داهن عبد الله بن
يزيد أهل الكوفة والله لأكتبن بذلك الى عبد الله بن الزبير فأتى شبث بن ربعى التميمى

بنى زِمّان بن مالك بن صعب بن علىّ بن مالك بن بكر بن وائل وعبد الله بن ثور أبو فُديك من بنى قيس بن ثعلبة وعطية بن الاسود اليشكرى الى اليمامة فوثبوا باليمامة مع أبى طالوت ثم أجمعوا بعد ذلك على نجدة بن عامر الحنفى وأما البصريون منهم فانهم قدموا البصرة وهم مُجمعون على رأى أبى بلال (قال هشام) قال أبو مخنف لوط بن يحيى فحدثنى أبو المثنى عن رجل من اخوانه من أهل البصرة انهم اجتمعوا فقالت العامة منهم لو خرج منا خارجون فى سبيل الله فقد كانت منا فترة منذ خرج أصحابنا فيقوم علماؤنا فى الارض فيكونون مصابيح الناس يدعونهم الى الدين ويخرج أهل الورع والاجتهاد فيلحقون بالرب فيكونون شهداء مرزوقين عند الله أحياء فانتدب لها نافع بن الازرق فاعتقد على ثلثمائة رجل فخرج وذلك عند وثوب الناس بعبيد الله بن زياد وكسر الخوارج أبواب السجون وخروجهم منها واشتغل الناس بقتال الازد وربيعة وبنى تميم وقيس فى دم مسعود بن عمرو فاغتنمت الخوارج اشتغال الناس بعضهم ببعض فتهيؤا واجتمعوا فلما خرج نافع بن الازرق تبعوه واصطلح أهل البصرة على عبد الله بن الحارث بن نوفل بن عبد المطلب يصلى بهم وخرج ابن زياد الى الشأم واصطلحت الازد وبنو تميم فتجرد الناس للخوارج فاتبعوهم وأخافوهم حتى خرج من بقى منهم بالبصرة فلحق بابن الازرق الا قليلا منهم ممن لم يكن أراد الخروج يومه ذلك منهم عبد الله بن صفار وعبد الله بن أباض ورجالٌ معهما على رأيهما ونظر نافع بن الازرق ورأى ان ولاية من تخلف عنه لا تنبغى وأن من تخلف عنه لا نجاة له فقال لاصحابه ان الله قد أكرمكم بمخرجكم وبصّركم ما عمى عنه غيركم ألستم تعلمون انكم انما خرجتم تطلبون شريعته وأمره فأمره لكم قائد والكتاب لكم امامٌ وانما تتبعون سننه وأثره فقالوا بلى فقال أليس حكمكم فى وليكم حكم النبى صلى الله عليه وسلم فى وليه وحكمكم فى عدوكم حكم النبى صلى الله عليه وسلم فى عدوه وعدوكم اليوم عدو الله وعدو النبى صلى الله عليه وسلم كما ان عدو النبى صلى الله عليه وسلم يومئذ هو عدو الله وعدوكم اليوم فقالوا نعم قال فقد أنزل الله تبارك وتعالى براءة من الله ورسوله الى الذين عاهدتُم من المشركين وقال لا تنكحوا المشركات حتى يؤمنّ فقد حرّم الله ولايتهم والمقام بين أظهرهم واجازة شهادتهم وأكل ذبائحهم وقبول علم الدين عنهم ومناكحتهم ومواريثهم وقد احتج الله علينا بمعرفة هذا وحق علينا أن نعلم هذا الذين الذين خرجنا من عندهم ولا نكتم ما أنزل الله والله عز وجل يقول انّ الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهُدى من بعد ما بيناه للناس فى الكتاب أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون فاستجاب له الى هذا الرأى جميع أصحابه فكتب من عبد الله نافع بن الازرق الى عبد الله بن صفار وعبد الله بن اباض ومن قبلهما من الناس سلام على أهل طاعة الله من عباد الله فان من الامر كيت وكيت فقصّ هذه القصة ووصف

ماترون فدنا منه ابن الازرق فقال له يا ابن الزبير اتق الله ربك وابغض الخائن المستأثر وعاد أول من سن الضلالة وأحدث الاحداث وخالف حكم الكتاب فانك ان تفعل ذلك ترض ربك وتنج من العذاب الأليم نفسك وان تركت ذلك فأنت من الذين استمتعوا بخلاقهم واذهبوا في الحياة الدنيا طيباتهم يا عبيدة بن هلال صف لهذا الانسان ومن معه أمرنا الذى نحن عليه والذى ندعو الناس اليه فتقدم عبيدة بن هلال (قال هشام) قال أبو مخنف وحدثني أبو علقمة الخثعمي عن أبى قبيصة بن عبد الرحمن القحافى من خثعم قال أنا والله شاهد عبيدة بن هلال اذ تقدم فتكلم فما سمعت ناطقا قط ينطق كان أبلغ ولا أصوب قولا منه وكان يرى رأى الخوارج قال وان كان ليجمع القول الكثير في المعنى الخطير في اللفظ اليسير قال فحمد الله وأثنى عليه ثم قال أما بعد فان الله بعث محمدا صلى الله عليه وسلم يدعو الى عبادة الله واخلاص الدين فدعا الى ذلك فأجابه المسلمون فعمل فيهم بكتاب الله وأمره حتى قبضه الله اليه صلى الله عليه واستخلف الناس أبا بكر واستخلف أبو بكر عمر فكلاهما عمل بالكتاب وسنة رسول الله فالحمد لله رب العالمين ثم ان الناس استخلفوا عثمان ابن عفان فحمى الاحماء فآثر القربى واستعمل الفتى ورفع الدرة ووضع السوط ومزق الكتاب وحقر المسلم وضرب منكرى الجور وآوى طريد الرسول صلى الله عليه وضرب السابقين بالفضل وسيرهم وحرمهم ثم أخذ فيء الله الذى أفاءه عليهم فقسمه بين فساق قريش ومجان العرب فسارت اليه طائفة من المسلمين أخذ الله ميثاقهم على طاعته لا يبالون في الله لومة لائم فقتلوه فنحن لهم أولياء ومن ابن عفان وأوليائه برآء فما تقول أنت يا ابن الزبير قال فحمد الله ابن الزبير وأثنى عليه ثم قال أما بعد فقد فهمت الذى ذكرتم وذكرت به النبي صلى الله عليه وسلم فهو كما قلت صلى الله عليه وفوق ما وصفته وفهمت ما ذكرت به أبا بكر وعمر وقد وفقت وأصبت وقد فهمت الذى ذكرت به عثمان بن عفان رحمة الله عليه وانى لا أعلم مكان أحد من خلق الله اليوم أعلم بابن عفان وأمره مني كنت معه حيث نقم القوم عليه واستعتبوه فلم يدع شيأ استعتبه القوم فيه الا أعتبهم منه ثم انهم رجعوا اليه بكتاب له يزعمون انه كتبه فيهم يأمر فيه بقتلهم فقال لهم ما كتبته فان شئتم فهاتوا بينتكم فان لم تكن حلفت لكم فوالله ما جاؤه ببينة ولا استحلفوه ووثبوا عليه فقتلوه وقد سمعت ما عبته به فليس كذلك بل هو لكل خير أهل وأنا أشهدكم ومن حضرنى انى ولى لابن عفان في الدنيا والآخرة وولى أوليائه وعدو أعدائه قالوا فبرئ الله منك يا عدو الله قال فبرئ الله منكم يا أعداء الله وتفرق القوم فأقبل نافع بن الازرق الحنظلى وعبد الله بن صفار السعدى من بنى صريم بن مقاعس وعبد الله بن أباض أيضا من بنى صريم وحنظلة بن بيهس وبنو الماحوز عبد الله وعبيد الله والزبير من بنى سليط بن يربوع حتى أتوا البصرة وانطلق أبو طالوت من

من أمره أقمت له بمحضره الشهادة وشفعت له أحسن الشفاعة فقال له زائدة بن قدامة لا يكونن مع هذا ان شاء الله الا خير * قال عبد الرحمن فخرجت وخرج معي زائدة الى المختار فأخبرناه بمقالة ابن أبي حية وبمقالة عمرو بن حريث وناشدناه بالله أن لا يجعل على نفسه سبيلا فنزل الى ابن حريث فسلم عليه وجلس تحت رايته حتى أصبح وتذاكر الناس أمر المختار وفعله فمشى عُمارة بن عقبة بن أبي مُعيط بذلك الى عبيد الله بن زياد فذكره له فلما ارتفع النهار فتح باب عبيد الله بن زياد وأذن للناس فدخل المختار فيمن دخل فدعاه عبيد الله فقال له أنت المقبل في الجموع لتنصر ابن عقيل فقال له لم أفعل ولكني أقبلت ونزلت تحت راية عمرو بن حريث وبت معه وأصبحت فقال له عمرو صدق أصلحك الله قال فرفع القضيب واعترض به وجه المختار فخبط به عينه فشترها وقال أولى لك أمَ والله لولا شهادة عمرو لك لضربتُ عنقك انطلقوا به الى السجن فانطلقوا به الى السجن فحُبس فيه فلم يزل في السجن حتى قتل الحسين ثم ان المختار بعث الى زائدة بن قدامة فسأله أن يسير الى عبد الله بن عمر بالمدينة فيسأله أن يكتب له الى يزيد بن معاوية فيكتب الى عبيد الله بن زياد بتخلية سبيله فركب زائدة الى عبد الله بن عمر فقدم عليه فبلغه رسالة المختار وعلمت صفية أخت المختار بمحبس أخيها وهي تحت عبد الله بن عمر فبكت وجزعت فلما رأى ذلك عبد الله بن عمر كتب مع زائدة الى يزيد بن معاوية أما بعد فان عبيد الله بن زياد حبس المختار وهو صهري وأنا أحب أن يعافى ويُصلح من حاله فان رأيت رحمنا الله واياك أن تكتب الى ابن زياد فتأمره بتخليته فعلت والسلام عليك فمضى زائدة على رواحله بالكتاب حتى قدم به على يزيد بالشأم فلما قرأه ضحك ثم قال يشفع أبو عبد الرحمن وأهلُ ذلك هو فكتب له الى ابن زياد أما بعد فخلّ سبيل المختار بن أبي عبيد حين تنظر في كتابي والسلام عليك وأقبل به زائدة حتى دفعه فدعا ابن زياد بالمختار فأخرجه ثم قال له قد أجّلتك ثلاثا فان أدركتك بالكوفة بعدها فقد برئت منك الذمة فخرج الى رحله وقال ابن زياد والله لقد اجترأ عليّ زائدة حين يرحل الى أمير المؤمنين حتى يأتيني بالكتاب في تخلية رجل قد كان من شأني ان أطيل حبسه عليّ به فمرّ به عمرو بن نافع أبو عثمان كاتبٌ لابن زياد وهو يُطلب فقال له النجاء بنفسك واذكرها يدا لي عندك * قال فخرج زائدة فتوارى يومه ذلك ثم انه خرج في أناس من قومه حتى أتى القعقاع بن شور الذهليّ ومسلم بن عمرو الباهليّ فأخذا له من ابن زياد الأمان (قال هشام) قال أبو مخنف ولما كان اليوم الثالث خرج المختار الى الحجاز قال فحدثني الصقعب بن زهير عن ابن العرق مولى لثقيف قال أقبلت من الحجاز حتى اذا كنت بالبسيطة من وراء واقصة استقبلت المختار بن أبي عبيد خارجا يريد الحجاز حين خلى سبيله ابن زياد فلما استقبلته رحّبت به وعطفتُ اليه * فلما رأيت شتر عينه استرجعت له وقلت له بعد ما توجعت له

هذه الصفة ثم بعث بالكتاب اليهما فأتيا به فقرأه عبد الله بن صفار فأخذه فوضعه خلفه فلم يقرأه على الناس خشية أن يتفرقوا ويختلفوا فقال له عبد الله بن اباض مالك لله أبوك أي شيء أصبت ان قد أصيب اخواننا أو أسر بعضهم فدفع الكتاب اليه فقرأه فقال قاتله الله أي رأي رأى صدق نافع بن الازرق لو كان القوم مشركين كان أصوب الناس رأيا وحكما فيما يشير به وكانت سيرته كسيرة النبي صلى الله عليه وسلم في المشركين ولكنه قد كذب وكذبنا فيما يقول ان القوم كفار بالنعم والاحكام وهم براء من الشرك ولا يحل لنا الا دماؤهم وما سوى ذلك من أموالهم فهو علينا حرام فقال له ابن صفار برئ الله منك فقد قصرت وبرئ الله من ابن الازرق فقد غلا برئ الله منكما جميعا وقال الآخر فبرئ الله منك ومنه وتفرق القوم واشتدت شوكة ابن الازرق وكثرت جموعه وأقبل نحو البصرة حتى دنا من الجسر فبعث اليه عبد الله بن الحارث مسلم بن عبيس بن كريز بن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس ابن عبد مناف في أهل البصرة ﴿قال أبو جعفر﴾ وفي النصف من شهر رمضان من هذه السنة كان مقدم المختار بن أبي عبيد الكوفة

﴿ذكر الخبر عن سبب مقدمه اليها﴾

(قال هشام بن محمد الكلبي) قال أبو مخنف قال النضر بن صالح كانت الشيعة تشتم المختار وتعتبه لما كان منه في أمر الحسن بن علي يوم طعن في مظلم ساباط فحمل الى أبيض المدائن حتى اذا كان زمن الحسين وبعث الحسين مسلم بن عقيل الى الكوفة نزل دار المختار وهي اليوم دار سلم ابن المسيب فبايعه المختار بن أبي عبيد فيمن بايعه من أهل الكوفة وناصحه ودعا اليه من أطاعه حتى خرج ابن عقيل يوم خرج والمختار في قرية له بخطرنية تدعى لقفا فجاءه خبر ابن عقيل عند الظهر انه قد ظهر بالكوفة فلم يكن خروجه يوم خرج على ميعاد من أصحابه انما خرج حين قيل له ان هانئ بن عروة المرادي قد ضرب وحبس فأقبل المختار في موال له حتى انتهى الى باب الفيل بعد المغرب وقد عقد عبيد الله بن زياد لعمرو بن حريث راية على جميع الناس وأمره أن يقعد لهم في المسجد فلما كان المختار وقف على باب الفيل مر به هانئ بن أبي حية الوادعي فقال للمختار ما وقوفك ههنا لا أنت مع الناس ولا أنت في رحلك قال أصبح رأيي مرتجا لعظم خطيئتكم فقال له أظنك والله قاتلا نفسك ثم دخل على عمرو بن حريث فأخبره بما قال المختار وما رد عليه المختار (قال أبو مخنف) فأخبرني النضر بن صالح عن عبد الرحمن بن أبي عمير الثقفي قال كنت جالسا عند عمرو بن حريث حين بلغه هانئ بن أبي حية عن المختار هذه المقالة فقال لي قم الى ابن عمك فأخبره ان صاحبه لا يدري أين هو فلا يجعلن على نفسه سبيلا فقمت لآتيه ووثب اليه زائدة بن قدامة بن مسعود فقال له يأتيك على انه آمن فقال له عمرو بن حريث اما مني فهو آمن وان رقي الى الامير عبيد الله بن زياد شيء

ساعة ثم انه قال الى ابن الزبير كأنه يساره فقال له ما تنتظر ابسط يدك أبايعك وأعطنا ما يرضينا وثب على الحجاز فإن أهل الحجاز كلهم معك وقام المختار فخرج فلم ير حولا ثم انى بينا أنا جالس مع ابن الزبير اذ قال لى ابن الزبير متى عهدك بالمختار بن أبى عبيد فقلت له مالى به عهد منذ رأيته عندك عاما أول فقال أين تراه ذهب لو كان بمكة لقد رؤى بها بعد فقلت له انى انصرفت الى المدينة بعد اذ رأيته عندك بشهر أو شهرين فلبثت بالمدينة أشهرا ثم انى قدمت عليك فسمعت نفرا من أهل الطائف جاؤا معتمرين يزعمون انه قدم عليهم الطائف وهو يزعم انه صاحب الغضب ومبير الجبارين قال قاتله الله لقد انبعث كذابا متكهنا ان الله ان يهلك الجبارين يكن المختار أحدهم فوالله ما كان الا ريث فراغنا من منطقنا حتى عن لنا فى جانب المسجد فقال ابن الزبير اذكر غائبا تره أين تظنه يهوى فقلت أظنه يريد البيت فأتى البيت فاستقبل الحجر ثم طاف بالبيت أسبوعا ثم صلى ركعتين عند الحجر ثم جلس فما لبث ان مر به رجال من معارفه من أهل الطائف وغيرهم من أهل الحجاز فجلسوا اليه واستبطأ ابن الزبير قيامه اليه فقال ما ترى شأنه لا يأتينا قلت لا أدرى وسأعلم لك علمه وقال ما شئت وكان ذلك أعجبه قال فقمت فمررت به كأنى أريد الخروج من المسجد ثم التفت اليه فأقبلت نحوه ثم سلمت عليه ثم جلست اليه وأخذت بيده فقلت له أين كنت وأين بلغت بعدى أبالطائف كنت فقال لى كنت بالطائف وغير الطائف وعمس على أمره فملت اليه فناجيته فقلت له مثلك يغيب عن مثل ما قد اجتمع عليه أهل الشرف وبيوتات العرب من قريش والأنصار وثقيف لم يبق أهل بيت ولا قبيلة الا وقد جاء زعيمهم وعميدهم فبايع هذا الرجل فعجبا لك ولرأيك ألا تكون أتيته فبايعته وأخذت بحظك من هذا الأمر وقال لى وما رأيتنى أتيته العام الماضى فأشرت عليه بالرأى فطوى أمره دونى وانى لما رأيته استغنى عنى أحببت ان أريه انى مستغن عنه انه والله لهو أحوج الى منى اليه فقلت له انك كلمته بالذى كلمته وهو ظاهر فى المسجد وهذا الكلام لا ينبغى أن يكون الا والستور دونه مرخاة والابواب دونه مغلقة القه الليلة ان شئت وأنا معك فقال لى فانى فاعل اذا صلينا العتمة أتيناه واتعدنا الحجر قال فنهضت من عنده فخرجت ثم رجعت الى ابن الزبير فأخبرته بما كان من قولى وقوله فسر بذلك * فلما صلينا العتمة التقينا بالحجر ثم خرجنا حتى أتينا منزل ابن الزبير فاستأذنا عليه فأذن لنا فقلت أخليكما فقالا جميعا لا سر دونك فجلست فاذا ابن الزبير قد أخذ بيده فصافحه ورحب به فسأله عن حاله وأهل بيته وسكتا جميعا غير طويل فقال له المختار وأنا أسمع بعد ان تبدأ فى أول منطقه فحمد الله وأثنى عليه ثم قال انه لا خير فى الاكثار من المنطق ولا فى التقصير عن الحاجة انى قد جئتك لابايعك على ان لا تقضى الأمور دونى وعلى ان أكون فى أول من تأذن له واذا ظهرت

ما بالُ عينك صرف الله عنك السوء فقال خبط عيني ابن الزانية بالقضيب خبطةً صارت الى ما ترى فقلت له ماله شُلّت أناملُه فقال المختار قتلني الله ان لم أقطع أنامله وأباجله وأعضاءه إرباً إرباً قال فعجبت لمقالته فقلت له ما علمك بذلك رحمك الله فقال لي ما أقول لك فاحفظه عني حتى ترى مصداقه قال ثم طفق يسألني عن عبد الله بن الزبير فقلت له لجأ الى البيت فقال انما أنا عائذٌ بربّ هذه البنية والناس يتحدثون انه يبايع سرّاً ولا أراه إلا لو قد اشتدت شوكته واستكثف من الرجال الا سيظهر الخلاف قال أجل لا شك في ذلك أما إنه رجل العرب اليوم أما إنه ان يخطط في أثري ويسمع قولي أكفه أمر الناس والا يفعل فوالله ما أنا بدون أحد من العرب يا ابن العرق ان الفتنة قد أرعدت وأبرقت وكأن قد انبعثت فوطئت في خطامها فاذا رأيت ذلك وسمعت به بمكان قد ظهرت فيه فقيل ان المختار في عصائبه من المسلمين يطلب بدم المظلوم الشهيد المقتول بالطف سيد المسلمين وابن سيدها الحسين بن علي فوربك لأقتلن بقتله عدة القتلى التي قتلت على دم يحيى بن زكرياء عليه السلام قال فقلت له سبحان الله وهذه أعجوبة مع الأحدوثة الأولى فقال هو ما أقول لك فاحفظه عني حتى ترى مصداقه ثم حرّك راحلته فمضى ومضيت معه ساعة أدعو الله له بالسلامة وحسن الصحابة قال ثم انه وقف فأقسم عليّ لما انصرفت فأخذت بيده فودعته وسلمت عليه وانصرفت عنه فقلت في نفسي هذا الذي يذكر لي هذا الانسان يعني المختار مما يزعم انه كائن أشيءٌ حدّث به نفسه فوالله ما أطلع الله على الغيب أحداً وانما هو شيء يتمناه فيرى انه كائنٌ فهو يوجب رأيه فهذا والله الرأي الشعاع فوالله ما كل ما يرى الإنسان انه كائن يكون قال فوالله ما متّ حتى رأيت كل ما قاله قال فوالله لئن كان ذلك من علم ألقي اليه لقد أثبت له ولئن كان ذلك رأياً رآه وشيئاً تمناه لقد كان (قال أبو مخنف) فحدثني الصقعب ابن زهير عن ابن العرق قال فحدثت بهذا الحديث الحجاج بن يوسف فضحك ثم قال لي انه كان يقول أيضاً

ورافعة ذيلها * وداعية ويلها * بدجلة أو حولها

فقلت له أترى هذا شيئاً كان يخترعه وتخرصاً يتخرصه أم هو من علم كان أوتيه فقال والله ما أدري ما هذا الذي تسألني عنه ولكن لله دره أيّ رجل ديناً ومسعر حرب ومقارع أعداء كان (قال أبو مخنف) حدثني أبو يوسف الأنصاري من بني الخزرج عن عباس بن سهل بن سعد قال قدم المختار علينا مكة فجاء الى عبد الله بن الزبير وأنا جالس عنده فسلم عليه فردّ عليه ابن الزبير ورحّب به وأوسع له ثم قال حدثني عن حال الناس بالكوفة يا أبا اسحاق قال هم لسلطانهم في العلانية أولياء وفي السرّ أعداء فقال له ابن الزبير هذه صفة عبيد السوء اذا رأوا أربابهم خدموهم وأطاعوهم فاذا غابوا عنهم شتموهم ولعنوهم قال فجلس معنا

قتلنا قال فاذا الذى قتلت رجل أحمر شديد الحمرة كأنه رومى واذا الذى قتل المختار
رجل أسود شديد السواد فقال لى المختار تعلم والله انى لأظن قتيلينا هذين عبدين ولو أن
هذين قتلانا لفجع بنا عشائرنا ومن يرجونا وما هذان وكلبان من الكلاب عندى إلا
سواء ولا أخرج بعد يومى هذا الرجل أبدا إلا لرجل أعرفه فقلت له وأنا والله لا أخرج
إلا لرجل أعرفه وأقام المختار مع ابن الزبير حتى هلك يزيد بن معاوية وانقضى الحصار
ورجع أهل الشأم الى الشأم واصطلح أهل الكوفة على عامر بن مسعود بعد ما هلك يزيد
يصلى بهم حتى يجتمع الناس على امام يرضونه فلم يلبث عامر الا شهرا حتى بعث ببيعته
وبيعة أهل الكوفة الى ابن الزبير وأقام المختار مع ابن الزبير خمسة أشهر بعد مهلك يزيد
وأياما (قال أبو مخنف) فحدثنى عبد الملك بن نوفل بن مساحق عن سعيد بن عمرو بن
سعيد بن العاص قال والله انى لمع عبد الله بن الزبير ومعه عبد الله بن صفوان بن أمية بن
خلف ونحن نطوف بالبيت اذ نظر ابن الزبير فاذا هو بالمختار فقال لابن صفوان انظر اليه
فوالله لهو أحذر من ذئب قد أطافت به السباع قال فمضى ومضينا معه فلما قضينا
طوافنا وصلينا الركعتين بعد الطواف لحقنا المختار فقال لابن صفوان ما الذى ذكرنى به
ابن الزبير قال قال فكتمه وقال لم يذكرك الا بخير قال بلى ورب هذه البنية ان كنت لمن
شأنكما أما والله ليخطن فى أثرى أولأقدنها عليه سعرا فأقام معه خمسة أشهر فلما رآه
لا يستعمله جعل لا يقدم عليه أحد من الكوفة الا سأله عن حال الناس وهيئتهم (قال أبو
مخنف) فحدثنى عطية بن الحارث أبو روق الهمدانى ان هانئ بن أبى حية الوادعى قدم مكة
يريد عمرة رمضان فسأله المختار عن حاله وحال الناس بالكوفة وهيئتهم فأخبره عنهم
بصلاح واتساق على طاعة ابن الزبير الا ان طائفة من الناس اليهم عدد أهل المصر لو كان
لهم رجل يجمعهم على رأيهم أكل بهم الأرض الى يوم ما فقال له المختار أنا أبو اسحاق أنا
والله لهم أنا أجمعهم على مر الحق وأنفى بهم ركبان الباطل وأقتل بهم كل جبار عنيد فقال
له هانئ بن أبى حية ويحك يا ابن أبى عبيد ان استطعت ألا توضع فى الضلال ليكن صاحبهم
غيرك فان صاحب الفتنة أقرب شئ أجلا وأسوأ الناس عملا فقال له المختار انى لا أدعو الى
الفتنة انما أدعو الى الهدى والجماعة ثم وثب فخرج وركب رواحله فأقبل نحو الكوفة حتى
اذا كان بالقرعاء لقيه سلمة بن مرثد أخو بنت مرثد القابضى من همدان وكان من أشجع
العرب وكان ناسكا فلما التقيا تصافحا وتساءلا فخبره المختار خبر الحجاز ثم قال لسلمة بن مرثد
حدثنى عن الناس بالكوفة قال هم كغنم ضل راعيها فقال المختار ابن أبى عبيد أنا الذى
أحسن رعايتها وأبلغ نهايتها فقال له سلمة اتق الله واعلم انك ميت ومبعوث ومحاسب
ومجزى بعملك ان خيرا فخير وان شرا فشر ثم افترقا وأقبل المختار حتى انتهى الى بحر الحيرة

استعنت بي على أفضل عملك فقال له ابن الزبير أبايعك على كتاب الله وسنة نبيه صلى الله
عليه وسلم فقال وشر غلماني أنت مبايعه على كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم مالي
في هذا الامر من الحظ ماليس لأقصى الخلق منك لا والله لا أبايعك أبدا الا على هذه
الخصال قال عباس بن سهل فالتقمت أذن ابن الزبير فقلت له اشتر منه دينه حتى ترى من
رأيك فقال له ابن الزبير فإن لك ما سألته فبسط يده فبايعه ومكث معه حتى شاهد الحصار
الاول حين قدم الحصين بن نمير السكوني مكة فقاتل في ذلك اليوم فكان من أحسن الناس
يومئذ بلاء وأعظمهم غناء * فلما قتل المنذر بن الزبير والمسور بن مخرمة ومصعب بن
عبد الرحمن بن عوف الزهري نادى المختار يا أهل الاسلام الي الي أنا ابن أبي عبيد بن
مسعود وأنا ابن الكرار لا الفرار أنا ابن المقدمين غير المحجمين الي يا أهل الحفاظ وحماة
الأوتار فحمي الناس يومئذ وأبلى وقاتل قتالا حسنا ثم أقام مع ابن الزبير في ذلك الحصار
حتى كان يوم أحرق البيت فإنه أحرق يوم السبت لثلاث مضين من شهر ربيع الاول سنة
٦٤ فقاتل المختار يومئذ في عصابة معه نحو من ثلثمائة أحسن قتال قاتله أحد من الناس
ان كان ليقاتل حتى يتبلد ثم يجلس ويحيط به أصحابه فاذا استراح نهض فقاتل فما كان يتوجه
نحو طائفة من أهل الشأم الا ضاربهم حتى يكشفهم (قال أبو مخنف) فحدثني أبو يوسف محمد
ابن ثابت عن عباس بن سهل بن سعد قال تولى قتال أهل الشأم يوم تحريق الكعبة عبد الله
ابن مطيع وأنا والمختار قال فما كان فينا يومئذ رجل أحسن بلاء من المختار قال وقاتل
قبل أن يطلع أهل الشأم على موت يزيد بن معاوية بيوم قتالا شديدا وذلك يوم الأحد لخمس
عشرة ليلة مضت من ربيع الآخر سنة ٦٤ وكان أهل الشأم قد رجوا أن يظفروا بنا
وأخذوا علينا سكك مكة قال وخرج ابن الزبير فبايعه رجال كثير على الموت قال
فخرجت في عصابة معي أقاتل في جانب والمختار في عصابة أخرى يقاتل في جماعة من أهل
اليمامة في جانب وهم خوارج وانما قاتلوا ليدفعوا عن البيت فهم في جانب وعبد الله بن
المطيع في جانب قال فشد أهل الشأم علي فحازوني في أصحابي حتى اجتمعت أنا والمختار
وأصحابه في مكان واحد فلم أكن أصنع شيأ الا صنع مثله ولا يصنع شيأ الا تكلفت أن أصنع
مثله فما رأيت أشد منه قط قال فإنا لنقاتل اذ شدت علينا رجال وخيل من خيل أهل
الشأم فاضطروني وإياه في نحو من سبعين رجلا من أهل الصبر الى جانب دار من دور أهل
مكة فقاتلهم المختار يومئذ وأخذ يقول رجل لرجل ولا وألت نفس امرئ يفر قال
فخرج المختار وخرجت معه فقلت ليخرج منكم الي رجل فخرج الي رجل واليه
رجل آخر فمشيت الى صاحبي فأقتله ومشى المختار الى صاحبه فقتله ثم صحنا بأصحابنا وشددنا
عليهم فوالله لضربناهم حتى أخرجناهم من السكك كلها ثم رجعنا الى صاحبينا اللذين

الوصيّ والإمام المهدي بأمر فيه الشفاء وكشف الغطاء وقتل الأعداء وتمام النّعماء إن سليمان ابن صرد يرحمنا الله وإياه إنما هو عشمة من العشم وحفش بالٍ ليس بذي تجربة للأمور ولا له علم بالحروب إنما يريد أن يخرجكم فيقتل نفسه ويقتلكم إني إنما أعمل على مثال قد مُثّل لي وأمر قد بُيّن لي فيه عزّ وليّكم وقتل عدوكم وشفاء صدوركم فاسمعوا مني قولي وأطيعوا أمري ثم أبشروا وتباشروا فإني لكم بكل ما تأملون خيرُ زعيم قال فوالله ما زال بهذا القول ونحوه حتى استمال طائفةً من الشيعة وكانوا يختلفون إليه ويعظمونه وينظرون أمره وعُظمُ الشيعة يومئذ ورؤساؤهم مع سليمان بن صرد وهو شيخ الشيعة وأسنّهم فليس يعدلون به أحدا إلا أن المختار قد استمال منهم طائفة ليسوا بالكثير فسليمان بن صرد أثقل خلق الله على المختار وقد اجتمع لابن صرد يومئذ أمره وهو يريد الخروج والمختار لا يريد أن يتحرك ولا أن يهيّج أمرا رجاء أن ينظر إلى ما يصير إليه أمر سليمان رجاء أن يستجمع له أمر الشيعة فيكون أقوى له على درك ما يطلب فلما خرج سليمان بن صرد ومضى نحو الجزيرة قال عمر بن سعد ابن أبي وقّاص وشبث بن ربعيّ ويزيد بن الحارث بن رُوَيم لعبد الله بن يزيد الخطميّ وإبراهيم بن محمد بن طلحة بن عبيد الله إن المختار أشدّ عليكم من سليمان بن صرد إنّ سليمان إنما خرج يقاتل عدوكم ويذللهم لكم وقد خرج عن بلادكم وإن المختار إنما يريد أن يثب عليكم في مصركم فسيروا إليه فأوثقوه في الحديد وخلّدوه في السجن حتى يستقيم أمرُ الناس فخرجوا إليه في الناس فما شعر بشيء حتى أحاطوا به وبداره فاستخرجوه فلما رأى جماعتهم قال ما بالكم فوالله بعد ما ظفرت أكفّكم قال فقال إبراهيم بن محمد بن طلحة ابن عبيد الله لعبد الله بن يزيد شدّه كتافا ومشّه حافيا فقال له عبد الله بن يزيد سبحان الله ما كنت لأمشّيه ولا لأحفيه ولا كنت لأفعل هذا برجل لم يظهر لنا عداوة ولا حربا وإنما أخذناه على الظن فقال له إبراهيم بن محمد ليس بعُشّك فادرُجي ما أنت وما يبلغنا عنك يا ابن أبي عبيد فقال له ما الذي بلغك عني إلا باطل وأعوذ بالله من غِشّ كغِشّ أبيك وجدّك قال قال فضيل فوالله إني لأنظر إليه حين أخرج وأسمع هذا القول حين قال له غير أني لا أدري أسمعه منه إبراهيم أم لم يسمعه فسكت حين تكلم به قال وأُتي المختار ببغلة دهماء يركبها فقال إبراهيم لعبد الله بن يزيد ألا تشدّ عليه القيود فقال كفى له بالسجن قيدا (قال أبو مخنف) وأما يحيى بن أبي عيسى فحدثني أنه قال دخلت إليه مع حميد بن مسلم الأزدي نزوره ونتعاهده فرأيته مقيّدا قال فسمعته يقول أما وربّ البحار والنخيل والأشجار والمهامه والقفار والملائكة الأبرار والمصطفين الأخيار لأقتلنّ كلّ جبار بكلّ لدنٍ خطار ومهنّد بتار في جموع من الأنصار ليسوا بميل أغمار ولا بعزل أشرار حتى إذا أقمت عمود الدين ورأبت شعب صدع المسلمين وشفيت غليل صدور المؤمنين وأدركت بثأر

يوم الجمعة فنزل فاغتسل فيه وادّهن دُهنا يسيرا ولبس ثيابه واعتمّ وتقلد سيفه ثم ركب راحلته فمرّ بمسجد السَّكُون وجبّانة كندة لا يمر بمجلس الا سلم على أهله وقال ابشروا بالنصر والفلج أتاكم ما تحبون وأقبل حتى مر بمسجد بنى ذُهل وبنى حُجر فلم يجد ثمّ أحدا ووجد الناس قد راحوا الى الجمعة فأقبل حتى مر ببنى بدّاء فوجد عبيدة بن عمرو البدّىّ من كندة فسلم عليه ثم قال ابشر بالنصر واليُسر والفلج انك أبا عمرو على رأيٍ حسنٍ لن يدع الله لك معه مأثما الا غفره ولا ذنبا الا ستره قال وكان عبيدة من أشجع الناس وأشعرهم وأشدهم حبا لعلىّ رضى الله عنه وكان لا يصبر عن الشراب فلما قال له المختار هذا القول قال له عبيدة بشّرك الله بخير انك قد بشرتنا فهل أنت مفسّرٌ لنا قال نعم فالقنى فى الرحل الليلة ثم مضى (قال أبو مخنف) فحدثنى فضيل بن خُديج عن عبيدة بن عمرو قال قال لى المختار هذه المقالة ثم قال لى القنى فى الرحل وبلغ أهل مسجدكم هذا أعنى انهم قومٌ أخذ الله ميثاقهم على طاعته يقتلون المحلين ويطلبون بدماء أولاد النبيين ويهديهم للنُور المبين ثم مضى فقال لى كيف الطريق الى بنى هندٍ فقلت له انظرنى أدلك فدعوت بفرسى وقد أسرج لى فركبته قال ومضيت معه الى بنى هند فقال دلنى على منزل اسماعيل بن كثير قال فمضيت به الى منزله فاستخرجته فحيّاه ورحّب به وصافحه وبشّره وقال له القنى أنت وأخوك الليلة وأبو عمرو فانى قد أتيتكم بكل ما تحبون قال ثم مضى ومضينا معه حتى مر بمسجد جُهَينة الباطنة ثم مضى الى باب الفيل فأناخ راحلته ثم دخل المسجد واستشرف له الناس وقالوا هذا المختار قد قدم فقام المختار الى جنب سارية من سَوارِى المسجد فصلى عندها حتى أقيمت الصلاة فصلى مع الناس ثم ركد الى سارية أخرى فصلى ما بين الجمعة والعصر فلما صلى العصر مع الناس انصرف (قال أبو مخنف) فحدثنى المجالد بن سعيد عن عامر الشعبى ان المختار مرّ على حلقة همدان وعليه ثياب السفر فقال ابشروا فانى قد قدمت عليكم بما يسركم ومضى حتى نزل داره وهى الدار التى تدعى دار سلْم بن المسيب وكانت الشيعة تختلف اليها واليه فيها (قال أبو مخنف) فحدثنى فضيل بن خديج عن عبيدة بن عمرو واسماعيل بن كثير من بنى هند قالا أتيناه من الليل كما وعدنا فلما دخلنا عليه وجلسنا ساءلنا عن أمر الناس وعن حال الشيعة فقلنا له ان الشيعة قد اجتمعت لسليمان ابن صرد الخزاعى وانه لن يلبث الا يسيرا حتى يخرج قال فحمد الله وأثنى عليه وصلى على النبى صلى الله عليه وسلم ثم قال أما بعد فان المهدى ابن الوصى محمد بن علىّ بعثنى اليكم أمينا ووزيرا ومنتخبا وأميرا وأمرنى بقتال الملحدين والطلب بدماء أهل بيته والدفع عن الضعفاء (قال أبو مخنف) قال فضيل بن خديج فحدثنى عبيدة بن عمرو واسماعيل بن كثير انهما كانا أول خلق الله اجابة وضربا على يده وبايعاه قال وأقبل المختار يبعث الى الشيعة وقد اجتمعت عند سليمان بن صرد فيقول لهم انى قد جئتكم من قبل ولىّ الامر ومعدن الفضل ووصىّ

اللهم انى أستودعك أهلى وولدى اللهم احفظنى فيهم وكان ابنه ذلك يدعى عزرة فبقى حتى قتل بعد مع مصعب بن الزبير وخرج حتى لحق بهم فقعدت امرأته تبكيه واجتمع اليها نساؤها ومضى مع القوم وطافت تلك الليلة الخيل بالكوفة حتى جاؤا المسجد بعد العتمة وفيه ناس كثير يصلون فنادوا يالثارات الحسين وفيهم أبو عزة القابضى وكرب بن نمران يصلى فقال يالثارات الحسين أين جماعة القوم قيل بالنخيلة فخرج حتى أتى أهله فأخذ سلاحه ودعا بفرسه ليركبه فجاءته ابنته الرواع وكانت تحت ثبيت بن مرثد القابضى فقالت ياأبت مالى أراك قد تقلدت سيفك ولبست سلاحك فقال لها يابنية ان أباك يفر من ذنبه الى ربه فأخذت تنتحب وتبكى وجاءه أصهاره وبنو عمه فودعهم ثم خرج فلحق بالقوم قال فلم يصبح سليمان بن صرد حتى أتاه نحو ممن كان فى عسكره حين دخله قال ثم دعا بديوانه لينظر فيه الى عدة من بايعه حين أصبح فوجدهم ستة عشر ألفا فقال سبحان الله ماوافانا الا أربعة آلاف من ستة عشر ألفا (قال أبو مخنف) عن عطية بن الحارث عن حميد بن مسلم قال قلت لسليمان ابن صرد ان المختار والله يثبط الناس عنك انى كنت عنده أول ثلاث فسمعت نفرا من أصحابه يقولون قد كملنا ألفى رجل فقال وهب ان ذلك كان فأقام عنا عشرة آلاف أما هؤلاء بمؤمنين أما يخافون الله أما يذكرون الله وما أعطونا من أنفسهم من العهود والمواثيق ليجاهدن ولينصرن فأقام بالنخيلة ثلاثا يبعث ثقاته من أصحابه الى من تخلف عنه يذكرهم الله وما أعطوه من أنفسهم فخرج اليه نحو من ألف رجل فقام المسيب بن نجبة الى سليمان ابن صرد فقال رحمك الله انه لا ينفعك الكاره ولا يقاتل معك الا من أخرجته النية فلا تنتظرن أحدا واكمش فى أمرك قال فانك والله لنعم ما رأيت فقام سليمان بن صرد فى الناس متوكئا على قوس له عربية فقال أيها الناس من كان انما أخرجته ارادة وجه الله وثواب الآخرة فذلك منا ونحن منه فرحمة الله عليه حيا وميتا ومن كان انما يريد الدنيا وحرثها فوالله ما نأتى فيأ نستفيئه ولا غنيمة نغنمها ما خلا رضوان الله رب العالمين وما معنا من ذهب ولا فضة ولا خز ولا حرير وما هو الا سيوفنا فى عواتقنا ورماحنا فى أكفنا وزاد قدر البلغة الى لقاء عدونا فمن كان غير هذا ينوى فلا يصحبنا فقام صخير بن حذيفة بن هلال ابن مالك المزنى فقال آتاك الله رشدك ولقاك حجتك والله الذى لا اله غيره مالنا خير فى صحبة من الدنيا همته ونيته أيها الناس انما أخرجتنا التوبة من ذنبنا والطلب بدم ابن ابنة نبينا صلى الله عليه وسلم ليس معنا دينار ولا درهم انما نقدم على حد السيوف وأطراف الرماح فتنادى الناس من كل جانب انا لا نطلب الدنيا وليس لها خرجنا (قال أبو مخنف) عن اسماعيل بن يزيد الازدى عن السرى بن كعب الازدى قال أتينا صاحبنا عبد الله بن سعد بن نفيل نودعه قال فقام فقمنا معه فدخل على سليمان ودخلنا معه وقد

النبيين لم يكبر على زوال الدنيا ولم أحفل بالموت اذا أتى قال فكان اذا أتيناه وهو في السجن ردّد علينا هذا القول حتى خرج منه قال وكان يتشيع لاصحابه بعد ما خرج ابن صرد ﴿قال أبو جعفر﴾ وفي هذه السنة هدم ابن الزبير الكعبة وكانت قد مال حيطانها مما رميت به من حجارة المجانيق فذكر محمد بن عمر الواقدى ان ابراهيم بن موسى حدثه عن عكرمة بن خالد قال هدم ابن الزبير البيت حتى سوّاه بالارض وحفر أساسه وأدخل الحجر فيه وكان الناس يطوفون من وراء الاساس ويصلون الى موضعه وجعل الركن الاسود عنده في تابوت في سرقة من حرير وجعل ما كان من حُلىّ البيت وما وجد فيه من ثياب أو طيب عند الحجبة في خزانة البيت حتى أعادها لما أعاد بناءه * قال محمد بن عمر وحدثنى معقل ابن عبد الله عن عطاء قال رأيت ابن الزبير هدم البيت كله حتى وضعه بالارض ﴿وحج﴾ بالناس في هذه السنة عبد الله بن الزبير وكان عامله على مدينة فيها أخوه عبيدة بن الزبير وعلى الكوفة عبد الله بن يزيد الخطمى وعلى قضائها سعد بن نمران وأبى شريح أن يقضى فيها وقال فيما ذكر عنه انا لا أقضى في الفتنة وعلى البصرة عمر بن عبيد الله بن معمر التيمى وعلى قضائها هشام بن هبيرة وعلى خراسان عبد الله بن خازم

﴿ثم دخلت سنة خمس وستين﴾

﴿ذكر الخبر عما كان فيها من الاحداث الجليلة﴾

فمن ذلك ما كان من أمر التوّابين وشخوصهم للطلب بدم الحسين بن علىّ الى عبيد الله بن زياد (قال هشام) قال أبو مخنف حدثنى أبو يوسف عن عبد الله بن عوف الاحمرى قال بعث سليمان بن صرد الى وجوه أصحابه حين أراد الشخوص وذلك في سنة ٦٥ فأتوه فلما استهل الهلال هلال شهر ربيع الآخر خرج في وجوه أصحابه وقد كان واعد أصحابه عامة للخروج في تلك الليلة للمعسكر بالنخيلة فخرج حتى أتى عسكره فدار في الناس ووجوه أصحابه فلم يعجبه عدّة الناس فبعث حكيم بن منقذ الكندى في خيل وبعث الوليد بن غصين الكنانى في خيل وقال اذهبا حتى تدخلا الكوفة فناديا يا لثارات الحسين وابلغا المسجد الاعظم فناديا بذلك فخرجا وكانا أول خلق الله دعوا يا لثارات الحسين قال فأقبل حكيم بن منقذ الكندى في خيل والوليد بن عصين في خيل حتى مرّا ببنى كثير وان رجلا من بنى كثير من الازد يقال له عبد الله بن خازم مع امرأته سهلة بنت سبرة بن عمرو من بنى كثير وكانت من أجمل الناس وأحبهم اليه سمع الصوت يا لثارات الحسين وما هو ممن كان يأتيهم ولا استجاب لهم فوثب الى ثيابه فلبسها ودعا بسلاحه وأمر باسراج فرسه فقالت له امرأته ويحك أجننت قال لا والله ولكنى سمعت داعى الله فأنا مجيبه أنا طالب بدم هذا الرجل حتى أموت أو يقضى الله من أمرى ما هو أحب اليه فقالت له الى من تدع بنيك هذا قال الى الله وحده لا شريك له

الظهر فلما انتهى عبد الله بن يزيد وابراهيم بن محمد الى سليمان بن صرد دخلا عليه فحمد الله عبد الله بن يزيد وأثنى عليه ثم قال ان المسلم أخو المسلم لا يخونه ولا يغشّه وأنتم اخواننا وأهل بلدنا وأحبّ أهل مصرٍ خلقهُ الله الينا فلا تفجعونا بأنفسكم ولا تستبدّوا علينا برأيكم ولا تنقصوا عددنا بخروجكم من جماعتنا أقيموا معنا حتى نتيسّر ونتهيأ فاذا علمنا ان عدونا قد شارف بلدنا خرجنا اليهم بجماعتنا فقاتلناهم وتكلم ابراهيم بن محمد بنحوٍ من هذا الكلام قال فحمد الله سليمان بن صرد وأثنى عليه ثم قال لهما انى قد علمت انكما قد محضتما في النصيحة واجتهدتما في المشورة فنحن بالله وله وقد خرجنا لأمرٍ ونحن نسأل الله العزيمة على الرشد والتسديد لأصوبه ولا ترانا الا شاخصين ان شاء الله ذلك فقال عبد الله بن يزيد فأقيموا حتى نعبّي معكم جيشا كثيفا فتلقوا عدوّكم بكثفٍ وجمعٍ وحدّ فقال له سليمان تنصرفون ونرى فيما بيننا وسيأتيكم ان شاء الله رأيٌ (قال أبو مخنف) عن عبد الجبّار يعني ابن عباس الهمداني عن عوْن بن أبي جُحَيفة السُّوَائيّ قال ثم ان عبد الله بن يزيد وابراهيم بن محمد بن طلحة عرضا على سليمان أن يقيم معهما حتى يلقوا جموع أهل الشأم على أن يخصّاه وأصحابه بخراج جُوخَى خاصةً لهم دون الناس فقال لهما سليمان انَّا ليس للدنيا خرجنا وانما فعلا ذلك لما قد كان بلغهما من اقبال عبيد الله بن زياد نحوَ العراق وانصرف ابراهيم بن محمد وعبد الله بن يزيد الى الكوفة وأجمع القوم على الشخوص واستقبال ابن زياد ونظروا فاذا شيعتهم من أهل البصرة لم يوافوهم لميعادهم ولا أهل المدائن فأقبل ناسٌ من أصحابه يلومونهم فقال سليمان لا تلوموهم فاني لا أراهم الا سيُسرِعون اليكم لو قد انتهى اليهم خبركم وحينُ مسيرِكم ولا أراهم خلفهم ولا أقعدَهم الا قِلةُ النفقة وسوء العُدّة فأقيموا ليتيسّروا ويتجهزوا ويلحقوا بكم وبهم قوةٌ وما أسرع القومَ فى آثاركم قال ثم ان سليمان بن صرد قام في الناس خطيبا فحمد الله وأثنى عليه ثم قال أما بعد أيها الناس فان الله قد علم ما تنوُون وما خرجتم تطلبون وان للدنيا تجارا وللآخرة تجارا فأما تاجر الآخرة فساعٍ اليها متنصّب بتطلابها لا يشترى بها ثمنا لا يُرى الا قائما وقاعدًا وراكعًا وساجدا لا يطلب ذهبا ولا فضةً ولا دنيا ولا لذّة وأما تاجر الدنيا فمُكِبٌّ عليها راتع فيها لا يبتغى بها بدلاً فعليكم يرحمكم الله في وجهكم هذا بطول الصلاة في جوف الليل وبذكر الله كثيرًا على كل حالٍ وتقرّبوا الى الله جل ذكره بكل خيرٍ قدرتم عليه حتى تلقوا هذا العدوّ والمُحِلّ القاسط فتجاهدوه فإنكم لن تتوسلوا الى ربكم بشيء هو أعظم عنده ثوابا من الجهاد والصلاة فان الجهاد سنام العمل جعلنَا الله وإياكم من العباد الصالحين المجاهدين الصابرين على اللأواء وانا مدلجون الليلةَ من منزلنا هذا ان شاء الله فادّلجوا فادلج عشيةَ الجمعة لخمس مضين من شهر ربيع الآخر سنة ٦٥ للهجرة قال فلما خرج

أجمع سليمان بالمسير فأشار عليه عبد الله بن سعد بن نفيل أن يسير الى عبيد الله بن زياد فقال هو ورؤس أصحابه الرأى ما أشار به عبد الله بن سعد بن نفيل أن نسير الى عبيد الله بن زياد قاتل صاحبنا ومن قِبَله أُتينا فقال له عبد الله بن سعد وعنده رؤس أصحابه جلوسٌ حوله انى قد رأيت رأيا ان يكُن صوابا فالله وفّق وان يكن ليس بصواب فمِن قبلى فانى ما آلوكم ونفسى نصحًا خطأ كان أم صوابا انما خرجنا نطلب بدم الحسين وقَتَلَةُ الحسين كلهم بالكوفة منهم عمر بن سعد بن أبى وقاص ورؤس الارباع وأشراف القبائل فأنى نذهب ههنا وندع الاقتال والاوتار فقال سليمان بن صرد فماذا ترون فقالوا والله لقد جاء برأى وانّ ما ذكر لكما ذكر والله مانلقى من قتلة الحسين ان نحن مضينا نحو الشأم غير ابن زياد وما طلبتُنا الا ههنا بالمصر فقال سليمان بن صرد لكن أنا ما أرى ذلك لكم ان الذى قتل صاحبكم وعبّى الجنود اليه وقال لا أمان له عندى دون أن يستسلم فأمضِى فيه حكمى هذا الفاسق ابن الفاسق ابن مرجانة عبيد الله بن زياد فسيروا الى عدوكم على اسم الله فان يُظهركم الله عليه رجونا أن يكون من بعده أهون شوكةً منه ورجونا أن يدين لكم مَن وراءكم من أهل مصركم فى عافية فتنظرون الى كل من شرك فى دم الحسين فتقاتلونه ولا تغشموا وان تستشهدوا فانما قاتلتم المحلين وما عند الله خيرٌ للأبرار والصديقين انى لأحب أن تجعلوا حدّكم وشوكتكم بأول المحلين القاسطين والله لو قاتلتم غدا أهل مصركم ما عدم رجلٌ أن يرى رجلا قد قتل أخاه وأباه وحميمه أو رجلا لم يكن يريد قتله فاستخيروا الله وسيروا فتهيأ الناس للشخوص قال وبلغ عبد الله بن يزيد وابراهيم بن محمد بن طلحة خروجُ ابن صرد وأصحابه فنظرا فى أمرهما فرأيا أن يأتياهم فيعرضا عليهم الاقامة وأن تكون أيديهم واحدة فان أبوا الا الشخوص سألوهم النظرةَ حتى يعبوا معهم جيشا فيقاتلوا عدوهم بكنف وحدّ فبعث عبد الله بن يزيد وابراهيم بن محمد بن طلحة سويدَ بن عبد الرحمن الى سليمان بن صرد فقال له ان عبد الله وابراهيم يقولان انّا نريد أن نجيئك الآن لامر عسى الله أن يجعل لنا ولك فيه صلاحا فقال قل لهما فليأتيانا وقال سليمان لرفاعة بن شداد البجلى قم أنت فأحسن تعبية الناس فان هذين الرجلين قد بعثا بكيت وكيت فدعا رؤس أصحابه فجلسوا حوله فلم يمكثوا الا ساعة حتى جاء عبد الله بن يزيد فى أشراف أهل الكوفة والشُرط وكثير من المقاتلة وابراهيمُ بن محمد بن طلحة فى جماعة من أصحابه فقال عبد الله بن يزيد لكل رجل معروفٍ قد علم انه قد شرك فى دم الحسين لا تصحبنّى اليهم مخافة أن ينظروا اليه فيعدوا عليه وكان عمر بن سعد تلك الايام التى كان سليمان معسكرا فيها بالنخيلة لا يبيت الا فى قصر الامارة مع عبد الله بن يزيد مخافة أن يأتيه القومُ فى داره ويذمروا عليه فى بيته وهو غافلٌ لا يعلم فيقتل وقال عبد الله بن يزيد يا عمرو بن حريث ان أنا أبطأتُ عنك فصلِّ بالناس

هؤلاء الذين ذكرتم بمكانهم من نبيهم صلى الله عليه وسلم أفضل ممن هو دون نبيهم وقد قتلهم قوم نحن لهم أعداء ومنهم براء وقد خرجنا من الديار والأهلين والأموال ارادة استئصال من قتلهم فوالله لو أن القتال فيهم بمغرب الشمس أو بمنقطع التراب يحق علينا طلبه حتى ننااله فان ذلك هو الغنم وهي الشهادة التي ثوابها الجنة فقلنا له صدقت وأصبت ووفقت قال ثم إن سليمان بن صرد سار من موضع قبر الحسين وسرنا معه فأخذنا على الحصاصة ثم على الأنبار ثم على الصدود ثم على القيارة (قال أبو مخنف) عن الحارث بن حصيرة وغيره ان سليمان بعث على مقدمته كريب بن يزيد الحميري (قال أبو مخنف) حدثني الحصين بن يزيد عن السري بن كعب قال خرجنا مع رجال الحي نشيعهم فلما انتهينا الى قبر الحسين وانصرف سليمان بن صرد وأصحابه عن القبر ولزموا الطريق استقدمهم عبد الله بن عوف ابن الأحمر على فرس له مهلوب كميت مربوع يتأكل تأكلا وهو يرتجز ويقول

خرجن يلمعن بنا أرسالا * عوابسا يحملننا أبطالا
نريد أن نلقى به الأقتالا * القاسطين الغدر الضلالا
وقد رفضنا الأهل والأموالا * والخفرات البيض والحجالا
نرضي به ذا النعم المفضالا

(قال أبو مخنف) عن سعد بن مجاهد الطائي عن المحل بن حليفة الطائي ان عبد الله بن يزيد كتب الى سليمان بن صرد أحسبه قال بعثني به فلحقته بالقيارة واستقدم أصحابه حتى ظن ان قد سبقهم قال فوقف وأشار الى الناس فوقفوا عليه ثم أقرأهم كتابه فإذا فيه بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله بن يزيد الى سليمان بن صرد ومن معه من المسلمين سلام عليكم أما بعد فإن كتابي هذا اليكم كتاب ناصح ذي ارعاء وكم من ناصح مستغش وكم من غاش مستنصح محب انه بلغني انكم تريدون المسير بالعدد اليسير الى الجمع الكثير وإنه من يرد ان ينقل الجبال عن مراتبها تكل معاوله وينزع وهو مذموم العقل والفعل يا قومنا لا تطمعوا عدوكم في أهل بلادكم فإنكم خيار كلكم ومتى ما يصبكم عدوكم يعلموا انكم أعلام مصركم فيطمعهم ذلك فيمن وراءكم يا قومنا انهم ان يظهروا عليكم يرجموكم أو يعيدوكم في ملتهم ولن تفلحوا اذا أبدا يا قوم ان أيدينا وأيديكم اليوم واحدة وان عدونا وعدوكم واحد ومتى تجتمع كلمتنا نظهر على عدونا ومتى تختلف تهن شوكتنا على من خالفنا يا قومنا لا تستغشوا نصحي ولا تخالفوا أمري وأقبلوا حين يقرأ عليكم كتابي أقبل الله بكم الى طاعته وأدبر بكم عن معصيته والسلام قال فلما قرئ الكتاب على ابن صرد وأصحابه قال للناس ما ترون قالوا ماذا ترى قد أبينا هذا عليكم وعليهم ونحن في مصرنا وأهلنا فالآن حين خرجنا ووطنا أنفسنا على الجهاد ودنونا من أرض عدونا ما هذا برأي ثم نادوه

سليمان وأصحابه من النخيلة دعا سليمان بن صرد حكيم بن منقذ فنادى فى الناس ألا لا يبيتنّ رجل منكم دون دير الأعور فبات الناس بدير الأعور وتخلف عنه ناس كثير ثم سار حتى نزل الأقساس أقساس مالك على شاطئ الفرات فعرض الناس فسقط منهم نحو من ألف رجل فقال ابن صرد ما أحبّ أن من تخلف عنكم معكم ولو خرجوا معكم ما زادوكم إلا خبالا ان الله عز وجل كره انبعاثهم فثبطهم وخصّكم بفضل ذلك فاحمدوا ربكم ثم خرج من منزله ذلك دلجة فصبّحوا قبر الحسين فأقاموا به ليلة ويوما يصلون عليه ويستغفرون له قال فلما انتهى الناس الى قبر الحسين صاحوا صيحة واحدة وبكوا فما رئى يوم كان أكثر باكيا منه (قال أبو مخنف) وقد حدّث عبد الرحمن بن جندب عن عبد الرحمن بن غزيّة قال لما انتهينا الى قبر الحسين عليه السلام بكى الناس بأجمعهم وسمعت جلّ الناس يتمنّون انهم كانوا أصيبوا معه فقال سليمان اللهمّ ارحم حسينا الشهيد بن الشهيد المهدىّ بن المهدىّ الصدّيق بن الصدّيق اللهم انا نشهدك أنا على دينهم وسبيلهم وأعداء قاتليهم وأولياء محبّيهم ثم انصرف ونزل ونزل أصحابه (قال أبو مخنف) حدثنا الأعمش قال حدثنا سلمة بن كهيل عن أبى صادق قال لما انتهى سليمان بن صرد وأصحابه الى قبر الحسين نادوا صيحة واحدة يا ربّ انا قد خذلنا ابن بنت نبينا فاغفر لنا ما مضى منا وتب علينا انك أنت التواب الرحيم وارحم حسينا وأصحابه الشهداء الصدّيقين وإنا نشهدك يا رب أنا على مثل ما قتلوا عليه فان لم تغفر لنا وترحمنا لنكوننّ من الخاسرين قال فأقاموا عنده يوما وليلة يصلون عليه ويبكون ويتضرّعون فما انفكّ الناس من يومهم ذلك يترحمون عليه وعلى أصحابه حتى صلوا الغداة من الغد عند قبره وزادهم ذلك حنقا ثم ركبوا فأمر سليمان الناس بالمسير فجعل الرجل لا يمضى حتى يأتى قبر الحسين فيقوم عليه فيترحم عليه ويستغفر له قال فوالله لرأيتهم ازدحموا على قبره أكثر من ازدحام الناس على الحجر الأسود قال ووقف سليمان عند قبره فكلما دعا له قوم وترحموا عليه قال لهم المسيّب بن نجبة وسليمان بن صرد الحقوا باخوانكم رحمكم الله فما زال كذلك حتى بقى نحو من ثلاثين من أصحابه فأحاط سليمان بالقبر هو وأصحابه فقال سليمان الحمد لله الذى لو شاء أكرمنا بالشهادة مع الحسين اللهمّ اذ حرمتناها معه فلا تحرمناها فيه بعده وقال عبد الله بن وال أمَ والله انى لأظنّ حسينا وأباه وأخاه أفضل أمة محمد صلى الله عليه وسلم وسيلة عند الله يوم القيامة أفما عجبتم لما ابتليت به هذه الأمة منهم انهم قتلوا اثنين وأشفوا بالثالث على القتل قال يقول المسيب بن نجبة وأنا من قتلتهم ومن كان على رأيهم برئ اياهم أعادى وأقاتل قال فأحسن الرؤس كلهم المنطق وكان المثنّى بن مخرّبة صاحب أحد الرؤس والأشراف فساءنى حيث لم أسمعه تكلم مع القوم بنحو ما تكلموا به قال فوالله ما لبث ان تكلم بكلمات ما كنّ بدون كلام أحد من القوم فقال ان الله جعل

نغلق أبواب هذه المدينة الا لنعلم إيانا اعتريتم أم غيرنا أما والله ما بنا عجز عن الناس ما لم تدهمنا حيلة وما نحب أنا بلينا بقتالكم وقد بلغنا عنكم صلاح وسيرة حسنة جميلة ثم دعا ابنه فأمره أن يضع لهم سوقا وأمر للمسيب بألف درهم وفرس فقال له المسيب أما المال فلا حاجة لى فيه والله ما له خرجنا ولا اياه طلبنا وأما الفرس فإنى أقبله لعلى أحتاج اليه إن ظلع فرسى أو غمز تحتى فخرج به حتى أتى أصحابه وأخرجت لهم السوق فتسوقوا وبعث زفر ابن الحارث الى المسيب بن نجبة بعد اخراج الأسواق والأعلاف والطعام الكثير بعشرين جزورا وبعث الى سليمان بن صرد مثل ذلك وقد كان زفر أمر ابنه ان يسأل عن وجوه أهل العسكر فسمى له عبد الله بن سعد بن نفيل وعبد الله بن وال ورفاعة بن شداد وسمى له أمراء الأرباع فبعث الى هؤلاء الرؤس الثلاثة بعشر جزائر عشر جزائر وعلف كثير وطعام وأخرج للعسكر عيرا عظيمة وشعيرا كثيرا فقال غلمان زفر هذه عير فاجتزروا منها ما أحببتم وهذا شعير فاحتملوا منه ما أردتم وهذا دقيق فتزودوا منه ما أطقتم فظل القوم يومهم ذلك مخصبين لم يحتاجوا الى شرى شىء من هذه الأسواق التى وضعت وقد كفوا اللحم والدقيق والشعير إلا أن يشترى الرجل ثوبا أو سوطا ثم ارتحلوا من الغد وبعث اليهم زفر انى خارج اليكم فشيعكم فأتاهم وقد خرجوا على تعبية حسنة فسايرهم فقال زفر لسليمان انه قد بعث خمسة أمراء قد فصلوا من الرقة فيهم الحصين بن نمير السكونى وشرحبيل بن ذى الكلاع وأدهم بن محرز الباهلى وأبو مالك بن أدهم وربيعة بن المخارق الغنوى وجبلة ابن عبد الله الخثعمى وقد جاؤكم فى مثل الشوك والشجر أتاكم عدد كثير وحد حديد وايم الله لقل ما رأيت رجالا هم أحسن هيئة ولا عدة ولا أخلق لكل خير من رجال أراهم معك ولكنه قد بلغنى انه قد أقبلت اليكم عدة لا تحصى فقال ابن صرد على الله توكلنا وعليه فليتوكل المتوكلون * ثم قال له زفر فهل لكم فى أمر أعرضه عليكم لعل الله أن يجعل لنا ولكم فيه خيرا ان شئتم فتحنا لكم مدينتنا فدخلتموها فكان أمرنا واحدا وأيدينا واحدة وان شئتم نزلتم على باب مدينتنا وخرجنا فعسكرنا الى جانبكم فاذا جاءنا هذا العدو قاتلناهم جميعا فقال سليمان لزفر قد أرادنا أهل مصرنا على مثل ما أردتنا عليه وذكروا مثل الذى ذكرت وكتبوا الينا به بعد ما فصلنا فلم يوافقنا ذلك فلسنا فاعلين فقال زفر فانظروا ما أشير به عليكم فاقبلوه وخذوا به فإنى للقوم عدو وأحب أن يجعل الله عليهم الدائرة وأنا لكم واد أحب أن يحوطكم الله بالعافية ان القوم قد فصلوا من الرقة فبادروهم الى عين الوردة فاجعلوا المدينة فى ظهوركم ويكون الرستاق والماء والمادة فى أيديكم وما بين مدينتنا ومدينتكم فأنتم له آمنون والله لو أن خيولى كرجالى لأمددتكم اطووا المنازل الساعة الى عين الوردة فان القوم يسيرون سير العساكر وأنتم على خيول والله لقل ما رأيت

ان أخبرنا برأيك قال رأيي والله انكم لم تكونوا قط أقرب من احدى الحسنيين منكم يومكم هذا الشهادة والفتح ولا أرى أن تنصرفوا عما جمعكم الله عليه من الحق وأردتم به من الفضل انا وهؤلاء مختلفون ان هؤلاء لو ظهروا دعونا الى الجهاد مع ابن الزبير ولا أرى الجهاد مع ابن الزبير إلا ضلالا وانا ان نحن ظهرنا رددنا هذا الأمر الى أهله وإن أصبنا فعلى نياتنا تائبين من ذنوبنا ان لنا شكلا وإن لابن الزبير شكلا انا وإياهم كما قال أخو بني كنانة

أرى لك شكلا غير شكلي فأقصري * عن اللوم اذ بدلت واختلف الشكل

قال فانصرف الناس معه حتى نزل هيت فكتب سليمان بسم الله الرحمن الرحيم للأمير عبد الله بن يزيد من سليمان بن صرد ومن معه من المؤمنين سلام عليك أما بعد فقد قرأنا كتابك وفهمنا ما نويت فنعم والله الوالي ونعم الأمير ونعم أخو العشيرة أنت والله من نأمنه بالغيب ونستنصحه في المشورة ونحمده على كل حال انا سمعنا الله عز وجل يقول في كتابه إِنَّ اللهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ الى قوله وبشر المؤمنين ان القوم قد استبشروا ببيعتهم التي بايعوا انهم قد تابوا من عظيم جرمهم وقد توجهوا الى الله وتوكلوا عليه ورضوا بما قضى الله ربنا عليك توكلنا واليك أنبنا واليك المصير والسلام عليك فلما أتاه هذا الكتاب قال استمات القوم أول خبر يأتيكم عنهم قتلهم وايم الله ليقتلن كراما مسلمين ولا والذي هو ربهم لا يقتلهم عدوهم حتى تشتد شوكتهم وتكثر القتلى فيما بينهم (قال أبو مخنف) فحدثني يوسف بن يزيد عن عبد الله بن عوف بن الاحمر وعبد الرحمن بن جندب عن عبد الرحمن بن غزية قال خرجنا من هيت حتى انتهينا الى قرقيسيا فلما دنونا منها وقف سليمان بن صرد فعبانا تعبية حسنة حتى مررنا بجانب قرقيسيا فنزلنا قريبا منها وبها زفر بن الحارث الكلابي قد تحصن بها من القوم ولم يخرج اليهم فبعث سليمان المسيب بن نجبة فقال ائت ابن عمك هذا فقل له فليخرج الينا سوقا فانا لسنا اياه نريد انما صمدنا لهؤلاء المحلين فخرج المسيب بن نجبة حتى انتهى الى باب قرقيسيا فقال افتحوا ممن تحصنون فقالوا من أنت قال انا المسيب بن نجبة فأتى الهذيل بن زفر أباه فقال هذا رجل حسن الهيئة يستأذن عليك وسألناه من هو فقال المسيب بن نجبة قال وأنا اذ ذاك لا علم لي بالناس ولا أعلم أي الناس هو فقال لي أبي أما تدري أي بني من هذا هذا فارس مضر الحمراء كلها وإذا عد من أشرافها عشرة كان أحدهم وهو بعد رجل ناسك له دين ائذن له فأذنت له فأجلسه أبي الى جانبه وسائله وألطفه في المسألة فقال المسيب بن نجبة ممن تحصن انا والله ما اياكم نريد وما اعترينا الى شيء الا أن تعيننا على هؤلاء القوم الظلمة المحلين فأخرج لنا سوقا فانا لا نقيم بساحتكم الا يوما أو بعض يوم فقال له زفر بن الحارث انا لم

فشُن فيهم الغارة فإذا رأيت ما تحبّه والا انصرفت الىّ فى أصحابك وإيّاك أن تنزل أو تدع أحدا من أصحابك أن ينزل أو يستقبل آخر ذلك حتى لا تجد منه بدًّا (قال أبو مخنف) فحدّثنى أبى عن حُمَيْد بن مسلم انه قال أشهد أنى في خيل المسيب بن نجبة تلك اذ أقبلنا نسير آخر يومنا كله وليلتنا حتى اذا كان فى آخر السحر نزلنا فعلقنا على دوابنا مخاليها ثم هوّمنا تهويمةً بمقدار تكون مقدار قضمها ثم ركبناها حتى اذا انبلج لنا الصبح نزلنا فصلّينا ثم ركب فركبنا فبعث أبا الجُوَيْرية العبدى بن الاحمر في مائة من أصحابه وعبد الله بن عوف بن الأحمر فى مائة وعشرين وحنش بن ربيعة أبا المعتمر الكنانىّ فى مثلها وبقى هو فى مائة ثم قال انظروا أوّل من تلقون فأتونى به فكان أوّل مَن لقينا اعرابىّ يطرُد أحمرة وهو يقول

يامالِ لا تعجل الى صَحْبى * وَاسرَحْ فإنّك آمِنُ السِرْبِ

قال يقول عبد الله بن عوف بن الأحمر يا حُمَيْد بن مُسلم أبشر بشرى ورب الكعبة فقال له ابن عوف بن الأحمر ممن أنت يا اعرابىّ قال أنا من بنى تغلب قال غلبتم ورب الكعبة ان شاء الله فانتهى الينا المسيب بن نجبة فأخبرناه بالذى سمعنا من الأعرابىّ وأتيناه به فقال المسيب ابن نجبة أما لقد سُررت بقولك أبشر وبقولك يا حميد بن مسلم وانى لأرجو ان تبشروا بما يسرّكم وانما سرّكم أن تحمدوا أمركم وأن تسلموا من عدوّكم وان هذا الفأل هو الفأل الحسن وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعجبه الفأل ثم قال المسيب بن نجبة للأعرابىّ كم بيننا وبين أدنى هؤلاء القوم منا قال أدنى عسكرٍ من عساكرهم منك عسكرُ ابن ذى الكلاع وكان بينه وبين الحصين اختلافٌ ادّعى الحصين انه على جماعة الناس وقال ابن ذى الكلاع ما كنتَ لتولى علىّ وقد تكاتبا الى عبيد الله بن زياد فهما ينتظران أمره فهذا عسكر ابن ذى الكلاع منكم على رأس ميل قال فتركنا الرجل فخرجنا نحوَهم مُسرعين فوالله ماشعروا حتى أشرفنا عليهم وهم غارّون فحملنا فى جانب عسكرهم فوالله ما قاتلوا كثيرَ قتالٍ حتى انهزموا فأصبنا منهم رجالا وجرحنا فيهم فأكثرنا الجراح وأصبنا لهم دوابّ وخرجوا عن عسكرهم وخلّوْه لنا فأخذنا منه ما خف علينا فصاح المسيب فينا الرجعة انكم قد نُصرتم وغنمتم وسلِمتم فانصرفوا فانصرفنا حتى أتينا سليمانَ قال فأتى الخبر عبيد الله بن زياد فسرّح الينا الحصين بن نمير مسرعا حتى نزل فى اثنى عشر ألفًا فخرجنا اليهم يومَ الأربعاء لثمان بقين من جمادى الأولى فجعل سليمان بن صرد عبد الله بن سعد بن نفيل على ميمنته وعلى ميسرته المسيب بن نجبة ووقف هو فى القلب وجاء حصين بن نمير وقد عبّأ لنا جُنده فجعل على ميمنته جبلة بن عبد الله وعلى ميسرته ربيعة بن المخارق الغنوىّ ثم زحفوا الينا فلما دَنَوْا دَعَوْنا الى الجماعة على عبد الملك بن مروان والى الدخول في طاعته ودعوناهم

جماعة خيل قط أكرم منها فتأهبوا لهم من يومكم هذا فإني أرجو ان تسبقوهم اليها وان بدرتموهم الى عين الوردة فلا تقاتلوهم في فضاء ترامونهم وتطاعنونهم فانهم أكثر منكم فلا آمن أن يحيطوا بكم فلا تقفوا لهم ترامونهم وتطاعنونهم فإنه ليس لكم مثل عددهم فإن استهدفتم لهم لم يلبثوكم أن يصرعوكم ولا تصفوا لهم حين تلقونهم فانى لا أرى معكم رجالة ولا أراكم كلكم الا فرسانا والقوم لاقوكم بالرجال والفرسان فالفرسان تحمى رجالها والرجال تحمى فرسانها وأنتم ليس لكم رجال تحمى فرسانكم فالقوهم فى الكتائب والمقانب ثم بثوها ما بين ميمنتهم وميسرتهم واجعلوا مع كل كتيبة كتيبة الى جانبها فان حمل على احدى الكتيبتين ترجلت الأخرى فنفست عنها الخيل والرجال ومتى ما شاءت كتيبة ارتفعت ومتى ما شاءت كتيبة انحطت ولو كنتم فى صف واحد فزحفت اليكم الرجال فدفعتم عن الصف انتقض وكانت الهزيمة ثم وقف فودعهم وسأل الله أن يصحبهم وينصرهم فأثنى الناس عليه ودعوا له فقال له سليمان بن صرد نعم المنزول به أنت أكرمت النزول وأحسنت الضيافة ونصحت فى المشورة ثم إن القوم جدوا في المسير فجعلوا يجعلون كل مرحلتين مرحلة قال فمررنا بالمدن حتى بلغنا ساعا ثم ان سليمان بن صرد عبى الكتائب كما أمره زفر ثم أقبل حتى انتهى الى عين الوردة فنزل في غربيها وسبق القوم اليها فعسكروا وأقاموا بها خمسا لا يبرح واستراحوا واطمأنوا وأراحوا خيلهم (قال هشام) قال أبو مخنف عن عطية بن الحارث عن عبد الله بن غزية قال أقبل أهل الشأم فى عساكرهم حتى كانوا من عين الورده على مسيرة يوم وليلة قال عبد الله بن غزية فقام فينا سليمان فحمد الله فأطال وأثنى عليه فأطنب ثم ذكر السماء والأرض والجبال والبحار وما فيهن من الآيات وذكر آلاء الله ونعمه وذكر الدنيا فزهد فيها وذكر الآخرة فرغب فيها فذكر من هذا ما لم أحصه ولم أقدر على حفظه ثم قال أما بعد فقد أتاكم الله بعدوكم الذى دأبتم فى المسير اليه آناء الليل والنهار تريدون فيما تظهرون التوبة النصوح ولقاء الله معذرين فقد جاؤكم بل جئتموهم أنتم فى دارهم وحيزهم فإذا لقيتموهم فاصدقوهم واصبروا ان الله مع الصابرين ولا يولينهم امرؤ دبره الا متحرفا لقتال أو متحيزا الى فئة لا تقتلوا مدبرا ولا تجهزوا على جريح ولا تقتلوا أسيرا من أهل دعوتكم الا أن يقاتلكم بعد ان تأسروه أو يكون من قتلة اخواننا بالطف رحمة الله عليهم فإن هذه كانت سيرة أمير المؤمنين على بن أبى طالب فى أهل هذه الدعوة ثم قال سليمان إن أنا قتلت فأمير الناس المسيب بن نجبة فإن أصيب المسيب فأمير الناس عبد الله بن سعد بن نفيل فإن قتل عبد الله بن سعد فأمير الناس عبد الله بن وال فان قتل عبد الله بن وال فأمير الناس رفاعة بن شداد رحم الله امرأ صدق ما عاهد الله عليه ثم بعث المسيب بن نجبة في أربعمائة فارس ثم قال سر حتى تلقى أول عسكر من عساكرهم

فشن

بالمدائن وهو مع شبيب بن يزيد الخارجي فجرى الحديث حتى ذكرنا أهل عين الوردة * قال هشام عن أبي مخنف قال حدثنا هذا الشيخ عن المسيب بن نجبة قال والله ما رأيت أشجع منه انسانا قط ولا من العصابة التي كان فيهم ولقد رأيته يوم عين الوردة يقاتل قتالا شديدا ما ظننت ان رجلا واحدا يقدر ان يبلي مثل ما أبلى ولا ينكأ في عدوه مثل ما نكأ لقد قتل رجالا قال وسمعته يقول قبل أن يقتل وهو يقاتلهم

قد علمت ميالة الذوائب * واضحة اللبات والترائب

أني غداة الروع والتغالب * أشجع من ذي لبد مواثب

قطاع أقران مخوف الجانب

قال أبو مخنف حدثني أبي وخالي عن حميد بن مسلم وعبد الله بن غزية قال أبو مخنف وحدثني يوسف بن يزيد عن عبد الله بن عوف قال لما قتل المسيب بن نجبة أخذ الراية عبد الله بن سعد بن نفيل ثم قال رحمه الله أخوي منهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا وأقبل بمن كان معه من الأزد فحفوا برايته فوالله انا لكذلك اذ جاءنا فرسان ثلاثة عبد الله ابن الخضل الطائي وكثير بن عمرو والمزني وسعر بن أبي سعر الحنفي كانوا خرجوا مع سعد ابن حذيفة بن اليمان في سبعين ومائة من أهل المدائن فسرحهم يوم خرج في آثارنا على خيول مقلمة مقدحة فقال لهم اطووا المنازل حتى تلحقوا باخواننا فتبشروهم بخروجنا اليهم لتشتد بذلك ظهورهم وتخبروهم بمجيء أهل البصرة أيضا كان المثنى بن مخربة العبدي أقبل في ثلاثمائة من أهل البصرة فجاء حتى نزل مدينة بهرسير بعد خروج سعد ابن حذيفة من المدائن لخمس ليال وكان خروجه من البصرة قبل ذلك قد بلغ سعد بن حذيفة قبل أن يخرج من المدائن فلما انتهوا الينا قالوا ابشروا فقد جاءكم اخوانكم من أهل المدائن وأهل البصرة فقال عبد الله بن سعد بن نفيل ذلك لو جاؤنا ونحن أحياء قال فنظروا الينا فلما رأوا مصارع اخوانهم وما بنا من الجراح بكى القوم وقالوا وقد بلغ منكم ما نرى انا لله وإنا اليه راجعون قال فنظروا والله الى ما ساء أعينهم فقال لهم عبد الله بن نفيل انا لهذا خرجنا ثم اقتتلنا فما اضطربنا الا ساعة حتى قتل المزني وطعن الحنفي فوقع بين القتلى ثم ارتث بعد ذلك فنجا وطعن الطائي فجزم أنفه فقاتل قتالا شديدا وكان فارسا شاعرا فأخذ يقول

قد علمت ذات القوام الرود * أن لست بالواني ولا الرعديد

يوما ولا بالفرق الحيود

قال فحمل علينا ربيعة بن المخارق حملة منكرة فاقتتلنا قتالا شديدا ثم انه اختلف هو

الى أن يدفعوا الينا عبيد الله بن زياد فنقتله ببعض من قتل من اخواننا وان يخلعوا عبد الملك بن مروان والى أن يخرج من بلادنا من آل ابن الزبير ثم نرد هذا الأمر الى أهل بيت نبينا الذين آتانا الله من قبلهم بالنعمة والكرامة فأبى القوم وأبينا قال حميد بن مسلم فحملت ميمنتنا على ميسرتهم وهزمتهم وحملت ميسرتنا على ميمنتهم وحمل سليمان في القلب على جماعتهم فهزمناهم حتى اضطررناهم الى عسكرهم فما زال الظفر لنا عليهم حتى حجز الليل بيننا وبينهم ثم انصرفنا عنهم وقد أحجزناهم في عسكرهم فلما كان الغد صبحهم ابن ذي الكلاع في ثمانية آلاف أمدهم بهم عبيد الله بن زياد وبعث اليه يشتمه ويقع فيه ويقول انما عملت عمل الأغمار تضيع عسكرك ومسالحك سر الى الحصين بن نمير حتى توافيه وهو على الناس فجاءه فغدوا علينا وغاديناهم فقاتلناهم قتالا لم ير الشيب والمرد مثله قط يومنا كله لا يحجز بيننا وبين القتال الا الصلاة حتى أمسينا فتحاجزنا وقد والله أكثروا فينا الجراح وأفشيناها فيهم قال وكان فينا قصاص ثلاثة رفاعة بن شداد البجلي وصحير بن حذيفة بن هلال بن مالك المزني وأبو الجويرية العبدي فكان رفاعة يقص ويحضض الناس في الميمنة لا يبرحها وجرح أبو الجويرية اليوم الثاني في أول النهار فلزم الرحال وكان صحير ليلته كلها يدور فينا ويقول ابشروا عباد الله بكرامة الله ورضوانه فحق والله لمن ليس بينه وبين لقاء الأحبة ودخول الجنة والراحة من ابرام الدنيا واذاها الا فراق هذه النفس الأمارة بالسوء أن يكون بفراقها سخيا وبلقاء ربه مسرورا فمكثنا كذلك حتى أصبحنا وأصبح ابن نمير وأدهم بن محرز الباهلي في نحو من عشرة آلاف فخرجوا الينا فاقتتلنا اليوم الثالث يوم الجمعة قتالا شديدا الى ارتفاع الضحى ثم ان أهل الشام كثروا وتعطفوا علينا من كل جانب ورأى سليمان بن صرد ما لقي أصحابه فنزل فنادى عباد الله من أراد البكور الى ربه والتوبة من ذنبه والوفاء بعهده فالي ثم كسر جفن سيفه ونزل معه ناس كثير فكسروا جفون سيوفهم ومشوا معه وانزوت خيلهم حتى اختلطت مع الرجال فقاتلوهم حتى نزلت الرجال تشتد مصلتة بالسيوف وقد كسروا الجفون فحمل الفرسان على الخيل ولا يثبتون فقاتلوهم وقتلوا من أهل الشام مقتلة عظيمة وجرحوا فيهم فأكثروا الجراح فلما رأى الحصين بن نمير صبر القوم وبأسهم بعث الرجال ترميهم بالنبل واكتنفتهم الخيل والرجال فقتل سليمان بن صرد رحمه الله رماه يزيد بن الحصين بسهم فوقع ثم وثب ثم وقع قال فلما قتل سليمان بن صرد أخذ الراية المسيب بن نجبة وقال لسليمان بن صرد رحمك الله يا أخي فقد صدقت ووفيت بما عليك وبقي ما علينا ثم أخذ الراية فشد بها فقاتل ساعة ثم رجع ثم شد بها فقاتل ثم رجع ففعل ذلك مرارا يشد ثم يرجع ثم قتل رحمه الله (قال أبو مخنف) وحدثنا فروة بن لقيط عن مولى للمسيب بن نجبة الفزاري قال لقيته

قتيلا الى جنبه ونحن نرى أنه رفاعة بن شداد البجلي فقال رجل من بني كنانة يقال له الوليد
ابن غضين امسك رايتك قال لا أريدها فقلت له انا لله مالك فقال ارجعوا بنا لعل الله يجمعنا
ليوم شر لهم فوثب عبد الله بن عوف بن الاحمر اليه فقال أهلكتنا والله لئن انصرفت ليركبن
أكتافنا فلا نبلغ فرسخا حتى نهلك من عند آخرنا فان نجا منا ناج أخذه الأعراب وأهل
القرى فتقربوا اليهم به فيقتل صبرا أنشدك الله أن تفعل هذه الشمس قد طفلت للغيب
وهذا الليل قد غشينا فنقاتلهم على خيلنا هذه فانا الآن ممتنعون فإذا غسق الليل
ركبنا خيولنا أول الليل فرمينا بها فكان ذلك الشأن حتى نصبح ونسير ونحن على
مَهَل فيحمل الرجل منا جريحه وينتظر صاحبه وتسير العشرة والعشرون معا ويعرف الناس
الوجه الذي يأخذون فيه فيتبع فيه بعضهم بعضا ولو كان الذي ذكرت لم تقف أمٌّ على ولدها ولم
يعرف رجل وجهه ولا أين يسقط ولا أين يذهب ولم نصبح الا ونحن بين مقتول ومأسور
فقال له رفاعة بن شداد فانك نعم ما رأيت قال ثم أقبل رفاعة على الكناني فقال له أتمسكها
أم آخذها منك فقال له الكناني اني لا أريد ما تريد اني أريد لقاء ربي واللحاق بإخواني
والخروج من الدنيا الى الآخرة وأنت تريد ورق الدنيا وتهوى البقاء وتكره فراق الدنيا
أمَ والله اني لأحب لك أن ترشد ثم دفع اليه الراية وذهب ليستقدم فقال له ابن أحمر قاتل معنا
ساعة رحمك الله ولا تلق بيدك الى التهلكة فما زال به يناشده حتى احتبس عليه وأخذ أهل
الشام يتنادون ان الله قد أهلكهم فاقدموا عليهم فافرغوا منهم قبل الليل فاخذوا يقدمون
عليهم فيقدمون على شوكة شديدة ويقاتلون فرسانا شجعانا ليس فيهم سقط رجل وليسوا
لهم معجزين فيتمكنوا منهم فقاتلوهم حتى المساء قتالا شديدا وقتل الكناني قبل المساء
وخرج عبد الله بن عزير الكندي ومعه ابنه محمد غلام صغير فقال يا أهل الشأم هل فيكم
أحد من كندة فخرج اليهم منهم رجال فقالوا نعم نحن هؤلاء فقال لهم دونكم أخيكم فابعثوا به
الى قومكم الكوفة فأنا عبد الله بن عزيز الكندي فقالوا له أنت ابن عمنا فانك آمن فقال لهم
والله لا أرغب عن مصارع اخواني الذين كانوا للبلاد نورا وللارض أوتادا وبمثلهم كان الله
يذكر قال فأخذ ابنه يبكي في أثر أبيه فقال يا بني لو أن شيأ كان آثر عندي من طاعة ربي اذا
لكنت أنت وناشده قومه الشأميون لما رأوا من جزع ابنه وبكاءه في أثره وأروا الشأميون له
ولابنه رقة شديدةً حتى جزعوا وبكوا ثم اعتزل الجانب الذي خرج اليه منه قومه فشدّ على
صفّهم عند المساء فقاتل حتى قتل (قال أبو مخنف) حدثني فضيل بن خديج قال حدثني مسلم بن
زحر الخولانيّ ان كريب بن يزيد الحميري مشى اليهم عند المساء ومعه راية بلقاء في جماعة قلما
تنقص من مائة رجل ان نقصت وقد كانوا تحدثوا بما يريد رفاعة أن يصنع اذا أمسى فقال لهم
الحميري وجمع اليه رجالا من حمير وهمدان فقال عباد الله رُوحوا الى ربكم والله ما في شيء من

وعبد الله بن سعد بن نفيل ضربتين فلم يصنع سيفاهما شيأ واعتنق كل واحد منهما صاحبه فوقعا الى الأرض ثم قاما فاضطربا ويحمل ابن أخي ربيعة بن المخارق على عبد الله بن سعد فطعنه في ثُغرة نحره فقتله ويحمل عبد الله بن عوف بن الأحمر على ربيعة بن المخارق فطعنه فصرعه فلم يصب مَقتلا فقام فكر عليه الثانية فطعنه أصحاب ربيعة فصرعوه ثم ان أصحابه استنقذوه وقال خالد بن سعد بن نفيل أروني قاتل أخي فأريناه ابن أخي ربيعة بن المخارق فحمل عليه فقنّعه بالسيف واعتنقه الآخر فخر الى الارض فحمل أصحابه وحملنا وكانوا أكثر منا فاستنقذوا صاحبهم وقتلوا صاحبنا وبقيت الراية ليس عندها أحد قال فنادينا عبد الله ابن وال بعد قتلهم فرساننا فاذا هو قد استلحم في عصابة معه الى جانبنا فحمل عليه رفاعة بن شداد فكشفهم عنه ثم أقبل الى رايته وقد أمسكها عبد الله بن خازم الكندي فقال لابن وال امسك عني رايتك قال امسكها عني رحمك الله فاني بي مثل حالك فقال له امسك عني رايتك فاني أريد أن أجاهد قال فان هذا الذي أنت فيه جهاد وأجر قال فصحنا يا أبا عزة أطع أميرك يرحمك الله قال فأمسكها قليلا ثم ان ابن وال أخذها منه (قال أبو مخنف) قال أبو الصلت التيمي الاعور حدثني شيخ للحي كان معه يومئذ قال قال لنا ابن وال من أراد الحياة التي ليس بعدها موتٌ والراحة التي ليس بعدها نصبٌ والسرور الذي ليس بعده حزنٌ فليتقرب الى ربه بجهاد هؤلاء المحلين والرواحَ الى الجنة رحمكم الله وذلك عند العصر فشد عليهم وشددنا معه فأصبنا والله منهم رجالا وكشفناهم طويلا ثم انهم بعد ذلك تعطفوا علينا من كل جانب فحازونا حتى بلغوا بنا المكان الذي كنا فيه وكنا بمكان لا يقدرون أن يأتونا فيه الا من وجهٍ واحد وولي قتالنا عند المساء أدهم بن محرز الباهلي فشدّ علينا في خيله ورجاله فقُتل عبد الله بن وال التيمي (قال أبو مخنف) عن فروة بن لقيط قال سمعت أدهم بن محرز الباهلي في امارة الحجاج بن يوسف وهو يحدث ناسا من أهل الشأم قال دفعت الى أحد أمراء العراق رجل منهم يقولون له عبد الله بن وال وهو يقول لا تحسبنّ الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون فرحين الآيات الثلاث قال فغاظني فقلت في نفسي هؤلاء يعدوننا بمنزلة أهل الشرك يرون أن مَن قتلنا منهم كان شهيدا فحملت عليه فأضرب يده اليسرى فأطننتها وتنحّيت قريبا فقلت له أما اني أراك وددت انك في أهلك فقال بئسما رأيت أم والله ما أحب انها يدك الآن الا أن يكون لي فيها من الاجر مثل ما في يدي قال فقلت له لم قال لكيما يجعل الله عليك وزرها ويعظم لي أجرها قال فغاظني فجمعت خيلي ورجالي ثم حملنا عليه وعلى أصحابه فدفعت اليه فطعنته فقتلته وانه لمقبل الي ما يزول فزعموا بعد انه كان من فقهاء أهل العراق الذين كانوا يكثرون الصوم والصلاة ويفتون الناس (قال أبو مخنف) وحدثني الثقة عن حميد بن مسلم وعبد الله بن غزية قال لما هلك عبد الله بن وال نظرنا فاذا عبد الله بن خازم

قتيلا

وقيل حمّ وأمرٌ رجونا لها أنا لها لا تكذبنّ أنا لها (قال أبو مخنف) حدثنا الحصين بن يزيد عن أبان بن الوليد قال كتب المختار وهو في السجن إلى رفاعة بن شداد حين قدم من عين الوردة أما بعد فمرحبا بالعصب الذين عظّم الله لهم الأجر حين انصرفوا ورضي انصرافهم حين قفلوا أما ورب البنية التي بنا ما خطا خاط منكم خطوةً ولا رتا رتوةً إلا كان ثواب الله له أعظم من ملك الدنيا إن سليمان قد قضى ما عليه وتوفاه الله فجعل روحه مع أرواح الأنبياء والصديقين والشهداء والصالحين ولم يكن بصاحبكم الذي به تُنصرون إني أنا الأمير المأمور والأمين المأمون وأمير الجيش وقاتل الجبارين والمنتقم من أعداء الدين والمقيد من الأوتار فأعدّوا واستعدّوا وأبشروا واستبشروا أدعوكم إلى كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وإلى الطلب بدماء أهل البيت والدفع عن الضعفاء وجهاد المحلين والسلام (قال أبو مخنف) وحدثني أبو زهير العبسي أن الناس تحدثوا بهذا من أمر المختار فبلغ ذلك عبد الله بن يزيد وإبراهيم بن محمد فخرجا في الناس حتى أتيا المختار فأخذاه (قال أبو مخنف) حدثني سليمان بن أبي راشد عن حميد بن مسلم قال لما هممنا بالانصراف قال عبد الله بن غزيّة ووقف على القتلى فقال يرحمكم الله فقد صدقتم وصبرتم وكذبنا وفررنا قال فلما سرنا وأصبحنا إذا عبد الله بن غزية في نحو من عشرين قد أرادوا الرجوع إلى العدو والاستقتال فجاء رفاعة وعبد الله بن عوف بن الأحمر وجماعة الناس فقالوا لهم ننشدكم الله أن تردونا فلولا ونقصانا فإنا لا نزال بخير ما كان فينا أمثالكم من ذوي البأس فلم يزالوا بهم كذلك يناشدونهم حتى ردّوهم غير رجل من مزينة يقال له عبيدة بن سفيان رحل مع الناس حتى إذا غفل عنه انصرف حتى لقي أهل الشام فشدّ بسيفه يضاربهم حتى قتل (قال أبو مخنف) فحدثني الحصين بن يزيد الأزدي عن حميد بن مسلم الأزدي قال كان ذلك المزني صديقا لي فلما ذهب لينصرف ناشدته الله فقال أما إنك لم تكن لتسألني شيئا من الدنيا إلا رأيت لك من الحق عليّ إيتاءكه وهذا الذي تسألني أريد الله به قال ففارقني حتى لقي القوم فقتل قال فوالله ما كان شيء أحبّ إليّ من أن ألقى إنسانا يحدثني عنه كيف صنع حين لقي القوم قال فلقيت عبد الملك بن جزء بن الحدرجان الأزدي بمكة فجرى حديث بيننا جرى ذكر ذلك اليوم فقال أعجب ما رأيت يوم عين الوردة بعد هلاك القوم أن رجلا أقبل حتى شدّ عليّ بسيفه فخرجنا نحوه قال فانتهى إليه وقد عقر به وهو يقول

إني من الله إلى الله أفر * رضوانك اللهم أبدي وأسرّ

قال فقلنا له ممن أنت قال من بني آدم قال فقلنا ممن قال لا أحب أن أعرفكم ولا أن تعرفوني يا مخربي البيت الحرام قال فنزل إليه سليمان بن عمرو بن محصن الأزدي من بني الخيار قال وهو يومئذ من أشد الناس قال فكلاهما أثخن صاحبه قال وشدّ الناس عليه من كل جانب فقتلوه قال فوالله ما رأيت واحدا قط هو أشد منه قال فلما ذكر لي وكنت أحب أن

الدنيا خلف من رضاء الله والتوبة اليه انه قد بلغني ان طائفة منكم يريدون أن يرجعوا الى ما خرجوا منه الى دنياهم وان هم ركنوا الى دنياهم رجعوا الى خطاياهم فأما أنا فوالله لا أولى هذا العدو ظهري حتى أرد موارد اخواني فأجابوه وقالوا رأينا مثل رأيك ومضى برايته حتى دنا من القوم فقال ابن ذي الكلاع والله انى لأرى هذه الراية حميرية أو همدانية فدنا منهم فسألهم فأخبروه فقال لهم انكم آمنون فقال له صاحبهم انا قد كنا آمنين في الدنيا وانما خرجنا نطلب أمان الآخرة فقاتلوا القوم حتى قتلوا ومشى صخر بن حذيفة بن هلال بن مالك المزني في ثلاثين من مزينة فقال لهم لا تهابوا الموت في الله فانه لاقيكم ولا ترجعوا الى الدنيا التي خرجتم منها الى الله فانها لا تبقى لكم ولا تزهدوا فيما رغبتم فيه من ثواب الله فان ما عند الله خير لكم ثم مضوا فقاتلوا حتى قتلوا فلما أمسى الناس ورجع أهل الشأم الى معسكرهم نظر رفاعة الى كل رجل قد عقر به والى كل جريح لا يعين على نفسه فدفعه الى قومه ثم سار بالناس ليلته كلها حتى أصبح بالتنينير فعبر الخابور وقطع المعابر ثم مضى لا يمر بمعبر الا قطعه وأصبح الحصين ابن نمير فبعث فوجدهم قد ذهبوا فلم يبعث في آثارهم أحدا وسار بالناس فأسرع وخلف رفاعة وراءهم أبا الجويرية العبدي في سبعين فارسا يسترون الناس فاذا مروا برجل قد سقط حمله أو بمتاع قد سقط قبضه حتى يعرفه فان طلب أو ابتغى بعث اليه فأعلمه فلم يزالوا كذلك حتى مروا بقرقيسيا من جانب البر فبعث اليهم زفر من الطعام والعلف مثل ما كان بعث اليهم في المرة الاولى وأرسل اليهم الاطباء وقال أقيموا عندنا ما أحببتم فان لكم الكرامة والمواساة فأقاموا ثلاثا ثم زود كل امرئ منهم ما أحب من الطعام والعلف قال وجاء سعد بن حذيفة ابن اليمان حتى انتهى الى هيت فاستقبله الأعراب فأخبروه بما لقي الناس فانصرف فتلقى المثنى بن مخربة العبدي بصندوداء فأخبره فأقاموا حتى جاءهم الخبر ان رفاعة قد أظلكم فخرجوا حين دنا من القرية فاستقبلوه فسلم الناس بعضهم على بعض وبكى بعضهم الى بعض وتناعوا اخوانهم فأقاموا بها يوما وليلة فانصرف أهل المدائن الى المدائن وأهل البصرة الى البصرة وأقبل أهل الكوفة الى الكوفة فاذا المختار محبوس (قال هشام) قال أبو مخنف عن عبد الرحمن بن يزيد بن جابر عن أدهم بن محرز الباهلي انه أتى عبد الملك بن مروان ببشارة الفتح قال فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال أما بعد فان الله قد أهلك من رؤس أهل العراق ملقح فتنة ورأس ضلالة سليمان بن صرد ألا وان السيوف تركت رأس المسيب بن نجبة خذاريف ألا وقد قتل الله من رؤسهم رأسين عظيمين ضالين مضلين عبد الله بن سعد أخا الازد وعبد الله بن وال أخا بكر بن وائل فلم يبق بعد هؤلاء أحد عنده دفاع ولا امتناع (قال هشام) عن أبي مخنف وحدثت ان المختار مكث نحوا من خمس عشرة ليلة ثم قال لاصحابه عدوا لغازيكم هذا أكثر من عشر ودون الشهر ثم يجيئكم نبأ هتر من طعن نتر وضرب هبر

وقتل

وغُودِرَ أهلُ الصبرِ صَرعى فأصبحوا * تُعاوِرُهم ريحُ الصَبا والجنائبِ
وأضحى الخزاعيُّ الرئيسُ مُجدَّلا * كأن لم يقاتل مرّةً ويُحاربِ
ورأسُ بني شَمْخٍ وفارسُ قومِهِ * شَنُوأةَ والتيميُّ هادِي الكتائبِ
وعمرو بنُ بِشرٍ والوليدُ وخالدٌ * وزيدُ بنُ بكرٍ والحُلَيسُ بن غالبِ
وضاربُ من هَمْدانَ كلُّ مُشيَّعٍ * اذا شدَّ لم يَنْكُلْ كريمُ المكاسبِ
ومن كلِّ قومٍ قد أصيب زَعيمُهُمْ * وذو حَسَبٍ في ذروةِ المجدِ ثاقبِ
أبَوْا غيرَ ضربٍ تفلقُ الهامَ وَقعُهُ * وطَعنٍ بأطرافِ الاسنَّةِ صائبِ
وانَّ سعيدًا يومَ يَدمُرُ عامرًا * لأشجعُ من لَيثٍ بدُرنا مُواثبِ
فيا خيرَ جيشٍ للعراقِ وأهلِهِ * سُقيتم رَوايا كلِّ أسحمَ ساكبِ
فلا يَبْعَدَنْ فُرسانُنا وحُماتُنا * اذا البيضُ أبدتْ عن خِدامِ الكواعبِ
فان يُقتَلوا فالقتلُ أكرمُ ميتةٍ * وكلُّ فتًى يومًا لاحدى الشواعبِ
وما قُتِلوا حتى أثاروا عصابةً * مُحِلِّين ثورًا كالليوثِ الضواربِ

وقتل سليمان بن صرد ومن قتل معه بعين الوردة من التوابين في شهر ربيع الآخر ﴿وفي هذه السنة﴾ أمر مروان بن الحكم أهل الشأم بالبيعة من بعده لابنيه عبد الملك وعبد العزيز وجعلهما وليّي العهد

﴿ذكر الخبر عن سبب عقد مروان ذلك لهما﴾

(قال هشام) عن عوانة قال لما هزم عمرو بن سعيد بن العاص الاشدق مصعب بن الزبير حين وجّهه أخوه عبد الله الى فلسطين وانصرف راجعا الى مروان ومروان يومئذ بدمشق قد غلب على الشأم كلها ومصر وبلغ مروان ان عمرا يقول ان هذا الامر لي من بعد مروان ويدّعي انه قد كان وعده وعدا فدعا مروان حسان بن مالك بن بحدل فأخبره انه يريد أن يبايع لعبد الملك وعبد العزيز ابنيه من بعده وأخبره بما بلغه عن عمرو بن سعيد فقال أنا أكفيك عمرا فلما اجتمع الناس عند مروان عشيًّا قام ابن بحدل فقال انه قد بلغنا ان رجالا يتمنّون أمانيّ قوموا فبايعوا لعبد الملك ولعبد العزيز من بعده فقام الناس فبايعوا من عند آخرهم ﴿وفي هذه السنة﴾ مات مروان بن الحكم بدمشق مستهلّ شهر رمضان

﴿ذكر الخبر عن سبب هلاكه﴾

﴿حدثني﴾ الحارث قال حدثنا ابن سعد قال أخبرنا محمد بن عمر قال حدثني موسى بن يعقوب عن أبي الحويرث قال لما حضرت معاوية بن يزيد أبا ليلى الوفاة أبى أن يستخلف أحدا وكان حسان بن مالك بن بحدل يريد أن يجعل الامر بعد معاوية بن يزيد لاخيه خالد بن

أعلم علمه دمعت عيناى فقال أبينك وبينه قرابة فقلت له لا ذلك رجل من مضر كان لى ودًّا وأخا فقال لى لا أرقأ الله دمعك أتبكى على رجل من مضر قتل على ضلالة قال قلت لا والله ما قتل على ضلالة ولكنه قتل على بينة من ربه وهُدًى فقال لى أدخلك الله مدخله قلت آمين وأدخلك الله مدخل حصين بن نمير ثم لا أرقأ الله لك عليه دمعا ثم قمت وقام وكان مما قيل من الشعر فى ذلك قول أعشى همدان وهى احدى المكتمات كن يُكتمن فى ذلك الزمان

ألمَّ خيالٌ منكِ يا أمَّ غالب * فحُيِّيتِ عنا من حبيب مُجانب
ومازلتِ لى شَجْوًا وما زلتُ مُقصدا * لهمٍّ عرانى من فراقك ناصب
فما أنسَ لا أنس انفتالَكِ فى الضحى * الينا مع البيض الوسام الخراعب
تراءتْ لنا هيفاء مهضومة الحشا * لطيفة طىّ الكشح ريا الحقائب
مُبتَّلةً غرّاءَ رُودٌ شبابُها * كشمس الضحى تنكلُّ بين السحائب
فلما تغشّاها السحابُ وحولهُ * بدا حاجبٌ منها وضنّت بحاجب
فتلك الهوى وهى الجوى لى والمُنى * فأحبب بها من خلةٍ لم تُصاقب
ولا يُبعد اللهُ الشباب وذكرهُ * وحبَّ تصافى المعصرات الكواعب
ويزدادُ ما أحببتُه من عتابنا * لعابا وسقيا للخدين المُقارب
فانى وان لم أنسهُنَّ لذاكرٌ * رزيئة مخبات كريم المناصب
توسَّلَ بالتقوى الى اللهِ صادقا * وتقوى الاله خير تكساب كاسب
وخلّى عن الدنيا فلم يلتبس بها * وتاب الى الله الرفيع المراتب
تخلى عن الدنيا وقال اطّرحتُها * فلستُ اليها ما حييت بآيب
وما أنا فيما يُكبرُ الناسُ فقدهُ * ويسعى له الساعون فيها براغب
فوجَّههُ نحو الثوية سائرا * الى ابن زياد فى الجموع الكباكب
بقومٍ همُ أهلُ التقيَّةِ والنهى * مصاليتُ أنجاد سراةُ مناجب
مضوا تاركى رأى ابن طلحة حسبَهُ * ولم يستجيبوا للامير المُخاطب
فساروا وهم من بين مُلتمسِ التقى * وآخر مما جرَّ بالامس تائب
فلاقوا بعين الوردة الجيشَ فاصلا * اليهم فحسوهم ببيض قواضب
يمانية تذرى الأكفَّ وتارة * بخيل عتاق مقربات سلاهب
فجاءهمُ جمعٌ من الشأم بعده * جُموعٌ كموج البحر من كلّ جانب
فما برحوا حتى أبيدتْ سُراتُهم * فلم ينجُ منهم ثَمَّ غيرُ عصائب

وغودر

حكمى فنزلوا على حكمه فضرب أعناقهم ورجع فلّ حبيش الى الشأم حدثني أحمد ابن زهير عن علىّ بن محمد انه قال الذى قتل حبيش بن دلجة يوم الرَّبَذَة يزيد بن سياه الاسوارى رماه بنشابة فقتله فلما دخلوا المدينة وقف يزيد بن سياه على برذون أشهب وعليه ثياب بياض فما لبث ان اسودّت ثيابه ورايته مما مسح الناس به ومما صبوا عليه من الطيب ﴿قال أبو جعفر﴾ وفي هذه السنة وقع بالبصرة الطاعون الذى يقال له الطاعون الجارف فهلك به خلقٌ كثير من أهل البصرة حدثني عمر بن شبة قال حدثني زهير بن حرب قال حدثنا وهب بن جرير قال حدثني أبى عن المصعب بن زيد ان الجارف وقع وعبيد الله بن عبيد الله بن معمر على البصرة فماتت أمه فى الجارف فما وجدوا لها من يحملها حتى استأجروا لها أربعة علوج فحملوها الى حفرتها وهو الامير يومئذ ﴿وفي هذه السنة﴾ اشتدت شوكة الخوارج بالبصرة وقتل فيها نافع بن الازرق

﴿ذكر الخبر عن مقتله﴾

حدثني عمر بن شبة قال حدثنا زهير بن حرب قال حدثنا وهب بن جرير قال حدثنا أبى عن محمد بن الزبير ان عبيد الله بن عبيد الله بن معمر بعث أخاه عثمان بن عبيد الله الى نافع ابن الازرق فى جيش فلقيهم بدُولاب فقُتل عثمان وهزم جيشه * قال عمر قال زهير قال وهب وحدثنا محمد بن أبى عيينة عن سبرة بن نخف ان ابن معمر عبيد الله بعث أخاه عثمان الى ابن الازرق فهزم جنده وقتل قال وهب فحدثنا أبى ان أهل البصرة بعثوا جيشا عليهم حارثةُ بن بدر فلقيهم فقال لاصحابه

كرنبوا وَدَوْلِبُوا * وحيثُ شئتم فاذهبوا

حدثنا عمر قال حدثنا زهير قال حدثنا وهب قال حدثنا أبى ومحمد بن أبى عيينة قالا حدثنا معاوية بن قرّة قال خرجنا مع ابن عُبيس فلقيناهم فقتل ابن الازرق وابنان أو ثلاثة للماحوز وقتل ابن عبيس ﴿قال أبو جعفر﴾ وأما هشام بن محمد فانه ذكر عن أبى مخنف عن أبى المخارق الراسبىّ من قصة ابن الازرق وبنى الماحوز قصةً هى غيرُ ما ذكره عمر عن زهير بن حرب عن وهب بن جرير والذى ذكر من خبرهم ان نافع بن الازرق اشتدت شوكته باشتغال أهل البصرة بالاختلاف الذى كان بين الازد وربيعة وتميم بسبب مسعود بن عمرو وكثرت جموعه وأقبل نحو البصرة حتى دنا من الجسر فبعث اليه عبد الله بن الحارث مُسلم بن عبيس بن كريز بن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس بن عبد مناف فى أهل البصرة فخرج اليه فأخذ يحوزه عن البصرة ويرفعه عن أرضها حتى بلغ مكانا من أرض الاهواز يقال له دُولاب فتهيأ الناس بعضهم لبعض وتزاحفوا فجعل مسلم بن عبيس على ميمنته الحجاج بن باب الحميرى وعلى ميسرته حارثة بن بدر التميمى ثم الغُدانىّ وجعل ابن الازرق على ميمنته عَبيدة

يزيد بن معاوية وكان صغيرا وهو خال أبيه يزيد بن معاوية فبايع لمروان وهو يريد أن يجعل الامر بعده لخالد بن يزيد فلما بايع لمروان وبايعه معه أهل الشأم قيل لمروان تزوّج أم خالد وأمه أم خالد ابنة أبي هشام بن عتبة حتى تُصغّر شأنه فلا يطلب الخلافة فتزوجها فدخل خالد يوما على مروان وعنده جماعة كثيرة وهو يمشي بين الصفين فقال انه والله ما علمتُ لأحمق تعال يابن الرطبة الاست يقصّر به ليُسقطه من أعين أهل الشأم فرجع الى أمه فأخبرها فقالت له أمه لا يعرفنّ ذلك منك واسكت فاني أكفيكه فدخل عليها مروان فقال لها هل قال لك خالد فيّ شيأ فقالت وخالد يقول فيك شيأ خالد أشد لك إعظاما من أن يقول فيك شيأ فصدّقها ثم مكثت أياما ثم ان مروان نام عندها فغطته بالوسادة حتى قتلته ﴿قال أبو جعفر﴾ وكان هلاك مروان في شهر رمضان بدمشق وهو ابن ثلاث وستين سنة في قول الواقدي وأما هشام بن محمد الكلبي فانه قال كان يوم هلك ابن احدى وستين سنة وقيل توفي وهو ابن احدى وسبعين سنة وقيل ابن احدى وثمانين سنة وكان يكنى أبا عبد الملك وهو مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس وأمه آمنة بنت علقمة بن صفوان بن أمية الكناني وعاش بعد أن بويع له بالخلافة تسعة أشهر وقيل عاش بعد أن بويع له بالخلافة عشرة أشهر الا ثلاث ليال وكان قبل هلاكه قد بعث بعثين أحدهما الى المدينة عليهم حُبيش بن دُلجة القينيّ والآخر منهما الى العراق عليهم عبيد الله بن زياد فأما عبيد الله بن زياد فسار حتى نزل الجزيرة فأتاه الخبر بها بموت مروان وخرج اليه التوابون من أهل الكوفة طالبين بدم الحسين فكان من أمرهم ما قد مضى ذكره وسنذكر ان شاء الله باقي خبره الى أن قُتل ﴿وفي هذه السنة﴾ قتل حُبيش بن دُلجة وأما حبيش بن دلجة فانه سار حتى انتهى فيما ذكر عن هشام عن عوانة بن الحكم الى المدينة وعليهم جابر بن الاسود بن عوف ابن أخي عبد الرحمن ابن عوف من قبل عبد الله بن الزبير فهرب جابر من حبيش ثم ان الحارث بن أبي ربيعة وهو أخو عمر بن عبد الله بن أبي ربيعة وجّه جيشا من البصرة وكان عبد الله بن الزبير قد ولاه البصرة عليهم الحنيف بن السجف التميمي لحرب حبيش بن دلجة فلما سمع حبيش بن دلجة بهم سار اليهم من المدينة وسرّح عبد الله بن الزبير عبّاش بن سهل بن سعد الانصاري على المدينة وأمره أن يسير في طلب حبيش بن دلجة حتى يوافي الجند من أهل البصرة الذين جاؤا ينصرون ابن الزبير عليهم الحنيف وأقبل عبّاش في آثارهم مسرعا حتى لحقهم بالرَّبذة وقد قال أصحاب ابن دلجة له دَعْهم لا تعجلْ الى قتالهم فقال لا أنزل حتى آكل من مقنّدهم يعني السويق الذي فيه القند فجاءه سهمٌ غربٌ فقتله وقتل معه المنذر بن قيس الجذامي وأبو عقاب مولى أبي سفيان وكان معه يومئذ يوسف بن الحكم والحجاج بن يوسف وما نجوا يومئذ الا على جَمَل واحد وتحرّز منهم نحو من خمسمائة في عمود المدينة فقال لهم عباش انزلوا على

حكمى

خراسان ان شاء الله والسلام عليك ورحمة الله فأتى بذلك الكتاب فلما قرأه قال فانى والله لا أسير اليهم الا أن تجعلوا لى ما غلبت عليه وتعطونى من بيت المال ما أقوّى به من معى وأنتخب من فرسان الناس ووجوههم وذوى الشرف من أحببت فقال جميع أهل البصرة ذلك لك قال فاكتبوا لى على الاخماس بذلك كتابا ففعلوا الا ما كان من مالك بن مِسْمَع وطائفة من بكر بن وائل فاضطغنها عليهم المهلب وقال الاحنف وعبيد الله بن زياد بن ظَبيان وأشراف أهل البصرة للمهلب وما عليك أن لا يكتب لك مالك بن مسمع ولا من تابعه من أصحابه اذا أعطاك الذى أردت من ذلك جميع أهل البصرة ويستطيع مالك خلافَ جماعة الناس أوله ذلك انكمش أيها الرجل واعزم على أمرك وسِرْ الى عدوك ففعل ذلك المهلب وأمّر على الاخماس فأمَّر عبيد الله بن زياد بن ظبيان على خمس بكر بن وائل وأمَّر الحَرِيش ابن هلال السعدى على خمس بنى تميم وجاءت الخوارج حتى انتهت الى الجسر الاصغر عليهم عبيد الله بن الماحوز فخرج اليهم فى أشراف الناس وفرسانهم ووجوههم فحازهم عن الجسر ودفعهم عنه فكان أول شئ دفعهم عنه أهل البصرة ولم يكن بقى لهم الا أن يدخلوا فارتفعوا الى الجسر الاكبر ثم انه عبّى لهم فسار اليهم فى الخيل والرجال فلما ان رأوا أن قد أطلّ عليهم وانتهى اليهم ارتفعوا فوق ذلك مرحلة أخرى فلم يزل يحوزهم ويرفعهم مرحلة بعد مرحله ومنزله بعد منزله حتى انتهوا الى منزل من منازل الاهواز يقال له سلّى وسلَّبرِى فأقاموا به ولما بلغ حارثةَ بن بدر الغدانى ّان المهلب قد أمّر على قتال الازارقة قال لمن معه من الناس

كرنبوا ودولبوا * وحيث شئتم فاذهبوا * قد أمّر المهلّبُ

فأقبل من كان معه نحو البصرة فصرفهم الحارث بن عبد الله بن أبى ربيعة الى المهلب ولما نزل المهلب بالقوم خندق عليه ووضع المسالح وأذكى العيون وأقام الأحراس ولم يزل الجند على مصافهم والناس على راياتهم وأخماسهم وأبواب الخنادق عليها رجال موكلون بها فكانت الخوارج اذا أرادوا بيات المهلب وجدوا أمرا محكما فرجعوا فلم يقاتلهم انسان قط كان أشد عليهم ولا أغيظ لقلوبهم منه (قال أبو مخنف) فحدثنى يوسف بن يزيد عن عبد الله بن عوف بن الاحمر ان رجلا كان فى تلك الخوارج حدثه ان الخوارج بعثت عَبيدة بن هلال والزبير بن الماحوز فى خيلين عظيمين ليلا الى عسكر المهلب فجاء الزبير من جانبه الايمن وجاء عَبيدة من جانبه الايسر ثم كبّروا وصاحوا بالناس فوجدوهم على تعبيتهم ومصافهم حذرين معدّين فلم يصيبوا للقوم غرّةً ولم يظفروا منهم بشئ فلما ذهبوا ليرجعوا ناداهم عبيد الله بن زياد ابن ظبيان فقال

وجدتمونا وُقُراً أنْجادا * لا كُشُفاً خُوراً ولا أوْغادا

هيهات انّا اذا صيح بنا أبينا يا أهل النار الا ابكروا اليها غدا فانها مأواكم ومثواكم قالوا يا فاسق

ابن هلال اليشكري وعلى ميسرته الزبير بن الماحوز التميمي ثم التقوا فاضطربوا فاقتتل الناس قتالا لم يُر قتال قط أشد منه فقتل مسلم بن عبيس أمير أهل البصرة وقتل نافع بن الازرق رأس الخوارج وأمر أهل البصرة عليهم الحجاج بن باب الحميري وأمَّرت الأزارقة عليهم عبد الله بن الماحوز ثم عادوا فاقتتلوا أشد قتال فقتل الحجاج بن باب الحميري أمير أهل البصرة وقتل عبد الله بن الماحوز أمير الأزارقة ثم ان أهل البصرة أمَّروا عليهم ربيعة الأجذم التميمي وأمَّرت الخوارج عليهم عبيد الله بن الماحوز ثم عادوا فاقتتلوا حتى أمسوا وقد كره بعضهم بعضا وملّوا القتال فانهم لمتواقفون متحاجزون حتى جاءت الخوارج سرية لهم جامّة لم تكن شهدت القتال فحملت على الناس من قبل عبد القيس فانهزم الناس وقاتل أمير البصرة ربيعة الأجذام فقتل وأخذ راية أهل البصرة حارثة بن بدر فقاتل ساعة وقد ذهب الناس عنه فقاتل من وراء الناس في حماتهم وأهل الصبر منهم ثم أقبل بالناس حتى نزل بهم منزلا بالاهواز ففي ذلك يقول الشاعر من الخوارج

يا كَبِدا من غير جُوع ولا ظما * ويا كبدى من حبّ أمّ حكيم
ولو شهدتنى يومَ دولابَ أبصرتْ * طعانَ امرئ فى الحرب غير لئيم
غَداة طفَتْ فى الماء بكرُ بن وائل * وعُجْنا صُدُورَ الخيل نحو تميم
وكان لعبد القيْس أوّلُ جدّنا * وذلّتْ شُيُوخُ الأزد وهى تعوم

وبلغ ذلك أهل البصرة فهالهم وأفزعهم وبعث ابن الزبير الحارث بن عبد الله بن أبى ربيعة القرشي على تلك الحرّة فقدم وعزل عبد الله بن الحارث فأقبلت الخوارج نحو البصرة وقدم المهلب بن أبى صفرة على تلك من حال الناس من قبل عبد الله بن الزبير معه عهده على خراسان فقال الاحنف للحارث بن أبى ربيعة وللناس عامة لا والله ما لهذا الامر الا المهلّبْ فخرج أشراف الناس فكلموه أن يتولى قتال الخوارج فقال لا أفعل هذا عهد أمير المؤمنين معى على خراسان فلم أكن لأدع عهده وأمره فدعاه ابن أبى ربيعة فكلمه في ذلك فقال له مثل ذلك فاتفق رأى ابن أبى ربيعة ورأى أهل البصرة على ان كتبوا على لسان ابن الزبير بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله بن الزبير الى المهلب بن أبى صفرة سلام عليك فانى أحمد اليك الله الذى لا اله الا هو أما بعد فان الحارث بن عبد الله كتب الىّ ان الأزارقة المارقة أصابوا جند المسلمين كان عددهم كثيرا وأشرافهم كثيرا وذكر انهم قد أقبلوا نحو البصرة وقد كنتُ وجّهتك الى خراسان وكتبت لك عليها عهدا وقد رأيت حيث ذكر أمر هذه الخوارج أن تكون أنت تلى قتالهم فقد رجوت أن يكون ميمونا طائرك مباركا على أهل مصرك والأجر فى ذلك أفضل من المسير الى خراسان فسر اليهم راشدا فقاتل عدو الله وعدوك ودافع عن حقك وحقوق أهل مصرك فانه لن يفوتك من سلطاننا خراسان ولا غير

المهلب بالاهواز ففي ذلك اليوم يقول الصلتان العبدي

بسلي وسلبرى مصارع فتية * كرام وقتلى لم توسد خدودها

وانصرفت الخوارج حين انصرفت وان أصحاب النيران الخمس والست ليجتمعون على النار الواحدة من الفلول وقلة العدد حتى جاءتهم مادة لهم من قبل البحرين فخرجوا نحو كرمان واصبهان فأقام المهلب بالاهواز فلم يزل ذلك مكانه حتى جاء مصعب البصرة وعزل الحارث بن عبد الله بن أبي ربيعة عنها ولما ظهر المهلب على الأزارقة كتب بسم الله الرحمن الرحيم للامير الحارث بن عبد الله من المهلب بن أبي صفرة سلام عليك فاني أحمد اليك الله الذي لا اله الا هو أما بعد فالحمد لله الذي نصر أمير المؤمنين وهزم الفاسقين وأنزل بهم نقمته وقتلهم كل قتلة وشردهم كل مشرد أخبر الامير أصلحه الله انا لقينا الأزارقة بأرض من أرض الاهواز يقال لها سلي وسلبرى فزحفنا اليهم ثم ناهضناهم فاقتتلنا كأشد القتال مليا من النهار ثم ان كتائب الأزارقة اجتمع بعضها الى بعض ثم حملوا على طائفة من المسلمين فهزموهم وكانت في المسلمين جولة قد كنت أشفقت أن تكون هي الاصرى منهم فلما رأيت ذلك عمدت الى مكان يفاع فعلوته ثم دعوت الى عشيرتي خاصة والمسلمين عامة فثاب الى أقوام شروا أنفسهم ابتغاء مرضاة الله من أهل الدين والصبر والصدق والوفاء فقصدت بهم الى عسكر القوم وفيه جماعتهم وحدهم وأميرهم قد أطاف به أولو فضلهم فيهم وذوو النيات منهم فاقتتلنا ساعة رميا بالنبل وطعنا بالرماح ثم خاض الفريقان الى السيوف فكان الجلاد بها ساعة من النهار مبالطة ومبالدة ثم ان الله عز وجل أنزل نصره على المؤمنين وضرب وجوه الكافرين ونزل طاغيتهم في رجال كثير من حماتهم وذوي نياتهم فقتلهم الله في المعركة ثم اتبعت الخيل شرادهم فقتلوا في الطريق والإخاذ والقرى والحمد لله رب العالمين والسلام عليك ورحمة الله فلما أتى هذا الكتاب الحارث بن عبد الله بن أبي ربيعة بعث به الى ابن الزبير فقرئ على الناس بمكة وكتب الحارث بن أبي ربيعة الى المهلب أما بعد فقد بلغني كتابك تذكر فيه نصر الله اياك وظفر المسلمين فهنيئا لك يا أخا الازد بشرف الدنيا وعزها وثواب الآخرة وفضلها والسلام عليك ورحمة الله فلما قرأ المهلب كتابه ضحك ثم قال أما تظنونه يعرفني الا بأخي الأزد ما أهل مكة الا اعراب (قال أبو مخنف) حدثني أبو المخارق الراسبي ان أبا علقمة اليحمدي قاتل يوم سلي وسلبرى قتالا لم يقاتله أحد من الناس وأنه أخذ ينادي في شباب الأزد وفتيان اليحمد أعيرونا جماجمكم ساعة من نهار فأخذ فتيان منهم يكرون فيقاتلون ثم يرجعون اليه يضحكون ويقولون يا أبا علقمة القدور تستعار فلما ظهر المهلب ورأى من بلائه ما رأى وفاه مائة ألف * وقد قيل ان أهل البصرة قد كانوا سألوا الاحنف قبل المهلب أن يقاتل الأزارقة وأشار عليهم بالمهلب وقال هو أقوى على حربهم مني

وهل تدّخر النار الالك ولأشباهك انها أعدت للكافرين وأنت منهم قال أتسمعون كل مملوك لى حر ان دخلتم أنتم الجنة ان بقى فيما بين سفوان الى أقصى حجر من أرض خراسان مجوسى ينكح أمه وابنته وأخته الا دخلها قال له عبيدة اسكت يا فاسق فانما أنت عبد للجبار العنيد ووزير للظالم الكفور قال يا فاسق وأنت عدو المؤمن التقى ووزير الشيطان الرجيم فقال الناس لابن ظبيان وقتلك الله يا ابن ظبيان فقد والله أجبت الفاسق بجوابه وصدقته فلما أصبح الناس أخرجهم المهلب على تعبيتهم وأخماسهم ومواقفهم الازد وتميم ميمنة الناس وبكر بن وائل وعبد القيس ميسرة الناس وأهل العالية في القلب وسط الناس وخرجت الخوارج على ميمنتهم عبيدة بن هلال اليشكرى وعلى ميسرتهم الزبير بن الماحوز وجاؤا وهم أحسن عدة وأكرم خيولا وأكثر سلاحا من أهل البصرة وذلك لانهم مخروا الارض وجردوها وأكلوا ما بين كرمان الى الاهواز فجاؤا عليهم مغافر تضرب الى صدورهم وعليهم دروع يسحبونها وسوق من زرد يشدونها بكلاليب الحديد الى مناطقهم فالتقى الناس فاقتتلوا كأشد القتال فصبر بعضهم لبعض عامة النهار ثم ان الخوارج شدت على الناس بأجمعها شدة منكرة فأجفل الناس وانصاعوا منهزمين لا تلوى أم على ولد حتى بلغ البصرة هزيمة الناس وخافوا السباء وأسرع المهلب حتى سبقهم الى مكان يفاع في جانب عن سنن المنهزمين ثم انه نادى الناس الىّ الىّ عباد الله فثاب اليه جماعة من قومه وثابت اليه سرية عمان فاجتمع اليه منهم نحو من ثلاثة آلاف فلما نظر الى من قد اجتمع رضى جماعتهم فحمد الله وأثنى عليه ثم قال أما بعد فان الله ربما يكل الجمع الكثير الى أنفسهم فيهزمون وينزل النصر على الجمع اليسير فيظهرون ولعمرى ما بكم الآن من قلة انى لجماعتكم لراض وانكم لأنتم أهل الصبر وفرسان أهل المصر وما أحب أن أحدا ممن انهزم معكم فانهم لو كانوا فيكم ما زادوكم الا خبالا عزمت على كل امرئ منكم لما أخذ عشرة أحجار معه ثم امشوا بنا نحو عسكرهم فانهم الآن آمنون وقد خرجت خيلهم في طلب اخوانكم فوالله انى لأرجو أن لا ترجع اليهم خيلهم حتى تستبيحوا عسكرهم وتقتلوا أميرهم ففعلوا ثم أقبل بهم راجعا فلا والله ما شعرت الخوارج الا بالمهلب يضاربهم بالمسلمين في جانب عسكرهم ثم استقبلوا عبيد الله بن الماحوز وأصحابه وعليهم الدروع والسلاح كاملا فأخذ الرجل من أصحاب المهلب يستقبل الرجل منهم فيستعرض وجهه بالحجارة فيرميه حتى يثخنه ثم يطعنه بعد ذلك برمحه أو يضربه بسيفه فلم يقاتلهم الا ساعة حتى قتل عبيد الله بن الماحوز وضرب الله وجوه أصحابه وأخذ المهلب عسكر القوم وما فيه وقتل الأزارقة قتلا ذريعا وأقبل من كان فى طلب أهل البصرة منهم راجعا وقد وضع لهم المهلب خيلا ورجالا فى الطريق تختطفهم وتقتلهم فانكفؤا راجعين مفلولين مقتولين مجروبين مغلوبين فارتفعوا الى كرمان وجانب أصفهان وأقام

مطيع وعلى البصرة الحارث بن عبد الله بن أبي ربيعة المخزومي وهو الذي يقال له القُباع وعلى قضائها هشام بن هبيرة وعلى خراسان عبد الله بن خازم ﴿وفي هذه السنة﴾ خالف من كان بخراسان من بني تميم عبد الله بن خازم حتى وقعت بينهم حروب

﴿ذكر الخبر عن سبب ذلك﴾

وكان السبب في ذلك فيما ذُكر ان مَنْ كان بخراسان من بني تميم أعانوا عبد الله بن خازم على من كان بها من ربيعة وعلى حرب أوْس بن ثعلبة حتى قتل من قتل منهم وظفر به وصفا له خراسان فلما صفا له ولم ينازعه به أحد جفاهم وكان قد صيّر هَرَاة الى ابنه محمد واستعمله عليها وجعل بكير بن وشَاح على شرطته وضم اليه شمَّاس بن دِثَار العُطاردي وكانت أم ابنه محمد امرأةً من تميم تدعى صفيّة فلما جفا ابن خازم بني تميم أتوا ابنه محمدا بهَرَاة فكتب ابن خازم الى بكير وشماس يأمرهما بمنع بني تميم من دخول هراة فأما شماس بن دثار فأبى ذلك وخرج من هراة فصار مع بني تميم وأما بكير فمنعهم من الدخول * فذكر عليُّ بن محمد ان زهير بن الهُنَيْد حدثه عن أشياخ من قومه ان بكير بن وِشَاح لما منع بني تميم من دخول هراة أقاموا ببلاد هراة وخرج اليهم شماس بن دثار فأرسل بكير الى شماس انى أعطيك ثلاثين ألفا وأعطى كل رجل من بني تميم ألفا على أن ينصرفوا فأبوا فدخلوا المدينة وقتلوا محمد بن عبد الله بن خازم قال عليّ وأخبرنا الحسن بن رُشَيد عن محمد بن عزيز الكندي قال خرج محمد بن عبد الله بن خازم يتصيَّد بهراة وقد منع بني تميم من دخولها فرصدوه فأخذوه فشدوه وثاقا وشربوا ليلتهم وجعل كلما أراد رجل منهم البول بال عليه فقال لهم شماس بن دثار أما اذ بلغتم هذا منه فاقتلوه بصاحبيكما اللذين قتلهما بالسياط قال وقد كان أخذ قُبَيل ذلك رجلين من بني تميم فضربهما بالسياط حتى ماتا قال فقتلوه قال فزعم لنا ممن شهد قتله من شيوخهم ان جَيْهان بن مَشْجعة الضبي نهاهم عن قتله وألقى نفسه عليه فشكر له ابن حازم ذلك فلم يقتله فيمن قتل يوم فرتنا قال فزعم عامر بن أبي عمر انه سمع أشياخهم من بني تميم يزعمون ان الذى ولى قتل محمد بن عبد الله بن حازم رجلان من بني مالك بن سعد يقال لاحدهما عجلة وللآخر كُسيب فقال ابن حازم بئس ما اكتسب كسيبٌ لقومه ولقد عجّل عجلةُ لقومه شرّا قال عليّ وحدثنا أبو الذيال زهير بن هنيد العدوى قال لما قتل بنو تميم محمد بن عبد الله بن خازم انصرفوا الى مَرْو فطلبهم بُكَير بن وِشَاح فأدرك رجلا من بني عطارد يقال له شُمَيْخ فقتله وأقبل شماس وأصحابه الى مَرْو فقالوا لبني سعد قد أدركنا لكم بثأركم قتلنا محمد بن عبد الله ابن حازم بالجُشمى الذى أصيب بمرو فأجمعوا على قتال ابن خازم وولوا عليهم الحَرِيش بن هلال القُرَيْعي قال فأخبرني أبو الفوارس عن طفيل بن مرداس قال أجمع أكثر بني تميم على قتال عبد الله بن حازم قال وكان مع الحريش فرسان لم يدرك مثلهم انما الرجل منهم كتيبة

وان المهلب اذا جابهم الى قتالهم شرط على أهل البصرة ان ما غلب عليه من الارض فهو له
ولمن خف معه من قومه وغيرهم ثلاث سنين وانه ليس لمن تخلف عنه منه شئ فأجابوه الى
ذلك وكتب بذلك عليهم كتابا وأوفدوا بذلك وفدا الى ابن الزبير وان ابن الزبير أمضى تلك
الشروط كلها للمهلب وأجازها له وان المهلب لما أجيب الى ما سأل وجه ابنه حبيبا في ستمائة
فارس الى عمر والقنا وهو معسكر خلف الجسر الاصغر في ستمائة فارس فأمر المهلب بعقد
الجسر الاصغر فقطع حبيب الجسر الى عمرو ومن معه فقاتلهم حتى نفاهم عما بين الجسر
وانهزموا حتى صاروا من ناحية الفرات وتجهز المهلب فيمن خف من قومه معه وهم اثنا
عشر ألف رجل ومن سائر الناس سبعون رجلا وسار المهلب حتى نزل الجسر الاكبر وعمرو
القنا بازائه في ستمائة فبعث المغيرة بن المهلب في الخيل والرجالة فهزمتهم الرجالة بالنبل واتبعتهم
الخيل وأمر المهلب بالجسر فعقد فعبر هو وأصحابه فلحق عمرو القنا حينئذ بابن الماحوز
وأصحابه وهو بالمفتح فأخبرهم الخبر فساروا فعسكروا دون الاهواز بثمانية فراسخ وأقام
المهلب بقية سنته بجى كوردجلة ورزق أصحابه وأتاه المدد من أهل البصرة لما بلغهم ذلك
فأثبتهم في الديوان وأعطاهم حتى صاروا ثلاثين ألفا ﴿قال أبو جعفر﴾ فعلى قول هؤلاء كانت
الوقعة التي كانت فيها هزيمة الأزارقة وارتحالهم عن نواحي البصرة والاهواز الى ناحية اصبهان
وكرمان في سنة ٦٦ وقيل انهم ارتحلوا حين ارتحلوا عن الاهواز وهم ثلاثة آلاف وانه قتل
منهم في الوقعة التي كانت بينهم وبين المهلب بسلى وسلبرى سبعة آلاف ﴿قال أبو جعفر﴾ وفي
هذه السنة وجه مروان بن الحكم قبل مهلكه ابنه محمدا الى الجزيرة وذلك قبل مسيره الى
مصر ﴿وفي هذه السنة﴾ عزل عبد الله بن الزبير عبد الله بن يزيد عن الكوفة وولاها عبد
الله بن مطيع ونزع عن المدينة أخاه عبيدة بن الزبير وولاها أخاه مصعب بن الزبير وكان
سبب عزله أخاه عبيدة عنها انه فيما ذكر الواقدي خطب الناس فقال لهم قد رأيتم ما صنع بقوم
في ناقة قيمتها خمسمائة درهم فسمي مقوم الناقة وبلغ ذلك ابن الزبير فقال ان هذا لهو التكلف
﴿وفي هذه السنة﴾ بنى عبد الله بن الزبير البيت الحرام فأدخل الحجر فيه أخبرنا اسحاق بن
أبي اسرائيل قال حدثني عبد العزيز بن خالد بن رستم الصنعاني أبو محمد قال حدثني زياد بن
جيل انه كان بمكة يوم غلب ابن الزبير فسمعه يقول ان أمي أسماء بنت أبي بكر حدثتني ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال لعائشة لولا حداثة عهد قومك بالكفر رددت الكعبة على أساس
ابراهيم فأزيد في الكعبة من الحجر فأمر به ابن الزبير فحفر فوجدوا قلاعا أمثال الابل فحركوا
منها صخرة فبرقت بارقة فقال أقروها على أساسها فبناها ابن الزبير وجعل لها بابين يدخل
من أحدهما ويخرج من الآخر ﴿قال أبو جعفر﴾ وحج بالناس في هذه السنة عبد الله
ابن الزبير وكان على المدينة أخوه مصعب بن الزبير وعلى الكوفة في آخر السنة عبد الله بن

لا يرى أحدا على برذون أصفر الا حمل عليه فنهم من يقتله ومنهم من يهرب فتحامى أهل العسكر البراذين الصفر فكانت مخلاة في العسكر لا يركبها أحد وقال الحريش في قتاله ابن خازم

أزال عظم يميني عن مركبه * حمل الردينى فى الإدلاج والسحر
حولين ما اغتمضت عينى بمنزلة * إلا وكفى وساد لى على حجر
بزى الحديد وسربالى اذا هجعت * عنى العيون مجال القارح الذكر

﴿ ثم دخلت سنة ست وستين ﴾

﴿ذكر الخبر عن الكائن كان فيها من الأمور الجليلة﴾

فما كان فيها من ذلك وثوب المختار بن أبي عبيد بالكوفة طالبا بدم الحسين بن على بن أبى طالب وإخراجه منها عامل ابن الزبير عبد الله بن مطيع العدوى

﴿ذكر الخبر عما كان من أمرهما فى ذلك وظهور المختار للدعوة الى ما دعا اليه الشيعة بالكوفة﴾

﴿ذكر هشام بن محمد﴾ عن أبي مخنف ان فضيل بن خديج حدثه عن عبيدة بن عمرو واسماعيل بن كثير من بنى هند ان أصحاب سليمان بن صرد لما قدموا كتب اليهم المختار أما بعد فإن الله أعظم لكم الأجر وحط عنكم الوزر بمفارقة القاسطين وجهاد المحلين انكم لم تنفقوا نفقة ولم تقطعوا عقبة ولم تخطوا خطوة الا رفع الله لكم بها درجة وكتب لكم بها حسنة الى ما لا يحصيه الا الله من التضعيف فابشروا فانى لو قد خرجت اليكم قد جردت فيما بين المشرق والمغرب فى عدوكم السيف باذن الله فجعلتهم باذن الله ركاما وقتلتهم فذا وتؤاما فرحب الله بمن قارب منكم واهتدى ولا يبعد الله الا من عصى وأبى والسلام يا أهل الهدى فجاءهم بهذا الكتاب سيحان بن عمرو من بنى ليث من عبد القيس قد أدخله فى قلنسوته فيما بين الظهارة والبطانة فأتى بالكتاب رفاعة بن شداد والمثنى بن مخربة العبدى وسعد ابن حذيفة بن اليمان ويزيد بن أنس وأحمر بن شميط الأحمسى وعبد الله بن سداد البجلى وعبد الله بن كامل فقرأ عليهم الكتاب فبعثوا اليه ابن كامل فقالوا قل له قد قرأنا الكتاب ونحن حيث يسرك فإن شئت ان نأتيك حتى نخرجك فعلنا فأتاه فدخل عليه السجن فأخبره بما أرسل اليه به فسر باجتماع الشيعة له وقال لهم لا تريدوا هذا فانى أخرج فى أيامى هذه قال وكان المختار قد بعث غلاما يدعى زربيا الى عبد الله بن عمر بن الخطاب وكتب اليه أما بعد فانى قد حبست مظلوما وظن بى الولاة ظنونا كاذبة فاكتب فى يرحمك الله الى هذين الظالمين كتابا لطيفا عسى الله أن يخلصنى من أيديهما بلطفك وبركتك ويمنك والسلام عليك فكتب اليهما عبد الله بن عمر أما بعد فقد علمتما الذى بينى وبين المختار

منهم شماس بن دثار وبحير بن ورقاء الصريمي وشعبة بن ظهير النهشلي وورد بن الفلق العنبري والحجاج بن ناشب العدوي وكان من أرمى الناس وعاصم بن حبيب العدوي فقاتل الحريش بن هلال عبد الله بن خازم سنتين قال فلما طالت الحرب والشر بينهم ضجروا قال فخرج الحريش فنادى ابن خازم فخرج اليه فقال قد طالت الحرب بيننا فعلام تقتل قومي وقومك ابرز لي فأينا قتل صاحبه صارت الارض له فقال ابن خازم وأبيك لقد أنصفتني فبرز له فتصاولا تصاول الفحلين لا يقدر أحد منهما على ما يريد وتغفل ابن خازم غفلة وضربه الحريش على رأسه فرمى بفروة رأسه على وجهه وانقطع ركابا الحريش وانتزع السيف قال فلزم ابن خازم عنق فرسه راجعا الى أصحابه وبه ضربة قد أخذت من رأسه ثم غاداهم القتال فمكثوا بذلك بعد الضربة أياما ثم مل الفريقان فتفرقوا ثلاث فرق فمضى بحير بن ورقاء الى أبرشهر في جماعة وتوجه شماس بن دثار العطاردي ناحية أخرى وقيل أتى سجستان وأخذ عثمان بن بشر بن المحتفز الى فرتنا فنزل قصرا بها ومضى الحريش الى ناحية مروالروذ فاتبعه ابن خازم فلحقه بقرية من قراها يقال لها قرية الملحمة أو قصر الملحمة والحريش بن هلال في اثني عشر رجلا وقد تفرق عنه أصحابه فهم في خربة وقد نصب رماحا كانت معه وترسه قال وانتهى اليه ابن خازم فخرج اليه في أصحابه ومع ابن خازم مولى له شديد البأس فحمل على الحريش فضربه فلم يصنع شيأ فقال رجل من بني ضبة للحريش أما ترى ما يصنع العبد فقال له الحريش عليه سلاح كثير وسيفي لا يعمل في سلاحه ولكن انظر لي خشبة ثقيلة فقطع له عودا ثقيلا من عناب ويقال أصابه في القصر فأعطاه اياه فحمل به على مولى ابن خازم فضربه فسقط وقيذا ثم أقبل على ابن خازم فقال ما تريد الي وقد خليتك والبلاد قال انك تعود اليها قال فاني لا أعود فصالحه على أن يخرج له من خراسان ولا يعود الى قتاله فوصله ابن خازم بأربعين ألفا قال وفتح له الحريش باب القصر فدخل ابن خازم فوصله وضمن له قضاء دينه وتحدثا طويلا قال وطارت قطنة كانت على رأس ابن خازم ملصقة على الضربة التي كان الحريش ضربه فقام الحريش فتناولها فوضعها على رأسه فقال له ابن خازم مسك اليوم يا أبا قدامة ألين من مسك أمس قال معذرة الى الله واليك أما والله لولا ان ركابي انقطعا لخالط السيف أضراسك فضحك ابن خازم وانصرف عنه وتفرق جمع بني تميم فقال بعض شعراء بني تميم

لو كُنتمُ مِثلَ الحريشِ صَبَرْتمُ * وكنتمْ بقصر الملح خيرَ فوارس
اذا لَسَقيتمْ بالمَوالى ابنَ حازمٍ * سِجالَ دَمٍ يُورِثن طُول وساوسِ

قال وكان الأشعث بن ذؤيب أخو زهير بن ذؤيب العدوي قتل في تلك الحرب فقال له أخوه زهير وبه رمق مَن قتلك قال لا أدري طعنني رجل على برذون أصفر قال فكان زهير

المدينة قالوا ابعث أخاه مصعب بن الزبير قال ذاك الليث النهد وهو رجل أهل بيته (قال هشام) قال أبو مخنف وقدم عبد الله بن مطيع الكوفة فى رمضان سنة ٦٥ يوم الخميس لخمس بقين من شهر رمضان فقال لعبد الله بن يزيد إنْ أحببت أن تقيم معى أحسنتُ صحبتك وأكرمت مثواك وان لحقت بأمير المؤمنين عبد الله بن الزبير فبك عليه كرامة وعلى مَن قبله من المسلمين وقال لإبراهيم بن محمد بن طلحة الحق بأمير المؤمنين فخرج ابراهيم حتى قدم المدينة وكسر على ابن الزبير الخراج وقال انما كانت فتنة فكف عنه ابن الزبير قال وأقام ابن مطيع على الكوفة على الصلاة والخراج وبعث على شرطته اياس بن مضارب العجلى وأمره أن يُحسن السيرة والشدّة على المريب (قال أبو مخنف) فحدّثنى حصيرة بن عبد الله بن الحارث بن دريد الأزدىّ وكان قد أدرك ذاك الزمان وشهد قتل مصعب بن الزبير قال إنى لشاهد المسجد حيث قدم عبد الله بن مطيع فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه وقال أما بعد فإن أمير المؤمنين عبد الله بن الزبير بعثنى على مصركم وثغوركم وأمرنى بجباية فيئكم وأن لا أحمل فضل فيئكم عنكم الا برضى منكم ووصية عمر بن الخطاب التى أوصى بها عند وفاته وبسيرة عثمان بن عفان التى سار بها فى المسلمين فاتقوا الله واستقيموا ولا تختلفوا وخذوا على أيدى سفهائكم والا تفعلوا فلوموا أنفسكم ولا تلومونى فوالله لأوقعنّ بالسقيم العاصى ولأقيمنّ درأ الأصعر المرتاب فقام اليه السائب بن مالك الأشعرىّ فقال أمّا أمر ابن الزبير اياك أن لا تحمل فضل فيئنا عنا الا برضانا فإنا نشهدك أنا لا نرضى أن تحمل فضل فيئنا عنا وان لا يقسم الا فينا وان لا يسار فينا الا بسيرة علىّ بن أبى طالب التى سار بها فى بلادنا هذه حتى هلك رحمة الله عليه ولا حاجة لنا فى سيرة عثمان فى فيئنا ولا فى أنفسنا فإنها انما كانت أثرة وهوى ولا فى سيرة عمر بن الخطاب فى فيئنا وان كانت أهون السيرتين علينا ضرّا وقد كان لا يألو الناس خيرا فقال يزيد بن أنس صدق السائب بن مالك وبرّ رأينا مثل رأيه وقولنا مثل قوله فقال ابن مطيع نسير فيكم بكل سيرة أحببتموها وهويتموها ثم نزل فقال يزيد بن أنس الأسدىّ ذهبت بفضلها يا سائب لا يعدمك المسلمون أما والله لقد قمت وانى لأريد أن أقوم فأقول له نحوا من مقالتك وما أحبّ ان الله ولى الردّ عليه رجلا من أهل المصر ليس من شيعتنا وجاء إياس بن مضارب الى ابن مطيع فقال له ان السائب بن مالك من رؤس أصحاب المختار ولست آمن المُختار فابعث اليه فليأتك فاذا جاءك فاحبسه فى سجنك حتى يستقيم أمر الناس فإن عيونى قد أتتنى فخبرتنى ان أمره قد استجمع له وكأنه قد وثب بالمصر قال فبعث اليه ابن مطيع زائدة بن قُدامة وحُسين بن عبد الله البُرْسُمىّ من همدان فدخلا عليه فقالا أجب الأمير فدعا بثيابه وأمر باسراج دابته وتحشحش للذهاب معهما فلما رأى زائدةُ بن قدامة ذلك قرأ قول الله تبارك وتعالى

ابن أبي عبيد من الصهر والذي بيني وبينكما من الودّ فأقسمت عليكما بحق ما بيني
وبينكما لما خليتما سبيله حين تنظران في كتابي هذا والسلام عليكما ورحمة الله فلما أتى
عبد الله بن يزيد وإبراهيم بن محمد بن طلحة كتاب عبد الله بن عمر دعوا للمختار بكفلاء
يضمنونه بنفسه فأتاه أناس من أصحابه كثير فقال يزيد بن الحارث بن يزيد بن رُؤَيم لعبد
الله بن يزيد ما تصنع بضمان هؤلاء كلهم ضمّنه عشرةً منهم أشرافا معروفين ودعْ سائرهم
ففعل ذلك فلما ضمنوه دعا به عبد الله بن يزيد وإبراهيم بن محمد بن طلحة فحلّفاه بالله الذي
لا إله إلا هو عالم الغيب والشهادة الرحمن الرحيم لا يبغيهما غائلة ولا يخرج عليهما ما كان لهما
سلطان فإن هو فعل فعليه ألفُ بدنة ينحرها لدى رتاج الكعبة ومماليكه كلهم ذَكَرُهم
وأنثاهم أحرارٌ فحلف لهما بذلك ثم خرج فجاء داره فنزلها (قال أبو مخنف) فحدثني يحيى
ابن أبي عيسى عن حميد بن مسلم قال سمعت المختار بعد ذلك يقول قاتلهم الله ما أحمقهم حين
يرون أني أفي لهم بأيمانهم هذه أما حلفي لهم بالله فإنه ينبغي لي إذا حلفت على يمين فرأيت ما هو
خير منها أن أدع ما حلفت عليه وآتي الذي هو خير وأكفّر يميني وخروجي عليهم خير من
كفي عنهم وأكفّرُ يميني وأمّا هَدْيُ ألف بدنة فهو أهوَنُ عليّ من بصقة وما ثمنُ ألف بدنة
فيهولني وأمّا عتق مماليكي فوالله لوددت أنه قد استتب لي أمري ثم لم أملك مملوكا أبدا
قال ولما نزل المختار داره عند خروجه من السجن اختلف إليه الشيعة واجتمعت عليه واتفق
رأيها على الرضى به وكان الذي يبايع له الناس وهو في السجن خمسة نفر السائب بن مالك
الأشعريّ ويزيد بن أنس وأحمر بن شميط ورفاعة بن شدّاد الفتيانيّ وعبد الله بن شداد
الجُشَميّ قال فلم تزل أصحابه يكثرون وأمره يقوى ويشتدّ حتى عزل ابنُ الزبير عبد الله
ابن يزيد وإبراهيم بن محمد بن طلحة وبعث عبد الله بن مطيع على عملهما إلى الكوفة (قال
أبو مخنف) فحدثني الصقعب بن زهير عن عمر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام قال دعا
ابن الزبير عبد الله بن مطيع أخا بني عديّ بن كعب والحارث بن عبد الله بن أبي ربيعة
المخزوميّ فبعث عبد الله بن مطيع على الكوفة وبعث الحارث بن عبد الله بن أبي ربيعة
على البصرة قال فبلغ ذلك بحير بن ريسان الحميريّ فلقيهما فقال لهما يا هذان إن القمر الليلةَ
بالناطح فلا تسيرا فأما ابن أبي ربيعة فأطاعه فأقام يسيرا ثم شخص إلى عمله فسلم وأما عبد الله
ابن مطيع فقال له وهل نطلب إلا النطح قال فلقي والله نطحا وبطحا قال يقول عمر والبلاء
موكل بالقول قال عمر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام بلغ عبد الملك بن مروان أن ابن
الزبير بعث عمالا على البلاد فقال من بعث على البصرة فقيل بعث عليها الحارث بن عبد الله
ابن أبي ربيعة قال لا حُرّ بوادي عَوْف بعث عوفا وجلس ثم قال من بعث على الكوفة قالوا
عبد الله بن مطيع قال حازم وكثيرا ما يسقط وشجاع وما يكره أن يفرّ قال من بعث على

المدينة

النصيب فقد أصبتم بحسين رحمة الله عليه عظمت مصيبة ما قد خصكم بها فقد عمّ بها المسلمون وقد قدم علينا المختار بن أبي عبيد يزعم لنا انه قد جاءنا من تلقائكم وقد دعانا الى كتاب الله وسنة نبيّه صلى الله عليه وسلم والطلب بدماء أهل البيت والدفع عن الضعفاء فبايعناه على ذلك ثم انا رأينا ان نأتيك فنذكر لك ما دعانا اليه وندبنا له فإن أمرتنا باتباعه اتبعناه وان نهيتنا عنه اجتنبناه ثم تكلمنا واحدا واحدا بنحو مما تكلم به صاحبنا وهو يسمع حتى اذا فرغنا حمد الله وأثنى عليه وصلى على النبي صلى الله عليه ثم قال أما بعد فأما ما ذكرتم مما خصّصنا الله به من فضل فإن الله يُؤْتيه مَن يشاء والله ذُو الفَضْلِ العَظِيمِ فلله الحمد وأما ما ذكرتم من مصيبتنا بحسين فإن ذلك كان في الذكر الحكيم وهي ملحمة كتبت عليه وكرامة اهداها الله له رفع بما كان منها درجات قوم عنده ووضع بها آخرين وكانَ أمرُ الله مَفْعُولاً وكان أمر الله قدرًا مقدُورا وأما ما ذكرتم من دعاء من دعاكم الى الطلب بدمائنا فوالله لوددت ان الله انتصر لنا من عدونا بمن شاء من خلقه أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم قال فخرجنا من عنده ونحن نقول قد أذن لنا قد قال لوددت ان الله انتصر لنا من عدوّنا بمن شاء من خلقه ولو كره لقال لا تفعلوا قال فجئنا وأناس من الشيعة ينتظرون لقدومنا ممن كنا قد أعلمناه بمخرجنا وأطلعناه على ذات أنفسنا ممن كان على رأينا من اخواننا وقد كان بلغ المختار مخرجنا فشق ذلك عليه وخشي ان نأتيه بأمر يخذّل الشيعة عنه فكان قد أرادهم على أن ينهض بهم قبل قدومنا فلم يتهيأ ذلك له فكان المختار يقول ان نفيرا منكم ارتابوا وتحيّروا وخابوا فان هم أصابوا أقبلوا وأنابوا وان هم كبوا وهابوا واعترضوا وانجابوا فقد ثبروا وخابوا فلم يكن الا شهرا أو زيادة شيء حتى أقبل القوم على رواحلهم حتى دخلوا على المختار قبل دخولهم الى رحالهم فقال لهم ما وراءكم فقد فتنتم وارتبتم فقالوا له قد أمرنا بنصرتك فقال الله أكبر أنا أبو اسحاق اجمعوا الى الشيعة فجمع له منهم من كان منه قريبا فقال يا معشر الشيعة ان نفرا منكم أحبّوا ان يعلموا مصداق ما جئتُ به فرحلوا الى امام الهدى والنجيب المرتضى ابن خير من طشى ومشى حاشا النبي المجتبى فسألوه عما قدمت به عليكم فنبّأهم انى وزيره وظهيره ورسوله وخليله وأمركم باتباعي وطاعتي فيما دعوتكم اليه من قتال المحلين والطلب بدماء أهل بيت نبيّكم المصطفين فقام عبد الرحمن بن شريح فحمد الله وأثنى عليه ثم قال أما بعد يا معشر الشيعة فإنا قد كنا أحببنا أن نستثبت لأنفسنا خاصة ولجميع اخواننا عامة فقدمنا على المهدي ابن عليّ فسألناه عن حربنا هذه وعن ما دعانا اليه المختار منها فأمرنا بمظاهرته وموازرته واجابته الى ما دعانا اليه فأقبلنا طيّبة أنفسنا منشرحة صدورنا قد أذهب الله منها الشكّ والغلّ والريب واستقامت لنا بصيرتنا في قتال عدوّنا فليبلغ ذلك شاهدُكم غائبكم واستعدّوا وتأهبوا ثم جلس وقمنا رجلا فرجلا

وإذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين ففهمها المختار فجلس ثم ألقى ثيابه عنه ثم قال ألقوا على القطيفة ما أرانى الا قد وعكت انى لأجد قفقفة شديدة ثم تمثل قول عبد العزى بن صهل الأزدي .

اذا ما معشر تركوا نداهم * ولم يأتوا الكريهة لم يهابوا

إرجعا الى ابن مطيع فأعلماه حالى التى أنا عليها فقال له زائدة بن قدامة اما أنا ففاعل وأنت يا أخا همدان فاعذرنى عنده فانه خير لك (قال أبو مخنف) فحدثنى اسماعيل بن نعيم الهمدانى عن حسين بن عبد الله قال قلت فى نفسى والله ان أنا لم أبلغ عن هذا ما يرضيه ما أنا بآمن من ان يظهر غدا فيهلكنى قال فقلت له نعم أنا أصنع عند ابن مطيع عذرك وأبلغه كل ما تحب فخرجنا من عنده فاذا أصحابه على بابه وفي داره منهم جماعة كثيرة قال فأقبلنا نحو ابن مطيع فقلت لزائدة بن قدامة اما انى قد فهمت قولك حين قرأت تلك الآية وعلمت ما أردت بها وقد علمت انها هى ثبطته عن الخروج معنا بعد ما كان قد لبس ثيابه وأسرج دابته وعلمت حين تمثل البيت الذى تمثل انما أراد يخبرك انه قد فهم عنك ما أردت أن تفهمه وأنه لن يأتيه قال فجاحدنى أن يكون أراد شيأ من ذلك فقلت له لا تحلف فوالله ما كنت لأبلغ عنك ولا عنه شيأ تكرهانه ولقد علمت انك مشفق عليه تجد له ما يجد المرء لابن عمه فأقبلنا الى ابن مطيع فأخبرناه بعلته وشكواه فصدقنا ولهى عنه قال وبعث المختار الى أصحابه فأخذ يجمعهم فى الدور حوله وأراد أن يثب بالكوفة فى المحرم فجاء رجل من أصحابه من شبام وكان عظيم الشرف يقال له عبد الرحمن بن شريح فلقى سعيد بن منقذ الثورى وسعر بن أبى سعر الحنفى والأسود بن جراد الكندى وقدامة بن مالك الجشمى فاجتمعوا فى منزل سعر الحنفى فحمد الله وأثنى عليه ثم قال أما بعد فان المختار يريد أن يخرج بنا وقد بايعناه ولا ندرى أرسله الينا ابن الحنفية أم لا فانهضوا بنا الى ابن الحنفية فلنخبره بما قدم علينا به وبما دعانا اليه فان رخص لنا فى اتباعه اتبعناه وان نهانا عنه اجتنبناه فوالله ما ينبغى أن يكون شئ من أمر الدنيا آثر عندنا من سلامة ديننا فقالوا له أرشدك الله فقد أصبت ووفقت اخرج بنا اذا شئت فأجمع رأيهم على أن يخرجوا من أيامهم فخرجوا فلحقوا بابن الحنفية وكان امامهم عبد الرحمن بن شريح فلما قدموا عليه سألهم عن حال الناس فخبروه عن حالهم وما هم عليه (قال أبو مخنف) فحدثنى حليفة بن ورقاء عن الأسود بن جراد الكندى قال قلنا لابن الحنفية إن لنا اليك حاجة قال فسر هى أم علانية قال قلنا لا بل سر قال فرويدا اذا قال فمكث قليلا ثم تنحى جانبا فدعانا فقمنا اليه فبدأ عبد الرحمن ابن شريح فتكلم فحمد الله وأثنى عليه ثم قال أما بعد فانكم أهل بيت خصكم الله بالفضيلة وشرفكم بالنبوة وعظم حقكم على هذه الأمة فلا يجهل حقكم الا مغبون الرأى مخسوس

النصيب

ادفع الكتاب اليه فدفعته اليه فدعا بالمصباح وفض خاتمه وقرأه فإذا هو بسم الله الرحمن الرحيم من محمد المهدى الى ابراهيم بن مالك الأشتر سلام عليك فإنى أحمد اليك الله الذى لا إله الا هو أما بعد فإنى قد بعثت اليكم بوزيرى وأمينى ونجيبى الذى ارتضيته لنفسى وقد أمرته بقتال عدوى والطلب بدماء أهل بيتى فانهض معه بنفسك وعشيرتك ومن أطاعك فإنك ان نصرتنى وأجبت دعوتى وساعدت وزيرى كانت لك عندى بذلك فضيلة ولك بذلك أعنة الخيل وكل جيش غاز وكل مصر ومنبر وثغر ظهرت عليه فيما بين الكوفة وأقصى بلاد أهل الشأم على الوفاء بذلك على عهد الله فإن فعلت ذلك نلت به عند الله أفضل الكرامة وان أبيت هلكت هلاكا لا تستقيله أبدا والسلام عليك فلما قضى ابراهيم قراءة الكتاب قال قد كتب الى ابن الحنفية وقد كتبت اليه قبل اليوم فما كان يكتب الى الا باسمه واسم أبيه قال له المختار ان ذلك زمان وهذا زمان قال ابراهيم فمن يعلم ان هذا كتاب ابن الحنفية الى فقال له يزيد بن أنس وأحمر بن شميط وعبد الله بن كامل وجماعتهم قال الشعبى الا أنا وأبى فقالوا نشهد ان هذا كتاب محمد بن على اليك فتأخر ابراهيم عند ذلك عن صدر الفراش فأجلس المختار عليه فقال ابسط يدك أبايعك فبسط المختار يده فبايعه ابراهيم ودعا لنا بفاكهة فأصبنا منها ودعا لنا بشراب من عسل فشربنا ثم نهضنا وخرج معنا ابن الأشتر فركب مع المختار حتى دخل رحله فلما رجع ابراهيم منصرفا أخذ بيدى فقال انصرف بنا يا شعبى قال فانصرفت معه ومضى بى حتى دخل بى رحله فقال يا شعبى انى قد حفظت انك لم تشهد أنت ولا أبوك أفترى هؤلاء شهدوا على حق قال قلت له قد شهدوا على ما رأيت وهم سادة القراء ومشيخة المصر وفرسان العرب ولا أرى مثل هؤلاء يقولون الا حقا قال فقلت له هذه المقالة وأنا والله لهم على شهادتهم متهم غير أنى يعجبنى الخروج وأنا أرى رأى القوم وأحب تمام ذلك الأمر فلم أطلعه على ما فى نفسى من ذلك فقال لى ابن الأشتر اكتب لى أسماءهم فانى ليس كلهم أعرف ودعا بصحيفة ودواة وكتب فيها بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما شهد عليه السائب بن مالك الأشعرى ويزيد بن أنس الأسدى وأحمر بن شميط الأحمسى ومالك بن عمرو النهدى حتى أتى على أسماء القوم ثم كتب شهدوا ان محمد بن على كتب الى ابراهيم بن الأشتر يأمره بموازرة المختار ومظاهرته على قتال المحلين والطلب بدماء أهل البيت وشهد على هؤلاء النفر الذين شهدوا على هذه الشهادة شراحيل بن عبد وهو أبو عامر الشعبى الفقيه وعبد الرحمن بن عبد الله النخعى وعامر بن شراحيل الشعبى فقلت له ما تصنع بهذا رحمك الله فقال دعه يكون قال ودعا ابراهيم عشيرته واخوانه ومن أطاعه وأقبل يختلف الى المختار (قال هشام بن محمد) قال أبو مخنف حدثنى يحيى بن أبى عيسى الأزدى قال كان حميد بن مسلم الأسدى صديقا

فتكلما بنحو من كلامه فاستجمعت له الشيعة وحدبت عليه (قال أبو مخنف) حدثني عمر
ابن وعلة والمشرقي عن عامر الشعبي قال كنت أنا وأبي أوّل من أجاب المختار قال فلما
تهيّأ أمره ودنا خروجه قال له أحمر بن شميط ويزيد بن أنس وعبد الله بن كامل وعبد الله
ابن شدّاد إنّ أشراف أهل الكوفة مجتمعون على قتالك مع ابن مطيع فإن جامعنا على
أمرنا إبراهيمُ بن الأشتر رجونا بإذن الله القوة على عدوّنا وأن لا يضرّنا خلافُ من خالفنا
فإنه فتى بئيس وابن رجل شريف بعيد الصيت وله عشيرة ذات عزّ وعدد قال لهم المختار
فالقوه فادعوه وأعلموه الذي أمرنا به من الطلب بدم الحسين وأهل بيته قال الشعبيّ
فخرجوا إليه وأنا فيهم وأبي فتكلم يزيد بن أنس فقال له إنا قد أتيناك في أمر نعرضه عليك
وندعوك إليه فإن قبلته كان خيرا لك وإن تركته فقد أدّينا إليك فيه النصيحة ونحن نحبّ أن
تكون عندك مستورا فقال لهم إبراهيم بن الأشتر وإنّ مثلي لا تُخاف غائلته ولا سعايته ولا
التقرّب إلى سلطانه باغتياب الناس إنما أولئك الصغار الأخطار الدقاق هِمما فقال له إنما
ندعوك إلى أمر قد أجمع عليه رأي الملإ من الشيعة إلى كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه
والطلب بدماء أهل البيت وقتال المحلّين والدفع عن الضعفاء قال ثم تكلم أحمر بن شميط
فقال له إني لك ناصح ولحظّك محبّ وإن أباك قد هلك وهو سيّد وفيك منه إن رعيت حق
الله خلفٌ قد دعوناك إلى أمر إن أجبتنا إليه عادت لك منزلة أبيك في الناس وأحييت من
ذلك أمرا قد مات إنما يكفي مثلك اليسيرُ حتى تبلغ الغاية التي لا مذهب وراءها إنه قد بنى
لك أوّلك مفخرًا وأقبل القوم كلهم عليه يدعونه إلى أمرهم ويرغّبونه فيه فقال لهم إبراهيم
ابن الأشتر فإني قد أجبتكم إلى ما دعوتموني إليه من الطلب بدم الحسين وأهل بيته على أن
تولّوني الأمر فقالوا أنت لذلك أهل ولكن ليس إلى ذلك سبيل هذا المختار قد جاءنا من
قبل المهديّ وهو الرسول والمأمور بالقتال وقد أُمرنا بطاعته فسكت عنهم ابن الأشتر ولم
يجبهم فانصرفنا من عنده إلى المختار فأخبرناه بما ردّ علينا قال فغبر ثلاثا ثم إنّ المختار دعا
بضعة عشر رجلا من وجوه أصحابه قال الشعبي أنا وأبي فيهم قال فسار بنا ومضى أمامنا
يقدّ بنا بيوت الكوفة قدّا لا ندري أين يريد حتى وقف على باب إبراهيم بن الأشتر فاستأذنّا
عليه فأذن لنا وأُلقيت لنا وسائد فجلسنا عليها وجلس المختار معه على فراشه فقال المختار
الحمد لله وأشهد أن لا إله إلا الله وصلى الله على محمد والسلام عليه أما بعد فإن هذا كتاب
إليك من المهديّ محمد بن أمير المؤمنين الوصيّ وهو خير أهل الأرض اليوم وابن خير أهل
الأرض كلها قبل اليوم بعد أنبياء الله ورسله وهو يسألك أن تنصرنا وتوازرنا فإن فعلت
اغتبطت وإن لم تفعل فهذا الكتاب حجة عليك وسيغني الله المهديّ محمدا وأولياءه عنك
قال الشعبي وكان المختار قد دفع الكتاب إلى حين خرج من منزله فلما قضى كلامه قال لي

ادفع

ماهذا الجمع معك وماتريد والله ان أمرك لمريب وقد بلغني انك تمر كل عشية ههنا وما أنا بتاركك حتى آتي بك الأمير فيرى فيك رأيه فقال ابراهيم لا أبا لغيرك خل سبيلنا فقال كلا والله لا أفعل ومع اياس بن مضارب رجل من همدان يقال له أبو قطن كان يكون مع أمراء الشرطة فهم يكرمونه ويؤثرونه وكان لابن الأشتر صديقا فقال له ابن الأشتر يا أبا قطن ادن مني ومع أبي قطن رمح له طويل فدنا منه أبو قطن ومعه الرمح وهو يرى ان ابن الأشتر يطلب اليه ان يشفع له الى ابن مضارب ليخلي سبيله فقال ابراهيم وتناول الرمح من يده ان رمحك هذا الطويل فحمل به ابراهيم على ابن مضارب فطعنه في ثغرة نحره فصرعه وقال لرجل من قومه انزل فاحتز رأسه فنزل اليه فاحتز رأسه وتفرق أصحابه ورجعوا الى ابن مطيع فبعث ابن مطيع ابنه راشد بن اياس مكان أبيه على الشرطة وبعث مكان راشد بن اياس الى الكناسة تلك الليلة سويد بن عبد الرحمن المنقري أبا القعقاع بن سويد وأقبل ابراهيم بن الاشتر الى المختار ليلة الأربعاء فدخل عليه فقال له ابراهيم انا اتعدنا للخروج للقابلة ليلة الخميس وقد حدث أمر لا بد من الخروج الليلة قال المختار وما هو قال عرض لي إياس بن مضارب في الطريق ليحبسني بزعمه فقتلته وهذا رأسه مع أصحابي على الباب فقال المختار فبشرك الله بخير فهذا طير صالح وهذا أول الفتح ان شاء الله فقال المختار قم يا سعيد بن منقذ فاشعل في الهرادي النيران ثم ارفعها للمسلمين وقم أنت يا عبد الله بن شداد فناد يا منصور أمت وقم أنت يا سفيان بن ليل وأنت يا قدامة بن مالك فناد يا لثارات الحسين ثم قال المختار علي بدرعي وسلاحي فأتي به فأخذ يلبس سلاحه ويقول

قد علمت بيضاء حسناء الطلل * واضحة الخدين عجزاء الكفل

أني غداة الروع مقدام بطل

ثم إن ابراهيم قال للمختار إن هؤلاء الرؤس الذين وضعهم ابن مطيع في الجبابين يمنعون اخواننا ان يأتونا ويضيقون عليهم فلو أني خرجت بمن معي من أصحابي حتى آتي قومي فيأتيني كل من قد بايعني من قومي ثم سرت بهم في نواحي الكوفة ودعوت بشعارنا فخرج الى من أراد الخروج الينا ومن قدر على اتيانك من الناس فمن أتاك حبسته عندك الى من معك ولم تفرقهم فإن عوجلت فأتيت كان معك من تمتنع به وأنا لو قد فرغت من هذا الأمر عجلت اليك في الخيل والرجال قال له إما لا فاعجل وإياك ان تسير الى أميرهم تقاتله ولا تقاتل أحدا وأنت تستطيع ان لا تقاتل واحفظ ما أوصيتك به الا ان يبدأك أحد بقتال فخرج ابراهيم بن الأشتر من عنده في الكتيبة التي اقبل فيها حتى أتى قومه واجتمع اليه جل من كان بايعه وأجابه ثم انه سار بهم في سكك الكوفة طويلا من الليل وهو في ذلك يتجنب السكك التي فيها الأمراء فجاء الى الذين معهم الجماعات الذين وضع ابن مطيع في الجبابين وأفواه الطرق

لابراهيم بن الأشتر وكان يختلف اليه ويذهب به معه وكان ابراهيم يروح في كل عشية عند المساء فيأتي المختار فيمكث عنده حتى تصوب النجوم ثم ينصرف فمكثوا بذلك يدبرون أمورهم حتى اجتمع رأيهم على أن يخرجوا ليلة الخميس لأربع عشرة من ربيع الأول سنة ٦٦ ووطن على ذلك شيعتهم ومن أجابهم * فلما كان عند غروب الشمس قام ابراهيم ابن الأشتر فأذن ثم انه استقدم فصلى بنا المغرب ثم خرج بنا بعد المغرب حين قلت أخوك أو الذئب وهو يريد المختار فأقبلنا علينا السلاح وقد أتى اياس بن مضارب عبد الله بن مطيع فقال ان المختار خارج عليك احدى الليلتين قال فخرج اياس في الشرط فبعث ابنه راشدا الى الكناسة وأقبل يسير حول السوق في الشرط ثم ان اياس بن مضارب دخل على ابن مطيع فقال له اني قد بعثت ابني الى الكناسة فلو بعثت في كل جبانة بالكوفة عظيم رجلا من أصحابك في جماعة من أهل الطاعة هاب المريب الخروج عليك قال فبعث ابن مطيع عبد الرحمن بن سعيد بن قيس الى جبانة السبيع وقال اكفني قومك لاأوتين من قبلك وأحكم أمر الجبانة التي وجهتك اليها لا يحدثن بها حدث فأولئك العجز والوهن وبعث كعب بن أبي كعب الخثعمي الى جبانة بشر وبعث زحر بن قيس الى جبانة كندة وبعث شمر بن ذي الجوشن الى جبانة سالم وبعث عبد الرحمن بن مخنف بن سليم الى جبانة الصائديين وبعث يزيد بن الحارث ابن رؤيم أبا حوشب الى جبانة مراد وأوصى كل رجل ان يكفيه قومه وان لا يؤتى من قبله وان يحكم الوجه الذي وجهه فيه وبعث شبث بن ربعي الى السبخة وقال اذا سمعت صوت القوم فوجه نحوهم فكان هؤلاء قد خرجوا يوم الاثنين فنزلوا هذه الجبابين وخرج ابراهيم بن الأشتر من رحله بعد المغرب يريد اتيان المختار وقد بلغه ان الجبابين قد حشيت رجالا وان الشرط قد أحاطت بالسوق والقصر (قال أبو مخنف) فحدثني يحيى بن أبي عيسى عن حميد بن مسلم قال خرجت مع ابراهيم من منزله بعد المغرب ليلة الثلاثاء حتى مررنا بدار عمرو بن حريث ونحن مع ابن الأشتر كتيبة نحو من مائة علينا الدروع قد كفرنا عليها بالأقبية ونحن متقلدو السيوف ليس معنا سلاح الا السيوف في عواتقنا والدروع قد سترناها بأقبيتنا فلما مررنا بدار سعيد بن قيس فجزناها الى دار أسامة قلنا مر بنا على دار خالد بن عرفطة ثم امض بنا الى بجيلة فلنمر في دورهم حتى نخرج الى دار المختار وكان ابراهيم فتى حدثا شجاعا فكان لا يكره أن يلقاهم فقال والله لأمرن على دار عمرو بن حريث الى جانب القصر وسط السوق ولأرعبن به عدونا ولأرينهم هوانهم علينا قال فأخذنا على باب الفيل على دار هبار ثم أخذ ذات اليمين على دار عمرو بن حريث حتى اذا جاوزها ألفينا اياس بن مضارب في الشرط مظهرين السلاح فقال لنا من أنتم ما أنتم فقال له ابراهيم أنا ابراهيم بن الأشتر فقال له ابن مضارب

ان شاكر يخرج جاء يسير حتى نزل بالميدان وأخذ عليهم بأفواه سككهم وطرقهم قال فلما أتاهم أبو عثمان النهدى فى عصابة من أصحابه نادى يالثارات الحسين يامنصور امت ياأيها الحى المهتدون ألا ان أمير آل محمد ووزيرهم قد خرج فنزل دير هند وبعثنى اليكم داعيا ومبشرا فاخرجوا اليه رحمكم الله قال فخرجوا من الدور يتداعون يالثارات الحسين ثم ضاربوا كعب بن أبى كعب حتى خلى لهم الطريق فأقبلوا الى المختار حتى نزلوا معه فى عسكره وخرج عبد الله بن قراد الخثعمى فى جماعة من خثعم نحو المائتين حتى لحق بالمختار فنزلوا معه فى عسكره وقد كان عرض له كعب بن أبى كعب فصافه فلما عرفهم ورأى انهم قومه خلى عنهم ولم يقاتلهم وخرجت شبام من آخر ليلتهم فاجتمعوا الى جبانة مراد فلما بلغ ذلك عبد الرحمن ابن سعيد بن قيس بعث اليهم إن كنتم تريدون اللحاق بالمختار فلا تمروا على جبانة السبيع فلحقوا بالمختار فتوافى الى المختار ثلاثة آلاف وثمانمائة من اثنى عشر ألفا كانوا بايعوه فاستجمعوا له قبل انفجار الفجر فأصبح قد فرغ من تعبيته (قال أبو مخنف) فحدثنى الوالبى قال خرجت أنا وحميد بن مسلم والنعمان بن أبى الجعد الى المختار ليلة خرج فأتيناه فى داره وخرجنا معه الى معسكره قال فوالله ما انفجر الفجر حتى فرغ من تعبيته فلما أصبح استقدم فصلى بنا الغداة بغلس ثم قرأ والنّازعات وعبس وتولّى قال فما سمعنا اماما أم قوما أفصح لهجة منه (قال أبو مخنف) حدثنى حصيرة بن عبد الله ان ابن مطيع بعث الى أهل الجبابين فأمرهم ان ينضموا الى المسجد وقال لراشد بن اياس بن مضارب ناد فى الناس فليأتوا المسجد فنادى المنادى ألا برئت الذمة من رجل لم يحضر المسجد الليلة فتوافى الناس فى المسجد فلما اجتمعوا بعث ابن مطيع شبث بن ربعى فى نحو من ثلاثة آلاف الى المختار وبعث راشد بن اياس فى أربعة آلاف من الشرط (قال أبو مخنف) فحدثنى أبو الصلت التيمى عن أبى سعيد الصيقل قال لما صلى المختار الغداة ثم انصرف سمعنا أصواتا مرتفعة فما بين بنى سليم وسكة البريد فقال المختار من يعلم لنا علم هؤلاء ما هم فقلت له أنا أصلحك الله فقال المختار اما لا فألق سلاحك وانطلق حتى تدخل فيهم كأنك نظار ثم تأتينى بخبرهم قال ففعلت فلما دنوت منهم اذا مؤذنهم يقيم فجئت حتى دنوت منهم فاذا شبث بن ربعى معه خيل عظيمة وعلى خيله شيبان بن حريث الضبى وهو فى الرجالة معه منهم كثرة فلما أقام مؤذنهم تقدم فصلى بأصحابه فقرأ اذا زُلزلتْ الأرضْ زلزالها فقلت فى نفسى أما والله انى لأرجو أن يزلزل الله بكم وقرأ والعاديات ضبحا فقال له اناس من أصحابه لو كنت قرأت سورتين هما أطول من هاتين شيأ فقال شبث ترون الديلم قد نزلت بساحتكم وأنتم تقولون لو قرأت سورة البقرة وآل عمران قال وكانوا ثلاثة آلاف قال فأقبلت سريعا حتى أتيت المختار فأخبرته بخبر شبث وأصحابه وأتاه معى ساعة أتيته سعر بن أبى سعر الحنفى يركض من قبل مراد وكان ممن بايع المختار فلم يقدر

العظام حتى انتهى الى مسجد السكون وعجلت اليه خيل من خيل زحر بن قيس الجعفي ليس
لهم قائد ولا عليهم أمير فشد عليهم ابراهيم بن الأشتر وأصحابه فكشفوهم حتى دخلوا جبانة
كندة فقال ابراهيم من صاحب الخيل في جبانة كندة فشد ابراهيم وأصحابه عليهم وهو يقول
اللهم انك تعلم انا غضبنا لأهل بيت نبيك وثرنا لهم فانصرنا عليهم وتمم لنا دعوتنا حتى انتهى اليهم
هو وأصحابه فخالطوهم وكشفوهم فقيل له زحر بن قيس فقال انصرفوا بنا عنهم فركب
بعضهم بعضا كلما لقيهم زقاق دخل منهم طائفة فانصرفوا يسيرون ثم خرج ابراهيم يسير حتى
انتهى الى جبانة أثير فوقف فيها طويلا ونادى أصحابه بشعارهم فبلغ سويد بن عبد الرحمن
المنقري مكانهم في جبانة أثير فرجا ان يصيبهم فيحظى بذلك عند ابن مطيع فلم يشعر ابن
الأشتر الا وهم معه في الجبانة فلما رأى ذلك ابن الأشتر قال لأصحابه يا شرطة الله انزلوا فانكم
أولى بالنصر من الله من هؤلاء الفساق الذين خاضوا دماء أهل بيت رسول الله صلى الله عليه
وسلم فنزلوا ثم شد عليهم ابراهيم فضربهم حتى أخرجهم من الصحراء وولوا منهزمين يركب
بعضهم بعضا وهم يتلاومون فقال قائل منهم ان هذا الأمر يراد ما يلقون لنا جماعة الا هزموهم
فلم يزل يهزمهم حتى أدخلهم الكناسة وقال أصحاب ابراهيم لابراهيم أتبعهم واغتنم ما قد
دخلهم من الرعب وقد علم الله الى من ندعو وما نطلب والى من يدعون وما يطلبون قال لا
ولكن سيروا بنا الى صاحبنا حتى يؤمن الله بنا وحشته ويكون من أمره على علم ويعلم هو
أيضا ما كان من عنائنا فيزداد هو وأصحابه قوة وبصيرة الى قواهم وبصيرتهم مع أني لا آمن ان
يكون قد أتي فأقبل ابراهيم في أصحابه حتى مر بمسجد الأشعث فوقف به ساعة ثم مضى حتى
أتى دار المختار فوجد الأصوات عالية والقوم يقتتلون وقد جاء شبث بن ربعي من قبل السبخة
فعبى له المختار يزيد بن أنس وجاء حجار بن أبجر العجلي فجعل المختار في وجهه أحمر بن شميط
فالناس يقتتلون وجاء ابراهيم من قبل القصر فبلغ حجارا وأصحابه ان ابراهيم قد جاءهم من
ورائهم فتفرقوا قبل ان يأتيهم ابراهيم وذهبوا في الأزقة والسكك وجاء قيس بن طهفة في
قريب من مائة رجل من بني نهد من أصحاب المختار فحمل على شبث بن ربعي وهو يقاتل
يزيد بن أنس فخلى لهم الطريق حتى اجتمعوا جميعا ثم ان شبث بن ربعي ترك لهم السكة وأقبل
حتى لقي ابن مطيع فقال ابعث الى امراء الجبابين فمرهم فليأتوك فاجمع اليك جميع الناس ثم
انهد الى هؤلاء القوم فقاتلهم وابعث اليهم من تثق به فليكفك قتالهم فإن أمر القوم قد قوي وقد
خرج المختار وظهر واجتمع له أمره فلما بلغ ذلك المختار من مشورة شبث بن ربعي على ابن
مطيع خرج المختار في جماعة من أصحابه حتى نزل في ظهر دير هند مما يلي بستان زائدة في
السبخة قال وخرج أبو عثمان النهدي فنادى في شاكر وهم مجتمعون في دورهم يخافون ان
يظهروا في الميدان لقرب كعب بن أبي كعب الخثعمي منهم وكان كعب في جبانة بشر فلما بلغه

ان

وترفعون على جذوع النخل في حب أهل بيت نبيكم وأنتم مقيمون في بيوتكم وطاعة عدوكم فما ظنكم بهؤلاء القوم ان ظهروا عليكم اليوم اذًا والله لايدعون منكم عينا تطرف وليقتلنكم صبرا ولترون منهم في أولادكم وأزواجكم وأموالكم ما الموت خير منه والله لا ينجيكم منه الا الصدق والصبر والطعن الصائب في أعينهم والضرب الدراك على هامهم فتيسروا للشدة وتهيأوا للحملة فإذا حركت رايتي مرتين فاحملوا قال الحارث فتهيأنا وتيسرنا وجثونا على الركب وانتظرنا أمره (قال أبو مخنف) وحدثني فضيل بن خديج الكندى ان ابراهيم بن الأشتر كان حين توجه الى راشد بن اياس مضى حتى لقيه في مراد فإذا معه أربعة آلاف فقال ابراهيم لأصحابه لا يهولنكم كثرة هؤلاء فوالله لرب رجل خير من عشرة ولرُبَّ ﴿فِئَةٍ قَلِيلَةٍ قَدْ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللهِ وَاللهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ ثم قال يا خزيمة بن نصر سر اليهم في الخيل ونزل هو يمشي في الرجال ورايته مع مزاحم بن طفيل فأخذ ابراهيم يقول له ازدلف برايتك امض بها قدما قدما واقتتل الناس فاشتد قتالهم وبصر خزيمة بن نصر العبسى براشد بن اياس فحمل عليه فطعنه فقتله ثم نادى قتلت راشدا ورب الكعبة وانهزم أصحاب راشد واقبل ابراهيم بن الأشتر وخزيمة بن نصر ومن كان معهم بعد قتل راشد نحو المختار وبعث النعمان بن أبي الجعد يبشر المختار بالفتح عليه وبقتل راشد فلما ان جاءهم البشير بذلك كبروا واشتدت أنفسهم ودخل أصحاب ابن مطيع الفشل وسرح ابن مطيع حسان بن فائد بن بكير العبسى في جيش كثيف نحو من ألفين فاعترض ابراهيم بن الاشتر فويق الحمراء ليرده عمن في السبخة من أصحاب ابن مطيع فقدم ابراهيم خزيمة بن نصر الى حسان بن فائد في الخيل ومشى ابراهيم نحوه في الرجال فقال والله ما اطعنا برمح ولا اضطربنا بسيف حتى انهزموا وتخلف حسان ابن فائد في احريات الناس يحميهم وحمل عليه خزيمة بن نصر فلما رآه عرفه فقال له يا حسان ابن فائد أما والله لولا القرابة لعرفت انى سألتمس قتلك بجهدى ولكن النجاء فعثر بحسان فرسه فوقع فقال تعسا لك أبا عبد الله وابتدره الناس فأحاطوا به فضاربهم ساعة بسيفه فناداه خزيمة بن نصر قال انك آمن يا أبا عبد الله لا تقتل نفسك وجاء حتى وقف عليه ونهنه الناس عنه ومر به ابراهيم فقال له خزيمة هذا ابن عمى وقد آمنته فقال له ابراهيم أحسنت فأمر خزيمة بطلب فرسه حتى أتى به فحمله عليه وقال الحق بأهلك قال وأقبل ابراهيم نحو المختار وشبثُ محيط بالمختار ويزيد بن أنس فلما رآه يزيد بن الحارث وهو على أفواه سكك الكوفة التى تلى السبخة وإبراهيم مقبل نحو شبث أقبل نحوه ليصده عن شبث وأصحابه فبعث ابراهيم طائفة من أصحابه مع خزيمة بن نصر فقال أغن عنا يزيد بن الحارث وصمد هو في بقية أصحابه نحو شبث بن ربعي (قال أبو مخنف) فحدثنى الحارث بن كعب ان ابراهيم لما أقبل نحونا رأينا شبثا وأصحابه ينكصون وراءهم رويدا رويدا فلما دنا ابراهيم من شبث وأصحابه حمل

على الخروج معه ليلة خرج مخافة الحرس فلما أصبح أقبل على فرسه فمر بجبانة مراد وفيها
راشد بن اياس فقالوا كما أنت ومن أنت فراكضهم حتى جاء المختار فأخبره خبر راشد
وأخبرته أنا خبر شبث قال فسرح ابراهيم بن الأشتر قبل راشد بن اياس في تسعمائة ويقال
ستمائة فارس وستمائة راجل وبعث نعيم بن هبيرة أخا مصقلة بن هبيرة في ثلثمائة فارس وستمائة
راجل وقال لهما امضيا حتى تلقيا عدوكما فاذا القيتماهم فانزلا في الرجال وعجلا الفراغ وابدآهم
بالاقدام ولا تستهدفا لهم فانهم أكثر منكم ولا ترجعا الى حتى تظهرا أو تقتلا فتوجه ابراهيم الى
راشد وقدم المختار يزيد بن أنس في موضع مسجد شبث في تسعمائة أمامه وتوجه نعيم بن
هبيرة قبل شبث (قال أبو مخنف) قال أبو سعيد الصيقل كنت أنا فيمن توجه مع نعيم بن
هبيرة الى شبث ومعي سعر بن أبي سعر الحنفي فلما انتهينا اليه قاتلناه قتالا شديدا فجعل نعيم بن
هبيرة سعر بن أبي سعر الحنفي على الخيل ومشى هو في الرجال فقاتلهم حتى أشرقت الشمس
وانبسطت فضربناهم حتى أدخلناهم البيوت ثم ان شبث بن ربعي ناداهم يا حماة السوء
بئس فرسان الحقائق أنتم أمن عبيدكم تهربون قال فثابت اليه منهم جماعة فشدوا علينا وقد
تفرقنا فهزمونا وصبر نعيم بن هبيرة فقتل ونزل معه سعر فأسر وأسرت أنا وخليد مولى حسان
ابن بحدج فقال شبث لخليد وكان وسيما جسيما من أنت فقال خليد مولى حسان بن بحدج
الذهلي فقال له شبث يا ابن المتكاء تركت بيع الصحناة بالكناسة وكان جزاء من أعتقك ان
تعدو عليه بسيفك تضرب رقابه اضربوا عنقه فقتل ورأى سعرا الحنفي فعرفه فقال أخو بني
حنيفة فقال له نعم فقال ويحك ما أردت الى اتباع هذه السبائية قبح الله رأيك دعوا ذا فقلت في
نفسي قتل المولى وترك العربي ان علم والله اني مولى قتلني فلما عرضت عليه قال من أنت
فقلت من بني تيم الله قال أعربي أنت أو مولى فقلت لا بل عربي أنا من آل زياد بن خصفة
فقال بخ بخ ذكرت الشريف المعروف الحق بأهلك قال فأقبلت حتى انتهيت الى الحمراء
وكانت لي في قتال القوم بصيرة فجئت حتى انتهيت الى المختار وقلت في نفسي والله لآتين
أصحابي فلأواسينهم بنفسي فقبح الله العيش بعدهم قال فأتيتهم وقد سبقني اليهم سعر الحنفي
وأقبلت اليه خيل شبث وجاءه قتل نعيم بن هبيرة فدخل من ذلك أصحاب المختار أمر كبير
قال فدنوت من المختار فأخبرته بالذي كان من أمري فقال لي اسكت فليس هذا بمكان
الحديث وجاء شبث حتى أحاط بالمختار وبيزيد بن أنس وبعث ابن مطيع يزيد بن الحارث
ابن رؤيم في ألفين من قبل سكة لحام جرير فوقفوا في أفواه تلك السكك وولى المختار يزيد
ابن أنس خيله وخرج هو في الرجالة (قال أبو مخنف) فحدثني الحارث بن كعب الوالبي
والبة الأزد قال حملت علينا خيل شبث بن ربعي حملتين فما يزول منا رجل من مكانه فقال
يزيد بن أنس لنا يا معشر الشيعة قد كنتم تقتلون وتقطع أيديكم وأرجلكم وتسمل أعينكم

وترفعون

الجوشن في ألفين فسرح المختار اليه سعيد بن منقذ الهمداني فواقعه وبعث الى ابراهيم ان اطوه وامض على وجهك فمضى حتى انتهى الى سكة شبث واذا نوفل بن مساحق بن عبد الله ابن مخرمة في نحو من ألفين أوقال خمسة آلاف وهو الصحيح وقد أمر ابن مطيع سويد بن عبد الرحمن فنادى في الناس أن الحقوا بابن مساحق قال واستخلف شبث بن ربعي على القصر وخرج ابن مطيع حتى وقف بالكناسة (قال أبو مخنف) حدثني حصيرة بن عبد الله قال اني لأنظر الى ابن الأشتر حين أقبل في أصحابه حتى اذا دنا منهم قال لهم انزلوا فنزلوا فقال قرّبوا خيولكم بعضها الى بعض ثم امشوا اليهم مصلتين بالسيوف ولا يهولنكم ان يقال جاءكم شبث بن ربعيّ وآل عتيبة بن النهاس وآل الأشعث وآل فلان وآل يزيد بن الحارث قال فسمى بيوتات من بيوتات أهل الكوفة ثم قال ان هؤلاء لو قد وجدوا لهم حر السيوف قد انصفقوا عن ابن مطيع انصفاق المعزى عن الذئب قال حصيرة فاني لأنظر اليه والى أصحابه حين قربوا خيولهم وحين أخذ ابن الأشتر أسفل قبائه فرفعه فأدخله في منطقة له حمراء من حواشي البرود وقد شد بها على القباء وقد كفر بالقباء على الدرع ثم قال لأصحابه شدوا عليهم فدى لكم عمي وخالي قال فوالله مالبثهم ان هزمهم فركب بعضهم بعضا على فم السكة وازدحموا وانتهى ابن الأشتر الى ابن مساحق فأخذ بلجام دابته ورفع السيف عليه فقال له ابن مساحق يا ابن الأشتر أنشدك الله أتطلبني بثأر هل بيني وبينك من إحنة فخلى ابن الأشتر سبيله وقال له اذكرها فكان بعد ذلك ابن مساحق يذكرها لابن الأشتر وأقبلوا يسيرون حتى دخلوا الكناسة في آثار القوم حتى دخلوا السوق والمسجد وحصروا ابن مطيع ثلاثا (قال أبو مخنف) وحدثني النضر بن صالح ان ابن مطيع مكث ثلاثا يرزق أصحابه في القصر حيث حصر الدقيق ومعه أشراف الناس الا ما كان من عمرو بن حريث فإنه أتى داره ولم يلزم نفسه الحصار ثم خرج حتى نزل البر وجاء المختار حتى نزل جانب السوق وولى حصار القصر ابراهيم بن الأشتر ويزيد بن أنس وأحمر بن شميط فكان ابن الأشتر مما يلي المسجد وباب القصر ويزيد بن أنس مما يلي بني حذيفة وسكة دار الروميين وأحمر بن شميط مما يلي دار عمارة ودار أبي موسى فلما اشتد الحصار على ابن مطيع وأصحابه كلمه الأشراف فقام اليه شبث فقال له أصلح الله الأمير أنظر لنفسك ولمن معك فوالله ما عندهم غناء عنك ولا عن أنفسهم قال ابن مطيع هاتوا أشيروا عليّ برأيكم قال شبث الرأي ان تأخذ لنفسك من هذا الرجل أمانا ولنا وتخرج ولا تهلك نفسك ومن معك قال ابن مطيع والله إني لأكره ان آخذ منه أمانا والأمور مستقيمة لأمير المؤمنين بالحجاز كله وبأرض البصرة قال فتخرج لا يشعر بك أحد حتى تنزل منزلا بالكوفة عند من تستنصحه وتثق به ولا يعلم بمكانك حتى تخرج فتلحق بصاحبك فقال لأسماء بن خارجة وعبد الرحمن بن مخنف وعبد الرحمن بن

عليهم وأمرنا يزيد بن أنس بالحملة عليهم فحملنا عليهم فانكشفوا حتى انتهوا الى أبيات الكوفة وحمل خزيمة بن نصر على يزيد بن الحارث بن رؤيم فهزمه وازدحموا على أفواه السكك وقد كان يزيد بن الحارث وضع رامية على أفواه السكك فوق البيوت وأقبل المختار في جماعة الناس الى يزيد بن الحارث فلما انتهى أصحاب المختار الى أفواه السكك رمته تلك الرامية بالنبل فصدوهم عن دخول الكوفة من ذلك الوجه ورجع الناس من السبخة منهزمين الى ابن مطيع وجاءه قتل راشد بن اياس فأسقط في يده (قال أبو مخنف) فحدثني يحيى بن هانئ قال قال عمرو بن الحجاج الزبيدى لابن مطيع أيها الرجل لا يسقط فى خلدك ولا تلق بيدك أخرج الى الناس فاندبهم الى عدوك فاغزهم فإن الناس كثير عددهم وكلهم معك الا هذه الطاغية التى خرجت على الناس والله مخزيها ومهلكها وأنا أول منتدب فاندب معى طائفة ومع غيرى طائفة قال فخرج ابن مطيع فقام فى الناس فحمد الله وأثنى عليه ثم قال أيها الناس إن من أعجب العجب عجزكم عن عصبة منكم قليل عددها خبيث دينها ضالة مضلة اخرجوا اليهم فامنعوا منهم حريمكم وقاتلوهم عن مصركم وامنعوا منهم فيئكم والا والله ليشاركنكم فى فيئكم من لا حق له فيه والله لقد بلغنى ان فيهم خمسمائة رجل من محرريكم عليهم أمير منهم وإنما ذهاب عزكم وسلطانكم وتغير دينكم حين يكثرون ثم نزل قال ومنعهم يزيد بن الحارث ان يدخلوا الكوفة قال ومضى المختار من السبخة حتى ظهر على الجبانة ثم ارتفع الى البيوت بيوت مزينة وأحمس وبارق فنزل عند مسجدهم وبيوتهم وبيوتهم شاذة منفردة من بيوت أهل الكوفة فاستقبلوه بالماء فسقى أصحابه وأبى المختار ان يشرب قال فظن أصحابه انه صائم وقال أحمر بن هديج من همدان لابن كامل أترى الأمير صائما فقال له نعم هو صائم فقال له فلو انه كان فى هذا اليوم مفطرا كان أقوى له فقال له انه معصوم وهو أعلم بما يصنع فقال له صدقت أستغفر الله وقال المختار نعم مكان المقاتل هذا فقال له ابراهيم بن الأشتر قد هزمهم الله وفلهم وأدخل الرعب قلوبهم وتنزل ههنا سر بنا فوالله ما دون القصر أحد يمنع ولا يمتنع كبير امتناع فقال المختار ليقم ههنا كل شيخ ضعيف وذى علة وضعوا ما كان لكم من ثقل ومتاع بهذا الموضع حتى تسيروا الى عدونا ففعلوا فاستخلف المختار عليهم أبا عثمان النهدى وقدم ابراهيم بن الاشتر أمامه وعبى أصحابه على الحال التى كانوا عليها فى السبخة قال وبعث عبد الله بن مطيع عمرو بن الحجاج فى ألفى رجل فخرج عليهم من سكة الثوريين فبعث المختار الى ابراهيم أن اطوه ولا تقم عليه فطواه ابراهيم ودعا المختار يزيد بن أنس فأمره ان يصمد لعمرو بن الحجاج فمضى نحوه وذهب المختار فى أثر ابراهيم فمضوا جميعا حتى اذا انتهى المختار الى موضع مصلى خالد بن عبد الله وقف وأمر ابراهيم ان يمضى على وجهه حتى يدخل الكوفة من قبل الكناسة فمضى فخرج اليه من سكة ابن محرز وأقبل شمر بن ذى

سعيد بن منقذ الثوري في عصابة من الشيعة واقفا عند المصطبة فلما رأوه ومعه ابنه حيّان ابن المنذر قال رجل من سفهائهم هذا والله من رؤس الجبّارين فشدّوا عليه وعلى ابنه فقتلوهما فصاح بهم سعيد بن منقذ لا تعجلوا لا تعجلوا حتى ننظر ما رأى أميركم فيه قال وبلغ المختارَ ذلك فكرهه حتى رُؤِيَ ذلك في وجهه وأقبل المختار يمنّي الناس ويستجرّ مودّتهم ومودّة الأشراف ويُحسن السيرة جُهْدَه قال وجاءه ابن كامل فقال للمختار أعلمت ان ابن مطيع في دار أبي موسى فلم يُجبه بشيء فأعادها عليه ثلاث مرات فلم يجبه ثم أعادها فلم يجبه فظنّ ابن كامل ان ذلك لا يوافقه وكان ابن مطيع قبلُ للمختار صديقا فلما أمسى بعث الى ابن مطيع بمائة ألف درهم فقال له تجهّزْ بهذه واخرج فاني قد شعرت بمكانك وقد ظننت انه لم يمنعك من الخروج الا انه ليس في يديك ما يقوّيك على الخروج وأصاب المختار تسعة آلاف ألف في بيت مال الكوفة فأعطى أصحابه الذين قاتل بهم حين حصر ابن مطيع في القصر وهم ثلاثة آلاف وثمانمائة رجل كلّ رجل خمسمائة درهم خمسمائة درهم وأعطى ستة آلاف من أصحابه أتوه بعد ما أحاط بالقصر فأقاموا معه تلك الليلة وتلك الثلاثة الأيام حتى دخل القصر مائتين مائتين واستقبل الناس بخير ومَنّاهم العدل وحسن السيرة وأدنى الاشراف فكانوا جلساءه وحُدّاثه واستعمل على شرطته عبد الله بن كامل الشاكريّ وعلى حرسه كيسان أبا عَمْرةَ مولى عُرينة فقام ذات يوم على رأسه فرأى الأشراف يحدّثونه ورآه قد أقبل بوجهه وحديثه عليهم فقال لأبي عَمْرة بعض أصحابه من الموالي أما ترى أبا اسحاق قد أقبل على العرب ما ينظر الينا فدعاه المختار فقال له ما يقول لك أولئك الذين رأيتهم يكلمونك فقال له وأسرّ اليه شق عليهم أصلحك الله صرفك وجهك عنهم الى العرب فقال له قل لهم لا يشقنّ ذلك عليكم فأنتم مني وأنا منكم ثم سكت طويلا ثم قرأ إنّا من المجرمين مُنْتَقِمُون قال حدثني أبو الأشعر موسى بن عامر قال ما هو الا ان سمعها الموالي منه فقال بعضهم لبعض ابشروا كأنكم والله به قد قتلهم (قال أبو مخنف) حدثني حَصيرة بن عبد الله الأزديّ وفُضيل بن خديج الكنديّ والنضر بن صالح العبسيّ قالوا أوّل رجل عقد له المختار رايةً عبد الله بن الحارث أخو الأشتر عقد له على أرمينية وبعث محمد بن عُمير بن عطارد على آذربيجان وبعث عبد الرحمن بن سعيد بن قيس على الموصل وبعث اسحاق بن مسعود على المدائن وأرض جُوخى وبعث قُدامة بن أبي عيسى بن ربيعة النصريّ وهو حليف لثقيف على بهقُباذ الأعلى وبعث محمد بن كعب بن قرظة على بهقباذ الأوسط وبعث حبيب بن منقذ الثوريّ على بهقباذ الأسفل وبعث سعد ابن حُذيفة بن اليمان على حُلوان وكان مع سعد بن حذيفة ألفا فارس بحُلوان قال ورزقه ألف درهم في كل شهر وأمره بقتال الأكراد وباقامة الطرق وكتب الى عماله على الجبال

سعيد بن قيس وأشراف أهل الكوفة ماترون في هذا الرأي الذي أشار به على شبث فقالوا ما نرى الرأي الا ما أشار به عليك قال فرويدا حتى أمسى (قال أبو مخنف) فحدثني أبو المغلس الليثي ان عبد الله بن عبد الله الليثي أشرف على أصحاب المختار من القصر من العشي يشتمهم وينتحي له مالك بن عمرو أبو نمر النهدي بسهم فيمر بحلقه فقطع جلدة من حلقه فمال فوقع قال ثم انه قام وبرأ بعد وقال النهدي حين أصابه خذها من مالك من فاعل كذا (قال أبو مخنف) وحدثني النضر بن صالح عن حسان بن فائد بن بكير قال لما أمسينا في القصر في اليوم الثالث دعانا ابن مطيع فذكر الله بما هو أهله وصلى على نبيه صلى الله عليه وسلم وقال أما بعد فقد علمت الذين صنعوا هذا منكم من هم وقد علمت انما هم أراذلكم وسفهاؤكم وطغامكم وأخساؤكم ما عدا الرجل أو الرجلين وان أشرافكم وأهل الفضل منكم لم يزالوا سامعين مطيعين مناصحين وأنا مبلغ ذلك صاحبي ومعلمه طاعتكم وجهادكم عدوه حتى كان الله الغالب على أمره وقد كان من رأيكم وما أشرتم به على ما قد علمتم وقد رأيت ان أخرج الساعة فقال له شبث جزاك الله من أمير خيرا فقد والله عففت عن أموالنا وأكرمت أشرافنا ونصحت لصاحبك وقضيت الذي عليك والله ما كنا لنفارقك أبدا الا ونحن منك في إذن فقال جزاكم الله خيرا أخذ امرؤ حيث أحب ثم خرج من نحو درب الروميين حتى أتى دار أبي موسى وخلى القصر وفتح أصحابه الباب فقالوا يا ابن الأشتر آمنون نحن قال أنتم آمنون فخرجوا فبايعوا المختار (قال أبو مخنف) فحدثني موسى بن عامر العدوي من عدي جهينة وهو أبو الأشعر ان المختار جاء حتى دخل القصر فبات به وأصبح أشراف الناس في المسجد وعلى باب القصر وخرج المختار فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه فقال الحمد لله الذي وعد وليه النصر وعدوه الخسر وجعله فيه الى آخر الدهر وعدا مفعولا وقضاء مقضيا وقد خاب من افترى أيها الناس انه رفعت لنا راية ومدت لنا غاية فقيل لنا في الراية أن ارفعوها ولا تضعوها وفي الغاية أن اجروا اليها ولا تعدوها فسمعنا دعوة الداعي ومقالة الواعي فكم من ناع وناعية لقتلى في الواعية وبعدا لمن طغى وأدبر وعصى وكذب وتولى ألا فادخلوا أيها الناس فبايعوا بيعة هدى فلا والذي جعل السماء سقفا مكفوفا والأرض فجاجا سبلا ما بايعتم بعد بيعة علي بن أبي طالب وآل علي أهدى منها ثم نزل فدخل ودخلنا عليه وأشراف الناس فبسط يده وابتدره الناس فبايعوه وجعل يقول تبايعوني على كتاب الله وسنة نبيه والطلب بدماء أهل البيت وجهاد المحلين والدفع عن الضعفاء وقتال من قاتلنا وسلم من سالمنا والوفاء ببيعتنا لا نقيلكم ولا نستقيلكم فاذا قال الرجل نعم بايعه قال فكأني والله أنظر الى المنذر بن حسان بن ضرار الضبي اذ أتاه حتى سلم عليه بالامرة ثم بايعه وانصرف عنه فلما خرج من القصر استقبل

بخيلٍ عليها يومَ هيجا دُرُوعُها * وأخرى حُسوراً غيرَ ذاتِ دُرُوعِ
فكرَّ الخيولُ كرةً ثقفتْهُمُ * وشدَّ بأولاها على ابن مُطيعِ
فولى بضربٍ يَشدَخُ الهامَ وَقعُهُ * وطعنٍ غداةَ السِكّتَينِ وَجيعِ
فحُوصِرَ في دار الإمارة بائيا * بذلٍّ وإرغامٍ له وخُضُوعِ
فمَنَّ وزيرُ ابن الوصيّ عليهم * وكان لهم في الناس خيرَ شفيعِ
وآب الهدى حقا الى مُستقرّهِ * بخير إيابٍ آبهُ ورُجوعِ
الى الهاشميّ المهتدي المهتدَى به * فنحنُ له من سامعٍ ومطيعِ

قال فلما أنشدها المختار قال لأصحابه قد أثنى عليكم كما تسمعون وقد أحسن الثناء عليكم فأحسنوا له الجزاء ثم قام المختار فدخل وقال لأصحابه لا تبرحوا حتى أخرج اليكم قال وقال عبد الله بن شدّاد الجشميّ يا ابن همام ان لك عندي فرسا ومُطرفا وقال قيس بن طَهْفة النهديّ وكانت عنده الرباب بنت الأشعث فانّ لك عندي فرسا ومطرفا واستحييا أن يعطيه صاحبه شيأ لا يعطي مثله فقال ليزيد بن أنس فما تعطيه فقال يزيد ان كان ثوابَ الله أراد بقوله فما عند الله خيرٌ له وان كان انما اعترى بهذا القول أموالنا فوالله ما في أموالنا ما يسعه قد كانت بقيت من عطائي بقيّة فقوّيت بها اخواني فقال أحمر بن شميط مبادرا لهم قبل أن يكلموه يا ابن همام ان كنت أردت بهذا القول وجه الله فاطلب ثوابك من الله وإن كنت انما اعتريت به رضى الناس وطلب أموالهم فاكدم الجندل فوالله ما من قال قولا لغير الله وفي غير ذات الله بأهل ان يُنحل ولا يوصل فقال له عضضتَ بأير أبيك فرفع يزيد ابن أنس السوط وقال لابن شميط تقول هذا القول يا فاسق وقال لابن شميط اضربه بالسيف فرفع ابن شميط عليه السيف ووثب ووثب أصحابهما يتفلتون على ابن همام وأخذ بيده ابراهيم بن الاشتر فألقاه وراءه وقال أنا له جارٌ لم تأتون اليه ما أرى فوالله انه لواصل الولاية راض بما نحن عليه حسن الثناء فان أنتم لم تكافؤه بحسن ثنائه فلا تشتموا عرضه ولا تسفكوا دمه ووثبت مذحج فحالت دونه وقالوا أجاره ابن الاشتر لا والله لا يوصل اليه قال وسمع لغطهم المختار فخرج اليهم وأومأ بيده اليهم أن اجلسوا فجلسوا فقال لهم اذا قيل لكم خير فاقْبَلوه وان قدرتم على مكافأة فافعلوا وان لم تقدروا على مكافأة فتنصّلوا واتقوا لسان الشاعر فانّ شرّه حاضر وقوله فاجر وسعيه بائر وهو بكم غدا غادر فقالوا أفلا نقتله قال لا انا قد آمنّاه وأجرناه وقد أجاره أخوكم ابراهيم بن الأشتر فجلس مع الناس قال ثم ان ابراهيم قام فانصرف الى منزله فأعطاه ألفا وفرسا ومطرفا فرجع بها وقال لا والله لا جاورت هؤلاء أبدا وأقبلت هوازن وغضبت واجتمعت في المسجد غضبا لابن همام فبعث اليهم المختار فسألهم

يأمرهم أن يحملوا أموال كورهم الى محمد بن حذيفة بحلوان وكان عبد الله بن الزبير قد بعث محمد بن الأشعث بن قيس على الموصل وأمره بمكاتبة ابن مطيع وبالسمع له والطاعة غير أن ابن مطيع لا يقدر على عزله الا بأمر ابن الزبير وكان قبل ذلك فى امارة عبد الله بن يزيد وابراهيم بن محمد منقطعا بامارة الموصل لا يكاتب أحدا دون ابن الزبير * فلما قدم عليه عبد الرحمن بن سعيد بن قيس من قبل المختار أميرا تنحى له عن الموصل وأقبل حتى نزل تكريت وأقام بها مع أناس من أشراف قومه وغيرهم وهو معتزل ينظر ما يصنع الناس والى ما يصير أمرهم ثم شخص الى المختار فبايع له ودخل فيما دخل فيه أهل بلده (قال أبو مخنف) وحدثنى صلة بن زهير النهدى عن مسلم بن عبد الله الضبابى قال لما ظهر المختار واستمكن ونفى ابن مطيع وبعث عماله أقبل يجلس للناس غدوة وعشية فيقضى بين الخصمين ثم قال والله ان لى فيما أزاول وأحاول لشغلا عن القضاء بين الناس قال فأجلس للناس شريحا وقضى بين الناس ثم انه خافهم فتمارض وكانوا يقولون انه عثمانى وانه ممن شهد على حجر ابن عدى وانه لم يبلغ عن هانئ بن عروة ما أرسله به وقد كان على بن أبى طالب عزله عن القضاء فلما ان سمع بذلك ورآهم يذمونه ويسندون اليه مثل هذا القول تمارض وجعل المختار مكانه عبد الله بن عتبة بن مسعود ثم ان عبد الله مرض فجعل مكانه عبد الله بن مالك الطائى قاضيا قال مسلم بن عبد الله وكان عبد الله بن همام سمع أبا عمرة يذكر الشيعة وينال من عثمان بن عفان فقنعه بالسوط فلما ظهر المختار كان معتزلا حتى استأمن له عبد الله ابن شداد فجاء الى المختار ذات يوم فقال

ألا انساءت بالود عنك وأدبرت * معالنة بالهجر أم سريع
وحملها واش سعى غير مؤتل * فأبت بهم فى الفؤاد جميع
فخفض عليك الشأن لا يردك الهوى * فليس انتقال خلة ببديع
وفى ليلة المختار ما يذهل الفتى * ويلهيه عن رؤد الشباب شموع
دعا يالثارات الحسين فأقبلت * كتائب من همدان بعد هزيع
ومن مذحج جاء الرئيس ابن مالك * يقود جموعا عبيت بجموع
ومن أسد وافى يزيد لنصره * بكل فتى حامى الذمار منيع
وجاء نعيم خير شيبان كلها * بأمر لدى الهيجا أحد جميع
وما ابن شميط إذ يحرض قومه * هناك بمخذول ولا بمضيع
ولا قيس نهد لا ولا ابن هوازن * وكل أخو إخباتة وخشوع
وسار أبو النعمان لله سعيه * الى ابن اياس مضحرا لوقوع

ذكرنا ما كان من أمره وأمر التوّابين من الشيعة بعين الوَرْدة وكان مروان جعل لعبيد الله بن زياد اذ وجهه الى العراق ما غلب عليه وأمره أن ينهب الكوفة اذا هو ظفر بأهلها ثلاثا قال عوانة فمرّ بأرض الجزيرة فاحتبس بها وبها قيس عَيْلان على طاعة ابن الزبير وقد كان مروان أصاب قيسا يوم مَرْج راهط وهم مع الضحاك بن قيس مخالفين على مروان وعلى ابنه عبد الملك من بعده فلم يزل عبيد الله مشتغلا بهم عن العراق نحوا من سنة ثم انه أقبل الى الموصل فكتب عبد الرحمن بن سعيد بن قيس عامل المختار على الموصل الى المختار أما بعد فإني أخبرك أيها الأمير ان عبيد الله بن زياد قد دخل أرض الموصل وقد وجه قبلي خيله ورجاله واني انحزت الى تكريت حتى يأتيني رأيك وأمرك والسلام عليك فكتب اليه المختار أما بعد فقد بلغني كتابك وفهمت كلّ ما ذكرت فيه فقد أصبت بانحيازك الى تكريت فلا تبرحنّ مكانك الذى أنت به حتى يأتيك أمرى ان شاء الله والسلام عليك (قال هشام) عن أبي مخنف حدثني موسى بن عامر ان كتاب عبد الرحمن بن سعيد لما ورد على المختار بعث الى يزيد بن أنس فدعاه فقال له يا يزيد بن أنس ان العالم ليس كالجاهل وان الحق ليس كالباطل وانى أخبرك خبر من لم يكذب ولم يُكذَّب ولم يخالف ولم يرتب وانا المؤمنون الميامين الغالبون المساليم وانك صاحب الخيل التي تجرّ جعابها وتضفر أذنابها حتى توردها منابتَ الزيتون غائرة عيونها لاحقةَ بطونها اخرج الى الموصل حتى تنزل أدانيها فإني ممدّك بالرجال بعد الرجال فقال له يزيد بن أنس سرّحْ معي ثلاثة آلاف فارس أنتخبهم وخلّني والفرج الذى توجهتنا اليه فان احتجتُ الى الرجال فسأكتب اليك قال له المختار فاخرج فانتخب على اسم الله من أحببت فخرج فانتخب ثلاثة آلاف فارس فجعل على ربع المدينة النعمان بن عوف بن أبي جابر الأزدىّ وعلى ربع تميم وهمدان عاصم بن قيس بن حبيب الهمدانىّ وعلى مذحج وأسد ورقاء بن عازب الأسدىّ وعلى ربع ربيعة وكندة سعر بن أبي سعر الحنفىّ ثم انه فصل من الكوفة فخرج وخرج معه المختار والناس يشيّعونه فلما بلغ دير أبي موسى ودّعه المختار وانصرف ثم قال له اذا لقيت عدوّك فلا تناظرهم واذا أمكنتك الفرصة فلا تؤخّرها وليكن خبرك فى كلّ يوم عندى وإن احتجت الى مدد فاكتب الىّ مع انى ممدّك ولو لم تستمدّ فانه أشدّ لعضدك وأعزّ لجندك وأرعب لعدوّك فقال له يزيد بن أنس لا تمدّني الا بدعائك فكفى به مددا وقال له الناس صحبك الله وأدّاك وأيدك وودّعوه فقال لهم يزيد سلوا الله لى الشهادة وايم الله لئن لقيتُهم ففاتني النصرُ لا تفتني الشهادة ان شاء الله فكتب المختار الى عبد الرحمن بن سعيد ابن قيس أما بعد فخل بين يزيد و بين البلاد ان شاء الله والسلام عليك فخرج يزيد بن أنس بالناس حتى بات بسُورا ثم غدا بهم سائرا حتى بات بهم بالمدائن فشكا الناس اليه ما دخلهم

أن يصفحوا عما اجترموا له ففعلوا وقال ابن همام لابن الاشتر يمدحه

أطفأ عني نار كلبين ألبا * على الكلاب ذو الفعال ابن مالك
فتى حين يلقى الخيل يفرق بينها * بطعن دراك أو بضرب مواشك
وقد غضبت لي من هوازن عصبة * طوال الذرى فيها عراض المبارك
اذا ابن شميط أو يزيد تعرضا * لها وقعا في مستحار المهالك
وثبتم علينا يا موالي طيئ * مع ابن شميط شر ماش وراتك
وأعظم ديار على الله فرية * وما مفتر طاغ كآخر ناسك
فيا عجبا من أحمس ابنة أحمس * توثب حولي بالقنا والنيازك
كأنكم في العز قيس وخثعم * وهل أنتم إلا لئام عوارك

وأقبل عبد الله بن شداد من الغد فجلس في المسجد يقول علينا توثب بنو أسد وأحمس والله لا نرضى بهذا أبدا فبلغ ذلك المختار فبعث اليه فدعاه ودعا بيزيد بن أنس وبابن شميط فحمد الله وأثنى عليه وقال يا ابن شداد ان الذى فعلت نزغة من نزغات الشيطان فتب الى الله قال قد تبت وقال ان هذين أخواك فأقبل اليهما واقبل منهما وهب لى هذا الامر قال فهولك وكان ابن همام قد قال قصيدة أخرى في أمر المختار فقال

أضحت سليمى بعد طول عتاب * وتجرم ونفاد غرب شباب
قد أزمعت بصريمتي وتجنبي * وتهولك من ذاك في إعتاب
لما رأيت القصر أغلق بابه * وتوكلت همدان بالأسباب
ورأيت أصحاب الدقيق كأنهم * حول البيوت ثعالب الأسراب
ورأيت أبواب الأزقة حولنا * دربت بكل هراوة وذباب
أيقنت أن خيول شيعة راشد * لم يبق منها فيش أير ذباب

﴿قال أبو جعفر﴾ وفي هذه السنة وثب المختار بمن كان بالكوفة من قتلة الحسين والمشايعين على قتله فقتل من قدر عليه منهم وهرب من الكوفة بعضهم فلم يقدر عليه

﴿ذكر الخبر عن سبب وثوبه بهم وتسمية من قتل منهم ومن هرب فلم يقدر عليه منهم﴾

وكان سبب ذلك فيما ذكره هشام بن محمد عن عوانة بن الحكم ان مروان بن الحكم لما استوثقت له الشأم بالطاعة بعث جيشين أحدهما الى الحجاز عليه حبيش بن دلجة القيني وقد ذكرنا أمره وخبر مهلكه قبل والآخر منهما الى العراق عليهم عبيد الله بن زياد وقد

الخيل والرجال وقال يا أهل الشام إنكم إنما تقاتلون العبيد الأباق وقوما قد تركوا الإسلام وخرجوا منه ليست لهم تقيّة ولا ينطقون بالعربية قال فوالله إن كنت لأحسب أن ذلك كذلك حتى قاتلناهم قال فوالله ما هو إلا أن اقتتل الناس إذا رجل من أهل العراق يعترض الناس بسيفه وهو يقول

بَرِئْتُ مِنْ دِينِ المُحَكِّمِينا * وذاكَ فينا شَرُّ دِينٍ دِينا

ثم إن قتالنا وقتالهم اشتدّ ساعة من النهار ثم إنهم هزمونا حين ارتفع الضحى فقتلوا صاحبنا وحووا عسكرنا وخرجنا منهزمين حتى تلقانا عبد الله بن حملة على مسيرة ساعة من تلك القرية التي يقال لها بنات تلى فردّنا فأقبلنا معه حتى نزل بيزيد بن أنس فبتنا متحارسين حتى أصبحنا فصلينا الغداة ثم خرجنا على تعبية حسنة فجعل على ميمنته الزبير بن خزيمة من خثعم وعلى ميسرته ابن أقيصر القحافيّ من خثعم وتقدّم في الخيل والرجال وذلك يوم الأضحى فاقتتلنا قتالا شديدا ثم إنهم هزمونا هزيمة قبيحة وقتلونا قتلا ذريعا وحووا عسكرنا وأقبلنا حتى انتهينا إلى عبيد الله بن زياد فحدثناه بما لقينا (قال أبو مخنف) وحدثني موسى بن عامر قال أقبل إلينا عبد الله بن حملة الخثعميّ فاستقبل فلّ ربيعة بن المخارق الغنوي فردهم ثم جاء حتى نزل ببنات تلى فلما أصبح غادوا وغادينا فتطاردت الخيلان من أوّل النهار ثم انصرفوا وانصرفنا حتى إذا صلينا الظهر خرجنا فاقتتلنا ثم هزمناهم قال ونزل عبد الله بن حملة فأخذ ينادي أصحابه الكرّة بعد الفرّة يا أهل السمع والطاعة فحمل عليه عبد الله بن قراد الخثعميّ فقتله وحوينا عسكرهم وما فيه وأتي يزيد بن أنس بثلثمائة أسير وهو في السوق فأخذ يُومئ بيده أن اضربوا أعناقهم فقُتلوا من عند آخرهم وقال يزيد بن أنس إن هلكتُ فأميركم ورقاء بن عازب الأسديّ فما أمسى حتى مات فصلى عليه ورقاء بن عازب ودفنه فلما رأى ذلك أصحابه أسقط في أيديهم وكسر موتُه قلوب أصحابه وأخذوا في دفنه فقال لهم ورقاء يا قوم ماذا ترون إنه قد بلغني أن عبيد الله بن زياد قد أقبل إلينا في ثمانين ألفا من أهل الشام فأخذوا يتسلّلون ويرجعون ثم إن ورقاء دعا رؤس الأرباع وفرسان أصحابه فقال لهم يا هؤلاء ماذا ترون فيما أخبرتكم إنما أنا رجل منكم ولست بأفضلكم رأيا فأشيروا علي فإن ابن زياد قد جاءكم في جند أهل الشام الأعظم وبجلتهم وفرسانهم وأشرافهم ولا أرى لنا ولكم بهم طاقة على هذه الحال وقد هلك يزيد بن أنس أميرنا وتفرّقت عنا طائفة منا فلو انصرفنا اليوم من تلقاء أنفسنا قبل أن نلقاهم وقبل أن نبلغهم فيعلموا أنا إنما ردّنا عنهم هلاك صاحبنا فلا يزالوا لنا هائبين لقتلنا منهم أميرهم ولأنّا إنما نعتلّ للانصراف بموت صاحبنا وإنا إن لقيناهم اليوم كنا مخاطرين فإن هُزمنا اليوم لم تنفعنا هزيمتنا إياهم من قبل اليوم قالوا فإنك نعمّا رأيت انصرف رحمك الله فانصرف فبلغ منصرَفهم ذلك المختار وأهل الكوفة

من شدة السير عليهم فأقام بها يوما وليلة ثم انه اعترض بهم أرض جوخى حتى خرج بهم في الراذانات حتى قطع بهم الى أرض الموصل فنزل ببنات تلى وبلغ مكانه ومنزله الذى نزل به عبيد الله بن زياد فسأل عن عدتهم فأخبرته عيونه انه خرج معه من الكوفة ثلاثة آلاف فارس فقال عبيد الله وأنا أبعث الى كل ألف ألفين ودعا ربيعة بن المخارق الغنوى وعبد الله ابن حملة الخثعمى فبعثهما في ثلاثة آلاف ثلاثة آلاف وبعث ربيعة بن المخارق أولا ثم مكث يوما ثم بعث خلفه عبد الله بن حملة ثم كتب اليهما أيكما سبق فهو أمير على صاحبه وإن انتهيتما جميعا فأكبركما سنا أمير على صاحبه والجماعة قال فسبق ربيعة بن المخارق فنزل بيزيد بن أنس وهو ببنات تلى فخرج اليه يزيد بن أنس وهو مريض مضنى (قال أبو مخنف) فحدثنى أبو الصلت عن أبى سعيد الصيقل قال خرج علينا يزيد بن أنس وهو مريض على حمار يمشى معه الرجال يمسكونه عن يمينه وعن شماله بفخذيه وعضديه وجنبيه فجعل يقف على الأرباع ربعا ربعا ويقول يا شرطة الله اصبروا تؤجروا وصابروا عدوكم تظفروا وقاتلوا أولياء الشيطان إن كيد الشيطان كان ضعيفا ان هلكت فأميركم ورقاء بن عازب الأسدى فان هلك فأميركم عبد الله بن ضمرة العذرى فان هلك فأميركم سعر بن أبى سعر الحنفى قال وأنا والله فيمن يمشى معه ويمسك بعضده ويده وانى لأعرف في وجهه ان الموت قد نزل به قال فجعل يزيد بن أنس عبد الله بن ضمرة العذرى على ميمنته وسعر بن أبى سعر على ميسرته وجعل ورقاء بن عازب الأسدى على الخيل ونزل هو فوضع بين الرجال على السرير ثم قال لهم ابرزوا لهم بالعراء وقدمونى فى الرجال ثم ان شئتم فقاتلوا عن أميركم وان شئتم ففروا عنه قال فأخرجناه فى ذى الحجة يوم عرفة سنة ٦٦ فأخذنا نمسك أحيانا بظهره فيقول اصنعوا كذا اصنعوا كذا وافعلوا كذا فيأمر بأمره ثم لا يكون بأسرع من ان يغلبه الوجع فيوضع هنيهة ويقتتل الناس وذلك عند شفق الصبح قبل شروق الشمس قال فحملت ميسرتهم على ميمنتنا فاشتد قتالهم وتحمل ميسرتنا على ميمنتهم فتهزمها ويحمل ورقاء بن عازب الأسدى فى الخيل فهزمهم فلم يرتفع الضحى حتى هزمناهم وحوينا عسكرهم (قال أبو مخنف) وحدثنى موسى بن عامر العدوى قال انتهينا الى ربيعة بن المخارق صاحبهم وقد انهزم عنه أصحابه وهو نازل ينادى يا أولياء الحق ويا أهل السمع والطاعة الى أنا ابن المخارق قال موسى وأما أنا فكنت غلاما حدثا فهبته ووقفت ويحمل عليه عبد الله بن ورقاء الأسدى وعبد الله بن ضمرة العذرى فقتلاه (قال أبو مخنف) وحدثنى عمرو بن مالك أبو كبشة القينى قال كنت غلاما حين راهقت مع أهل عمومتى فى ذلك العسكر فلما نزلنا بعسكر الكوفيين عبانا ربيعة بن المخارق فأحسن التعبية وجعل على ميمنته ابن أخيه وعلى ميسرته عبد ربه السلمى وخرج هو فى

الخيل

وفلان ثم معه عبيدكم ومواليكم وكلمة هؤلاء واحدة وعبيدكم ومواليكم أشد حنقا عليكم من عدوكم فهو مقاتلكم بشجاعة العرب وعداوة العجم وان انتظرتموه قليلا كفيتموه بقدوم أهل الشأم أو بمجيء أهل البصرة فتكونوا قد كفيتموه بغيركم ولم تجعلوا بأسكم بينكم قالوا ننشدك الله أن تخالفنا وان تفسد علينا رأينا وما قد اجتمعت عليه جماعتنا قال فأنا رجل منكم فإذا شئتم فاخرجوا فساربعضهم الى بعض وقالوا انتظروا حتى يذهب عنه ابراهيم بن الأشتر قال فأمهلوا حتى اذا بلغ ابن الأشتر ساباط وثبوا بالمختار قال فخرج عبد الرحمن ابن سعيد بن قيس الهمداني في همدان في جبانة السبيع وخرج زحر بن قيس الجعفي واسحاق بن محمد بن الأشعث في جبانة كندة (قال هشام) فحدثني سليمان بن محمد الحضرمي قال خرج اليهما جبير الحضرمي فقال لهما اخرجا عن جبانتنا فانا نكره أن نعرى بشر فقال له اسحاق بن محمد وجبانتكم هي قال نعم فانصرفوا عنه وخرج كعب بن أبي كعب الخثعمي في جبانة بشر وسار بشير بن جرير بن عبد الله اليهم في بجيلة وخرج عبد الرحمن بن مخنف في جبانة مخنف وسار اسحاق بن محمد وزحر بن قيس الى عبد الرحمن بن سعيد بن قيس بجبانة السبيع وسارت بجيلة وخثعم الى عبد الرحمن بن مخنف وهو بالأزد وبلغ الذين في جبانة السبيع ان المختار قد عبى لهم خيلا ليسير اليهم فبعثوا الرسل يتلو بعضها بعضا الى الأزد وبجيلة وخثعم يسألونهم بالله والرحم لما عجلوا اليهم فساروا اليهم واجتمعوا جميعا في جبانة السبيع ولما ان بلغ ذلك المختار سره اجتماعهم في مكان واحد وخرج شمر بن ذي الجوشن حتى نزل بجبانة بني سلول في قيس ونزل شبث بن ربعي وحسان بن فائد العبسي وربيعة بن ثروان الضبي في مضر بالكناسة ونزل حجار بن أبجر ويزيد بن الحارث بن رؤيم في ربيعة فيما بين التمارين والسبخة ونزل عمرو بن الحجاج الزبيدي في جبانة مراد بمن تبعه من مذحج فبعث اليهم أهل اليمن ان ائتنا فأبى أن يأتيهم وقال لهم جدوا فكأني قد أتيتكم قال وبعث المختار رسولا من يومه يقال له عمرو بن توبة بالركض الى ابراهيم بن الاشتر وهو بساباط أن لا تضع كتابي من يدك حتى تقبل بجميع من معك الي قال وبعث اليهم المختار في ذلك اليوم اخبروني ماتريدون فاني صانع كل ما أحببتم قالوا فانا نريد أن تعتزلنا فانك زعمت أن ابن الحنفية بعثك ولم يبعثك فأرسل اليهم المختار أن ابعثوا اليه من قبلكم وفدا وأبعث اليه من قبلي وفدا ثم انظروا في ذلك حتى تتبينوه وهو يريد أن يريثهم بهذه المقالة ليقدم عليه ابراهيم بن الاشتر وقد أمر أصحابه فكفوا أيديهم وقد أخذ أهل الكوفة عليهم بأفواه السكك فليس شيء يصل الى المختار ولا الى أصحابه من الماء الا القليل الوتح يجيئهم اذا غفلوا عنه قال وخرج عبد الله بن سبيع في الميدان فقاتله شاكر قتالا شديدا فجاءه عقبة بن طارق الجشمي فقاتل معه ساعة حتى رد عاديتهم عنه ثم أقبلا على حاميتهما يسيران حتى نزل عقبة بن طارق مع قيس في

فأرجف الناس ولم يعلموا كيف كان الأمر ان يزيد بن أنس هلك وان الناس هزموا فبعث الى المختار عامله على المدائن عيناً له من انباط السواد فأخبره الخبر فدعا المختار ابراهيم بن الأشتر فعقد له على سبعة آلاف رجل ثم قال له سر حتى اذا أنت لقيت جيش ابن أنس فارددهم معك ثم سر حتى تلقى عدوك فتناجزهم فخرج ابراهيم فوضع عسكره بحمام أعين (قال أبو مخنف) فحدثني أبو زهير النضر بن صالح قال لما مات يزيد بن أنس التقى أشراف الناس بالكوفة فأرجفوا بالمختار وقالوا قتل يزيد بن أنس ولم يصدقوا انه مات وأخذوا يقولون والله لقد تأمر علينا هذا الرجل بغير رضى منا ولقد أدنى موالينا فحملهم على الدواب وأعطاهم وأطعمهم فيئنا ولقد عصتنا عبيدنا فحرب بذلك أيتامنا وأراملنا فاتعدوا منزل شبث بن ربعي وقالوا نجتمع في منزل شيخنا وكان شبث جاهلياً اسلامياً فاجتمعوا فأتوا منزله فصلى بأصحابه ثم تذاكروا هذا النحو من الحديث قال ولم يكن فيما أحدث المختار عليهم شيء هو أعظم من ان جعل للموالي من الفيء نصيبا فقال لهم شبث دعوني حتى ألقاه فذهب فلقيه فلم يدع شيأ مما أنكره أصحابه الا وقد ذاكره اياه فأخذ لا يذكر خصلة الا قال له المختار أرضيهم في هذه الخصلة وآتي كل شيء أحبوا قال فذكر المماليك قال فأنا أرد عليهم عبيدهم فذكر له الموالي فقال عمدت الى موالينا وهم فيء أفاءه الله علينا وهذه البلاد جميعا فأعتقنا رقابهم نأمل الأجر في ذلك والثواب والشكر فلم ترض لهم بذلك حتى جعلتهم شركاءنا في فيئنا فقال لهم المختار ان أنا تركت لكم مواليكم وجعلت فيأكم فيكم أتقاتلون معي بني أمية وابن الزبير وتعطون على الوفاء بذلك عهد الله وميثاقه وما أطمئن اليه من الايمان فقال شبث ما أدري حتى أخرج الى أصحابي فأذاكرهم ذلك فخرج فلم يرجع الى المختار قال وأجمع رأي أشراف أهل الكوفة على قتال المختار (قال أبو مخنف) فحدثني قدامة بن حوشب قال جاء شبث بن ربعي وشمر بن ذي الجوشن ومحمد بن الأشعث وعبد الرحمن ابن سعيد بن قيس حتى دخلوا على كعب بن أبي كعب الخثعمي فتكلم شبث فحمد الله وأثنى عليه ثم أخبره باجتماع رأيهم على قتال المختار وسأله أن يجيبهم الى ذلك وقال فيما يعتب به المختار انه تأمر علينا بغير رضى منا وزعم ان ابن الحنفية بعثه الينا وقد علمنا ان ابن الحنفية لم يفعل وأطعم موالينا فيئنا وأخذ عبيدنا فحرب بهم يتامانا وأراملنا وأظهر هو وسبائيته البراءة من اسلافنا الصالحين قال فرحب بهم كعب بن أبي كعب وأجابهم الى ما دعوه اليه (قال أبو مخنف) حدثني أبي يحيى بن سعيد ان أشراف أهل الكوفة قد كانوا دخلوا على عبد الرحمن بن مخنف فدعوه الى ان يجيبهم الى قتال المختار فقال لهم يا هؤلاء انكم ان أبيتم الا ان تخرجوا لم أخذلكم وان أنتم أطعتموني لم تخرجوا فقالوا لم قال لأني أخاف أن تتفرقوا وتختلفوا وتتخاذلوا ومع الرجل والله شجعاؤكم وفرسانكم من أنفسكم أليس معه فلان

وفلان

وراءهم قصبا واسلكا الطريق بين الدور أمرهما بهما وبلغ أهل اليمن مسيرهما بين الرجال إليهم
فاقتسموا تلك السكك فأما السكة التي في دبر مسجد أحمس فإنه وقف فيها عبد الرحمن بن
سعيد بن قيس الهمداني وإسحاق بن الأشعث وزحر بن قيس وأما السكة التي تلي الفرات
فإنه وقف فيها عبد الرحمن بن مخنف وبشر بن جرير بن عبد الله وكعب بن أبي كعب ثم إن
القوم اقتتلوا كأشد قتال اقتتله قوم ثم إن أصحاب أحمر بن شميط انكشفوا وأصحاب عبد الله
ابن كامل أيضا فلم يرع المختار إلا وقد جاءه الفل قد أقبل فقال ما وراءكم قالوا هزمنا قال فما
فعل أحمر بن شميط قالوا تركناه قد نزل عند مسجد القصاص يعني مسجد أبي داود في
وادعة وكان يعتاده رجال أهل ذلك الزمان يقصون فيه وقد نزل معه أناس من أصحابه وقال
أصحاب عبد الله ما ندري ما فعل ابن كامل فصاح بهم أن انصرفوا ثم أقبل بهم حتى انتهى إلى
دار أبي عبد الله الجدلي وبعث عبد الله بن قراد الخثعمي وكان على أربعمائة رجل من أصحابه
فقال سر في أصحابك إلى ابن كامل فإن يك هلك فأنت مكانه فقاتل القوم بأصحابك وأصحابه
وإن تجده حيا صالحا فسر في مائة من أصحابك كلهم فارس وادفع إليه بقية أصحابك ومرهم بالجد
معه والمناصحة له فإنهم إنما يناصحوني ومن ناصحني فليبشر ثم امض في المائة حتى تأتي أهل
جبانة السبيع مما يلي حمام قطن بن عبد الله فمضى فوجد ابن كامل واقفا عند حمام عمرو بن
حريث معه أناس من أصحابه قد صبروا وهو يقاتل القوم فدفع إليه ثلاثمائة من أصحابه ثم مضى
حتى نزل إلى جبانة السبيع ثم أخذ في تلك السكك حتى انتهى إلى مسجد عبد القيس فوقف
عنده وقال لأصحابه ما ترون قالوا أمرنا لأمرك تبع وكل من كان معه من حاشد من قومه
وهم مائة فقال لهم والله إني لأحب أن يظهر المختار ووالله إني لكاره أن يهلك أشراف
عشيرتي اليوم ووالله لأن أموت أحب إلي من أن يحل بهم الهلاك على يدي ولكن قفوا
قليلا فإني قد سمعت شباما يزعمون أنهم سيأتونهم من ورائهم فلعل شباما تكون هي تفعل ذلك
ونعافى نحن منه قال له أصحابه فرأيك فثبت كما هو عند مسجد عبد القيس وبعث المختار مالك
ابن عمرو النهدي في مائتي رجل وكان من أشد الناس بأسا وبعث عبد الله بن شريك النهدي
في مائتي فارس إلى أحمر بن شميط وثبت مكانه فانتهوا إليه وقد علاه القوم وكثروه فاقتتلوا عند
ذلك كأشد القتال ومضى ابن الأشتر حتى لقي شبث بن ربعي وأناسا معه من مضر كثيرا وفيهم
حسان بن فائد العبسي فقال لهم إبراهيم ويحكم انصرفوا فوالله ما أحب أن يصاب أحد من
مضر على يدي ولا تهلكوا أنفسكم فأبوا فقاتلوه فهزمهم واحتمل حسان بن فائد إلى أهله
فمات حين أدخل إليهم وقد كان وهو على فراشه قبل موته أفاق إفاقة فقال أما والله ما كنت
أحب أن أعيش من جراحتي هذه وما كنت أحب أن تكون منيتي إلا بطعنة رمح أو
ضربة بالسيف فلم يتكلم بعدها كلمة حتى مات وجاءت البشرى إلى المختار من قبل إبراهيم

جبانة بني سلول وجاء عبد الله بن سبيع حتى نزل مع أهل اليمن في جبانة السبيع (قال أبو مخنف) حدثني يونس بن أبي اسحاق ان شمر بن ذي الجوشن أتى أهل اليمن فقال لهم ان اجتمعتم في مكان نجعل فيه مجنّبتين ونقاتل من وجه واحد فأنا صاحبكم والا فلا والله لا أقاتل في مثل هذا المكان في سكك ضيّقة ونقاتل من غير وجه فانصرف الى جماعة قومه في جبانة بني سلول قال ولما خرج رسول المختار الى ابن الاشتر بلغه من يومه عشية فنادى في الناس أن ارجعوا الى الكوفة فسار بقية عشيته تلك ثم نزل حين أمسى فتعشّى أصحابه وأراحوا الدوابّ شيأ كلا شيء ثم نادى في الناس فسار ليلته كلها ثم صلى الغداة بسُورا ثم سار من يومه فصلى العصر على باب الجسر من الغد ثم انه جاء حتى بات ليلته في المسجد ومعه من أصحابه أهل القوة والجلد حتى اذا كان صبيحة اليوم الثالث من مخرجهم على المختار خرج المختار الى المنبر فصعده (قال أبو مخنف) فحدثني أبو جناب الكلبي ان شبث بن ربعي بعث اليه ابنه عبد المؤمن فقال له انما نحن عشيرتك وكف يمينك لا والله لا نقاتلك فثق بذلك منا وكان رأيه قتاله ولكنه كاده ولما ان اجتمع أهل اليمن بجبانة السبيع حضرت الصلاة فكره كلُّ رأس من رؤس أهل اليمن أن يتقدمه صاحبه فقال لهم عبد الرحمن بن مخنف هذا أول الاختلاف قدّموا الرضى فيكم فان في عشيرتكم سيّد قرّاء أهل المصر فليصل بكم رفاعة بن شداد الفتياني من بجيلة ففعلوا فلم يزل يصلي بهم حتى كانت الوقعة (قال أبو مخنف) وحدثني وازع بن السري ان أنس بن عمرو الأزدي انطلق فدخل في أهل اليمن وسمعهم وهم يقولون ان سار المختار الى اخواننا من مضر سرنا اليهم وان سار الينا ساروا الينا فسمعها منهم رجل وأقبل جوادا حتى صعد الى المختار على المنبر فأخبره بمقالتهم فقال اما هم فخلقاء لو سرتُ الى مضر أن يسيروا اليهم وأما أهل اليمن فأشهد لئن سرتُ اليهم لا تسير اليهم مضرُ فكان بعد ذلك يدعو ذلك الرجل ويكرمه ثم ان المختار نزل فعبّى أصحابه في السوق والسوق اذ ذاك ليس فيها هذا البناء فقال لابراهيم بن الاشتر الى أي الفريقين أحب اليك أن تسير فقال الى أي الفريقين أحببت فنظر المختار وكان ذا رأي فكره أن يسير الى قومه فلا يبالغ في قتالهم فقال سرْ الى مضر بالكناسة وعليهم شبث بن ربعي ومحمد بن عمير بن عطارد وأنا أسير الى أهل اليمن * قال ولم يزل المختار يُعرف بشدة النفس وقلة البُقيا على أهل اليمن وغيرهم اذا ظفر فسار ابراهيم بن الاشتر الى الكناسة وسار المختار الى جبانة السبيع فوقف المختار عند دار عمر بن سعد بن أبي وقاص وسرّح بين يديه أحمر بن شُميط البجليّ ثم الاحمسي وسرّح عبد الله بن كامل الشاكريّ وقال لابن شميط الزم هذه السكة حتى تخرج الى أهل جبانة السبيع من بين دور قومك وقال لعبد الله بن كامل الزمْ هذه السكة حتى تخرج على جبانة السبيع من دار آل الاخنس بن شريق ودعاهما فأسرّ اليهما ان شباما قد بعثت تخبرني انهم قد أتوا القوم من

ورائهم

سبيله فرفع ذلك الى المختار درهمٌ مولى لبني نَهد فقال له المختار اعرضوهم عليّ وانظروا كل من شهد منهم قتل الحسين فأعلموني به فأخذوا لا يمرّ عليه برجل قد شهد قتل الحسين الا قيل له هذا ممن شهد قتله فيقدّمه فيضرب عنقه حتى قتل منهم قبل أن يخرج مائتين وثمانية وأربعين قتيلا وأخذ أصحابه كلما رأوا رجلا قد كان يؤذيهم أو يماريهم أو يضرّبهم خلوا به فقتلوه حتى قُتل ناس كثير منهم وما يشعر بهم المختار فأخبر بذلك المختار بعدُ فدعا بمن بقي من الأسارى فأعتقهم وأخذ عليهم المواثيق أن لا يجامعوا عليه عدوًّا ولا يبغوه ولا أصحابه غائلة الا سُراقة بن مرداس البارقي فانه أمر به أن يساق معه الى المسجد قال ونادى منادي المختار انه من أغلق بابه فهو آمن الا رجلا شرك في دم آل محمد صلى الله عليه وسلم (قال أبو مخنف) حدثني المجالد بن سعيد عن عامر الشعبي ان يزيد بن الحارث بن يزيد بن رؤيم وحجار بن أبجر بعثا رسولا لهما فقالا لهم كونوا من أهل اليمن قريبا فإن رأيتموهم قد ظهروا فأيكم سبق الينا فليقل صَرفان وان كانوا هزموا فليقل جُمزان فلما هزم أهل اليمن أتتهم رسلهم فقال لهم أولُ من انتهى اليهم جمزان فقام الرجلان فقالا لقومهما انصرفوا الى بيوتكم فانصرفوا وخرج عمرو بن الحجاج الزبيدي وكان ممن شهد قتل الحسين فركب راحلته ثم ذهب عليها فأخذ طريق شراف وواقصة فلم ير حتى الساعة ولا يدرَى أرضٌ بخسته أم سماء حصبته وأما فرات بن زحر بن قيس فانه لما قتل بعثت عائشة بنت خليفة بن عبد الله الجعفية وكانت امرأة الحسين بن عليّ الى المختار تسأله ان يأذن لها ان تواري جسده ففعل فدفنته وبعث المختار غلاما له يدعى زِرْبيا في طلب شمر ابن ذي الجوشن (قال أبو مخنف) فحدثني يونس بن أبي اسحاق عن مسلم بن عبد الله الضبابي قال تبعنا زِرْبيٌّ غلامُ المختار فلحقنا وقد خرجنا من الكوفة على خيول لنا ضمَّر فأقبل يتمطر به فرسه فلما دنا منا قال لنا شمر اركضوا وتباعدوا عني فإني أرى العبد يطمع في قال فركضنا فأمعنا وطمع العبد في شمر وأخذ شمر ما يستطرد له حتى اذا انقطع من أصحابه حمل عليه شمر فدق ظهره وأتى المختار فأخبر بذلك فقال بؤسا لزربيّ أما لو يستشيرني ما أمرته ان يخرج لأبي السابغة (قال أبو مخنف) حدثني أبو محمد الهمداني عن مسلم بن عبد الله الضبابيّ قال لما خرج شمر بن ذي الجوشن وأنا معه حين هزمنا المختار وقتل أهل اليمن بجبانة السبيع ووجه غلامه زربيا في طلب شمر وكان من قتل شمر اياه ما كان مضى شمر حتى ينزل ساتيدَما ثم مضى حتى ينزل الى جانب قرية يقال لها الكلتانية على شاطئ نهر الى جانب تلّ ثم ارسل الى تلك القرية فأخذ منها علجا فضربه ثم قال النجاء بكتابي هذا الى المصعب بن الزبير وكتب عنوانه للأمير المصعب بن الزبير من شمر بن ذي الجوشن قال فمضى العلج حتى يدخل قرية فيها بيوت وفيها أبو عمرة وقد كان المختار بعثه في تلك الأيام الى

بربيعة مضر فبعث المختار البشرى من قبله الى أحمر بن شميط والى ابن كامل فالناس على أحوالهم كل أهل سكة منهم قد أغنت ما يليها قال فاجتمعت شبام وقد رأسوا عليهم أبا القلوص وقد أجمعوا واجتمعوا بأن يأتوا أهل اليمن من ورائهم فقال بعضهم لبعض أما والله لو جعلتم جدكم هذا على من خالفكم من غيركم لكان أصوب فسيروا الى مضر أو الى ربيعة فقاتلوهم وشيخهم أبو القلوص ساكت لا يتكلم فقالوا يا أبا القلوص ما رأيك فقال قال الله جل ثناؤه قاتلوا الذين يلونكم من الكفار وليجدوا فيكم غلظة قوموا فقاموا فمشى بهم قيس رمحين أو ثلاثة ثم قال لهم اجلسوا فجلسوا ثم مشى بهم أنفس من ذلك شيأ ثم قعد بهم ثم قال لهم قوموا ثم مشى بهم الثالثة أنفس من ذلك شيأ ثم قعد بهم فقالوا له يا أبا القلوص والله انك عندنا لأشجع العرب فما يحملك على الذى تصنع قال ان المجرب ليس كمن لم يجرب انى أردت أن ترجع اليكم أفئدتكم وأن توطنوا على القتال أنفسكم وكرهت أن أقحمكم على القتال وأنتم على حال دهش قالوا أنت أبصر بما صنعت فلما خرجوا الى جبانة السبيع استقبلهم على فم السكة الاعسر الشاكرى فحمل عليه الجندعى وأبو الزبير بن كريب فصرعاه ودخلا الجبانة ودخل الناس الجبانة فى آثارهم وهم ينادون يالثارات الحسين فأجابهم أصحاب ابن شميط يالثارات الحسين فسمعها يزيد بن عمير بن ذى مران من همدان فقال يالثارات عثمان فقال لهم رفاعة بن شداد مالنا ولعثمان لا أقاتل مع قوم يبغون دم عثمان فقال له أناس من قومه جئت بنا وأطعناك حتى اذا رأينا قومنا تأخذهم السيوف قلت انصرفوا ودعوهم فعطف عليهم وهو يقول

أنا ابن شداد على دين على * لست لعثمان بن أروى بولى

لأصلين اليوم فيمن يصطلى * بحر نار الحرب غير مؤتلى

فقاتل حتى قتل وقتل يزيد بن عمير بن ذى مران وقتل النعمان بن صهبان الجرمى ثم الراسبى وكان ناسكا ورفاعة بن شداد بن عوسجة القتبانى عند حمام المهبذان الذى بالسبخة وكان ناسكا وقتل الفرات بن زحر بن قيس الجعفى وارتث زحر بن قيس وقتل عبد الرحمن ابن سعيد بن قيس وقتل عمر بن مخنف وقاتل عبد الرحمن بن مخنف حتى ارتث وحملته الرجال على أيديها وما يشعر وقاتل حوله رجال من الأزد فقال حميد بن مسلم

لأضربن عن أبى حكيم * مفارق الأعبد والصميم

وقال سراقة بن مرداس البارقى

يا نفس إلا تصبرى تليمى * لا تتولى عن أبى حكيم

واستخرج من دور الوادعيين خمسمائة أسير فأتى بهم المختار مكتفين فأخذ رجل من بنى نهد وهو من رؤساء أصحاب المختار يقال له عبد الله بن شريك لا يخلو بعربى الا خلى

برزنا اذ رأيناهم فلما * رأينا القوم قد برزوا الينا
لقينا منهم ضرباً طلحفاً * وطعناً صائباً حتى انثنينا
نصرت على عدوك كل يوم * بكل كتيبة تنعى حسينا
كنصر محمد فى يوم بدر * ويوم الشعب اذ لاقى حنينا
فأسجح اذ ملكت فلو ملكنا * لجرنا فى الحكومة واعتدينا
تقبل توبة منى فانى * سأشكر ان جعلت النقد دينا

فلما انتهى الى المختار قال له أصلحك الله أيها الأمير سراقة بن مرداس يحلف بالله الذى لا اله الا هو لقد رأى الملائكة تقاتل على الخيول البلق بين السماء والارض فقال له المختار فاصعد المنبر فأعلم ذلك المسلمين فصعد فأخبرهم بذلك ثم نزل فخلا به المختار فقال انى قد علمت انك لم تر الملائكة وانما أردت ما قد عرفت ان لا أقتلك فاذهب عنى حيث أحببت لا تفسد على أصحابى (قال أبو مخنف) حدثنى الحجاج بن على البارقى عن سراقة بن مرداس قال ما كنت فى أيمان حلفت بها قط أشد اجتهاداً ولا مبالغة فى الكذب منى فى أيمانى هذه التى حلفت لهم بها انى قد رأيت الملائكة معهم تقاتل فخلوا سبيله فهرب فلحق بعبد الرحمن بن مخنف عند المصعب بن الزبير بالبصرة وخرج أشراف أهل الكوفة والوجوه فلحقوا بمصعب بن الزبير بالبصرة وخرج سراقة بن مرداس من الكوفة وهو يقول

ألا أبلغ أبا اسحاق أنى * رأيت البلق دهماً مصمتات
كفرت بوحيكم وجعلت نذراً * علىّ قتالكم حتى الممات
أرى عينىّ ما لم تبصراه * كلانا عالم بالترهات
اذا قالوا أقول لهم كذبتم * وان خرجوا لبست لهم أداتى

حدثنى أبو السائب سلم بن جنادة قال حدثنا محمد بن براد من ولد أبى موسى الأشعرى عن شيخ قال لما أسر سراقة البارقى قال وأنتم أسرتمونى ما أسرنى الا قوم على دواب بلق عليهم ثياب بيض قال فقال المختار أولئك الملائكة فأطلقه فقال

ألا أبلغ أبا اسحاق أنى * رأيت البلق دهماً مصمتات
أرى عينىّ ما لم ترأياه * كلانا عالم بالترهات

(قال أبو مخنف) حدثنى عمير بن زياد ان عبد الرحمن بن سعيد بن قيس الهمدانى قال يوم جبانة السبيع ويحكم من هؤلاء الذين أتونا من ورائنا قيل له شبام فقال يا عجباً يقاتلنى بقومى من لا قوم له (قال أبو مخنف) وحدثنى أبو روق ان شرحبيل بن ذى بقلان من الناعطيين قتل يومئذ وكان من بيوتات همدان فقال يومئذ قبل ان يقتل يا لها قتلة ما أضل مقتولها

تلك القرية ليكون مسلحة فيما بينه وبين أهل البصرة فلقى ذلك العلج علجا من تلك القرية فأقبل يشكو اليه مالقى من شمر فانه لقائم معه يكلمه اذ مر به رجل من أصحاب أبي عمرة فرأى الكتاب مع العلج وعنوانه لمصعب من شمر فسألوا العلج عن مكانه الذي هو به فأخبرهم فإذا ليس بينهم وبينه الا ثلاثة فراسخ قال فأقبلوا يسيرون اليه (قال أبو مخنف) فحدثني مسلم ابن عبد الله قال وأنا والله مع شمر تلك الليلة فقلنا له لو انك ارتحلت بنا من هذا المكان فإنا نتخوف به فقال أوكل هذا فرقا من الكذاب والله لا أتحول منه ثلاثة أيام ملأ الله قلوبكم رعبا قال وكان بذلك المكان الذي كنا فيه دبى كثير فوالله إني لبين اليقظان والنائم اذ سمعت وقع حوافر الخيل فقلت في نفسي هذا صوت الدبى ثم اني سمعته أشد من ذلك فانتبهت ومسحت عيني وقلت لا والله ما هذا بالدبى قال وذهبت لأقوم فإذا أنا بهم قد أشرفوا علينا من التل فكبروا ثم أحاطوا بأبياتنا وخرجنا نشتد على أرجلنا وتركنا خيلنا قال فأمر على شمر وانه لمتزر ببرد محقق وكان أبرص فكأني أنظر الى بياض كشحيه من فوق البرد فانه ليطاعنهم بالرمح قد أعجلوه ان يلبس سلاحه وثيابه فمضينا وتركناه قال فما هو الا ان امعنت ساعة اذ سمعت الله أكبر قتل الله الخبيث (قال أبو مخنف) حدثني المشرقي عن عبد الرحمن بن عبيد أبي الكنود قال أنا والله صاحب الكتاب الذي رأيته مع العلج وأتيت به أبا عمرة وأنا قتلت شمرا قال قلت هل سمعته يقول شيأ ليلتئذ قال نعم خرج علينا فطاعننا برمحه ساعة ثم ألقى رمحه ثم دخل بيته فأخذ سيفه ثم خرج علينا وهو يقول

نَبَّهْتُمُ لَيْثَ عَرِينٍ بَاسِلاَ * جَهْمًا مُحَيَّاهُ يَدُقُّ الْكَاهِلاَ

لَمْ يُرَ يَوْمًا عَنْ عَدُوٍّ نَاكِلاَ * اِلاَّ كَذَا مُقَاتِلاً أَوْ قَاتِلاَ

يُبَرِّحُهُمْ ضَرْبًا وَيُرْوِي الْعَامِلاَ

(قال أبو مخنف) عن يونس بن أبي اسحاق ولما خرج المختار من جبانة السبيع وأقبل الى القصر أخذ سراقة بن مرداس يناديه رافعا صوته

أُمْنُنْ عَلَيَّ الْيَوْمَ يَا خَيْرَ مَعَدّْ * وَخَيْرَ مَنْ حَلَّ بِشِحْرٍ وَالْجَنَدْ

وَخَيْرَ مَنْ حَيَّى وَلَبَّى وَسَجَدْ

فبعث به المختار الى السجن فحبسه ليلة ثم أرسل اليه من الغد فأخرجه فدعا سراقة فأقبل الى المختار وهو يقول

أَلاَ أَبْلِغْ أَبَا اِسْحَاقَ أَنَّا * نَزَوْنَا نَزْوَةً كَانَتْ عَلَيْنَا

خَرَجْنَا لاَ نَرَى الضُّعَفَاءَ شَيْأً * وَكَانَ خُرُوجُنَا بَطَرًا وَحَيْنَا

نَرَاهُمْ فِي مَصَافِّهِمْ قَلِيلاً * وَهُمْ مِثْلُ الدَّبَى حِينَ الْتَقَيْنَا

كارهون فامنن علينا واستبقنا قال المختار فهلا مننتم على الحسين ابن بنت نبيكم واستبقيتموه وسقيتموه ثم قال المختار للبدى أنت صاحب برنسه فقال له عبد الله بن كامل نعم هو هو فقال المختار اقطعوا ايدى هذا ورجليه ودعوه فليضطرب حتى يموت ففعل ذلك به وترك فلم يزل ينزف الدم حتى مات وأمر بالآخرين فقدما فقتل عبد الله بن كامل عبد الله الجهنى وقتل سعر بن أبى سعر تحمل بن مالك المحاربى (قال أبو مخنف) وحدثنى أبو الصلت التيمى قال حدثنى أبو سعيد الصيقل ان المختار دُل على رجال من قتلة الحسين دله عليهم سعر الحنفى قال فبعث المختار عبد الله بن كامل فخرجنا معه حتى مر ببنى ضُبيعة فأخذ منهم رجلا يقال له زياد ابن مالك قال ثم مضى الى عنزة فأخذ منهم رجلا يقال له عمران بن خالد قال ثم بعثنى فى رجال معه يقال لهم الدبابة الى دار فى الحمراء فيها عبد الرحمن بن أبى خشكارة البجلى وعبد الله بن قيس الخولانى فجئنا بهم حتى أدخلناهم عليه فقال لهم يا قتلة الصالحين وقتلة سيد شباب أهل الجنة ألا ترون الله قد أقاد منكم اليوم لقد جاءكم الورس بيوم نحس وكانوا قد أصابوا من الورس الذى كان مع الحسين أخرجوهم الى السوق فضربوا رقابهم ففعل ذلك بهم فهؤلاء أربعة نفر (قال أبو مخنف) وحدثنى سليمان بن أبى راشد عن حميد بن مسلم قال جاءنا السائب بن مالك الأشعرى فى خيل المختار فخرجت نحو عبد القيس وخرج عبد الله وعبد الرحمن ابنا صلخب فى أثرى وشغلوا بالاحتباس عليهما عنّى فنجوت وأخذوهما ثم مضوا بهما حتى مروا على منزل رجل يقال له عبد الله بن وهب بن عمرو ابن عم أعشى همدان من بنى عبد فأخذوه فانتهوا بهم الى المختار فأمر بهم فقتلوا فى السوق فهؤلاء ثلاثة فقال حميد بن مسلم فى ذلك حيث نجا منهم

ألم ترنى على دهَش * نجَوْتُ ولم أكد أنجو

رجاء الله أنقذنى * ولم أكُ غيرهُ أرجو

(قال أبو مخنف) حدثنى موسى بن عامر العدوى من جهينة وقد عرف ذلك الحديث شهم ابن عبد الرحمن الجهنى قال بعث المختار عبد الله بن كامل الى عثمان بن خالد بن أسير الدهمانى من جهينة والى أبى أسماء بشر بن سوط القابضى وكانا ممن شهد اقتل الحسين وكانا اشتركا فى دم عبد الرحمن بن عقيل بن أبى طالب وفى سلبه فأحاط عبد الله بن كامل عند العصر بمسجد بنى دُهمان ثم قال علىّ مثل خطايا بنى دهمان منذ يوم خلقوا الى يوم يبعثون إن لم أوت بعثمان بن خالد بن أسير إن لم أضرب أعناقكم من عند آخركم فقلنا له أمهلنا نطلبه فخرجوا مع الخيل فى طلبه فوجدوهما جالسين فى الجبانة وكانا يريدان ان يخرجا الى الجزيرة فأتى بهما عبد الله بن كامل فقال الحمد لله الذى كفى المؤمنين القتال لو لم يجدوا هذا مع هذا عنّانا الى منزله فى طلبه فالحمد لله الذى حينك حتى أمكن منك فخرج بهما حتى اذا كان فى موضع بئر الجعد ضرب أعناقهما ثم رجع فأخبر المختار خبرهما فأمره ان يرجع اليهما

قتال مع غير امام وقتال على غير بينة وتعجيل فراق الأحبة ولو قتلناهم اذاً لم نسلم منهم إنّا لله وإنا إليه راجعون أما والله ما خرجت الا مؤاسياً لقومي بنفسي مخافة ان يضطهدوا وايم الله ما نجوت من ذلك ولا أنجحوا ولا أغنيت عنهم ولا أغنوا قال ويرميه رجل من الفائشيين من همدان يقال له أحمر بن هديج بسهم فيقتله قال واختصم في عبد الرحمن بن سعيد بن قيس الهمداني نفر ثلاثة سعر بن أبي سعر الحنفي وأبو الزبير الشبامي ورجل آخر فقال سعر طعنته طعنة وقال أبو الزبير لكن ضربته أنا عشر ضربات أو أكثر وقال لي ابنه يا أبا الزبير أتقتل عبد الرحمن بن سعيد سيد قومك فقلت لا تجدُ قوماً يُؤْمِنُونَ بالله واليوم الآخر يُوادُّونَ مَنْ حادّ الله ورسولَهُ ولو كانوا آباءَهُمْ أو أبناءَهُم أو إخوانَهُمْ أو عشيرتَهُمْ فقال المختار كلكم محسن وانجلت الوقعة عن خمسمائة وثمانين قتيلا من قومه (قال أبو مخنف) حدثني النضر بن صالح ان القتل اذ ذاك كان استحر في أهل اليمن وان مضر أصيب منهم بالكناسة بضعة عشر رجلا ثم مضوا حتى مروا بربيعة فرجع حجار بن أبجر ويزيد بن الحارث بن رؤيم وشداد بن المنذر أخو حضين وعكرمة بن ربعي فانصرف جميع هؤلاء الى رحالهم وعطف عليهم عكرمة فقاتلهم قتالا شديدا ثم انصرف عنهم وقد خرج فجاء حتى دخل منزله فقيل له قد مرت خيل في ناحية الحي فخرج فأراد ان يثب من حائط داره الى دار اخرى الى جانبه فلم يستطع حتى حمله غلام له وكانت وقعة جبانة السبيع يوم الأربعاء لست ليال بقين من ذي الحجة سنة 66 قال وخرج اشراف الناس فلحقوا بالبصرة وتجرد المختار لقتلة الحسين فقال ما من ديننا ترك قوم قتلوا الحسين يمشون أحياء في الدنيا آمنين بئس ناصر آل محمد انا اذاً في الدنيا انا اذاً الكذاب كما سموني فإني بالله أستعين عليهم الحمد لله الذي جعلني سيفا ضربهم به ورمحا طعنهم به وطالب وترهم والقائم بحقهم انه كان حقا على الله ان يقتل من قتلهم وان يذل من جهل حقهم فسموهم لي ثم اتبعوهم حتى تفنوهم (قال أبو مخنف) فحدثني موسى بن عامر ان المختار قال لهم اطلبوا الي قتلة الحسين فانه لا يسوغ لي الطعام والشراب حتى أطهر الأرض منهم وأنفي المصر منهم (قال أبو مخنف) وحدثني مالك بن أعين الجهني ان عبد الله بن دباس وهو الذي قتل محمد بن عمار بن ياسر الذي قال الشاعر

قتيل ابن دبّاس أصاب قذالهْ

هو الذي دل المختار على نفر ممن قتل الحسين منهم عبد الله بن أسيد بن النزال الجهني من حرقة ومالك بن النسير البدّي وحمل بن مالك المحاربي فبعث اليهم المختار أبا نمر مالك بن عمرو النهدي وكان من رؤساء أصحاب المختار فأتاهم وهم بالقادسية فأخذهم فأقبل بهم حتى أدخلهم عليه عشاء فقال لهم المختار يا أعداء الله وأعداء كتابه وأعداء رسوله وآل رسوله أين الحسين ابن علي أدّوا الي الحسين قتلتم من أمرتم بالصلاة عليه في الصلاة فقالوا رحمك الله بعثنا ونحن

يقول أما أمان المختار لعمر بن سعد الا أن يحدث حدثا فانه كان يريد به اذا دخل الخلاء وأحدث قال فلما جاءه العُريان بهذا خرج من تحت ليلته حتى أتى حمّامه ثم قال في نفسه أنزل داري فرجع فعبر الرَّوْحاء ثم أتى داره غدوةً وقد أتى حمّامه فأخبر مولى له بما كان من أمانه وبما أريد به فقال له مولاه وأي حدث أعظمُ مما صنعت انك تركت رحلك وأهلك وأقبلت الى ههنا ارجع الى رحلك لا تجعلن للرجل عليك سبيلا فرجع الى منزله وأتى المختار بانطلاقه فقال كلا انّ في عنقه سلسلة ستردّه لو جهد أن ينطلق ما استطاع قال وأصبح المختار فبعث اليه أبا عمرة وأمره أن يأتيه به فجاءه حتى دخل عليه فقال أجب الامير فقام عمر فعثر في جبة له ويضربه أبو عمرة بسيفه فقتله وجاء برأسه في أسفل قبائه حتى وضعه بين يدي المختار فقال المختار لابنه حفص بن عمر بن سعد وهو جالس عنده أتعرف هذا الرأس فاسترجع وقال نعم ولا خير في العيش بعده قال له المختار صدقت فانك لا تعيش بعده فأمر به فقتل واذا رأسه مع رأس أبيه ثم ان المختار قال هذا بحسين وهذا بعليّ ابن حسين ولا سواء والله لو قتلت به ثلاثة أرباع قريش ما وفوا أنملة من أنامله فقالت حميدة بنت عمر بن سعد تبكي أباها

لو كان غير أخي قسي غرّه * أو غير ذي يمن وغير الأعجم
سخي بنفسي ذاك شيأ فاعلموا * عنه وما البطريق مثل الألأم
أعطى ابن سعد في الصّحيفة وابنه * عهدا يلين له جناح الأرقم

فلما قتل المختار عمر بن سعد وابنه بعث برأسيهما مع مسافر بن سعيد بن نمران الناعطي وظبيان بن عمارة التميمي حتى قدما بهما على محمد بن الحنفية وكتب الى ابن الحنفية في ذلك بكتاب (قال أبو مخنف) وحدثني موسى بن عامر قال انما كان هيّج المختار على قتل عمر بن سعد أن يزيد بن شراحيل الانصاري أتى محمد بن الحنفية فسلم عليه فجرى الحديث الى أن تذاكروا المختار وخروجه وما يدعو اليه من الطلب بدماء أهل البيت فقال محمد بن الحنفية على أهون رسله يزعم أنه لنا شيعة وقتلة الحسين جلساؤه على الكراسي يحدثونه قال فوعاها الآخر منه فلما قدم الكوفة أتاه فسلم عليه فسأله المختار هل لقيت المهديّ فقال له نعم فقال ما قال لك وما ذاكرك قال فخبره الخبر قال فقتل المختار عمر بن سعد وابنه ثم بعث برؤسهما الى ابن الحنفية مع الرسولين اللذين سمينا وكتب معهما الى ابن الحنفية بسم الله الرحمن الرحيم للمهدي محمد بن عليّ من المختار بن أبي عبيد سلام عليك يا أيها المهدي فاني أحمد اليك الله الذي لا اله الا هو أما بعد فان الله بعثني نقمة على أعدائكم فهم بين قتيل وأسير وطريد وشريد فالحمد لله الذي قتل قاتليكم ونصر مؤازريكم وقد بعثت اليك برأس عمر بن سعد وابنه وقد قتلنا من شرك في دم الحسين وأهل بيته رحمة الله

فحرقهما بالنار وقال لا تدفنان حتى تحرقا فهذان رجلان فقال أعشى همدان يرثي عثمان الجهني

يا عين بكّي فتى الفتيان عثمانا * لا يبعدَنّ الفتى من آل دُهمانا
واذكر فتى ماجداً حلواً شمائلهُ * ما مثلُهُ فارسٌ في آل همدانا

قال موسى بن عامر وبعث معاذ بن هانئ بن عدي الكندي ابن أخي حجر وبعث أبا عمرة صاحب حرسه فساروا حتى أحاطوا بدار خولى بن يزيد الأصبحي وهو صاحب رأس الحسين الذي جاء به فاختبأ في مخرجه فأمر معاذ أبا عمرة أن يطلبه في الدار فخرجت امرأته إليهم فقالوا لها أين زوجك فقالت لا أدري أين هو وأشارت بيدها إلى المخرج فدخلوا فوجدوه قد وضع على رأسه قوصرة فأخرجوه وكان المختار يسير بالكوفة ثم إنه أقبل في أثر أصحابه وقد بعث أبو عمرة إليه رسولا فاستقبل المختار الرسول عند دار أبي بلال ومعه ابن كامل فأخبره الخبر فأقبل المختار نحوهم فاستقبل به فردّده حتى قتله إلى جانب أهله ثم دعا بنار فحرّقه ثم لم يبرح حتى عاد رمادا ثم انصرف عنه وكانت امرأته من حضرموت يقال لها العيوف بنت مالك بن نهار بن عقرب وكانت نصبت له العداوة حين جاء برأس الحسين (قال أبو مخنف) وحدثني موسى بن عامر أبو الأشعر أن المختار قال ذات يوم وهو يحدث جلساءه لأقتلن غدا رجلا عظيم القدمين غائر العينين مشرف الحاجبين يسر مقتله المؤمنين والملائكة المقربين قال وكان الهيثم بن الأسود النخعي عند المختار حين سمع هذه المقالة فوقع في نفسه أن الذي يريد عمر بن سعد بن أبي وقاص فلما رجع إلى منزله دعا ابنه العريان فقال الق ابن سعد الليلة فخبره بكذا وكذا وقل له خذ حذرك فإنه لا يريد غيرك قال فأتاه فاستخلاه ثم حدثه الحديث فقال له عمر بن سعد جزى الله أباك والإخاء خيرا كيف يريد هذا بي بعد الذي أعطاني من العهود والمواثيق وكان المختار أول ما ظهر أحسن شيء سيرة وتألفا للناس وكان عبد الله بن جعدة بن هبيرة أكرم خلق الله على المختار لقرابته بعليّ فكلم عمر بن سعد عبد الله بن جعدة وقال له إني لا آمن هذا الرجل يعني المختار فخذ لي منه أمانا ففعل قال فأنا رأيت أمانه وقرأته بسم الله الرحمن الرحيم هذا أمان من المختار بن أبي عبيد لعمر بن سعد بن أبي وقاص إنك آمن بأمان الله على نفسك ومالك وأهلك وأهل بيتك وولدك لا تؤاخذ بحدث كان منك قديما ما سمعت وأطعت ولزمت رحلك وأهلك ومصرك فمن لقي عمر بن سعد من شرطة الله وشيعة آل محمد ومن غيرهم من الناس فلا يعرض له إلا بخير شهد السائب بن مالك وأحمر بن شميط وعبد الله بن شداد وعبد الله بن كامل وجعل المختار على نفسه عهد الله وميثاقه ليفين لعمر بن سعد بما أعطاه من الأمان إلا أن يحدث حدثا وأشهد الله على نفسه وكفى بالله شهيدا قال وكان أبو جعفر محمد بن علي

جبهته يتقي النبل فأثبت كفه في جبهته فما استطاع أن يزيل كفه عن جبهته (قال أبو مخنف) فحدثني أبو عبد الاعلى الزبيدي ان ذلك الفتى عبد الله بن مسلم بن عقيل وانه قال حيث أثبت كفه في جبهته اللهم انهم استقلونا واستذلونا اللهم فاقتلهم كما قتلونا وأذلهم كما استذلونا ثم انه رمى الغلام بسهم آخر فقتله فكان يقول جئته ميتا فنزعت سهمي الذي قتلته به من جوفه فلم أزل أنضنض السهم من جبهته حتى نزعته وبقي النصل في جبهته مثبتا ما قدرت على نزعه قال فلما أتى ابن كامل داره أحاط بها واقتحم الرجال عليه فخرج مصلتا بسيفه وكان شجاعا فقال ابن كامل لا تضربوه بسيف ولا تطعنوه برمح ولكن ارموه بالنبل وارجموه بالحجارة ففعلوا ذلك به فسقط فقال ابن كامل ان كان به رمق فأخرجوه فأخرجوه وبه رمق فدعا بنار فحرّقه بها وهو حيّ لم تخرج روحه وطلب المختار سنان بن أنس الذي كان يدّعي قتل الحسين فوجده قد هرب الى البصرة فهدم داره وطلب المختار عبد الله بن عقبة الغنوي فوجده قد هرب ولحق بالجزيرة فهدم داره وكان ذلك الغنوي قد قتل منهم غلاما وقتل رجلٌ آخر من بني أسد يقال له حرملة بن كاهل رجلا من آل الحسين ففيهما يقول ابن أبي عقب الليثي

وعِندَ غَنِيٍّ قَطرَةٌ من دمائنا * وفي أسَدٍ أخرى تُعَدُّ وتُذكَرُ

وطلب رجلا من خثعم يقال له عبد الله بن عروة الخثعمي كان يقول رميت فيهم باثني عشر سهما ضيعةً ففاته ولحق بمصعب فهدم داره وطلب رجلا من صُداء يقال له عمرو بن صبيح وكان يقول لقد طعنت بعضهم وجرحت فيهم وما قتلت منهم أحدا فأتي ليلا وهو على سطحه وهو لا يشعر بعد ما هدأت العيون وسيفه تحت رأسه فأخذوه أخذا وأخذوا سيفه فقال قبحك الله سيفا ما أقربك وأبعدك فجيء به الى المختار فحبسه معه في القصر فلما أن أصبح أذن لأصحابه وقيل ليدخل من شاء أن يدخل ودخل الناس وجيء به مقيّدا فقال أما والله يا معشر الكفرة الفجرة ان لو بيدي سيفي لعلمتم أني بنصل السيف غير رَعِش ولا رعديد ما يسرّني اذ كانت منيّتي قتلا انه قتلني من الخلق أحد غيركم لقد علمت انكم شرار خلق الله غير اني وددت ان بيدي سيفا أضرب به فيكم ساعة ثم رفع يده فلطم عين ابن كامل وهو الى جنبه فضحك ابن كامل ثم أخذ بيده وأمسكها ثم قال انه يزعم أنه قد جرح في آل محمد وطعن فمُرْنا بأمرك فيه فقال المختار عليّ بالرماح فأتي بها فقال اطعنوه حتى يموت فطعن بالرماح حتى مات (قال أبو مخنف) حدثني هشام بن عبد الرحمن وابنه الحكم بن هشام ان أصحاب المختار مرّوا بدار بني أبي زُرعة بن مسعود فرموهم من فوقها فأقبلوا حتى دخلوا الدار فقتلوا الهبياط بن عثمان بن أبي زرعة الثقفي وعبد الرحمن بن عثمان بن أبي زرعة الثقفي وأفلتهم عبد الملك بن أبي زرعة بضربة في رأسه فجاء يشتد حتى دخل على المختار فأمر امرأته أمّ ثابت ابنة سَمرة بن جندب فداوت شجّته ثم دعاه فقال لا ذنب لي انكم رميتم القوم

عليهم كل من قدرنا عليه وان يعجز الله من بقى ولست بمنجم عنهم حتى لا يبلغنى ان على أديم الارض منهم ارميا فاكتب الىّ أيها المهدى برأيك اتبعه وأكون عليه والسلام عليك أيها المهدى ورحمة الله وبركاته ثم ان المختار بعث عبد الله بن كامل الى حكيم بن طفيل الطائى السنبسى وقد كان أصاب سلب العباس بن علىّ ورمى حسينا بسهم فكان يقول تعلق سهمى بسرباله وما ضرّه فأتاه عبد الله بن كامل فأخذه ثم أقبل به وذهب أهله فاستغاثوا بعدىّ بن حاتم فلحقهم فى الطريق فكلم عبد الله بن كامل فيه فقال ما الىّ من أمره شئ انما ذلك الى الامير المختار قال فانى آتيه قال فأته راشدا فمضى عدى نحو المختار وكان المختار قد شفّعه فى نفر من قومه أصابهم يوم جبانة السبيع لم يكونوا نطقوا بشئ من أمر الحسين ولا أهل بيته فقالت الشيعة لابن كامل انا نخاف أن يشفّع الامير عدىّ بن حاتم فى هذا الخبيث وله من الذنب ما قد علمت فدعنا نقتله قال شأنكم به فلما انتهوا به الى دار العنزيين وهو مكتوف نصبوه غرضا ثم قالوا له سلبت ابن علىّ ثيابه والله لنسلبن ثيابك وأنت حىّ تنظر فنزعوا ثيابه ثم قالوا له رميت حسينا واتخذته غرضا لنبلك وقلت تعلق سهمى بسرباله ولم يضرّه وايم الله لنرمينك كما رميته بنبال ما تعلق بك منها أجزأك قال فرموه رشقا واحدا فوقعت به منهم نبال كثيرة فخرّ ميتا (قال أبو مخنف) فحدثنى أبو الجارود عمن رآه قتيلا كأنه قنفذ لما فيه من كثرة النبل ودخل عدى بن حاتم على المختار فأجلسه معه على مجلسه فأخبره عدىّ عما جاء له فقال له المختار أتستحل يا أبا طريف أن تطلب فى قتلة الحسين قال انه مكذوب عليه أصلحك الله قال اذا ندعه لك قال فلم يكن بأسرع من أن دخل ابن كامل فقال له المختار ما فعل الرجل قال قتلته الشيعة قال وما أعجلك الى قتله قبل أن تأتينى به وهو لا يسرّه انه لم يقتله وهذا عدىّ قد جاء فيه وهو أهل أن يشفّع ويؤتى ما سرّه قال غلبتنى والله الشيعة قال له عدىّ كذبت يا عدوّ الله ولكن ظننت ان من هو خير منك سيشفّعنى فيه فبادرتنى فقتلته ولم يكن خطر يدفعك عما صنعت قال فاسحنفر اليه ابن كامل بالشتيمة فوضع المختار أصبعه على فيه يأمر ابن كامل بالسكوت والكف عن عدىّ فقام عدىّ راضيا عن المختار ساخطا على ابن كامل يشكوه عند من لقى من قومه وبعث المختار الى قاتل علىّ بن الحسين عبد الله بن كامل وهو رجل من عبد القيس يقال له مُرّة بن مُنْقِذ بن النعمان العبدى وكان شجاعا فأتاه ابن كامل فأحاط بداره فخرج اليهم وبيده الرمح وهو على فرس جواد فطعن عبيد الله بن ناجية الشبامىّ فصرعه ولم يضره قال ويضربه ابن كامل بالسيف فيتقيه بيده اليسرى فأسرع فيها السيف وتمطّرت به الفرس فأفلت ولحق بمصعب وشلت يده بعد ذلك قال وبعث المختار أيضا عبد الله الشاكرى الى رجل من جنب يقال له زيد بن رُقاد كان يقول لقد رميت فتى منهم بسهم وانه لواضع كفه على

مدينة الرزق وما كان فيها وأتى المثنى وأصحابه عبد القيس ورجع عباد وقيس ومن معهم الى القباع فوجههما الى عبد القيس فأخذ قيس بن الهيثم من ناحية الجسر وأتاهم عباد من طريق المربد فالتقوا فأقبل زياد بن عمرو العتكى الى القباع وهو فى المسجد جالس على المنبر فدخل زياد المسجد على فرسه فقال أيها الرجل لتردن خيلك عن اخواننا أو لنقاتلنها فأرسل القباع الأحنف بن قيس وعمر بن عبد الرحمن المخزومى ليصلحا أمر الناس فأتيا عبد القيس فقال الأحنف لبكر والأزد والعامة ألستم على بيعة ابن الزبير قالوا بلى ولكنا لا نسلم اخواننا قال فمروهم فليخرجوا الى أى بلاد أحبوا ولا يفسدوا هذا المصر على أهله وهم آمنون فليخرجوا حيث شاؤا فمشى مالك بن مسمع وزياد بن عمرو ووجوه أصحابهم الى المثنى فقالوا له ولأصحابه انا والله ما نحن على رأيكم ولكنا كرهنا أن تضاموا فالحقوا بصاحبكم فان من أجابكم الى رأيكم قليل وأنتم آمنون فقبل المثنى قولهما وما أشارا به وانصرف ورجع الأحنف وقال ما غبنت رأيى الا يومى هذا انى أتيت هؤلاء القوم وخلفت بكرا والأزد ورائى ورجع عباد وقيس الى القباع وشخص المثنى الى المختار بالكوفة فى نفر يسير من أصحابه وأصيب فى تلك الحرب سويد بن رئاب الشنى وعقبة بن عشيرة الشنى قتله رجل من بنى تميم وقتل التميمى فولغ أخوه عقبة بن عشيرة فى دم التميمى وقال ثأرى وأخبر المثنى المختار حين قدم عليه بما كان من أمر مالك بن مسمع وزياد بن عمرو ومسيرهما اليه وذبهما عنه حتى شخص عن البصرة فطمع المختار فيهما فكتب اليهما أما بعد فاسمعا وأطيعا أوتكما من الدنيا ما شئتما وأضمن لكما الجنة فقال مالك لزياد يا أبا المغيرة قد أكثر لنا أبو اسحاق إعطاءنا الدنيا والآخرة فقال زياد مازحا لمالك يا أبا غسان أما أنا فلا أقاتل نسيئة من أعطانا الدراهم قاتلنا معه وكتب المختار الى الأحنف بن قيس من المختار الى الأحنف ومن قبله فسلم أنتم أما بعد فويل أم ربيعة من مضر فان الأحنف مورد قومه سقر حيث لا يستطيع لهم الصدر وانى لا أملك ما خط فى القدر وقد بلغنى انكم تسموننى كذابا وقد كذب الأنبياء من قبلى ولست بخير من كثير منهم وكتب الى الأحنف

اذا اشتريت فرسا من مالكا ... ثم أخذت الجوب فى شمالكا

فاجعل مصاعا حذما من بالكا

حدثنى أبو السائب سلم بن جنادة قال حدثنا الحسن بن حماد عن حبان بن على عن المجالد عن الشعبى قال دخلت البصرة فقعدت الى حلقة فيها الأحنف بن قيس فقال لى بعض القوم من أنت قلت رجل من أهل الكوفة قال أنتم موال لنا قلت وكيف قال قد أنقذناكم من أيدى عبيدكم من أصحاب المختار قلت تدرى ما قال شيخ همدان فينا وفيكم فقال الأحنف بن قيس وما قال قلت قال

فاغضبتموهم وكان محمد بن الاشعث بن قيس فى قرية الاشعث الى جنب القادسية فبعث
المختار اليه حوشبا سادن الكرسى فى مائة فقال انطلق اليه فانك تجده لاهيا متصيدا
أو قائما متلبدا أو خائفا متلددا أو كامنا متغمدا فان قدرت عليه فأتنى برأسه فخرج حتى أتى
قصره فأحاط به وخرج منه محمد بن الاشعث فلحق بمصعب وأقاموا على القصر وهم يرون انه
فيه ثم انهم دخلوا فعلموا انه قد فاتهم فانصرفوا الى المختار فبعث الى داره فهدمها وبنى بلبنها
وطينها دار حجر بن عدى الكندى وكان زياد بن سمية قد هدمها ﴿قال أبو جعفر﴾
وفى هذه السنة دعى المثنى بن مخربة العبدى الى البيعة للمختار بالبصرة أهلها ❁ فحدثنى
أحمد بن زهير عن على بن محمد عن عبد الله بن عطية الليثى وعامر بن الاسود ان
المثنى بن مخربة العبدى كان ممن شهد عين الوردة مع سليمان بن صرد ثم رجع مع من
رجع ممن بقى من التوابين الى الكوفة والمختار محبوس فأقام حتى خرج المختار من السجن
فبايعه المثنى سرا وقال له المختار الحق ببلدك بالبصرة فادع الناس وأسر أمرك فقدم البصرة
فدعا فأجابه رجال من قومه وغيرهم فلما أخرج المختار ابن مطيع من الكوفة ومنع عمر
ابن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام من الكوفة خرج المثنى بن مخربة فاتخذ مسجدا
واجتمع اليه قومه ودعا الى المختار ثم أتى مدينة الرزق فعسكر عندها وجمعوا الطعام فى
المدينة ونحروا الجزر فوجه اليهم القباع عباد بن حصين وهو على شرطته وقيس بن الهيثم
فى الشرط والمقاتلة فأخذوا فى سكة الموالى حتى خرجوا الى السبخة فوقفوا ولزم الناس دورهم
فلم يخرج أحد فجعل عباد ينظر هل يرى أحدا يسأله فلم ير أحدا فقال أما ههنا رجل من بنى تميم
فقال خليفة الأعور مولى بنى عدى عدى الرباب هذه دار وراد مولى بنى عبد شمس قال
دق الباب فدقه فخرج اليه وراد فشتمه عباد وقال ويحك أنا واقف ههنا لم تخرج الى قال
لم أدر ما يوافقك قال شد عليك سلاحك واركب ففعل ووقفوا وأقبل أصحاب المثنى فواقفوهم
فقال عباد لوراد قف مكانك مع قيس فوقف قيس بن الهيثم ووراد ورجع عباد فأخذ فى
طريق الدباغين والناس وقوف فى السبخة حتى أتى الكلاء ولمدينة الرزق أربعة أبواب باب
مما يلى البصرة وباب الى الخلالين وباب الى المسجد وباب الى مهب الشمال فأتى الباب الذى
يلى النهر مما يلى أصحاب السقط وهو باب صغير فوقف ودعا بسلم فوضعه مع حائط المدينة
فصعد ثلاثون رجلا وقال لهم الزموا السطح فاذا سمعتم التكبير فكبروا على السطوح
ورجع عباد الى قيس بن الهيثم وقال لوراد حرش القوم وطاردهم وراد ثم التحم القتال
فقتل أربعون رجلا من أصحاب المثنى وقتل رجل من أصحاب عباد وسمع الذين على السطوح
فى دار الرزق الصيحة والتكبير فكبروا فهرب من كان فى المدينة وسمع المثنى وأصحابه
التكبير من ورائهم فانهزموا وأمر عباد وقيس بن الهيثم الناس بالكف عن اتباعهم وأخذوا

مدينة

ولكان أمرٌ أبيّنا فيما مضى * تأتي به الأنباء والأخبارُ
انى لأرجو أن يُكذَّب وحيكم * طعنٌ يشقّ عصاكم وحصارُ
ويجيئكم قومٌ كأنّ سيوفهم * بأكفّهم تحتَ العجاجة نارُ
لا ينثنون إذا هُمُ لاقوكُمُ * الا وهامُ كُماتكم أعشارُ

﴿قال أبو جعفر﴾ وفي هذه السنة بعث المختار جيشا الى المدينة للمكر بابن الزبير وهو مظهر له انه وجّههم معونة له لحرب الجيش الذي كان عبد الملك بن مروان وجّهه اليه لحربه فنزلوا وادي القرى

﴿ذكر الخبر عن السبب الداعي كان للمختار الى توجيه ذلك الجيش والى ما صار أمرهم﴾

(قال هشام بن محمد) قال أبو مخنف حدثني موسى بن عامر قال لما أخرج المختارُ ابنَ مطيع من الكوفة لحق بالبصرة وكره ان يقدم على ابن الزبير بمكة وهو مهزوم مفلول فكان بالبصرة مقيما حتى قدم عليه عمر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام فصارا جميعا بالبصرة وكان سبب قدوم عمر البصرة ان المختار حين ظهر بالكوفة واستجمع له الأمر وهو عند الشيعة انما يدعو الى ابن الحنفية والطلب بدماء أهل البيت أخذ يخادع ابن الزبير ويكتب اليه فكتب اليه أما بعد فقد عرفت مناصحتي اياك وجهدي على أهل عداوتك وما كنت أعطيتني اذا أنا فعلت ذلك من نفسك فلما وفيتُ لك وقضيت الذي كان لك عليّ حست بي ولم تف بما عاهدتني عليه ورأيت مني ما قد رأيت فإن ترد مراجعتي أراجعك وان ترد مناصحتي انصح لك وهو يريد بذلك كفه عنه حتى يستجمع له الأمر وهو لا يُطلع الشيعة على شيء من هذا الأمر وإذا بلغهم شيء منه أراهم انه أبعد الناس عن ذلك قال فأراد ابن الزبير أن يعلم أسلم هو أم حرب فدعا عمر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام المخزوميّ فقال له تجهّز الى الكوفة فقد وليناكها فقال كيف وبها المختار قال انه يزعم أنه سامع مطيع قال فتجهز بما بين الثلاثين الالف درهم الى الأربعين ألفا ثم خرج مقبلا الى الكوفة قال ويجيء عينُ المختار من مكة حتى أخبره الخبر فقال له بكم تجهز قال بما بين الثلاثين ألفا الى الأربعين ألفا قال فدعا المختار زائدة بن قدامة وقال له احمل معك سبعين ألف درهم ضعف ما أنفق هذا في مسيره الينا وتلقه في المفاوز وأخرج معك مسافر بن سعيد بن نمران الناعطيّ في خمسمائة فارس دارع رامح عليهم البيض ثم قل له خذ هذه النفقة فإنها ضعف نفقتك فإنه قد بلغنا انك تجهزت وتكلفت قدر ذلك فكرهنا ان تغرم فخذها وانصرف فان فعل والا فأره الخيل وقل له ان وراء هؤلاء مثلهم مائة كتيبة قال فأخذ زائدةُ المال وأخرج معه الخيل وتلقاه بالمفاوز وعرض عليه المال وأمره بالانصراف فقال له ان أمير المؤمنين قد ولاني الكوفة ولا بد من انفاذ أمره فدعا زائدة بالخيل وقد أكمنها في جانب فلما رآها

أفخرتم إن قتلتم أعبدا * وهزمتم مرة آل عزل
واذا فاخرتمونا فاذكروا * ما فعلنا بكم يوم الجمل
بين شيخ خاضب عثنونه * وفتى أبيض وضاح رفل
جاءنا يهدج في سابغة * فذبحناه ضحى ذبح الحمل
وعفونا فنسيتم عفونا * وكفرتم نعمة الله الأجل
وقتلتم خشبيين بهم * بدلا من قومكم شر بدل

فغضب الأحنف فقال يا غلام هات تلك الصحيفة فأتي بصحيفة فيها بسم الله الرحمن الرحيم من المختار بن أبي عبيد الى الأحنف بن قيس أما بعد فويل أم ربيعة ومضر فإن الأحنف مورد قومه سقر حيث لا يقدرون على الصدر وقد بلغني انكم تكذبوني وان كذبت فقد كذب رسل من قبلي ولست أنا خيرا منهم فقال هذا منا أو منكم (وقال هشام) بن محمد عن أبي مخنف قال حدثني منيع بن العلاء السعدي ان مسكين بن عامر بن أنيف بن شريح بن عمرو بن عدس كان فيمن قاتل المختار فلما هزم الناس لحق بأذربيجان بمحمد ابن عمير بن عطارد وقال

عجبت دختنوس لما رأتني * قد علاني من المشيب خمار
فأهلت بصوتها وأرنت * لا تهالي قد شاب مني العذار
إن تريني قد بان عني شبابي * وأتى دون مولدي أعصار
فابن عامين وابن خمسين عاما * أي دهر إلا له أدهار
ليت سيفي لها وجوبتها لي * يوم قالت الا كريم يغار
ليتنا قبل ذلك اليوم متنا * أو فعلنا ما تفعل الأحرار
فعل قوم تقاذف الجسر عنهم * لم نقاتل وقاتل الغيار
وتوليت عنهم وأصيبوا * ونفاني عنهم شنار وعار
لهف نفسي على شهاب قريش * يوم يؤتى برأسه المختار

وقال المتوكل

قتلوا حسينا ثم هم ينعونه * إن الزمان بأهله أطوار
لا تبعدن بالطف قتلى ضيعت * وسقى مساكن هامها الامطار
ما شرطة الدجال تحت لوائه * بأصل ممن عزه المختار
أبني قسي أوثقوا دجالكم * يخلي العبار وأنتم أحرار
لو كان علم الغيب عند أخيكم * لتوطأت لكم به الأخبار

سهل لحاجته عرف خلافه وكره أن يعلمه أنه قد فطن له فقال فرأيك أفضل اعمل ما بدا لك فأما أنا فإني سائر إلى وادي القرى ثم جاء عباس بن سهل فنزل بالماء وبعث إلى ابن ورس بجزائر كانت معه فأهداها له وبعث إليه بدقيق وغنم مسلّخة وكان ابن ورس وأصحابه قد هلكوا جوعا فبعث عباس بن سهل إلى كل عشرة منهم شاة فذبحوها واشتغلوا بها واختلطوا على الماء وترك القوم تعبئتهم وأمن بعضهم بعضا فلما رأى عباس بن سهل ما هم فيه من الشغل جمع من أصحابه نحوا من ألف رجل من ذوي البأس والنجدة ثم أقبل نحو فسطاط شرحبيل بن ورس فلما رآهم ابن ورس مقبلين إليه نادى في أصحابه فلم يتواف إليه مائة رجل حتى انتهى إليه عباس بن سهل وهو يقول يا شرطة الله إليّ إليّ قاتلوا المحلين أولياء الشيطان الرجيم فإنكم على الحق والهدى وقد غدروا وفجروا (قال أبو مخنف) فحدثني أبو يوسف أن عباسا انتهى إليهم وهو يقول

أنا ابن سهل فارسٌ غيرُ وكلْ * أروعُ مقدامٌ إذا الكبش نكلْ
وأعتلي رأس الطرماح البطلْ * بالسيف يوم الرّوع حتى ينجدل

قال فوالله ما اقتتلنا إلا شيئا يسيرا حتى قُتل ابن ورس في سبعين من أهل الحفاظ ورفع عباسُ بن سهل راية أمان لأصحاب ابن ورس فأتوها إلا نحوا من ثلثمائة رجل انصرفوا مع سليمان بن حمير الهمداني وعياش بن جعدة الجدلي فلما وقعوا في يد عباس بن سهل أمر بهم فقتلوا إلا نحوا من مائتي رجل كره ناس من الناس ممن دفعوا إليهم قتلهم فخلوا سبيلهم فرجعوا فمات أكثرهم في الطريق ، فلما بلغ المختار أمرهم ورجع من رجع منهم قام خطيبا فقال ألا إن الفجار الأشرار قتلوا الأبرار الأخيار ألا إنه كان أمرا مأتيا وقضاء مقضيا وكتب المختار إلى ابن الحنفية مع صالح بن مسعود الخثعمي بسم الله الرحمن الرحيم أما بعد فإني كنت بعثت إليك جندا ليذلوا لك الأعداء وليحوزوا لك البلاد فساروا إليك حتى إذا أظلوا على طيبة لقيهم جند الملحد فخدعوهم بالله وغروهم بعهد الله فلما اطمأنوا إليهم ووثقوا بذلك منهم وثبوا عليهم فقتلوهم فإن رأيت أن أبعث إلى أهل المدينة من قبلي جيشا كثيفا وتبعث إليهم من قبلك رسلا حتى يعلم أهل المدينة أني في طاعتك وإنما بعثت الجند إليهم عن أمرك فافعل فإنك ستجدهم بحقكم أعرف وبكم أهل البيت أرأف منهم بآل الزبير الظلمة الملحدين والسلام عليك فكتب إليه ابن الحنفية أما بعد فإن كتابك لما بلغني قرأته وفهمت تعظيمك لحقي وما تنوي به من سروري وإن أحب الأمور كلها إليّ ما أطيع الله فيه فأطع الله ما استطعت فيما أعلنت وأسررت واعلم أني لو أردت القتال لوجدت الناس إليّ سراعا والأعوان لي كثيرا ولكني أعتزلهم وأصبر حتى يحكم الله لي وهو خير الحاكمين فأقبل صالح بن مسعود إلى ابن الحنفية فودعه وسلم عليه وأعطاه الكتاب وقال له قل للمختار فليتق

قد أقبلت قال هذا الآن أعذر لي وأجمل بي هات المال فقال له زائدة أما انه لم يبعث به اليك
الا ما بينك وبينه فدفعه اليه فأخذه ثم مضى راجعا نحو البصرة فاجتمع بها هو وابن مطيع في
امارة الحارث بن عبد الله بن أبي ربيعة وذلك قبل وثوب المثنى بن مخربة العبدي بالبصرة
(قال أبو مخنف) فحدثني اسماعيل بن نعيم ان المختار أخبر ان أهل الشأم قد أقبلوا نحو العراق
فعرف انه به يبدأ فخشي أن يأتيه أهل الشأم من قبل المغرب ويأتيه مصعب بن الزبير من
قبل البصرة فوادع ابن الزبير وداراه وكايده وكان عبد الملك بن مروان قد بعث عبد الملك
ابن الحارث بن الحكم بن أبي العاص الى وادي القرى والمختار لابن الزبير مكايد موادع
فكتب المختار الى ابن الزبير أما بعد فقد بلغني ان عبد الملك بن مروان قد بعث اليك
جيشا فان أحببت ان أمدك بمدد أمددتك فكتب اليه عبد الله بن الزبير أما بعد فان
كنت على طاعتي فلست أكره ان تبعث الجيش الى بلادي وتبايع لي الناس قبلك فاذا
أتتني بيعتك صدقت مقالتك وكففت جنودي عن بلادك وعجل علي بتسريح الجيش
الذي أنت باعثه ومرهم فليسيروا الى من بوادي القرى من جند ابن مروان فليقاتلوهم
والسلام فدعا المختار شرحبيل بن ورس من همدان فسرحه في ثلاثة آلاف أكثرهم
الموالي ليس فيهم من العرب الا سبعمائة رجل فقال له سر حتى تدخل المدينة فاذا دخلتها
فاكتب الي بذلك حتى يأتيك أمري وهو يريد اذا دخل المدينة أن يبعث عليهم أميرا من
قبله ويأمر ابن ورس أن يمضي الى مكة حتى يحاصر ابن الزبير ويقاتله بمكة فخرج الآخر
يسير قبل المدينة وخشي ابن الزبير أن يكون المختار انما يكيده فبعث من مكة الى المدينة
عباس بن سهل بن سعد في ألفين وأمره أن يستنفر الأعراب وقال له ابن الزبير ان رأيت
القوم في طاعتي فاقبل منهم والا فكايدهم حتى تهلكهم ففعلوا وأقبل عباس بن سهل حتى
لقي ابن ورس بالرقيم وقد عبى ابن ورس أصحابه فجعل على ميمنته سلمان بن حمير الثوري
من همدان وعلى ميسرته عياش بن جعدة الجدلي وكانت خيله كلها في الميمنة والميسرة
فدنا فسلم عليه ونزل هو يمشي في الرجالة وجاء عباس في أصحابه وهم منقطعون على غير
تعبية فيجد ابن ورس على الماء قد عبى أصحابه تعبية القتال فدنا منهم فسلم عليهم ثم قال اخل
معي ههنا فخلا به فقال له رحمك الله ألست في طاعة ابن الزبير فقال له ابن ورس بلى قال فسر
بنا الى عدونا هذا الذي بوادي القرى فان ابن الزبير حدثني انه انما أشخصكم صاحبكم اليوم
قال ابن ورس ما أمرت بطاعتك انما أمرت أن أسير حتى آتي المدينة فاذا نزلتها رأيت
رأيي فقال له عباس بن سهل فان كنت في طاعة ابن الزبير فقد أمرني أن أسير بك
وبأصحابك الى عدونا الذين بوادي القرى فقال له ابن ورس ما أمرت بطاعتك وما أنا
بمتبعك دون أن أدخل المدينة ثم أكتب الى صاحبي فيأمرني بأمره فلما رأى عباس بن

رأس والله لو أذنت لأصحابي ما مضت ساعة حتى تقطف رؤسهم فقال له قيس بن مالك أما والله انى لا رجو ان رمت ذلك ان يوصل اليك قبل ان ترى فينا ما تحب فكف ابن الحنفية أصحابه وحذرهم الفتنة ثم قدم أبو المعتمر فى مائة وهانئ بن قيس فى مائة وظبيان بن عمارة فى مائتين ومعه المال حتى دخلوا المسجد فكبروا يا لثارات الحسين فلما رآهم ابن الزبير خافهم فخرج محمد ابن الحنفية ومن معه الى شعب على وهم يسبون ابن الزبير ويستأذنون ابن الحنفية فيه فيأبى عليهم فاجتمع مع محمد بن على فى الشعب أربعة آلاف رجل فقسم بينهم ذلك المال ﴿ قال أبو جعفر ﴾ وفى هذه السنة كان حصار عبد الله بن خازم من كان بخراسان من رجال بنى تميم بسبب قتل من قتل منهم ابنه محمدا قال على بن محمد حدثنا الحسن بن رشيد الجوزجانى عن الطفيل بن مرداس العمى قال لما تفرقت بنو تميم بخراسان أيام ابن خازم أتى قصر فرتناعد ة من فرسانهم ما بين السبعين الى الثمانين فولوا أمرهم عثمان بن بشر بن المحتفز المزنى ومعه شعبة بن ظهير النهشلى وورد بن الفلق العنبرى وزهير بن ذؤيب العدوى وجيهان بن مشجعة الضبى والحجاج بن ناشب العدوى ورقبة بن الحر فى فرسان بنى تميم قال فأتاهم ابن خازم فحصرهم وخندق خندقا حصينا قال وكانوا يخرجون اليه فيقاتلونه ثم يرجعون الى القصر قال فخرج ابن خازم يوما على تعبية من خندقه فى ستة آلاف وخرج أهل القصر اليه فقال لهم عثمان بن بشر بن المحتفز انصرفوا اليوم عن ابن خازم فلا أظن لكم به طاقة فقال زهير بن ذؤيب العدوى امرأته طالق ان رجع حتى ينقض صفوفهم والى جنبهم نهر يدخله الماء فى الشتاء ولم يكن يومئذ فيه ماء فاستبطنه زهير فسار فيه فلم يشعر به أصحاب ابن خازم حتى حمل عليهم فحطم أولهم على آخرهم واستداروا وكر راجعا واتبعوه على جنبتى النهر يصيحون به لا ينزل اليه أحد حتى انتهى الى الموضع الذى انحدر فيه فخرج فحمل عليهم فأفرجوا له حتى رجع قال فقال ابن خازم لأصحابه اذا طاعنتم زهيرا فاجعلوا فى رماحكم كلاليب فأعلقوها فى أداته ان قدرتم عليه فخرج اليهم يوما وفى رماحهم كلاليب قد هيؤها له فطاعنوه فأعلقوا فى درعه أربعة أرماح فالتفت اليهم ليحمل عليهم فاضطربت أيديهم فخلوا رماحهم فجاء يجر أربعة أرماح حتى دخل القصر قال فأرسل ابن خازم غزوان بن جزء العدوى الى زهير فقال قل له أرأيتك ان آمنتك وأعطيتك مائة ألف وجعلت لك باسان طعمة تناصحنى فقال زهير لغزوان ويحك كيف أناصح قوما قتلوا الأشعث بن ذؤيب فأسقط بها غزوان عند موسى بن عبد الله ابن خازم قال فلما طال عليهم الحصار أرسلوا الى ابن خازم أن خلنا نخرج فنتفرق فقال لا الا أن تنزلوا على حكمى قالوا فانا ننزل على حكمك فقال لهم زهير ثكلتكم أمهاتكم والله ليقتلنكم عن آخركم فان طبتم بالموت أنفسا فموتوا كراما أخرجوا بنا جميعا فاما أن تموتوا

الله وليكفف عن الدماء قال فقلت له أصلحك الله أولم تكتب بهذا اليه قال ابن الحنفية قد أمرته بطاعة الله وطاعة الله تجمع الخير كله وتنهى عن الشر كله فلما قدم كتابه على المختار أظهر للناس انى قد أمرت بأمر يجمع البر واليسر ويضرح الكفر والغدر ﴿قال أبو جعفر﴾ وفي هذه السنة قدمت الخشبية مكة ووافوا الحج وأميرهم أبو عبد الله الجدلى

﴿ذكر الخبر عن سبب قدومهم مكة﴾

وكان السبب في ذلك فيما ذكر هشام عن أبي مخنف وعلى بن محمد عن مسلمة بن محارب ان عبد الله بن الزبير حبس محمد بن الحنفية ومن معه من أهل بيته وسبعة عشر رجلا من وجوه أهل الكوفة بزمزم وكرهوا البيعة لمن لم تجتمع عليه الأمة وهربوا الى الحرم وتوعدهم بالقتل والإحراق وأعطى الله عهدا إن لم يبايعوا أن ينفذ فيهم ما توعدهم به وضرب لهم في ذلك أجلا فأشار بعض من كان مع ابن الحنفية عليه ان يبعث الى المختار والى من بالكوفة رسولا يعلمهم حالهم وحال من معهم وما توعدهم به ابن الزبير فوجه ثلاثة نفر من أهل الكوفة حين نام الحرس على باب زمزم وكتب معهم الى المختار وأهل الكوفة يعلمهم حاله وحال من معه وما توعدهم به ابن الزبير من القتل والتحريق بالنار ويسألهم أن لا يخذلوه كما خذلوا الحسين وأهل بيته فقدموا على المختار فدفعوا اليه الكتاب فنادى في الناس وقرأ عليهم الكتاب وقال هذا كتاب مهديكم وصريح أهل بيت نبيكم وقد تركوا محظورا عليهم كما يحظر على الغنم ينتظرون القتل والتحريق بالنار في آناء الليل وتارات النهار ولست أبا اسحاق ان لم أنصرهم نصرا مؤزرا وان لم أسرب اليهم الخيل في أثر الخيل كالسيل يتلوه السيل حتى يحل بابن الكاهلية الويل ووجه أبا عبد الله الجدلى في سبعين راكبا من أهل القوة ووجه ظبيان بن عمارة أخا بني تميم ومعه أربعمائة وأبا المعتمر في مائة وهانئ بن قيس في مائة وعمير بن طارق في أربعين ويونس بن عمران في أربعين وكتب الى محمد بن على مع الطفيل بن عامر ومحمد بن قيس بتوجيه الجنود اليه فخرج الناس بعضهم في أثر بعض وجاء أبو عبد الله حتى نزل ذات عرق في سبعين راكبا ثم لحقه عمير بن طارق في أربعين راكبا ويونس بن عمران في أربعين راكبا فتموا خمسين ومائة فسار بهم حتى دخلوا المسجد الحرام ومعهم الكافركوبات وهم ينادون يا لثارات الحسين حتى انتهوا الى زمزم وقد أعد ابن الزبير الحطب ليحرقهم وكان قد بقي من الأجل يومان فطردوا الحرس وكسروا أعواد زمزم ودخلوا على ابن الحنفية فقالوا له خل بيننا وبين عدو الله ابن الزبير فقال لهم انى لا أستحل القتال في حرم الله فقال ابن الزبير أتحسبون انى مخل سبيلهم دون ان يبايع ويبايعوا فقال أبو عبد الله الجدلى أى ورب الركن والمقام ورب الحل والحرام لتخلين سبيله أو لنجالدنك بأسيافنا جلادا يرتاب منه المبطلون فقال ابن الزبير والله ما هؤلاء الا أكلة

أعاذل ما وليت حتى تبددت * رجال وحتى لم أجد متقدما
أعاذل أفناني السلاح ومن يطل * مقارعة الأبطال يرجع مكلما
أعيني إن أنزفتما الدمع فاسكبا * دما لازما لي دون أن تسكبا الدما
أبعد زهير وابن بشر تتابعا * وورد أرجي في خراسان مغنما
أعاذل كم من يوم حرب شهدته * أكر إذا ما فارس السوء أحجما

يعني بقوله أبعد زهير زهير بن ذؤيب وابن بشر عثمان بن بشر بن المحتفز المازني وورد ابن الفلق العنبري قتلوا يومئذ وقتل سليمان بن المحتفز أخو بشر ﴿قال أبو جعفر﴾ وحج بالناس في هذه السنة عبد الله بن الزبير وكان على المدينة مصعب بن الزبير من قبل أخيه عبد الله وعلى البصرة الحارث بن عبد الله بن أبي ربيعة وعلى قضائها هشام بن هبيرة وكانت الكوفة بها المختار غالبا عليها وبخراسان عبد الله بن حازم ﴿وفي هذه السنة﴾ شخص ابراهيم بن الأشتر متوجها الى عبيد الله بن زياد لحربه وذلك لثمان بقين من ذي الحجة (قال هشام بن محمد) حدثني أبو مخنف قال حدثني النضر بن صالح وكان قد أدرك ذلك قال حدثني فضيل بن خديج وكان قد شهد ذلك وغيرهما قالوا ما هو الا ان فرغ المختار من أهل السبيع وأهل الكناسة فما نزل ابراهيم بن الأشتر الا يومين حتى أشخصه الى الوجه الذي كان وجهه له لقتال أهل الشأم فخرج يوم السبت لثمان بقين من ذي الحجة سنة ٦٦ وأخرج المختار معه من وجوه أصحابه وفرسانهم وذوي البصائر منهم ممن قد شهد الحرب وجربها وخرج معه قيس بن طهفة النهدي على ربع أهل المدينة وأمر عبد الله بن حية الأسدي على ربع مذحج وأسد وبعث الأسود بن جراد الكندي على ربع كندة وربيعة وبعث حبيب بن منقذ الثوري من همدان على ربع تميم وهمدان وخرج معه المختار يشيعه حتى اذا بلغ دير عبد الرحمن ابن أم الحكم اذا أصحاب المختار قد استقبلوه قد حملوا الكرسي على بغل أشهب كانوا يحملونه عليه فوقفوا به على القنطرة وصاحب أمر الكرسي حوشب البرسمي وهو يقول يا رب عمرنا في طاعتك وانصرنا على الأعداء واذكرنا ولا تنسنا واسترنا قال وأصحابه يقولون آمين آمين قال فضيل فأنا سمعت ابن نوف الهمداني يقول قال المختار

اما ورب المرسلات عرفا * لنقتلن بعد صف صفا
وبعد ألف قاسطين ألفا

قال فلما انتهى اليهم المختار وابن الأشتر ازدحموا ازدحاما شديدا على القنطرة ومضى المختار مع ابراهيم الى قناطر رأس الجالوت وهي الى جنب دير عبد الرحمن فاذا أصحاب الكرسي قد وقفوا على قناطر رأس الجالوت يستنصرون فلما صار المختار بين قنطرة دير عبد الرحمن وقناطر رأس الجالوت وقف وذلك حين أراد ان

جميعا وإما أن ينجو بعضكم ويهلك بعضكم وايم الله لئن شددتم عليهم شدة صادقة ليفرجن لكم عن مثل طريق المربد فان شئتم كنت أمامكم وان شئتم كنت خلفكم قال فأبوا عليه فقال أما إنى سأريكم ثم خرج هو ورقبة بن الحر ومع رقبة غلام له تركى وشعبة بن ظهير قال فحملوا على القوم حملة منكرة فأفرجوا لهم فمضوا فأما زهير فرجع الى أصحابه حتى دخل القصر فقال لأصحابه قد رأيتم فأطيعونى ومضى رقبة وغلامه وشعبة قالوا إن فينا من يضعف عن هذا ويطمع فى الحياة قال أبعدكم الله أتخلون عن أصحابكم والله لا أكون أجزعكم عند الموت قال ففتحوا القصر ونزلوا فأرسل اليهم فقيدهم ثم حملوا اليه رجلا رجلا فأراد أن يمن عليهم فأبى ابنه موسى وقال والله لئن عفوت عنهم لأتكئن على سيفى حتى يخرج من ظهرى فقال له عبد الله أما والله انى لأعلم ان الغى فيما تأمرنى به ثم قتلهم جميعا الا ثلاثة قال أحدهم الحجاج بن ناشب العدوى وكان رمى ابن حازم وهو محاصرهم فكسر ضرسه فحلف لئن ظفر به ليقتلنه أو ليقطعن يده وكان حدثا فكلمه فيه رجال من بنى تميم كانوا معتزلين من عمرو بن حنظلة فقال رجل منهم ابن عمى وهو غلام حدث جاهل هبه لى قال فوهبه له وقال النجاء لا أرينك قال وجيهان بن مشجعة الضبى الذى ألقى نفسه على ابنه محمد يوم قتل فقال ابن خازم خلوا عن هذا البغل الدارج ورجل من بنى سعد وهو الذى قال يوم لحقوا ابن حازم انصرفوا عن فارس مضر قال وجاؤا بزهير بن ذؤيب فأرادوا حمله وهو مقيد فأبى وأقبل يحجل حتى جلس بين يديه فقال له ابن حازم كيف شكرك ان أطلقتك وجعلت لك باسان طعمة قال لو لم تصنع بى الا حقن دمى لشكرتك فقام ابنه موسى فقال تقتل الضبع وتترك الذيخ تقتل اللبوة وتترك الليث قال ويحك نقتل مثل زهير من لقتال عدو المسلمين من لنساء العرب قال والله لو شركت فى دم أخى أنت لقتلتك فقام رجل من بنى سليم الى ابن خازم فقال أذكرك الله فى زهير فقال له موسى اتخذه فحلا لبناتك فغضب ابن حازم فأمر بقتله فقال له زهير إن لى حاجة قال وما هى قال تقتلنى على حدة ولا تخلط دمى بدماء هؤلاء اللئام فقد نهيتهم عما صنعوا وأمرتهم أن يموتوا كراما وان يخرجوا عليكم مصلتين وايم الله ان لو فعلوا الذعروا بنيك هذا وشغلوه بنفسه عن طلب الثأر بأخيه فأبوا ولو فعلوا ما قتل منهم رجل حتى يقتل رجالا فأمر به فنحى ناحية فقتل قال مسلمة بن محارب فكان الأحنف بن قيس اذا ذكرهم قال قبح الله ابن حازم قتل رجالا من بنى تميم بابنه صبى وغد أحمق لا يساوى علقا ولو قتل منهم رجلا به لكان وفى قال وزعمت بنو عدى انهم لما أرادوا حمل زهير بن ذؤيب أبى واعتمد على رمحه وجمع رجليه فوثب الخندق فلما بلغ الحريش بن هلال قتلهم قال

أعاذلُ انى لم ألُم فى قتالهم * وقد عضّ سيفى كبْشهم ثم صمما

شهدتُ عليكم أنكم سبئيّةٌ * وإني بكم يا شُرطةَ الشّرك عارفُ
وأُقسِمُ ما كُرسيُّكم بسكينةٍ * وإن كان قد لُفّتْ عليه اللفائفُ
وأن ليس كالتابوت فينا وإن سعتْ * شِبامٌ حواليْهِ ونَهْدٌ وخارفُ
وإني امرؤٌ أحببتُ آل محمد * وتابعتُ وحيًا ضمّنتهُ المصاحفُ
وبايعتُ عبد الله لما تتابعتْ * عليه قريشٌ شمطها والغطارفُ

وقال المتوكل الليثي

أبلغْ أبا إسحاق إن جئتَه * أني بكُرْسيّكمُ كافرُ
تنزُو شِبامٌ حول أعواده * وتحمل الوحي له شاكرُ
محمرّةً أعيُنُهم حولهُ * كأنهن الحِمّص الحادر

(فأما أبو مخنف) فإنه ذكر عن بعض شيوخه قصة هذا الكرسي غير الذي ذكره عبد الله بن أحمد بالإسناد الذي حدثنا به عن طفيل بن جعدة والذي ذكر من ذلك ما حدّثنا به عن هشام بن محمد عنه قال حدثنا هشام بن عبد الرحمن وابنه الحكم بن هشام أن المختار قال لآل جعدة بن هبيرة بن أبي وهب المخزومي وكانت أم جعدة أم هانئ بنت أبي طالب أخت عليّ ابن أبي طالب عليه السلام لأبيه وأمه ائتوني بكرسي عليّ بن أبي طالب فقالوا لا والله ما هو عندنا وما ندري من أين نجيء به قال لا تكونن حمقى اذهبوا فأتوني به قال فظن القوم عند ذلك أنهم لا يأتون بكرسي فيقولون هو هذا إلا قبله منهم فجاؤوا بكرسي فقالوا هو هذا فقبله قال وخرجت شبام وشاكر ورؤوس أصحاب المختار وقد عصّبوه بالحرير والديباج (قال أبو مخنف) عن موسى بن عامر أبي الأشعر الجهني أن الكرسي لما بلغ ابن الزبير أمره قال أين بعض جنادبة الأزد عنه (قال أبو الأشعر) لما جيء بالكرسي كان أول من سدنه موسى بن أبي موسى الأشعري وكان يأتي المختار أول ما جاء ويحفّ به لأن أمه أم كلثوم بنت الفضل بن العباس بن عبد المطلب ثم إنه بعد ذلك عتب عليه فاستحيا منه فدفعه إلى حوشب البُرسمي وكان صاحبه حتى هلك المختار قال وكان أحد عمومة الأعشى رجلا يكنى أبا أمامة يأتي مجلس أصحابه فيقول قد وُضع لنا اليوم وحي ما سمع الناس بمثله فيه نبأ ما يكون من شيء (قال أبو مخنف) حدثنا موسى بن عامر أنه إنما كان يصنع ذلك لهم عبد الله بن نوف ويقول المختار أمرني به ويتبرّأ المختار منه

﴿ ثم دخلت سنة سبع وستين ﴾

﴿ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث﴾

فمما كان فيها من ذلك مقتل عبيد الله بن زياد ومن كان معه من أهل الشام

ينصرف فقال لابن الاشتر خذ عني ثلاثا خف الله في سر أمرك وعلانيته وعجّل السير واذا لقيت عدوك فناجزهم ساعة تلقاهم وان لقيتهم ليلا فاستطعت أن لا تصبح حتى تناجزهم وان لقيتهم نهارا فلا تنتظر بهم الليل حتى تحاكمهم الى الله ثم قال هل حفظت ما أوصيتك به قال نعم قال صحبك الله ثم انصرف وكان موضع عسكر ابراهيم بموضع حمّام أعين ومنه شخص بعسكره (قال أبو مخنف) فحدثني فضيل بن خديج قال لما انصرف المختار مضى ابراهيم ومعه أصحابه حتى انتهى الى أصحاب الكُرْسى وقد عكفوا حوله وهم رافعو أيديهم الى السماء يستنصرون فقال ابراهيم اللهم لا تؤاخذنا بما فعل السفهاء سنّة بني اسرائيل والذي نفسي بيده اذ عكفوا على عجلهم فلما جاز القنطرة ابراهيم وأصحابه انصرف أصحاب الكرسى

﴿ذكر الخبر عن سبب كرسى المختار الذي يستنصر به هو وأصحابه﴾

﴿قال أبو جعفر﴾ وكان بدء سببه ما حدثني به عبد الله بن أحمد بن شبّويه قال حدثني أبي قال حدثني سليمان قال حدثني عبد الله بن المبارك عن اسحاق بن يحيى بن طلحة قال حدثني معبد بن خالد قال حدثني طفيل بن جعدة بن هبيرة قال أعدمتُ مرّة من الورق فاني لكذلك اذ خرجت يوما فاذا زيّات جارٌ لي له كرسى قد ركبه وسخ شديد فخطر على بالى أن لو قلتُ للمختار في هذا فرجعت فأرسلت الى الزيات أرسل اليّ بالكرسى فأرسل اليّ به فأتيت المختار فقلت انى كنت أكتمك شيأ لم استحلّ ذلك فقد بدا لى أن أذكره لك قال وما هو قلت كرسى كان جعدة بن هبيرة يجلس عليه كانه يرى ان فيه أثرة من علم قال سبحان الله فأخّرت هذا الى اليوم ابعث اليه ابعث اليه قال وقد غسل وخرج عود نضار وقد تشرّب الزيت فخرج يبصّ فجيء به وقد غُشى فأمر لى باثني عشر ألفا ثم دعا الصلاة جامعة فحدثني معبد بن خالد الجدلى قال انطلق بى وباسماعيل بن طلحة بن عبيد الله وشبث بن ربعي والناس يجرون الى المسجد فقال المختار انه لم يكن في الأمم الخالية أمر الا وهو كائن في هذه الامة مثله وانه كان في بني اسرائيل التابوت فيه بقية مما ترك آل موسى وآل هارون وان هذا فينا مثل التابوت اكشفوا عنه فكشفوا عنه أثوابه وقامت السبائية فرفعوا أيديهم وكبروا ثلاثا فقام شبث بن ربعي وقال يا معشر مضر لا تكفرنّ فنحّوه فذبّوه وصدّوه وأخرجوه قال اسحاق فوالله انى لأرجوها لشبث ثم لم يلبث ان قيل هذا عبيد الله بن زياد قد نزل بأهل الشأم باجميرا فخرج بالكرسى على بغل وقد غشى يمسكه عن يمينه سبعة وعن يساره سبعة فقتل أهل الشأم مقتلة لم يقتلوا مثلها فزادهم ذلك فتنة فارتفعوا فيه حتى تعاطوا الكفر فقلت انا لله وندمت على ما صنعت فتكلم الناس في ذلك فغيّب فلم أره بعدُ حدثني عبد الله قال حدثني أبي قال قال أبو صالح فقال في ذلك أعشى همدان كما حدثني غير عبد الله

واذا أولئك لم يتحرك منهم أحد بعد فسرّح عبد الله بن زهير السلولي وهو على فرس له يتأكل تأكلا فقال قرّب على فرسك حتى تأتيني بخبر هؤلاء فانطلق فلم يلبث الا يسيرا حتى جاء فقال قد خرج القوم على دهش وفشل لقيني رجل منهم فما كان له هجيّرى الا يا شيعة أبي تراب يا شيعة المختار الكذاب فقلت ما بيننا وبينكم أجل من الشتم فقال لي يا عدو الله الى ما تدعونا أنتم تقاتلونا مع غير امام فقلت له بل يا لثارات الحسين ابن رسول الله ادفعوا الينا عبيد الله بن زياد فانه قتل ابن رسول الله وسيد شباب أهل الجنة حتى نقتله ببعض موالينا الذين قتلهم مع الحسين فانا لا نراه لحسين ندا فنرضى أن يكون منه قودا واذا دفعتموه الينا فقتلناه ببعض موالينا الذين قتلهم جعلنا بيننا وبينكم كتاب الله أو أي صالح من المسلمين شئتم حكما فقال لي قد جربنا كم مرة أخرى في مثل هذا يعني الحكمين فغدرتم فقلت له وما هو فقال قد جعلنا بيننا وبينكم حكمين فلم ترضوا بحكمهما فقلت له ما جئت بحجة انما كان صلحنا على انهما اذا اجتمعا على رجل تبعنا حكمهما ورضينا به وبايعناه فلم يجتمعا على واحد وتفرّقا فكلاهما لم يوفقه الله لخير ولم يسدده فقال من أنت فأخبرته فقلت له من أنت فقال عدس لبغلته يزجرها فقلت له ما أنصفتني هذا أول غدرك قال ودعا ابن الاشتر بفرس له فركبه ثم مرّ بأصحاب الرايات كلها فكلما مرّ على راية وقف عليها ثم قال يا أنصار الدين وشيعة الحق وشرطة الله هذا عبيد الله بن مرجانة قاتل الحسين بن علي ابن فاطمة بنت رسول الله حال بينه وبين بناته ونسائه وشيعته وبين ماء الفرات أن يشربوا منه وهم ينظرون اليه ومنعه أن يأتي ابن عمه فيصالحه ومنعه أن ينصرف الى رحله وأهله ومنعه الذهاب في الارض العريضة حتى قتله وقتل أهل بيته فوالله ما عمل فرعون بنجباء بني اسرائيل ما عمل ابن مرجانة بأهل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم الذين اذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا قد جاءكم الله به وجاءه بكم فوالله اني لأرجو أن لا يكون الله جمع بينكم في هذا الموطن وبينه الا ليشفي صدوركم بسفك دمه على أيديكم فقد علم الله انكم خرجتم غضبا لاهل بيت نبيكم فسار فيما بين الميمنة والميسرة وسار في الناس كلهم ورغبهم في الجهاد وحرّضهم على القتال ثم رجع حتى نزل تحت رايته وزحف القوم اليه وقد جعل ابن زياد على ميمنته الحصين بن نمير السكوني وعلى ميسرته عمير بن الحباب السلمي وشرحبيل بن ذي الكلاع على الخيل وهو يمشي في الرجال فلما تدانى الصفّان حمل الحصين بن نمير في ميمنة أهل الشام على ميسرة أهل الكوفة وعليها علي بن مالك الجشمي فثبت له هو بنفسه فقتل ثم أخذ رايته قرّة بن علي فقتل أيضا في رجال من أهل الحفاظ قتلوا وانهزمت الميسرة فأخذ رايته علي بن مالك الجشمي عبد الله بن ورقاء بن جنادة السلولي ابن أخي حبشي بن جنادة صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستقبل أهل الميسرة حين انهزموا فقال الي يا شرطة الله فأقبل اليه جلّهم فقال هذا

﴿ذكر الخبر عن صفة مقتله﴾

*ذكر هشام بن محمد عن أبي مخنف قال حدثني أبو الصلت عن أبي سعيد الصيقل قال مضينا مع ابراهيم بن الاشتر ونحن نريد عبيد الله بن زياد ومن معه من أهل الشأم فخرجنا مسرعين لا ننثني نريد أن نلقاه قبل أن يدخل أرض العراق قال فسبقناه الى تخوم أرض العراق سبقا بعيدا ووغلنا في أرض الموصل فتعجلنا اليه وأسرعنا السير فنلقاه بخازر الى جنب قرية يقال لها باربيثا بينها وبين مدينة الموصل خمسة فراسخ وقد كان ابن الاشتر جعل على مقدمته الطفيل بن لقيط من وهبيل من النخع رجلا من قومه وكان شجاعا بئيسا فلما ان دنا من ابن زياد ضم حميد بن حريث اليه وأخذ ابن الاشتر لا يسير الا على تعبية وضم أصحابه كلهم اليه بخيله ورجاله فأخذ يسير بهم جميعا لا يفرقهم الا انه يبعث الطفيل بن لقيط في الطلائع حتى نزل تلك القرية قال وجاء عبيد الله بن زياد حتى نزل قريبا منهم على شاطئ خازر وأرسل عمير ابن الحباب السلمي الى ابن الاشتر اني معك وأنا أريد الليلة لقاءك فأرسل اليه ابن الاشتر أن القني اذا شئت وكانت قيس كلها بالجزيرة فهم أهل خلاف لمروان وآل مروان وجند مروان يومئذ كلب وصاحبهم ابن بحدل فأتاه عمير ليلا فبايعه وأخبره انه على ميسرة صاحبه وواعده أن ينهزم بالناس وقال ابن الاشتر ما رأيك أخندق علي وأتلوم يومين أو ثلاثة قال عمير بن الحباب لا تفعل انا لله هل يريد القوم الا هذه ان طاولوك وماطلوك فهو خير لهم هم كثير أضعافكم وليس يطيق القليل الكثير في المطاولة ولكن ناجز القوم فانهم قد ملؤا منكم رعبا فأتهم فانهم ان شاموا أصحابك وقاتلوهم يوما بعد يوم ومرة بعد مرة أنسوا بهم واجترؤا عليهم قال ابراهيم الآن علمت انك لي مناصح صدقت الرأي ما رأيت أما ان صاحبي بهذا أوصاني وبهذا الرأي أمرني قال عمير فلا تعدون رأيه فان الشيخ قد ضرسته الحروب وقاسى منها ما لم نقاس أصبح فناهض الرجل ثم ان عميرا انصرف وأذكى ابن الاشتر حرسه تلك الليلة الليل كله ولم يدخل عينه غمض حتى اذا كان في السحر الاول عبى أصحابه وكتب كتائبه وأمر أمراءه فبعث سفيان بن يزيد بن المغفل الأزدي على ميمنته وعلي بن مالك الجشمي على ميسرته وهو أخو أبي الاحوص وبعث عبد الرحمن بن عبد الله وهو أخو ابراهيم بن الاشتر لامه على الخيل وكانت خيله قليلة فضمها اليه وكانت في الميمنة والقلب وجعل على رجالته الطفيل بن لقيط وكانت رايته مع مزاحم بن مالك قال فلما انفجر الفجر صلى بهم الغداة بغلس ثم خرج بهم فصفهم ووضع أمراء الأرباع في مواضعهم وألحق أمير الميمنة بالميمنة وأمير الميسرة بالميسرة وأمير الرجالة بالرجالة وضم الخيل اليه وعليها أخوه لامه عبد الرحمن بن عبد الله فكانت وسطا من الناس ونزل ابراهيم يمشي وقال للناس ازحفوا فزحف الناس معه على رسلهم رويدا رويدا حتى أشرف على تل عظيم مشرف على القوم فجلس عليه

معه فلما انقضت حرب على لحق ببيت المقدس فكان به فلما جاءه قتل الحسين قال أعاهد الله ان قدرت على كذا وكذا يطلب بدم الحسين لأقتلن ابن مرجانة أو لأموتن دونه فلما بلغه ان المختار خرج يطلب بدم الحسن أقبل اليه قال فكان وجهه مع ابراهيم بن الأشتر وجعل على خيل ربيعة فقال لأصحابه انى عاهدت الله على كذا وكذا فبايعه ثلثمائة على الموت فلما التقوا حمل فجعل يهتكها صفا صفا مع أصحابه حتى وصلوا اليه وثار الرهج فلا يسمع الا وقع الحديد والسيوف فانفرجت عن الناس وهما قتيلان ليس بينهما أحد التغلبى وعبيد الله ابن زياد قال وهو الذى يقول

كلُّ عيش قد أراهُ قذِرًا * غيرَ رَكزِ الرمح فى ظل الفرَسْ

(قال هشام) قال أبو مخنف حدثنى فضيل بن خديج قال قتل شرحبيل بن ذى الكلاع فادعى قتله ثلاثة سفيان بن يزيد بن المغفل الأزدى وورقاء بن عازب الأسدى وعبيد الله ابن زهير السلمى قال ولما هزم أصحاب عبيد الله تبعهم أصحاب ابراهيم بن الأشتر فكان من غرق أكثر ممن قتل وأصابوا عسكرهم فيه من كل شىء وبلغ المختار وهو يقول لأصحابه يأتيكم الفتح أحد اليومين ان شاء الله من قبل ابراهيم بن الأشتر وأصحابه قد هزموا أصحاب عبيد الله ابن مرجانة قال فخرج المختار من الكوفة واستخلف عليها السائب بن مالك الأشعرى وخرج بالناس ونزل ساباط (قال أبو مخنف) حدثنى المشرقى عن الشعبى قال كنت أنا وأبى ممن خرج معه قال فلما جزنا ساباط قال للناس ابشروا فان شرطة الله قد حسوهم بالسيوف يوما الى الليل بنصيبين أو قريبا من نصيبين ودوين منازلهم الا ان جلهم محصور بنصيبين قال ودخلنا المدائن واجتمعنا اليه فصعد المنبر فوالله انه لخطبنا ويأمرنا بالجد وحسن الرأى والاجتهاد والثبات على الطاعة والطلب بدماء أهل البيت عليهم السلام اذ جاءه البشرى تترى يتبع بعضها بعضا بقتل عبيد الله بن زياد وهزيمة أصحابه وأخذ عسكره وقتل أشراف أهل الشأم فقال المختار يا شرطة الله ألم أبشركم بهذا قبل ان يكون قالوا بلى والله لقد قلت ذلك قال فيقول لى رجل من بعض جيراننا من الهمدانيين أتؤمن الآن يا شعبى قال قلت بأى شىء أومن أومن بأن المختار يعلم الغيب لا أومن بذلك أبدا قال أولم يقل لنا انهم قد هزموا فقلت له انما زعم لنا انهم هزموا بنصيبين من أرض الجزيرة وانما هو بخازر من أرض الموصل فقال والله لا تؤمن يا شعبى حتى ترى العذاب الأليم فقلت له من هذا الهمدانى الذى يقول لك هذا فقال رجل لعمرى كان شجاعا قتل مع المختار بعد ذلك يوم حروراء يقال له سلمان بن حمير من الثوريين من همدان قال وانصرف المختار الى الكوفة ومضى ابن الأشتر من عسكره الى الموصل وبعث عماله عليها فبعث أخاه عبد الرحمن بن عبد الله على نصيبين وغلب على سنجار ودارا وما والاها من أرض الجزيرة وخرج أهل الكوفة الذين

أميركم يقاتل سيروا بنا اليه فأقبل حتى أتاه واذا هو كاشف عن رأسه ينادى يا شرطة الله الىّ أنا ابن الاشتر ان خير فراركم كراركم ليس مسيئا من أعتب فثاب اليه أصحابه وأرسل الى صاحب الميمنة احمل على ميسرتهم وهو يرجو حينئذ ان ينهزم لهم عمير بن الحباب كما زعم فحمل عليهم صاحب الميمنة وهو سفيان بن يزيد بن المغفل فثبت له عمير بن الحباب وقاتله قتالا شديدا فلما رأى ابراهيم ذلك قال لأصحابه أمّوا هذا السواد الأعظم فوالله لو قد فضضناه لانجفل من ترون منهم يمنة ويسرة انجفال طير ذعرته فطارت (قال أبو مخنف) فحدثنى ابراهيم بن عبد الرحمن الأنصارىّ عن ورقاء ابن عازب قال مشينا اليهم حتى اذا دنونا منهم أطعنا بالرماح قليلا ثم صرنا الى السيوف والعمد فاصطربنا بها مليًّا من النهار فوالله ما شبّهت ما سمعتُ بيننا وبينهم من وقع الحديد على الحديد إلا ميَاجِن قصَّارِى دار الوليد بن عقبة بن أبى معيط قال فكان ذلك كذلك ثم ان الله هزمهم ومنحنا أكتافهم (قال أبو مخنف) وحدثنى الحارث بن حصيرة عن أبى صادق ان ابراهيم بن الأشتر كان يقول لصاحب رايته انغمس برايتك فيهم فيقول له انه جُعلت فداك ليس لى متُقدَّم فيقول بلى فإن أصحابك يقاتلون وان هؤلاء لا يهربون ان شاء الله فإذا تقدّم صاحب رايته برايته شد ابراهيم بسيفه فلا يضرب به رجلا الا صرعه وكرد ابراهيم الرجال من بين يديه كأنهم الحملان وإذا حمل برايته شد أصحابه شدة رجل واحد (قال أبو مخنف) حدثنى المشرقىّ انه كان مع عبيد الله بن زياد يومئذ حديدةٌ لا تليق شيأ مرت به وانه لما هزم أصحابه حمل عُيَينةُ بن أسماء أخته هند بنت أسماء وكانت امرأة عبيد الله بن زياد فذهب بها وأخذ يرتجز ويقول

إن تَصْرِمى حبالنا فربّما * أرْديتُ فى الهيجا الكمىّ المعلما

(قال أبو مخنف) وحدثنى فضيل بن خديج ان ابراهيم لما شد على ابن زياد وأصحابه انهزموا بعد قتال شديد وقتلى كثيرة بين الفريقين وان عمير بن الحباب لما رأى أصحاب ابراهيم قد هزموا أصحاب عبيد الله بعث اليه أجيئك الآن فقال لا تأتينى حتى تسكن فورة شرطة الله فإنى أخاف عليك عاديتهم وقال ابن الأشتر قتلت رجلا وجدت منه رائحة المسك شرّقت يداه وغرّبت رجلاه تحت راية منفردة على شاطئ نهر خازر فالتمسوه فإذا هو عبيد الله بن زياد قتيلا ضربه فقدّه بنصفين فذهبت رجلاه فى المشرق ويداه فى المغرب وحمل شريك بن جدير التغلبى على الحصين بن نمير السكونىّ وهو يحسبه عبيد الله بن زياد فاعتنق كل واحد منهما صاحبه ونادى التغلبى اقتلونى وابن الزانية فقتل ابن نمير ❁ وحدثنى عبد الله ابن أحمد قال حدثنى أبى قال حدثنى سليمان قال حدثنى عبد الله بن المبارك قال حدثنى الحسن بن كثير قال كان شريك بن جدير التغلبى مع علىّ السلام أصيبت عينه

بلغه هزيمة الناس تهيأ للشخوص وسأل عنه المختار فأخبر بمكانه فسرح اليه عبد الله بن قراد الخثعمي في مائة فلما ساروا اليه وبلغه أن قد دنوا منه خرج في البرية نحو المصعب حتى لحق به فلما قدم على المصعب استحثه بالخروج وأدناه مصعب وأكرمه لشرفه قال وبعث المختار الى دار محمد بن الأشعث فهدمها (قال أبو مخنف) فحدثني أبو يوسف بن يزيد ان المصعب لما أراد المسير الى الكوفة حين أكثر الناس عليه قال لمحمد بن الاشعث اني لا أسير حتى يأتيني المهلب بن أبي صفرة فكتب المصعب الى المهلب وهو عامله على فارس أن أقبل الينا لتشهد أمرنا فإنا نريد المسير الى الكوفة فأبطأ عليه المهلب وأصحابه واعتل بشئ من الخراج لكراهة الخروج فأمر مصعب محمد بن الأشعث في بعض ما يستحثه ان يأتي المهلب فيقبل به وأعلمه انه لا يشخص دون ان يأتي المهلب فذهب محمد بن الأشعث بكتاب المصعب الى المهلب فلما قرأه قال له مثلك يا محمد يأتي بريدا أما وجد المصعب بريدا غيرك قال محمد إني والله ما أنا ببريد أحد غير أن نساءنا وأبناءنا وحرمنا غلبنا عليهم عبداننا وموالينا فخرج المهلب وأقبل بجموع كثيرة وأموال عظيمة معه في جموع وهيئة ليس بها أحد من أهل البصرة ولما دخل المهلب البصرة أتى باب المصعب ليدخل عليه وقد أذن للناس فحجبه الحاجب وهو لا يعرفه فرفع المهلب يده فكسر أنفه فدخل الى المصعب وأنفه يسيل دما فقال له مالك فقال ضربني رجل ما أعرفه ودخل المهلب فلما رآه الحاجب قال هو ذا قال له المصعب عد الى مكانك وأمر المصعب الناس بالمعسكر عند الجسر الأكبر ودعا عبد الرحمن بن مخنف فقال له ائت الكوفة فأخرج الى جميع من قدرت عليه ان تخرجه وادعهم الى بيعتي سرا وخذل أصحاب المختار فانسل من عنده حتى جلس في بيته مستترا لا يظهر وخرج المصعب فقدم امامه عبّاد بن الحصين الحبطي من بني تميم على مقدمته وبعث عمر بن عبيد الله بن معمر على ميمنته وبعث المهلب بن أبي صفره على ميسرته وجعل مالك بن مسمع على خمس بكر بن وائل ومالك بن المنذر على خمس عبد القيس والأحنف بن قيس على خمس تميم وزياد ابن عمرو الأزدي على خمس الأزد وقيس بن الهيثم على خمس أهل العاليه وبلغ ذلك المختار فقام في أصحابه فحمد الله وأثنى عليه ثم قال يا أهل الكوفه يا أهل الدين وأعوان الحق وأنصار الضعيف وشيعه الرسول وآل الرسول ان فراركم الذين بغوا عليكم أتوا أشباههم من الفاسقين فاستغووهم عليكم ليمصح الحق وينتعش الباطل ويقتل أولياء الله والله لو تهلكون ما عبد الله في الأرض الا بالفرى على الله واللعن لأهل بيت نبيه انتدبوا مع أحمر بن شميط فإنكم لو قد لقيتموهم لقد قتلتموهم ان شاء الله قتل عاد وإرَم فخرج أحمر بن شميط فعسكر بحمّام أعيَن ودعا المختار رؤس الأرباع الذين كانوا مع ابن الأشتر فبعثهم مع أحمر بن شميط كما كانوا مع ابن الأشتر فإنهم انما فارقوا ابن الأشتر لأنهم رأوه كالمتهاون بأمر المختار فانصرفوا عنه

كان المختار قاتلهم فهزمهم فلحقوا بمصعب بن الزبير بالبصرة وكان فيمن قدم على مصعب شبث بن ربعي فقال سراقة بن مرداس البارقي يمدح ابراهيم بن الأشتر وأصحابه في قتل عبيد الله بن زياد

أتاكم غلامٌ من عرانين مذحج * جرىٌّ على الأعداء غير نكول
فيا ابن زياد بُؤْ بأعظم مالك * وذُقْ حدَّ ماضي الشفرتين صقيل
ضربناك بالعضب الحسام بحدّة * إذا ما أباأنا قاتلا بقتيل
جزى الله خيرا شرطة الله إنهم * شفوا من عبيد الله أمس غليلي

﴿وفي هذه السنة﴾ عزل عبد الله بن الزبير القباع عن البصرة وبعث عليها أخاه مصعب بن الزبير ﴿فحدثني﴾ عمر بن شبة قال حدثني علي بن محمد قال حدثنا الشعبي قال حدثني وافد بن أبي ياسر قال كان عمرو بن سرح مولى الزبير يأتينا فيحدثنا قال كنت والله في الرهط الذين قدموا مع المصعب بن الزبير من مكة الى البصرة قال فقدم متلثما حتى أناخ على باب المسجد ثم دخل فصعد المنبر فقال الناس أمير أمير قال وجاء الحارث بن عبد الله بن أبي ربيعة وهو أميرها قبله فسفر المصعب فعرفوه وقالوا مصعب بن الزبير فقال للحارث اظهر اظهر فصعد حتى جلس تحته من المنبر درجة قال ثم قام المصعب فحمد الله وأثنى عليه قال فوالله ما أكثر الكلام ثم قال بسم الله الرحمن الرحيم طسم تلك آيات الكتاب المبين نتلوا عليك من نبإ موسى الى قوله إنه كان من المفسدين وأشار بيده نحو الشام ونريد أن نمن على الذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين وأشار بيده نحو الحجاز ونرى فرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون وأشار بيده نحو الشام ﴿حدثني﴾ عمر بن شبة قال حدثني علي بن محمد عن عوانة قال لما قدم مصعب البصرة خطبهم فقال يا أهل البصرة بلغني انكم تلقبون امراءكم وقد سميت نفسي الجزار ﴿وفي هذه السنة﴾ سار مصعب بن الزبير الى المختار فقتله

﴿ذكر الخبر عن سبب مسير مصعب اليه والخبر عن مقتل المختار﴾

قال هشام بن محمد عن أبي مخنف حدثني حبيب بن بديل قال لما قدم شبث على مصعب بن الزبير البصرة وتحته بغلة له قد قطع ذنبها وقطع طرف أذنها وشق قباءه وهو ينادي يا غوثاه يا غوثاه فأتى مصعب فقيل له ان بالباب رجلا ينادي يا غوثاه يا غوثاه مشقوق القباء من صفته كذا وكذا فقال لهم نعم هذا شبث بن ربعي لم يكن ليفعل هذا غيره فأدخلوه فأدخل عليه وجاءه اشراف الناس من أهل الكوفة فدخلوا عليه فأخبروه بما اجتمعوا له وبما أصيبوا به ووثوب عبيدهم وموإليهم عليهم وشكوا اليه وسألوه النصر لهم والمسير الى المختار معهم وقدم عليهم محمد ابن الأشعث بن قيس ولم يكن شهد وقعة الكوفة كان في قصر له مما يلي القادسية بطيزناباذ فلما

فكانوا حيث انهزموا أشدّ عليهم من أهل البصرة لا يدركون منهزما الا قتلوه ولا يأخذون أسيرا فيعفون عنه فال فلم ينج من ذلك الجيش الا طائفة من أصحاب الخيل وأما رجالتهم فأبيدوا الا قليلا (قال أبو مخنف) حدثني ابن عياش المنثوف عن معاوية بن قرة المزنيّ قال انتهيت الى رجل منهم فأدخلت سنان الرمح في عينه فأخذت أخضخض عينه بسنان رمحي فقلت له وفعلت به هذا قال نعم إنهم كانوا أحلّ عندنا دماء من الترك والديلم وكان معاوية بن قرة قاضيا لأهل البصرة ففي ذلك يقول الأعشى

ألا هل أتاك والأنباء تنمى * بما لاقت بجيلة بالمذار
أتيح لهم بها ضرب طلخف * وطعن صائب وجه النهار
كأن سحابة صعقت عليهم * فعمّتهم هنالك بالدمار
فبشر شيعة المختار إما * مررت على الكويفة بالصغار
أقرّ العين صرعاهم وفلّ * لهم جمّ يقتّل بالصحارى
وما ان سرّني إهلاك قومي * وان كانوا وجدّك في خيار
ولكني سررت بما يلاقي * أبو اسحاق من خزي وعار

وأقبل المصعب حتى قطع من تلقاء واسط القصب ولم تك واسط هذه بنيت حينئذ بعد فأخذ في كسكر ثم حمل الرجال وأثقالهم وضعفاء الناس في السفن فأخذوا في نهر يقال له نهر خرشاذ ثم خرجوا من ذلك النهر الى نهر يقال له قوسان ثم أخرجهم من ذلك النهر الى الفرات (قال أبو مخنف) وحدثني فضيل بن خديج الكندي أن أهل البصرة كانوا يخرجون فيجرون سفنهم ويقولون

عوّدنا المصعب جرّ القلس * والزنبريّات الطوال القعس

قال فلما بلغ من مع المختار من تلك الأعاجم ما لقي اخوانهم مع ابن شميط قالوا بالفارسية اين بار دروغ گفت يقولون هذه المرة كذب (قال أبو مخنف) وحدثني هشام بن عبد الرحمن الثقفي عن عبد الرحمن بن أبي عمير الثقفي قال والله اني لجالس عند المختار حين أتاه هزيمة القوم وما لقوا قال فأصغى اليّ فقال قتلت والله العبيد قتلة ما سمعت بمثلها قطّ ثم قال وقتل ابن شميط وابن كامل وفلان وفلان فسمى رجالا من العرب أصيبوا كان الرجل منهم في الحرب خيرا من فئام من الناس قال فقلت له فهذه والله مصيبة فقال لي ما من الموت بدّ وما من ميتة أموتها أحبّ اليّ من مثل ميتة ابن شميط حبذا مصارع الكرام قال فعلمت ان الرجل قد حدث نفسه ان لم يصب حاجته أن يقاتل حتى يموت * ولما بلغ المختار انهم قد أقبلوا اليه في البحر وعلى الظهر سار حتى نزل بهم السيلحين ونظر الى مجتمع الأنهار نهر

وبعثهم المختار مع ابن شميط وبعث معه جيشا كثيفا فخرج ابن شميط فبعث على مقدمته ابن كامل الشاكري وسار أحمر بن شميط حتى ورد المذار وجاء المصعب حتى عسكر منه قريبا ثم ان كل واحد منهما عبى جنده ثم تزاحفا فجعل أحمر بن شميط على ميمنته عبد الله بن كامل الشاكري وعلى ميسرته عبد الله بن وهب بن نضلة الجشمي وعلى الخيل رزين عبد السلولي وعلى الرجالة كثير بن اسماعيل الكندي وكان يوم خازر مع ابن الأشتر وجعل كيسان أبا عمرة وكان مولى لعرينة على الموالي فجاء عبد الله بن وهب بن أنس الجشمي الى ابن شميط وقد جعله على ميسرته فقال له ان الموالي والعبيد آل خور عند المصدوقة وإن معهم رجالا كثيرا على الخيل وأنت تمشي فرهم فلينزلوا معك فإن لهم بك أسوة فإني أتخوف إن طوردوا ساعة وطوعنوا وضوربوا أن يطيروا على متونها ويسلموك وانك إن أرجلتهم لم يجدوا من الصبر بدا وانما كان هذا منه غشا للموالي والعبيد لما كانوا لقوا منهم بالكوفة فأحب إن كانت عليهم الدبرة أن يكونوا رجالا لا ينجو منهم أحد ولم يتهمه ابن شميط وظن انه انما أراد بذلك نصيحة ليصبروا ويقاتلوا فقال يا معشر الموالي انزلوا معي فقاتلوا فنزلوا معه ثم مشوا بين يديه وبين يدي رايته وجاء مصعب بن الزبير وقد جعل عباد بن الحصين على الخيل فجاء عباد حتى دنا من ابن شميط وأصحابه فقال انا ندعوكم الى كتاب الله وسنة رسوله والى بيعة أمير المؤمنين عبد الله بن الزبير وقال الآخرون انا ندعوكم الى كتاب الله وسنة رسوله والى بيعة الأمير المختار والى ان نجعل هذا الأمر شورى في آل الرسول فمن زعم من الناس أن أحدا ينبغي له ان يتولى عليهم برئنا منه وجاهدناه فانصرف عباد الى المصعب فأخبره فقال له ارجع فاحمل عليهم فرجع فحمل على ابن شميط وأصحابه فلم يزل منهم أحد ثم انصرف الى موقفه وحمل المهلب على ابن كامل فجال أصحابه بعضهم في بعض فنزل ابن كامل ثم انصرف عنه المهلب فقام مكانه فوقفوا ساعة ثم قال المهلب لأصحابه كروا كرة صادقة فإن القوم قد أطمعوكم وذلك بجولتهم التي جالوا فحمل عليهم حملة منكرة فولوا وصبر ابن كامل في رجال من همدان فأخذ المهلب يسمع شعار القوم أنا الغلام الشاكري أنا الغلام الشبامي أنا الغلام الثوري فما كان الا ساعة حتى هزموا وحمل عمر بن عبيد الله بن معمر على عبد الله بن أنس فقاتل ساعة ثم انصرف وحمل الناس جميعا على ابن شميط فقاتل حتى قتل وتنادوا يا معشر بجيلة وخثعم الصبر الصبر فناداهم المهلب الفرار الفرار اليوم أنجى لكم علام تقتلون أنفسكم مع هذه العبدان أضل الله سعيكم ثم نظر الى أصحابه فقال والله ما أرى استحرار القتل اليوم الا في قومي ومالت الخيل على رجالة ابن شميط فافترقت فانهزمت وأخذت الصحراء فبعث المصعب عباد بن الحصين على الخيل فقال أيما أسير أخذته فاضرب عنقه وسرح محمد بن الأشعث في خيل عظيمة من خيل أهل الكوفة ممن كان المختار طردهم فقال دونكم ثأركم

اليوم وأنتم وقوف وقد أحسنوا وقد بقي ما عليكم احملوا واستعينوا بالله واصبروا فحمل على من يليه حملة منكرة فحطموا أصحاب المختار حطمة منكرة فكشفوهم وقال عبد الله بن عمرو النهدي وكان من أصحاب صفين اللهم انى على ما كنت عليه ليلة الخميس بصفين اللهم انى أبرأ اليك من فعل هؤلاء لأصحابه حين انهزموا وأبرأ اليك من أنفس هؤلاء يعني أصحاب المصعب ثم جالد بسيفه حتى قتل وأتى مالك بن عمرو أبو نمران النهدي وهو على الرجالة بفرسه فركبه وانقصف أصحاب المختار انقصافة شديدة كأنهم أجمة فيها حريق فقال مالك حين ركب ما أصنع بالركوب والله لأن أقتل ههنا أحب الى من أن أقتل في بيتي أين أهل البصائر أين أهل الصبر فثاب اليه نحو من خمسين رجلا وذلك عند المساء فكر على أصحاب محمد بن الأشعث فقتل محمد بن الأشعث الى جانبه هو وعامة أصحابه فبعض الناس يقول هو قتل محمد بن الاشعث ووجد أبو نمران قتيلا الى جانبه وكندة تزعم ان عبد الملك بن أشاءة الكندي هو الذى قتله فلما مر المختار في أصحابه على محمد بن الأشعث قتيلا قال يامعشر الأنصار كروا على الثعالب الروّاغة فحملوا عليهم فقتل فخثعم تزعم ان عبد الله بن قراد هو الذى قتله (قال أبو مخنف) وسمعت عوف بن عمرو الجشمي يزعم ان مولى لهم قتله فادّعى قتله أربعة نفر كلهم يزعم انه قتله وانكشف أصحاب سعيد بن منقذ فقاتل في عصابة من قومه نحو من سبعين رجلا فقتلوا وقاتل سليم بن يزيد الكندي في تسعين رجلا من قومه وغيرهم ضارب حتى قتل وقاتل المختار على فم سكة شبث ونزل وهو يريد ان لا يبرح فقاتل عامة ليلته حتى انصرف عنه القوم وقتل معه ليلتئذ رجال من أصحابه من أهل الحفاظ منهم عاصم بن عبد الله الأزدي وعياش بن حازم الهمداني ثم الثوري وأحمر بن هديج الهمداني ثم الفائشي (قال أبو مخنف) حدثنا أبو الزبير ان همدان تنادوا ليلتئذ يامعشر همدان سيفوهم فقاتلوهم أشد القتال فلما ان تفرقوا عن المختار قال له أصحابه أيها الأمير قد ذهب القوم فانصرف الى منزلك الى القصر فقال المختار أما والله ما نزلت وأنا أريد ان آتي القصر فأما اذا انصرفوا فاركبوا بنا على اسم الله فجاء حتى دخل القصر فقال الأعشى في قتل محمد بن الاشعث

تأوّب عينك عوّارها * وعاد لنفسك تذكارها
وإحدى لياليك راجعتها * أرقت ونوّم سمّارها
وماذاقت العين طعم الرقا * د حتى تبلّج إسفارها
وقام نعاة أبي قاسم * فأسبل بالدمع تحدارها
فحق العيون على ابن الأشـ * ـج أن لا تفتّر تقطارها
وألاّ تزال تبكّى له * وتبتلّ بالدمع أشفارها
عليك محمد لما ثويـ * ـت تبكي البلاد وأشجارها

الحيرة ونهر السيلحين ونهر القادسية ونهر برسف فسكر الفرات على مجتمع الأنهار فذهب ماء الفرات كله في هذه الأنهار وبقيت سفن أهل البصرة في الطين فلما رأوا ذلك خرجوا من السفن يمشون وأقبلت خيلهم تركض حتى أتوا ذلك السكر فكسروه وصمدوا وصمدوا الكوفة * فلما رأى ذلك المختار أقبل اليهم حتى نزل حروراء وحال بينهم وبين الكوفة وقد كان حصن قصره والمسجد وأدخل في قصره عدة الحصار وجاء المصعب يسير اليه وهو بحروراء وقد استعمل على الكوفة عبد الله بن شداد وخرج اليه المختار وقد جعل على ميمنته سليم بن يزيد الكندي وجعل على ميسرته سعيد بن منقذ الهمداني ثم الثوري وكان على شرطته يومئذ عبد الله بن قراد الخثعمي وبعث على الخيل عمر بن عبد الله النهدي وعلى الرجال مالك بن عمرو النهدي وجعل مصعب على ميمنته المهلب بن أبي صفرة وعلى ميسرته عمر بن عبيد الله بن معمر التيمي وعلى الخيل عباد بن الحصين الحبطي وعلى الرجال مقاتل بن مسمع البكري ونزل هو يمشي متنكبا قوسا له قال وجعل على أهل الكوفة محمد بن الاشعث فجاء محمد حتى نزل بين المصعب والمختار مغربا ميامنا قال فلما رأى ذلك المختار بعث الى كل خمس من اخماس أهل البصرة رجلا من أصحابه فبعث الى بكر بن وائل سعيد بن منقذ صاحب ميسرته وعليهم مالك بن مسمع البكري وبعث الى عبد القيس وعليهم مالك بن المنذر عبد الرحمن بن شريح الشبامي وكان على بيت ماله وبعث الى أهل العالية وعليهم قيس بن الهيثم السلمي عبد الله بن جعدة القرشي ثم المخزومي وبعث الى الأزد وعليهم زياد بن عمرو العتكي مسافر بن سعيد بن نمران الناعطي وبعث الى بني تميم وعليهم الأحنف بن قيس سليم بن يزيد الكندي وكان صاحب ميمنته وبعث الى محمد بن الأشعث السائب بن مالك الأشعري ووقف في بقية أصحابه وتزاحف الناس ودنا بعضهم من بعض وحمل سعيد بن منقذ وعبد الرحمن بن شريح على بكر بن وائل وعبد القيس وهم في الميسرة وعليهم عمر بن عبيد الله بن معمر فقاتلتهم ربيعة قتالا شديدا وصبروا لهم وأخذ سعيد بن منقذ وعبد الرحمن بن شريح لا يقلعان اذا حمل واحد فانصرف حمل الآخر وربما حملا جميعا قال فبعث المصعب الى المهلب ما تنتظر ان تحمل على من بإزائك ألا ترى ما تلقى هذان الحيان منذ اليوم احمل بأصحابك فقال أي لعمري ما كنت لأجزر الأزد وتميما خشية أهل الكوفة حتى أرى فرصتي قال وبعث المختار الى عبد الله ابن جعدة أن احمل على من بإزائك فحمل على أهل العالية فكشفهم حتى انتهوا الى المصعب فجثا المصعب على ركبتيه ولم يكن فرارا فرمى بأسهمه ونزل الناس عنده فقاتلوا ساعة ثم تحاجزوا قال وبعث المصعب الى المهلب وهو في خمسين جامين كثيري العدد والفرسان لا أبالك ما تنتظر أن تحمل على القوم فمكث غير بعيد ثم إنه قال لأصحابه قد قاتل الناس منذ

وعمدا علوتُ الرأس منه بصارم * فأثكلته سفيان بعد محمد

(قال هشام) عن أبي مخنف قال حدّثني حصيرة بن عبد الله أن هند بنت المتكلفة الناعطية
كان يجتمع اليها كل غالٍ من الشيعة فيتحدّثون في بيتها وفي بيت ليلى بنت قمامة المزنية وكان
أخوها رفاعة بن قُمامة من شيعة عليّ وكان مقتصدا فكانت لا تحبّه وكان أبو عبد الله الجدلي
ويزيد بن شراحيل قد أخبرا ابن الحنفية خبر هاتين المرأتين وغلوّهما وخبر أبي الأحراس
المراديّ والبُطين الليثي وأبي الحارث الكندي (قال هشام) عن أبي مخنف قال حدثني
يحيى بن أبي عيسى قال وكان ابن الحنفية قد كتب مع يزيد بن شراحيل الى الشيعة بالكوفة
يحذرهم هؤلاء وكتب اليهم من محمد بن عليّ الى من بالكوفة من شيعتنا أما بعدُ فاخرجوا
الى المجالس والمساجد فاذكروا الله علانيةً وسرّا ولا تتخذوا من دُون المؤمنين بطانة
فإن خشيتم على أنفسكم فاحذروا على دينكم الكذابين وأكثروا الصلاة والصيام والدعاء
فانه ليس أحد من الخلق يملكُ لأحد ضرّا ولا نفعا الا ما شاء الله وكلُّ نفس بما كسبتْ
رهينةٌ ولا تزرُ وازرةٌ وزرَ أخرى والله قائمٌ على كلّ نفس بما كسبت فاعملوا
صالحا وقدّموا لأنفسكم حسنا ولا تكونوا من الغافلين والسلام عليكم (قال أبو مخنف)
فحدثني حصيرة بن عبد الله أن عبد الله بن نوف خرج من بيت هند بنت المتكلفة حين
خرج الناس الى حروراء وهو يقول يوم الأربعاء وقد ارتفعت السماء ونزل القضاء بهزم الأعدا
فاخرجوا على اسم الله الى حروراء فخرج فلما التقى الناس للقتال ضرب على وجهه ضربة
ورجع الناس منهزمين ولقيه عبد الله بن شريك النهديّ وقد سمع مقالته فقال له ألم تزعم
لنا يا ابن نوف انا سنهزمهم قال أوما قرأت في كتاب الله يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده
أم الكتاب قال فلما أصبح المصعب أقبل يسير بمن معه من أهل البصرة ومن خرج اليه
من أهل الكوفة فأخذ بهم نحو السبخة فمر بالمهلب فقال له المهلب يا لها فتحا ما أهناه لو لم يكن
محمد بن الأشعث قتل قال صدقت فرحم الله محمدا ثم سار غير بعيد ثم قال يا مهلب قال لبيك
أيها الأمير قال هل علمت أن عبيد الله بن علي بن أبي طالب قد قتل قال انا لله وانا اليه
راجعون قال المصعب أما انه كان ممن أحب أن يرى هذا الفتح ثم لا نجعل أنفسنا أحق بشيء
مما نحن فيه منه أتدري من قتله قال لا قال انما قتله من يزعم انه لأبيه شيعة أما انهم قد قتلوه
وهم يعرفونه قال ثم مضى حتى نزل السبخة فقطع عنهم الماء والمادة وبعث عبد الرحمن بن
محمد بن الأشعث فنزل الكناسة وبعث عبد الرحمن بن مخنف بن سليم الى جبانة السبيع
وقد كان قال لعبد الرحمن بن مخنف ما كنت صنعت فيما وكلتك به قال أصلحك الله
وجدت الناس صنفين اما من كان له فيك هوى فخرج اليك وأما من كان يرى رأى

وما يذكرونك إلا بكوا * إذا ذا دمة حان إنهاجارها
وعارية من ليالى الشتا * ء لا يتمسح أيسارها
ولا يُنبح الكلبَ فيها العقو * ر إلا الهرير وتختارها
ولا ينفع الثوبُ فيها الفتى * ولا رِبّة الخدر تحدارها
وأنت محمد في مثلها * مُهين الجزائر نحّارها
تظل جفانك موضوعة * تسيل من الشحم أصبارها
وما في سقائك مستنطق * إذا الشول روّح أغبارها
فيا واهب الوُصفاء الصبا * ح إن شبرت ثمّ أشبارها
ويا واهب الجُرد مثل القدا * ح قد يعجب الصف شوّارها
ويا واهب البكرات الهجا * ن عودا تحاوب أبكارها
وكنت كدجلة إذ ترتمي * فيقذف في البحر تيارها
وكنت جليدا وذا مرة * إذا يبتغى منك إمرارها
وكنت إذا بلدة أصفقت * وآذن بالحرب جبارها
بعثت عليها دواكى العيو * ن حتى تواصل أخبارها
بإذن من الله والخيلُ قد * أعدّ لذلك مضمارها
وقد نُطّم الخيل منك الوجيـ * ـف حتى تُسدّ أمهارها
وقد تعلم المازل العنس جو * ر أنك بالجمت حسّارها
فيا أسفى يوم لاقيتهم * وخانت رجالك فرّارها
وأقبلت الخيل مهزومة * عشارا تضرب أدبارها
بشط حروراء واستجمعت * عليك الموالى وسحّارها
وأخطرت نفسك من دونهم * فحاز الرئيسة إخطارها
فلا تبعدن أبا قاسم * فقد يبلغ النفس مقدارها
وأفنى الحوادث ساداتنا * ومر الليالى وتكرارها

(قال هشام) قال أبي كان السائب أتى مع مصعب بن الزبير فقتله ورثاه الهمداني من وهيل وشرال ورقاء

مَن مبلغٌ عنى عُبيد الله أنى * علوتُ أخاه بالحسام المهنّد
فإن كنت تبغى العلم عنه فإنه * صريع لدى الديرين غير موسّد

اخرجوا معي فخرج معه منهم نحوٌ من مائتي رجل فكرّ عليهم فشدخوا نحواً من مائة وهزمهم فركب بعضهم بعضاً وأخذوا على دار فرات بن حيان العجلي ثم ان رجلاً من بني ضبة من أهل البصرة يقال له يحيى بن ضمضم كانت رجلاه تكادان تخطّان الارض اذا ركب من طوله وكان أقتل شيء للرجال وأهيبه عندهم اذا رأوه فأخذ يحمل على أصحاب المختار فلا يثبت له رجل فصمد صمده وبصر به المختار فحمل عليه فضربه ضربة على جبهته فأطار جبهته وقحف رأسه وخرّ ميتاً ثم ان تلك الامراء وتلك الرؤس أقبلوا من كل جانب فلم تكن لاصحابه بهم طاقة فدخلوا القصر فكانوا فيه فاشتد عليهم الحصار فقال لهم المختار ويحكم ان الحصار لا يزيدكم الا ضعفاً انزلوا بنا فلنقاتل حتى نقتل كراماً ان نحن قتلنا والله ما أنا بآيس ان صدقتموهم أن ينصركم الله فضعفوا وعجزوا فقال لهم المختار أما أنا فوالله لا أعطي بيدي ولا أحكّمهم في نفسي ولما رأى عبد الله بن جعدة بن هبيرة بن أبي وهب ما يريد المختار تدلّى من القصر بحبل فلحق بأناس من اخوانه فاختبى عندهم ثم ان المختار أزمع بالخروج الى القوم حين رأى من أصحابه الضعف ورأى ما بأصحابه من الفشل فأرسل الى امرأته أم ثابت بنت سَمُرة بن جندب الفزاري فأرسلت اليه بطيب كثير فاغتسل وتحنّط ثم وضع ذلك الطيب على رأسه ولحيته ثم خرج في تسعة عشر رجلاً فيهم السائب بن مالك الاشعري وكان خليفته على الكوفة اذا خرج الى المدائن وكانت تحته عَمْرة بنت أبي موسى الاشعري فولدت له غلاماً فسماه محمداً فكان مع أبيه في القصر فلما قُتل أبوه وأخذ من في القصر وُجد صبياً فترك ولما خرج المختار من القصر قال للسائب ماذا ترى قال الرأي لك فماذا ترى قال أنا أرى أم الله يرى قال بل الله يرى قال ويحك أحمق أنت انما أنا رجل من العرب رأيت ابن الزبير انتزى على الحجاز ورأيت نجدة انتزى على اليمامه ومروان على الشأم فلم أكن دون أحد من رجال العرب فأخذت هذه البلاد فكنت كأحدهم الا اني قد طلبت بثأر أهل بيت النبي صلى الله عليه وسلم اذ نامت عنه العرب فقتلت من شرك في دمائهم وبالغت في ذلك الى يومي هذا فقاتل على حسبك ان لم تكن لك نية فقال إنا لله وإنا اليه راجعون وما كنت أصنع أن أقاتل على حسبي فقال المختار عند ذلك يتمثل بقول غَيلان بن سلمة بن مُعَتّب الثقفي

ولو يَراني أبو غَيلانَ اذ حسرت * عني الهمومُ بأمرٍ ماله طبقُ
لقال رُهبًا ورُعبًا يُجمعان معًا * غُنْمُ الحياة وهول النفسِ والشَّفقُ
إما تُسِفّ على مجدٍ ومَكرُمة * أو إسوةٌ لك فيمن تُهلك الورقُ

فخرج في تسعة عشر رجلاً فقال لهم أتؤمنوني وأخرج اليكم فقالوا لا الا على الحكم فقال لا أحكّمكم في نفسي أبداً فضارب بسيفه حتى قتل وقد كان قال لاصحابه حين أبوا أن يتابعوه على الخروج معه اذا أنا خرجت اليهم فقتلت لم تزدادوا الا ضعفاً وذلاً فان نزلتم على حكمهم وثب

المختار فلم يكن ليدعه ولا ليؤثر أحدا عليه فلم أبرح بيتي حتى قدمت قال صدقت وبعث عباد بن الحصين الى جبانة كندة فكل هؤلاء كان يقطع عن المختار وأصحابه الماء والمادة وهم في قصر المختار وبعث زحر بن قيس الى جبانة مراد وبعث عبيد الله بن الحر الى جبانة الصائديين (قال أبو مخنف) وحدثني فضيل بن خديج قال لقد رأيت عبيد الله بن الحر وانه ليطارد أصحاب خيل المختار يقاتلهم في جبانة الصائديين ولربما رأيت خيلهم تطرد خيله وإنه لوراء خيله يحميها حتى ينتهي الى دار عكرمة ثم يكر راجعا هو وخيله فيطردهم حتى يلحقهم بجبانة الصائديين ولربما رأيت خيل عبيد الله قد أخذت السقاء والسقاءين فيضربون وانما كانوا يأتونهم بالماء أنهم كانوا يعطونهم بالراوية الدينار والدينارين لما أصابهم من الجهد وكان المختار ربما خرج هو وأصحابه فقاتلوا قتالا ضعيفا ولا نكاية لهم وكانت لا تخرج له خيل الا رميت بالحجارة من فوق البيوت ويصب عليهم الماء القذر واجترأ عليهم الناس فكانت معايشهم أفضلها من نسائهم فكانت المرأة تخرج من منزلها معها الطعام واللطف والماء قد التحفت عليه فتخرج كأنما تريد المسجد الأعظم للصلاة وكأنها تأتي أهلها وتزور ذات قرابة لها فاذا دنت من القصر فتح لها فدخلت على زوجها وحميمها بطعامه وشرابه ولطفه وان ذلك بلغ المصعب وأصحابه فقال له المهلب وكان مجربا اجعل عليهم دروبا حتى تمنع من يأتيهم من أهليهم وأبنائهم وتدعهم في حصنهم حتى يموتوا فيه وكان القوم اذا اشتد عليهم العطش في قصرهم استقوا من ماء البئر ثم أمر لهم المختار بعسل فصب فيه ليغير طعمه فيشربوا منه فكان ذلك أيضا مما يروي أكثرهم ثم ان مصعبا أمر أصحابه فاقتربوا من القصر فجاء عباد بن الحصين الحبطي حتى نزل عند مسجد جهينة وكان ربما تقدم حتى ينتهي الى مسجد بني مخزوم وحتى يرمي أصحابه من أشرف عليهم من أصحاب المختار من القصر وكان لا يلقى امرأة قريبا من القصر الا قال لها من أنت ومن أين جئت وما تريدين فأخذ في يوم ثلاث نسوة للشباميين وشاكر أتين أزواجهن في القصر فبعث بهن الى مصعب وان الطعام لمعهن فردهن مصعب ولم يعرض لهن وبعث زحر بن قيس فنزل عند الحدادين حيث تكرى الدواب وبعث عبيد الله بن الحر فكان موقفه عند دار بلال وبعث محمد بن عبد الرحمن بن سعيد بن قيس فكان موقفه عند دار أبيه وبعث حوشب بن يزيد فوقف عند زقاق البصريين عند فم سكة بني جذيمة بن مالك من بني أسد بن خزيمة وجاء المهلب يسير حتى نزل جهار سوج خنيس وجاء عبد الرحمن بن مخنف من قبل دار السقاية وابتدر السوق أناس من شباب أهل الكوفة وأهل البصرة أغمار ليس لهم علم بالحرب فأخذوا يصيحون وليس لهم أمير يا ابن دومة يا ابن دومة فأشرف عليهم المختار فقال أما والله لو ان الذي يعيرني بدومة كان من القريتين عظيما ما عيرني بها وبصر بهم وبتفرقهم وهيئتهم وانتشارهم فطمع فيهم فقال لطائفة من أصحابه

فان خالفنا اخواننا من أهل مصرنا فإما أن نكون أصبنا وأخطؤا وإما أن نكون أخطأنا وأصابوا فاقتتلنا كما اقتتل أهل الشأم بينهم فقد اختلفوا واقتتلوا ثم اجتمعوا وكما اقتتل أهل البصرة بينهم فقد اختلفوا واقتتلوا ثم اصطلحوا واجتمعوا وقد ملكتم فاسجحوا وقد قدرتم فاعفوا فما زال بهذا القول ونحوه حتى رق لهم الناس ورق لهم مصعب وأراد أن يخلى سبيلهم فقام عبد الرحمن بن محمد بن الاشعث فقال تخلى سبيلهم اخترنا يا ابن الزبير أو اخترهم ووثب محمد بن عبد الرحمن بن سعيد بن قيس الهمدانى فقال قتل أبى وخمسمائة من همدان وأشراف العشيرة وأهل المصر ثم تخلى سبيلهم ودماؤنا ترقرق فى أجوافهم اخترنا أو اخترهم ووثب كل قوم وأهل بيت كان أصيب منهم رجل فقالوا نحوا من هذا القول فلما رأى مصعب ابن الزبير ذلك أمر بقتلهم فنادوه بأجمعهم يا ابن الزبير لا تقتلنا اجعلنا مقدمتك الى أهل الشأم غدا فوالله ما بك ولا بأصحابك عنا غدا غنى اذا لقيتم عدوكم فان قتلنا لم نقتل حتى نرقهم لكم وان ظفرتم بهم كان ذلك لك ولمن معك فأبى عليهم وتبع رضى العامة فقال بجير المسلى ان حاجتى اليك أن لا أقتل مع هؤلاء انى أمرتهم أن يخرجوا بأسيافهم فيقاتلوا حتى يموتوا كراما فعصونى فقدم فقتل (قال أبو مخنف) وحدثنى أبى قال حدثنى أبو روق ان مسافر بن سعيد بن نمران قال لمصعب بن الزبير يا ابن الزبير ما تقول لله اذا قدمت عليه وقد قتلت أمة من المسلمين صبرا حكموك فى دمائهم فكان الحق فى دمائهم أن لا تقتل نفسا مسلمة بغير نفس مسلمة فان كنا قتلنا عدة رجال منكم فاقتلوا عدة من قتلنا منكم وخلوا سبيل بقيتنا وفينا الآن رجال كثير لم يشهدوا موطنا من حربنا وحربكم يوما واحدا كانوا فى الجبال والسواد يجبون الخراج ويؤمنون السبيل فلم يستمع له فقال قبح الله قوما أمرتهم أن يخرجوا ليلا على حرس سكة من هذه السكك فنطردهم ثم نلحق بعشائرنا فعصونى حتى حملونى على ان أعطيت التى هى أنقص وأدنى وأوضع وأبوا أن يموتوا الا ميتة العبيد فأنا أسألك أن لا تخلط دمى بدمائهم فقدم فقتل ناحية ثم ان المصعب أمر بكف المختار فقطعت ثم سمرت بمسمار حديد الى جنب المسجد فلم يزل على ذلك حتى قدم الحجاج بن يوسف فنظر اليها فقال ما هذه قالوا كف المختار فأمر بنزعها وبعث مصعب عماله على الجبال والسواد ثم انه كتب الى ابن الاشتر يدعوه الى طاعته ويقول له ان أنت أجبتنى ودخلت فى طاعتى فلك الشأم وأعنة الخيل وما غلبت عليه من أرض المغرب ما دام لآل الزبير سلطان وكتب عبد الملك بن مروان من الشأم اليه يدعوه الى طاعته ويقول ان أنت أجبتنى ودخلت فى طاعتى فلك العراق فدعا ابراهيم أصحابه فقال ما ترون فقال بعضهم تدخل فى طاعة عبد الملك وقال بعضهم تدخل مع ابن الزبير فى طاعته فقال ابن الاشتر ذاك لو لم أكن أصبت عبيد الله بن زياد ولا رؤساء أهل الشأم تبعت عبد الملك مع انى لا أحب أن أختار على أهل مصرى مصرا ولا على عشيرتى عشيرة فكتب الى مصعب فكتب اليه

أعداؤكم الذين قد وترتموهم فقال كل رجل منهم لبعضكم هذا عنده ثارى فيُقتل وبعضكم ينظر الى مصارع بعض فتقولون ياليتنا أطعنا المختار وعملنا برأيه ولو انكم خرجتم معى كنتم ان أخطأتم الظفر مُتم كراما وان هرب منكم هارب فدخل في عشيرته اشتملت عليه عشيرته أنتم غدا هذه الساعة أذلّ من على ظهر الارض فكان كما قال قال وزعم الناس ان المختار قُتل عند موضع الزيّاتين اليوم قتله رجلان من بنى حنيفة اخوان يدعى أحدهما طرَفة والآخر طرّافا ابنا عبد الله بن دجاجة من بنى حنيفة ولما كان من الغد من قتل المختار قال بحير ابن عبد الله المُسلى ياقوم قد كان صاحبكم أمس أشار عليكم بالرأى لو أطعتموه ياقوم انكم ان نزلتم على حكم القوم ذبحتم كما تذبح الغنم أخرجوا بأسيافكم فقاتلوا حتى تموتوا كراما فعصوه وقالوا لقد أمرنا بهذا من كان أطوع عندنا وأنصح لنا منك فعصيناه أفنحن نطيعك فأمكن القوم من أنفسهم ونزلوا على الحكم فبعث اليهم مصعب عبّاد بن الحصين الحبطى فكان هو يخرجهم مكتفين وأوصى عبد الله بن شداد الجشمى الى عباد بن الحصين وطلب عبد الله بن قراد عصا أو حديدة أو شيأ يقاتل به فلم يجده وذلك ان الندامة أدركته بعد ما دخلوا عليه فأخذوا سيفه وأخرجوه مكتوفا فمرّ به عبد الرحمن وهو يقول

ما كنتُ أخشى أن أرى أسيرا * ان الذين خالفوا الاميرا

قد رغموا وتبّروا تتبيرا

فقال عبد الرحمن بن محمد بن الاسعث علىّ بذا قدّموه الىّ اضرب عنقه فقال له أما انى على دين جدّك الذى آمن ثم كفر ان لم أكن ضربت أباك بسيفى حتى فاظ فنزل ثم قال أدنوه منى فأدنوه منه فقتله فغضب عباد فقال قتلته ولم تؤمر بقتله ومرّ بعبد الله بن شداد الجشمى وكان شريفا فطلب عبد الرحمن الى عباد أن يحبسه حتى يكلم فيه الامير فأتى مصعبا فقال انى أحب أن تدفع الىّ عبد الله بن شداد فأقتله فانه من الثأر فأمر له به فلما جاءه أخذه فضرب عنقه فكان عباد يقول أما والله لو علمت انك انما تريد قتله لدفعته الى غيرك فقتله ولكنى حسبت انك تكلمه فيه فتخلى سبيله وأتى بابن عبد الله بن شداد واذا اسمه شداد وهو رجل محتلم وقد اطّلى بنورة فقال اكشفوا عنه هل أدرك فقالوا لا انما هو غلام فخلوا سبيله وكان الاسود بن سعيد قد طلب الى مصعب أن يعرض على أخيه الامان فان نزل تركه له فأتاه فعرض عليه الامان فأبى أن ينزل وقال أموت مع أصحابى أحب الىّ من حياة معكم وكان يقال له قيس فأخرج فقتل فيمن قتل وقال بحير بن عبد الله المسلى ويقال كان مولى لهم حين أتى به مصعب ومعه منهم ناس كثير فقال له المسلى الحمد لله الذى ابتلانا بالإسار وابتلاك بأن تعفو عنا وهما منزلتان احداهما رضى الله والاخرى سخطه من عفا عفا الله عنه وزاده عزّا ومن عاقب لم يأمن القصاص يا ابن الزبير نحن أهل قبلتكم وعلى ملتكم ولسنا تركا ولا ديلما

عدّتهم عما من تراث أبيك لكان ذلك سرفاً فقال سعيد بن عبد الرحمن بن حسان بن ثابت في ذلك

أتى راكبٌ بالأمر ذي النّبإ العجبْ * بقتل ابنة النعمان ذي الدين والحسبْ
بقتل فتاة ذات دل ستيرةٍ * مُهذّبة الأخلاق والخيم والنسبْ
مطهّرة من نسل قوم أكارمٍ * من المؤثرين الخير في سالف الحقبْ
خليلُ النبيّ المصطفى ونصيرُهُ * وصاحبه في الحرب والنكب والكُرَب
أتاني بأن الملحدين توافقوا * على قتلها لا جُنّبوا القتل والسّلبْ
فلا هنأتْ آل الزبير معيشةٌ * وذاقوا لباس الذل والخوف والحربْ
كأنهمُ إذ أبرزوها وقطعت * بأسيافهم فازوا بمملكة العرب
ألم تعجب الأقوام من قتل حُرّة * من المُحصنات الدين محمودة الأدبْ
من الغافلات المؤمنات بريئة * من الذم والبهتان والشك والكذبْ
علينا كتاب القتل والبأس واجبٌ * وهنّ العفاف في الحجال وفي الحجب
على دين أجداد لها وأبوّة * كرام مضت لم تخز أهلا ولم تربْ
من الخفرات لا خروج بذيّة * ملائمة تبغي على جارها الجنُبْ
ولا الجار ذي القربى ولم تدر ما الخنا * ولم تزدلف يوما بسوء ولم تحب
عجبتُ لها إذ كُتّفت وهي حيّة * ألا إن هذا الخطب من أعجب العجب

حدثت عن عليّ بن حرب الموصليّ قال حدثني إبراهيم بن سليمان الحنفي ابن أخي أبي الأحوص قال حدثنا محمد بن أبان عن علقمة بن مرثد عن سويد بن غفلة قال بينا أنا أسير بظهر النجف إذ لحقني رجل فطعنني بمخصرة من خلفي فالتفت إليه فقال ما قولك في الشيخ قلت أي الشيوخ قال علي بن أبي طالب قلت إني أشهد أني أحبه بسمعي وبصري وقلبي ولساني قال وأنا أشهدك أني أبغضه بسمعي وبصري وقلبي ولساني فسرنا حتى دنونا الكوفة فافترقنا ثم لبثت بعد ذلك سنين أو قال زمانا قال ثم إني لفي المسجد الأعظم إذ دخل رجل مصقّح وجوه الخلق فلم يزل يخطر فلم ير لحي أحفى من حي همدان فجلس إليهم فجلست معهم فقالوا من أين أقبلت قال من عند أهل بيت نبيكم قالوا فماذا جئتنا به قال ليس هذا موضع ذلك فوعدهم من الغد موعدا فغدا وغدوت فإذا قد أخرج كتابا معه في أسفله طابع من رصاص قد دفعه إلى غلام فقال له يا غلام اقرأه وكان أمياً لا يكتب فقال الغلام بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب للمختار بن أبي عبيد كتبه له وصي آل محمد أما بعد فكذا وكذا فاستفرغ القوم البكاء فقال يا غلام ارفع كتابك حتى يفيق القوم قلت معاشر همدان أنا أشهد

مصعب أن أقبل فأقبل اليه بالطاعة (قال أبو مخنف) حدثني أبو جناب الكلبي ان كتاب مصعب قدم على ابن الاشتر وفيه أما بعد فان الله قد قتل المختار الكذاب وشيعته الذين دانوا بالكفر وكادوا بالسحر وانا ندعوك الى كتاب الله وسنة نبيه والى بيعة أمير المؤمنين فان أجبت الى ذلك فأقبل الىّ فان لك أرض الجزيرة وأرض المغرب كلها ما بقيت وبقي سلطان آل الزبير لك بذلك عهد الله وميثاقه وأشد ما أخذ الله على النبيين من عهد أو عقد والسلام وكتب اليه عبد الملك بن مروان أما بعد فان آل الزبير انتزوا على أئمة الهدى ونازعوا الامر أهله وألحدوا في بيت الله الحرام والله ممكن منهم وجاعل دائرة السوء عليهم واني أدعوك الى الله والى سنة نبيه فان قبلت وأجبت فلك سلطان العراق ما بقيت وبقيتُ لك عليّ بالوفاء بذلك عهد الله وميثاقه قال فدعا أصحابه فأقرأهم الكتاب واستشارهم في الرأى فقائل يقول عبد الملك وقائل يقول ابن الزبير فقال لهم ورأيي اتباع أهل الشأم كيف لي بذلك وليس قبيلة تسكن الشأم الا وقد وترتها ولست بتارك عشيرتي وأهل مصري فأقبل الى مصعب فلما بلغ مصعبا إقباله بعث المهلب الى عمله وهي السنة التي نزل المهلب على الفرات (قال أبو مخنف) حدثني أبو علقمة الخثعمي ان المصعب بعث الى أم ثابت بنت سَمُرة بن جندب امرأة المختار والى عَمْرة بنت النعمان بن بشير الانصاري وهي امرأة المختار فقال لهما ما تقولان في المختار فقالت أم ثابت ما عسينا أن نقول ما نقول فيه الا ما تقولون فيه أنتم فقالوا لها اذهبي وأما عمرة فقالت رحمة الله عليه ان كان عبدا من عباد الله الصالحين فرفعها مصعب الى السجن وكتب فيها الى عبد الله بن الزبير انها تزعم انه نبي فكتب اليه أن أخرجها فاقتلها فأخرجها بين الحيرة والكوفة بعد العتمة فضربها مطر ثلاث ضربات بالسيف ومطر تابع لآل قفل من بني تيم الله بن ثعلبة كان يكون مع الشرط فقالت يا أبتاه يا أهلاه يا عشيرتاه فسمع بها بعض الانصار وهو أبان بن النعمان بن بشير فأتاه فلطمه وقال له يا ابن الزانية قطعت نفسها قطع الله يمينك فلزمه حتى رفعه الى مصعب فقال ان أمي مسلمةُ وادّعى شهادة بني قفل فلم يشهد له أحد فقال مصعب خلوا سبيل الفتى فانه رأى أمرا فظيعا فقال عمر بن أبي ربيعة القرشي في قتل مصعب عمْرة بنت النعمان بن بشير

ان منِ أعجبِ العجائب عندى * قتل بيضاء حرّة عطبول

قُتلتْ هكذا على غير جُرْم * انّ لله درَّها من قتيل

كُتب القتلُ والقتالُ علينا * وعلى المحصنات جر الذيول

(قال أبو مخنف) وحدثني محمد بن يوسف ان مصعبا لقي عبد الله بن عمر فسلم عليه وقال له أنا ابن أخيك مصعب فقال له ابن عمر نعم أنت القاتل سبعة آلاف من أهل القبلة في غداة واحدة عشْ ما استطعت فقال مصعب انهم كانوا كفرة سحرة فقال ابن عمر والله لو قتلت

لما قتل المختار شاور مصعب أصحابه في المحصورين الذين نزلوا على حكمه فقال عبد الرحمن ابن محمد بن الاشعث ومحمد بن عبد الرحمن بن سعيد بن قيس وأشباههم ممن وترهم المختار اقتلهم وضجّت ضبّة وقالوا دم منذر بن حسان فقال عبيد الله بن الحرّ أيها الامير ادفع كل رجل في يديك الى عشيرته تمنّ عليهم بهم فانهم ان كانوا قتلونا فقد قتلناهم ولا غنى بنا عنهم في ثغورنا وادفع عبيدنا الذين في يديك الى مواليهم فانهم لأيتامنا وأراملنا وضعفائنا يردّهم الى أعمالهم واقتل هؤلاء الموالي فانهم قد بدا كفرهم وعظم كبرهم وقلّ شكرهم فضحك مصعب وقال للاحنف ما ترى يا أبا بحر قال قد أرادني زياد فعصيته يعرض بهم فأمر مصعب بالقوم جميعا فقتلوا وكانوا ستة آلاف فقال عقبة الاسدي

قتلتمْ ستة الآلاف صبرا * مع العهد الموثّق مكتفينا
جعلتم ذمة الحبطيّ جسْرا * ذلولا ظهرهُ للواطئينا
وما كانوا غداة دعُوا فغُرّوا * بعهدهم بأول خائنينا
وكنتُ أمرتهمْ لو طاوعوني * بضرب في الازقّة مُصلتينا

وقتل المختار وهو ابن سبع وستين سنة لاربع عشرة خلت من شهر رمضان في سنة ٦٧ فلما فرغ مصعب من أمر المختار وأصحابه وصار اليه ابراهيم بن الاشتر وجّه المهلب بن أبي صفرة على الموصل والجزيرة وأذربيجان وأرمينية وأقام بالكوفة ﴿وفي هذه السنة﴾ عزل عبد الله بن الزبير أخاه مصعب بن الزبير عن البصرة وبعث ابنه حمزة بن عبد الله اليها فاختلف في سبب عزله اياه عنها وكيف كان الامر في ذلك فقال بعضهم في ذلك ما حدثني به عمر قال حدثني علي بن محمد قال لم يزل المصعب على البصرة حتى سار الى المختار واستخلف على البصرة عبيد الله بن عبيد الله بن معمر فقتل المختار ثم وفد الى عبد الله بن الزبير فعزله وحبسه عنده واعتذر اليه من عزله وقال والله اني لأعلم انك أحرى وأكفى من حمزة ولكني رأيت فيه رأي عثمان في عبد الله بن عامر حين عزل أبا موسى الاشعري وولاه ﴿وقد حدثني﴾ عمر قال حدثني علي بن محمد قال قدم حمزة البصرة واليا وكان جوادا سخيا مخلطا يجود أحيانا حتى لا يدع شيأ يملكه ويمنع أحيانا ما لا يمنع مثله فظهرت منه بالبصرة خفة وضعف فيقال انه ركب يوما الى فيض البصرة فلما رآه قال ان هذا الغدير ان رفقوا به ليكفينهم صيفهم فلما كان بعد ذلك ركب اليه فوافقه جازرا فقال قد رأيت هذا ذات يوم وظننت أن لن يكفيهم فقال له الاحنف ان هذا ماء يأتينا ثم يغيض عنا وشخص الى الاهواز فلما رأى جبلها قال هذا قعيقعان لموضع بمكة فسمى الجبل قعيقعان وبعث الى مردانشاه فاستحثه بالخراج فأبطأ به فقام اليه بسيفه فضربه فقتله فقال الاحنف ما أحدّ سيف الامير ﴿وقد حدثني﴾ عمر قال حدثني علي ابن محمد قال لما خلط حمزة بالبصرة وظهر منه ما ظهر وهمّ بعبد العزيز بن بشر أن يضربه

بالله لقد أدركني هذا بظهر النجف فقصصتُ عليهم قصته فقالوا أبيتَ والله الا تثبيطا عن آل محمد وتزْييناً النَعْثَل شَقَّاقِ المصاحف قال قلت معاشر همدان لا أحدّثكم الا ما سمعته أذناي ووعاه قلبي من عليّ بن أبي طالب عليه السلام سمعته يقول لا تُسمّوا عثمان شقّاقَ المصاحف فوالله ما شققها الا عن ملإٍ منّا أصحاب محمد ولو وليتها لعملت فيها مثل الذي عمل قالوا الله أنت سمعت هذا من عليّ قلت والله لأنا سمعته منه قال فتفرقوا عنه فعند ذلك مال الى العبيد واستعان بهم وصنع ما صنع ﴿قال أبو جعفر﴾ واقتصّ الواقديُّ من خبر المختار بن أبي عبيد بعض ما ذكرنا فخالف فيه مَنْ ذكرنا خبره فزعم ان المختار انما أظهر الخلاف لابن الزبير عند قدوم مصعب البصرة وان مصعبا لما سار اليه فبلغه مسيره اليه بعث اليه أحمر بن شميط البجلي وأمره أن يواقعه بالمذار وقال ان الفتح بالمذار قال وانما قال ذلك المختار لانه قيل ان رجلا من ثقيف يُفتح عليه بالمذار فتح عظيم فظن انه هو وانما كان ذلك للحجاج بن يوسف في قتاله عبد الرحمن بن الاشعث وأمر مصعب صاحب مقدمته عبّادا الحبطي أن يسير الى جمع المختار فتقدم وتقدم معه عبيد الله بن عليّ بن أبي طالب ونزل مصعب نهر البصريين على شط الفرات وحفر هنالك نهرا فسمّي نهر البصريين من أجل ذلك قال وخرج المختار في عشرين ألفا حتى وقف بإزائهم وزحف مصعب ومن معه فوافوه مع الليل على تعبية فأرسل الى أصحابه حين أمسى لا يبرحنّ أحدٌ منكم موقفه حتى يسمع مناديا ينادي يا محمد فاذا سمعتموه فاحملوا فقال رجل من القوم من أصحاب المختار هذا والله كذاب على الله وانحاز ومن معه الى المصعب وأمهل المختار حتى اذا طلع القمر أمر مناديا فنادى يا محمد ثم حملوا على مصعب وأصحابه فهزموهم فأدخلوه عسكره فلم يزالوا يقاتلونهم حتى أصبحوا وأصبح المختار وليس عنده أحد واذا أصحابه قد وغلوا في أصحاب مصعب فانصرف المختار منهزما حتى دخل قصر الكوفة فجاء أصحاب المختار حين أصبحوا فوقفوا مليّا فلم يروا المختار فقالوا قد قتل فهرب منهم من أطاق الهرب واختفوا في دور الكوفة وتوجه منهم نحو القصر ثمانية آلاف لم يجدوا من يقاتل بهم ووجدوا المختار في القصر فدخلوا معه وكان أصحاب المختار قتلوا في تلك الليلة من أصحاب مصعب بشرا كثيرا فيهم محمد بن الاشعث وأقبل مصعب حين أصبح حتى أحاط بالقصر فأقام مصعب يحاصره أربعة أشهر يخرج اليهم المختار في كل يوم فيقاتلهم في سوق الكوفة من وجه واحد ولا يقدر عليه حتى قتل المختار ولما قتل المختار بعث من في القصر يطلب الامان فأبى مصعب حتى نزلوا على حكمه فلما نزلوا على حكمه قتل من العرب سبعمائة أو نحو ذلك وسائرهم من العجم قال فلما خرجوا أراد مصعب أن يقتل العجم ويترك العرب فكلمه من معه فقالوا أي دين هذا وكيف ترجو النصر وأنت تقتل العجم وتترك العرب ودينهم واحد فقدمهم فضرب أعناقهم ﴿قال أبو جعفر﴾ وحدثني عمر بن شبة قال حدثنا عليّ بن محمد قال

بينهم كثير قتلى وذهبوا كأنهم على حامية وقد تركوا على ذلك المعركة (قال أبو مخنف) فحدثني
شيخ للحي بالبصرة قال انى لأسمع قراءة كتاب عمر بن عبيد الله بسم الله الرحمن الرحيم أما بعد
فانى أخبر الأمير أصلحه الله انى لقيت الأزارقة التي مرقت من الدين واتبعت أهواءها بغير
هدى من الله فقاتلتهم بالمسلمين ساعة من النهار أشد القتال ثم ان الله ضرب وجوههم
وأدبارهم ومنحنا أكتافهم فقتل الله منهم من خاب وخسر وكل الى خسران فكتبت الى
الأمير كتابي هذا وأنا على ظهر فرسي في طلب القوم أرجو أن يجذهم الله ان شاء الله والسلام
ثم انه تبعهم ومضوا من فورهم ذلك حتى نزلوا اصطخر فسار اليهم حتى لقيهم على قنطرة
طمستان فقاتلهم قتالا شديدا وقتل ابنه ثم انه ظفر بهم فقطعوا قنطرة طمستان وارتفعوا الى
نحو من اصبهان وكرمان فأقاموا بها حتى اجتبروا وقووا واستعدوا وكثروا ثم انهم أقبلوا حتى
مروا بفارس وبها عمر بن عبيد الله بن معمر فقطعوا أرضه من غير الوجه الذى كان فيه
أخذوا على سابور ثم خرجوا على أرجان فلما رأى عمر بن عبيد الله أن قد قطعت الخوارج
أرضه متوجهة الى البصرة خشي أن لا يحتملها له مصعب بن الزبير فشمر في آثارهم مسرعا
حتى أتى أرجان فوجدهم حين خرجوا منها متوجهين قبل الأهواز وبلغ مصعبا اقبالهم
فخرج فعسكر بالناس بالجسر الأكبر وقال والله ما أدرى ما الذى أغنى عنى أن وضعت
عمر بن عبيد الله بفارس وجعلت معه جندا أجرى عليهم أرزاقهم في كل شهر
وأوفيهم أعطياتهم في كل سنة وآمر لهم من المعاون في كل سنة بمثل الأعطيات تقطع
أرضه الخوارج الى وقد قطعت علته فأمددته بالرجال وقويتهم والله لو قاتلهم ثم فر كان
أعذر له عندى وان كان الفار غير مقبول العذر ولا كريم الفعل وأقبلت الخوارج
وعليهم الزبير بن الماحوز حتى نزلوا الأهواز فأتتهم عيونهم ان عمر بن عبيد الله في أثرهم وان
مصعب بن الزبير قد خرج من البصرة اليهم فقام فيهم الزبير فحمد الله وأثنى عليه ثم قال أما
بعد فان من سوء الرأى والحيرة وقوعكم فيما بين هاتين الشوكتين انهضوا بنا الى عدونا نلقهم
من وجه واحد فسار بهم حتى قطع بهم أرض جوخى ثم أخذ على النهروان ثم لزم شاطئ
دجلة حتى خرج على المدائن وبها كردم بن مرثد بن نجبة الفزارى فشنوا الغارة على
أهل المدائن يقتلون الولدان والنساء والرجال ويبقرون الحبالى وهرب كردم فأقبلوا الى
ساباط فوضعوا أسيافهم في الناس فقتلوا أم ولد لربيعة بن ناجد وقتلوا بنانة ابنة أبي يزيد
ابن عاصم الأزدى وكانت قد قرأت القرآن وكانت من أجمل الناس فلما غشوها بالسيوف
قالت ويحكم هل سمعتم بأن الرجال كانوا يقتلون النساء ويحكم تقتلون من لا يبسط اليكم يدا
ولا يريد بكم ضرا ولا يملك لنفسه نفعا أتقتلون من ينشأ في الحلية وهو في الخصام غير مبين
فقال بعضهم اقتلوها وقال رجل منهم لو أنكم تركتموها فقال بعضهم أعجبك جمالها يا عدو

كتب الاحنف الى ابن الزبير بذلك وسأله أن يعيد مصعبا قال وحمزة الذى عقد لعبد الله بن عمير الليثي على قتال النجدية بالبحرين ﴿حدثني﴾ عمر قال حدثنا على بن محمد قال لما عزل ابن الزبير حمزة احتمل مالا كثيرا من مال البصرة فعرض له مالك بن مسمع فقال لا ندعك تخرج بأعطياتنا فضمن له عبيد الله بن عبيد بن معمر العطاء فكف وشخص حمزة بالمال فترك أباه وأتى المدينة فأودع ذلك المال رجالا فذهبوا به الا يهوديا كان أودعه فوفى له وعلم ابن الزبير بما صنع فقال أبعده الله أردت أن أباهى به بنى مروان فنكص (وأما هشام) ابن محمد فانه ذكر عن أبي مخنف في أمر مصعب وعزل أخيه اياه عن البصرة ورده اياه اليها غير هذه القصة والذى ذكر من ذلك عنه في سياق خبر حدثت به عنه عن أبي المخارق الراسي ان مصعبا لما ظهر على الكوفة أقام بها سنة معزولا عن البصرة عزله عنها عبد الله وبعث ابنه حمزة فمكث بذلك سنة ثم انه وفد على أخيه عبد الله بمكة فرده على البصرة وقيل ان مصعبا لما فرغ من أمر المختار انصرف الى البصرة وولى الكوفة الحارث بن عبد الله ابن أبي ربيعة قال وقال محمد بن عمر لما قتل مصعب المختار ملك الكوفة والبصرة ﴿وحج﴾ بالناس في هذه السنة عبد الله بن الزبير وكان عامله على الكوفة مصعب وقد ذكرت اختلاف أهل السير في العامل على البصره وكان على قضاء الكوفة عبد الله بن عتبه ابن مسعود وعلى قضاء البصره هشام بن هبيرة وبالشأم عبد الملك بن مروان وكان على خراسان عبد الله بن حازم السلمى

﴿ ثم دخلت سنة ثمان وستين ﴾

﴿ ذكر الخبر عما كان فيها من الامور الجليلة ﴾

فمن ذلك ما كان من رد عبد الله أخاه مصعبا الى العراق أميرا وقد ذكرنا السبب في رد عبد الله أخاه مصعبا الى العراق أميرا بعد عزله اياه ولما رده عليها أميرا بعث مصعب الحارث بن أبي ربيعة على الكوفة أميرا وذلك انه بدأ بالبصرة مرجعه الى العراق أميرا بعد العزل فصار اليها ﴿وفي هذه السنة﴾ كان مرجع الازارقة من فارس الى العراق حتى صاروا الى قرب الكوفة ودخلوا المدائن

﴿ ذكر الخبر عن أمرهم ومسيرهم ومرجعهم الى العراق ﴾

ذكر هشام عن أبي مخنف قال حدثني أبو المخارق الراسي ان مصعبا وجه عمر بن عبيد الله بن معمر على فارس أميرا وكانت الازارقة لحقت بفارس وكرمان ونواحي اصبهان بعد ما أوقع بهم المهلب بالاهواز فلما شخص المهلب عن ذلك الوجه ووجه الى الموصل ونواحيها عاملا عليها وعمر بن عبيد الله بن معمر على فارس انحطت الازارقة مع الزبير بن الماحوز على عمر بن عبيد الله بفارس فلقيهم بسابور فقاتلهم قتالا شديدا ثم انه ظفر بهم ظفرا بينا غير انه لم يكن

(قال أبو مخنف) فحدّثني حذرة بن عبد الله الأزديّ والنضر بن صالح العبسيّ وفضيل بن خديج كلهم أخبرنيه ان الحارث بن أبي ربيعة أتاه أهل الكوفة فصاحوا اليه وقالوا له اخرج فان هذا عدوّ لنا قد أظلّ علينا ليست له بقية فخرج وهو يكدّ كدًّا حتى نزل النخيلة فأقام بها أياما فوثب اليه ابراهيم ابن الأشتر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال أما بعد فانه سار الينا عدوٌّ ليست له بقية يقتل الرجل والمرأة والمولود ويخيف السبيل ويخرّب البلاد فانهض بنا اليه فأمر بالرحيل فخرج فنزل دير عبد الرحمن فأقام فيه حتى دخل اليه شبث بن ربعيّ فكلمه بنحو مما كلمه به ابن الأشتر فارتحل ولم يكد فلما رأى الناس بطء سيره رجزوا به فقالوا

سارَ بنا القُبَاعُ سَيْرًا نُكْرَا * يَسيرُ يومًا ويُقيمُ شَهْرَا

فأشخصوه من ذلك المكان فكلما نزل بهم منزلا أقام بهم حتى يضجّ الناس به من ذلك ويصيحوا به حول فسطاطه فلم يبلغ الصراة الا في بضعة عشر يوما فأتى الصراةَ وقد انتهى اليها طلائعُ العدوّ وأوائل الخيول فلما أتتهم العيونُ بأنه قد أتاهم جماعة أهل المصر قطعوا الجسر بينهم وبين الناس وأخذ الناس يرجزون

انّ القُباعَ سارَ سيرًا مَلْسا * بين دَبِيرَى ودَبَاهَا خَمْسا

(قال أبو مخنف) وحدثني يونس بن أبي اسحاق عن أبيه ان رجلا من السبيع كان به لمم وكان بقرية يقال لها جَوْبَر عند الخرّارة وكان يدعى سماك بن يزيد فأتت الخوارج قريته فأخذوه وأخذوا ابنته فقدّموا ابنته فقتلوها وزعم لي أبو الربيع السلوليّ ان اسم ابنته أمّ يزيد وأنها كانت تقول لهم يا أهل الاسلام ان أبي مصاب فلا تقتلوه وأما أنا فانما أنا جارية والله ما أتيت فاحشة قطّ ولا آذيت جارة لي ولا تطلعت ولا تشرفت قط فقدّموها ليقتلوها فأخذت تنادى ما ذنبي ما ذنبي ثم سقطت مغشيا عليها أو ميتة ثم قطّعوها بأسيافهم قال أبو الربيع حدّثتني بهذا الحديث ظئرٌ لها نصرانية من أهل الخورنق كانت معها حين قتلت (قال أبو مخنف) حدّثني يونس بن أبي اسحاق عن أبيه ان الأزارقة جاءت بسماك بن يزيد معهم حتى أشرفوا على الصراة قال فاستقبل عسكرنا فرأى جماعة الناس وكثرتهم فأخذ ينادى ويرفع صوته اعبروا اليهم فانهم قليل خبيث فضربوا عند ذلك عنقه وصلبوه ونحن ننظر اليه قال فلما كان الليل عبرت اليه أنا ورجل من الحيّ فأنزلناه فدفناه (قال أبو مخنف) حدّثني أبان ابن الوليد ان ابراهيم بن الأشتر قال للحارث بن أبي ربيعة اندب معي الناس حتى أعبر الى هؤلاء الأكلب فأجيئك برؤسهم الساعة فقال شبث بن ربعيّ وأسماء بن خارجة ويزيد بن الحارث ومحمد ابن الحارث ومحمد بن عمير أصلح الله الأمير دعهم فليذهبوا لا تبدأهم قال وكأنهم حسدوا ابراهيم بن الأشتر (قال أبو مخنف) وحدثني حصيرة بن عبد الله وأبو زهير العبسيّ ان الأزارقة لما انتهوا الى جسر الصراة فرأوا ان جماعة أهل المصر قد خرجوا اليهم قطعوا

الله قد كفرت وافتتنت فانصرف الآخر عنهم وتركهم فظننا انه فارقهم وحملوا عليها فقتلوها فقالت ربيطة بنت يزيد سبحان الله أترون الله يرضى بما تصنعون تقتلون النساء والصبيان ومن لم يذنب اليكم ذنبا ثم انصرفت وحملوا عليها وبين يديها الرواع بنت اياس بن شريح الهمداني وهي ابنة أخيها لأمها فحملوا عليها فضربوها على رأسها بالسيف ويصيب ذباب السيف رأس الرواع فسقطتا جميعا الى الأرض وقاتلهم اياس بن شريح ساعة ثم صرع فوقع بين القتلى فنزعوا عنه وهم يرون انهم قد قتلوه وصرع منهم رجل من بكر بن وائل يقال له رزين بن المتوكل * فلما انصرفوا عنهم لم يمت غير بنانة بنت أبي يزيد وأم ولد ربيعة بن ناجذ وأفاق سائرهم فسقى بعضهم بعضا من الماء وعصبوا جراحاتهم ثم استأجروا دواب ثم أقبلوا نحو الكوفة (قال أبو مخنف) فحدثني الرواع ابنة اياس قالت ما رأيت رجلا قط كان أجبن من رجل كان معنا وكانت معه ابنته فلما غشينا ألقاها الينا وهرب عنها وعنا ولا رأينا رجلا قط كان أكرم من رجل كان معنا ما نعرفه ولا يعرفنا لما غشينا قاتل دوننا حتى صرع بيننا وهو رزين بن المتوكل البكري وكان بعد ذلك يزورنا ويواصلنا ثم انه هلك في امارة الحجاج فكانت ورثته الاعراب وكان من العباد الصالحين (قال هشام بن محمد) وذكره عن أبي مخنف قال حدثني أبي عن عمه ان مصعب بن الزبير كان بعث أبا بكر بن مخنف على إستان العال فلما قدم الحارث بن أبي ربيعة أقصاه ثم أقره بعد ذلك على عمله السنة الثانية فلما قدمت الخوارج المدائن سرحوا اليه عصابة منهم عليها صالح بن مخراق فلقيه بالكرخ فقاتله ساعة ثم تنازلوا فنزل أبو بكر ونزلت الخوارج فقتل أبو بكر ويسار مولاه وعبد الرحمن بن أبي جعال ورجل من قومه وانهزم سائر أصحابه فقال سراقة بن مرداس البارقي في بطن من الأزد

ألا يالقوم للهموم الطوارق * وللحدث الجائي باحدى الصفائق

ومقتل غطريف كريم نجاره * من المقدمين الذائدين الأصادق

أتاني دوين الخيف قتل ابن مخنف * وقد غورت أولى النجوم الخوافق

فقلت تلقاك الإله برحمة * وصلى عليك الله رب المشارق

لحا الله قوما عردوا عنك بكرة * ولم يصبروا واللامعات البوارق

تولوا فأجلوا بالضحى عن زعيمنا * وسيدنا في المأزق المتضايق

فأنت متى ما جئتنا في بيوتنا * سمعت عويلا من عوان وعاتق

يبكين محمود الضريبة ماجدا * صبورا لدى الهيجاء عند الحقائق

وقد أصبحت نفسي لذاك حزينة * وبانت لما جاءت منه مفارق

قال

على فراشه فيجيء أخوه فيدفنه إن استطاع وبالحري أن يضعف عن ذلك ثم يموت هو فلا يجد من يدفنه ولا يصلي عليه فاتقوا الله فوالله ما أنتم بالقليل الذين تهون شوكتهم على عدوهم وإن فيكم لفرسان أهل المصر وإنكم لصلحاء من أنتم منه اخرجوا بنا إلى هؤلاء القوم وبكم حياة وقوة قبل أن لا يستطيع رجل منكم أن يمشي إلى عدوه من الجهد وقبل أن لا يستطيع رجل أن يمتنع من امرأة لو جاءته فقاتل رجل عن نفسه وصبر وصدق فوالله إني لأرجو إن صدقتموهم أن يظفركم الله بهم وأن يظهركم عليهم فناداه الناس من كل جانب وقالوا أصبت فخرج بالناس فجمع إليه الناس من الليل وأمر لهم بعشاء كثير فعشى الناس عنده ثم إنه خرج بهم حين أصبح على راياتهم فصبّحهم في عسكرهم وهم آمنون من أن يؤتوا في عسكرهم فشدوا عليهم في جانبه فصاروا نحوهم فأجلوهم عن وجه العسكر حتى انتهوا إلى الزبير ابن الماحوز فنزل في عصابة من أصحابه فقاتل حتى قتل وانحازت الأزارقة إلى قطري فبايعوه وجاء عتاب حتى دخل مدينته وقد أصاب من عسكرهم ما شاء وجاء قطري في أثره كأنه يريد أن يقاتله فجاء حتى نزل بعسكر الزبير بن الماحوز فزعم الخوارج أن عينا لقطري جاءه فقال سمعت عتابا يقول إن هؤلاء القوم إن ركبوا بنات شحاج وقادوا بنات صهال ونزلوا اليوم أرضا وغدا أخرى فبالحري أن يبقوا فلما بلغ ذلك قطريا خرج فذهب وخلاهم (قال أبو جعفر) قال أبو زهير العبسي وكان معهم خرجنا إلى قطري من الغد مشاة مُصلتين بالسيوف قال فارتحلوا والله فكان آخر العهد بهم قال ثم ذهب قطري حتى أتى ناحية كرمان فأقام بها حتى اجتمعت إليه جموع كثيرة وأكل الأرض واجتبى المال وقوي ثم أقبل حتى أخذ في أرض أصبهان ثم إنه خرج من شعب بشط إيذج فأقام بأرض الأهواز والحارث بن أبي ربيعة عامل لمصعب بن الزبير على البصرة فكتب إلى مصعب يخبره أن الخوارج قد تحدرت إلى الأهواز وأنه ليس لهم إلا المهلب فبعث إلى المهلب وهو على الموصل والجزيرة فأمره بقتال الخوارج والمسير إليهم وبعث إلى عمله إبراهيم ابن الأشتر وجاء المهلب حتى قدم البصرة وانتخب الناس وسار بمن أحب ثم توجه نحو الخوارج وأقبلوا إليه حتى التقوا بسولاف فاقتتلوا بها ثمانية أشهر أشد قتال رآه الناس لا يمنع بعضهم لبعض من الطعن والضرب ما يصد بعضهم عن بعض (قال أبو جعفر) وفي هذه السنة كان القحط الشديد بالشام حتى لم يقدروا من شدته على الغزو (وفيها) عسكر عبد الملك بن مروان ببطنان حبيب من أرض قنسرين فمُطروا بها فكثر الوحل فسموها بطنان الطين وشتا بها عبد الملك ثم انصرف منها إلى دمشق (وفيها) قتل عبيد الله ابن الحر

﴿ ذكر الخبر عن مقتله والسبب الذي جر ذلك عليه ﴾

الجسر واغتنم ذلك الحارث فحبس ثم انه جلس للناس فحمد الله وأثنى عليه ثم قال أما بعد فان أول القتال الرمي بالنبل ثم اشراع الرماح ثم الطعن بها شزرا ثم السلة آخر ذلك كله قال فقام اليه رجل فقال قد أحسن الأمير أصلحه الله الصفة ولكن حتى ما نصنع هذا وهذا البحر بيننا وبين عدونا مر بهذا الجسر فليعد كما كان ثم اعبر بنا اليهم فان الله سيريك فيهم ما تحبه فأمر بالجسر فأعيد ثم عبر الناس اليهم فطاردوا حتى انتهوا الى المدائن وجاء المسلمون حتى انتهوا الى المدائن وجاءت خيل لهم فطاردت خيلا للمسلمين طرادا ضعيفا عند الجسر ثم انهم خرجوا منها فأتبعهم الحارث بن أبي ربيعة عبد الرحمن بن مخنف في ستة آلاف ليخرجهم من أرض الكوفة فاذا وقعوا في أرض البصرة خلاهم فأتبعهم حتى اذا خرجوا من أرض الكوفة ووقعوا الى اصبهان انصرف عنهم ولم يقاتلهم ولم يكن بينه وبينهم قتال ومضوا حتى نزلوا بعتاب بن ورقاء بجي فأقاموا عليه وحاصروه فخرج اليهم فقاتلهم فلم يطقهم وشدوا على أصحابه حتى دخلوا المدينة وكانت اصبهان يومئذ طعمة لاسماعيل بن طلحة بن مصعب بن الزبير فبعث عليها عتابا فصبر لهم عتاب وأخذ يخرج اليهم في كل أيام فيقاتلهم على باب المدينة ويرمون من السور بالنبل والنشاب والحجارة وكان مع عتاب رجل من حضرموت يقال له أبو هريرة بن شريح فكان يخرج مع عتاب وكان شجاعا فكان يحمل عليهم ويقول

كيف ترون يا كلاب النار * شد أبي هريرة الهرار
يهركم بالليل والنهار * يا ابن أبي الماحوز والأشرار
كيف ترى جي على المضمار

فلما طال ذلك على الخوارج من قوله كمن له رجل من الخوارج يظنون انه عبيدة بن هلال فخرج ذات يوم فصنع كما كان يصنع ويقول كما كان يقول اذ حمل عليه عبيدة بن هلال فضربه بالسيف ضربة على حبل عاتقه فصرعه وحمل أصحابه عليه فاحتملوه فأدخلوه وداووه وأخذت الأزارقة بعد ذلك تناديهم يقولون يا أعداء الله ما فعل أبو هريرة الهرار فينادونهم يا أعداء الله والله ما عليه من بأس ولم يلبث أبو هريرة ان برئ ثم خرج عليهم بعد فأخذوا يقولون يا عدو الله أما والله لقد رجونا أن تكون قد أزرناك أمك فقال لهم يا فساق ما ذكركم أمي فأخذوا يقولون انه ليغضب لأمه وهو آتيها عاجلا فقال له أصحابه ويحك انما يعنون النار ففطن فقال يا أعداء الله ما أعقكم بأمكم حين تنتفون منها إن تلك أمكم واليها مصيركم ثم ان الخوارج أقامت عليهم أشهرا حتى هلك كراعهم ونفدت أطعمتهم واشتد عليهم الحصار وأصابهم الجهد الشديد فدعاهم عتاب بن ورقاء فحمد الله وأثنى عليه ثم قال أما بعد أيها الناس فانه قد أصابكم من الجهد ما قد ترون فوالله إن بقي الا أن يموت أحدكم

على

فبالله هل أبصرت مثلي فارسا * وقد حملوا في الصبح من كل مولج
ومثلي يحامي دون مثلي إنني * أشد إذا ما غمرة لم تفرج
أضاربهم بالسيف عنك لترتجي * الى الأمن والعيش الرفيع المخرفج
اذا ما أحاطوا بي كررت عليهم * ككر أبي شبلين في الخيس محرج
دعوت الى الشاكري ابن كامل * وقلت جشار كضبة لم تعرج
وإن هتفوا باسمي عطفت عليهم * بخيل كرام الضرب أكثرها الوجي
فلا غرو إلا قول سلمى ظعينتي * أما أنت يا ابن الحر بالمتحرج
دع القوم لا تقتلهم وانج سالما * وشمر هداك الله بالخيل فاخرج
وإني لأرجو يا ابنة الخير أن أرى * على خير أحوال المؤمل فارتجي
ألا حبذا قولي لأحمر طيء * ولابن خبيب قد دنا الصبح فادلج
وقولي لهذا سر وقولي لذا ارتحل * وقولي لذا من بعد ذلك أسرج

وجعل يعبث بعمال المختار وأصحابه ووثبت همدان مع المختار فأحرقوا داره وانتهبوا ضيعته بالجبة والبداة فلما بلغه ذلك سار الى ماه الى ضياع عبد الرحمن بن سعيد بن قيس فأنهبها وأنهب ما كان لهمدان بها ثم أقبل الى السواد فلم يدع مالا لهمداني الا أخذه ففي ذلك يقول

وما ترك الكذاب من جل مالنا * ولا الزرق من همدان غير شريد
أفي الحق أن ينهب ضياعي شاكر * وتأمن عندي ضيعة ابن سعيد
ألم تعلمي يا أم توبة أنني * على حدثان الدهر غير بليد
أشد حيازيمي لكل كريهة * وإني على ما نابني لجليد
فإن لم أصبح شاكرا بكتيبة * فعالجت بالكفين غل حديدي
هم هدموا داري وقادوا حليلتي * الى سجنهم والمسلمون شهودي
وهم أعجلوها أن تشد خمارها * فيا عجبا هل الزمان معيدي
فما أنا بابن الحر إن لم أرعهم * بخيل تعادى بالكماة أسود
وما جبنت خيلي ولكن حملتها * على جحفل ذي عدة وعديد

وهي طويلة قال وكان يأتي المدائن فيمر بعمال جوخى فيأخذ ما معهم من الأموال ثم يميل الى الجبل فلم يزل على ذلك حتى قتل المختار فلما قتل المختار قال الناس لمصعب في ولايته الثانية إن ابن الحر شاق ابن زياد والمختار ولا نأمن أن يثب بالسواد كما كان يفعل فحبسه مصعب فقال ابن الحر

﴿روى﴾ أحمد بن زهير عن علي بن محمد عن علي بن مجاهد ان عبيد الله بن الحر كان رجلا من خيار قومه صلاحا وفضلا وصلاة واجتهادا فلما قتل عثمان وهاج الهيج بين علي ومعاوية قال اما ان الله ليعلم اني أحب عثمان ولأنصرنه ميتا فخرج الى الشأم فكان مع معاوية وخرج مالك بن مسمع الى معاوية على مثل ذلك الرأي في العثمانية فأقام عبيد الله عند معاوية وشهد معه صفين ولم يزل معه حتى قتل علي عليه السلام * فلما قتل علي قدم الكوفة فأتى اخوانه ومن قد خف في الفتنة فقال لهم ياهؤلاء ما أرى أحدا ينفعه اعتزاله كنا بالشأم فكان من أمر معاوية كيت وكيت فقال له القوم وكان من أمر علي كيت وكيت فقال ياهؤلاء ان تمكننا الأشياء فاخلعوا عذركم واملكوا أمركم قالوا سنلتقي فكانوا يلتقون على ذلك * فلما مات معاوية هاج ذلك الهيج في فتنة ابن الزبير قال ما أرى قريشا تنصف أين ابناء الحرائر فأتاه خليع كل قبيلة فكان معه سبعمائة فارس فقالوا مرنا بأمرك * فلما هرب عبيد الله بن زياد ومات يزيد بن معاوية قال عبيد الله بن الحر لفتيانه قد بين الصبح لذي عينين فاذا شئتم فخرج الى المدائن فلم يدع مالا قدم من الجبل للسلطان الا أخذه فأخذ منه عطاءه وأعطية أصحابه ثم قال ان لكم شركاء بالكوفة في هذا المال قد استوجبوه ولكن تعجلوا اعطاءه قال سلفا ثم كتب لصاحب المال براءة بما قبض من المال ثم جعل يتقصى الكور على مثل ذلك قال قلت فهل كان يتناول أموال الناس والتجار قال لي انك لغير عالم بأبي الأشرس والله ما كان في الأرض عربي أغير عنه حرة ولا أكف عن قبيح وعن شراب منه ولكن انما وضعه عند الناس شعره وهو من أشعر الفتيان فلم يزل على ذلك من الأمر حتى ظهر المختار وبلغه ما يصنع بالسواد فأمر بامرأته أم سلمة الجعفية فحبست وقال والله لأقتلنه أو لأقتلن أصحابه * فلما بلغ ذلك عبيد الله بن الحر أقبل في فتيانه حتى دخل الكوفة ليلا فكسر باب السجن وأخرج امرأته وكل امرأة ورجل كان فيه فبعث اليه المختار من يقاتله فقاتلهم حتى خرج من المصر وقال حين أخرج امرأته من السجن

ألم تعلمي يا أم توبة أنني * أنا الفارس الحامي حقائق مذحج
وأني صبحت السجن في سورة الضحى * بكل فتى حامي الذمار مدجج
فما إن برحنا السجن حتى بدا لنا * جبين كقرن الشمس غير مشنج
وخد أسيل عن فتاة حيية * إلينا سقاها كل دان مثجج
فما العيش إلا ان أزورك آمنا * كعادتنا من قبل حربي ومخرجي
وما أنت إلا همة النفس والهوى * عليك السلام من خليط مسحج
وما زلت محبوسا لحبسك واجما * وإني بما تلقين من بعده شجي

فبالله

فإن لم أزرك الخيل تردى عوابسا * بفرسانها لا أدع بالحازم البطل
وإن لم ترَ الغارات من كل جانب * عليك فتندم عاجلا أيها الرجل
فلا وضعت عندى حصان قناعها * ولا عشت إلا بالأماني والعلل

وهى طويلة فبعث اليه مصعب الأبرد بن قرة الرياحى فى نفر فقاتله فهزمه ابن الحر وضربه ضربة على وجهه فبعث اليه مصعب حريث بن زيد أو يزيد فبارزه فقتله عبيد الله بن الحر فبعث اليه مصعب الحجاج بن حارثة الخثعمى ومسلم بن عمرو فلقياه بنهر صرصر فقاتلهم فهزمهم فأرسل اليه مصعب قوما يدعونه الى ان يؤمنه ويصله ويوليه أى بلد شاء فلم يقبل وأتى نرسى ففر دهقانها طيزجشنس بمال الفلوجة فتبعه ابن الحر حتى مر بعين التمر وعليها بسطام بن مصقلة بن هبيرة الشيبانى فتعوذ بهم الدهقان فخرجوا اليه فقاتلوه وكانت خيل بسطام خمسين ومائة فارس فقال يونس بن هاعان الهمدانى من خيوان ودعا ابن الحر الى المبارزة شر دهر آخره ما كنت أحسبنى أعيش حتى يدعونى انسان الى المبارزة فبارزه فضربه ابن الحر ضربة أثخنته ثم اعتنقا فخرا جميعا عن فرسيهما وأخذ ابن الحر عمامة يونس وكتفه بها ثم ركب ووافاهم الحجاج بن حارثة الخثعمى فحمل عليه الحجاج فأسره أيضا عبيد الله وبارز بسطام بن مصقلة الجسر فاصطربا حتى كردكل واحد منهما صاحبه وعلاه بسطام فلما رأى ذلك ابن الحر حمل على بسطام واعتنقه بسطام فسقطا الى الأرض وسقط ابن الحر على صدر بسطام فأسره وأسر يومئذ ناسا كثيرا فكان الرجل يقول أنا صاحبك يوم كذا ويقول الآخر أنا نازل فيكم ويمت كل واحد منهم بما يرى انه ينفعه فخلى سبيله وبعث فوارس من أصحابه عليهم دلهم المرادى يطلبون الدهقان فأصابوه فأخذوا المال قبل القتال فقال ابن الحر

لو أن لى مثل جرير أربعه * صبحت بيت المال حتى أجمعه
ولم يهلنى مصعب ومن معه * نعم الفتى ذلكم ابن مشجعه

ثم ان عبيد الله أتى تكريت فهرب عامل المهلب عن تكريت فأقام عبيد الله يجبى الخراج فوجه اليه مصعب الأبرد بن قرة الرياحى والجون بن كعب الهمدانى فى ألف وأمدهما المهلب بيزيد بن المغفل فى خمسمائة فقال رجل من جعفى لعبيد الله قد أتاك عدد كثير فلا تقاتلهم فقال

يخوفنى بالقتل قومى وإنما * أموت اذا جاء الكتاب المؤجل
لعل القنا تدنى بأطرافها الغنى * فنحيا كراما أو نكر فنقتل

فقال للجشر ودفع اليه رايته وقدم معه دلهما المرادى فقاتلهم يومين وهو فى ثلاثمائة فجرح جرير بن كريب وقتل عمرو بن جندب الأزدى وفرسان كثير من فرسانه

من مبلـــغُ الفتيانِ أنَّ أخاهُمُ * أتى دونَهُ بابٌ شديدٌ وحاجبُهْ
بمنزلةٍ ما كانَ يَرْضى بمثلِها * اذا قام غنَّتْهُ كبولٌ تجاوبُهْ
على الساقِ فوقَ الكعبِ أسودُ صامتٌ * شديدٌ يُدانى خَطْوَهُ ويُقاربُهْ
وما كان ذا من عظمِ جُرْمٍ جنيتُهُ * ولكن سعى الساعى بما هُوَ كاذبُهْ
وقد كان في الارضِ العريضةِ مسلكٌ * وأيُّ امرئٍ ضاقتْ عليه مذاهبُهْ
وفي الدهر والأيامِ للمرءِ عبرةٌ * وفيما مضى إن نابَ يوماً نوائبُهْ

فكلم عبيد الله قوما من مذحج ان يأتوا مصعبا فى أمره وأرسل الى وجوههم فقال ائتوا مصعبا فكلموه فى أمرى فى ذاته فانه حبسنى على غير جرم سعى بى قوم كذبة وخوفوه مالم أكن لأفعله ومالم يكن من شأنى وأرسل الى فتيان من مذحج وقال البسوا السلاح وخذوا عدة القتال فقد أرسلت قوما الى مصعب يكلمونه فى أمرى فأقيموا بالباب فإن خرج القوم وقد شفعهم فلا تعرضوا لأحد وليكن سلاحكم مكفرا بالثياب فجاء قوم من مذحج فدخلوا على مصعب فكلموه فشفعهم فأطلقه وكان ابن الحر قال لأصحابه ان خرجوا ولم يشفعهم فكابروا السجن فإنى أعينكم من داخل فلما خرج ابن الحر قال لهم أظهروا السلاح فأظهروه ومضى لم يعرض له أحد فأتى منزله وندم مصعب على اخراجه فأظهر ابن الحر الخلاف وأتاه الناس يهنؤنه فقال هذا الامر لا يصلح الا لمثل خلفائكم الماضين وما نرى لهم فينا ندا ولا شبها فنلقى اليه أزمتنا ونمحضه نصيحتنا فإن كان انما هو من عز بز فعلام نعقد لهم فى أعناقنا بيعة وليسوا بأشجع منا لقاء ولا أعظم منا غنى وقد عهد الينا رسول الله صلى الله عليه وسلم لا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق وما رأينا بعد الأربعة الماضين اماما صالحا ولا وزيرا تقيا كلهم عاص مخالف قوى الدنيا ضعيف الآخرة فعلام تستحل حرمتنا ونحن أصحاب النخيلة والقادسية وجلولاء ونهاوند نلقى الأسنة بنحورنا والسيوف بجباهنا ثم لا يعرف لنا حقنا وفضلنا فقاتلوا عن حريمكم فأى الامر ما كان فلكم فيه الفضل وانى قد قلبت ظهر المجن وأظهرت لهم العداوة ولا قوة الا بالله وحاربهم فأغار فأرسل اليه مصعب سيف بن هانئ المرادى فقال له إن مصعبا يعطيك خراج بادوريا على ان تبايع وتدخل فى طاعته قال أوليس لى خراج بادوريا وغيرها لست قابلا شيئا ولا آمنهم على شئ ولكنى أراك يا فتى وسيما يومئذ حدثا فهل لك ان تتبعنى وأمولك فأبى عليه فقال ابن الحر حين خرج من الحبس

لا كوفة أمى ولا بصرة أبى * ولا أنا يثنينى عن الرحلة الكسلْ

قال أبو الحسن يروى هذا البيت لسحيم بن وثيل الرياحى

فلا تحسبنى ابن الزبير كناعس * اذا حل أغفى أو يقال له ارتحلْ

معهم فلما القوا عبيد الله قاتلهم ساعة ثم عرقت فرسه وركب معبرا فوثب عليه رجل من الأنباط فأخذ بعضديه وضربه الباقون بالمرادي وصاحوا إن هذا طلبة أمير المؤمنين فاعتنقا فغرقا ثم استخرجوه فحزوا رأسه فبعثوا به الى الكوفة ثم الى البصرة ﴿قال أبو جعفر﴾ وقد قيل في مقتله غير ذلك من القول قيل كان سبب مقتل عبيد الله بن الحر أنه كان يغشى بالكوفة مصعبا فرآه يقدم عليه أهل البصرة فكتب الى عبد الله بن الزبير فيما ذكر قصيدة يعاتب بها مصعبا ويخوفه مسيره الى عبد الملك بن مروان يقول فيها

أبلغ أمير المؤمنين رسالة * فلست على رأي قبيح أواربه
أفي الحق أن أجفى ويجعل مصعب * وزيريه من قد كنت فيه أحاربه
فكيف وقد أبليتكم حق بيعتي * وحقي يلوى عندكم وأطالبه
وأبليتكم مالا يضيع مثله * وآسيتكم والأمر صعب مراتبه
فلما استنار الملك وانقادت العدى * وأدرك من مال العراق رغائبه
جفا مصعب عني ولو كان غيره * لأصبح فيما بيننا لا أعاتبه
لقد رابني من مصعب أن مصعبا * أرى كل ذي غش لنا هو صاحبه
وما أنا إن حلأتموني بوارد * على كدر قد غص بالصفو شاربه
وما لامرئ الا الذي الله سائق * إليه وما قد خط في الزبر كاتبه
اذا قمت عند الباب أدخل مسلم * ويمنعني أن أدخل الباب حاجبه

وهي طويلة وقال لمصعب وهو في حبسه وكان قد حبس معه عطية بن عمرو البكري فخرج عطية فقال عبيد الله

أقول له صبرا عطي فإنما * هو السجن حتى يجعل الله مخرجا
أرى الدهر لي يومين يوما مطردا * شريدا ويوما في الملوك متوجا
أتطعن في ديني غداة أتيتكم * وللدين تدني الباهلي وحشرجا
ألم تر أن الملك قد شين وجهه * ونبع بلاد الله قد صار عوسجا

وهي طويلة وقال أيضا يعاتب مصعبا في ذلك ويذكر له تقريبه سويد بن منجوف وكان سويد خفيف اللحية

بأي بلاء أم بأية نعمة * تقدم قبلي مسلم والمهلب
ويدعى ابن منجوف أمامي كأنه * خصي أتى للماء والعير يسرب
وشيخ تميم كالثغامة رأسه * وعيلان عنا خائف مترقب
جعلت قصور الازد ما بين منبج * الى العاقر من وادي عمان تصوب

وتحاجزوا عند المساء وخرج عبيد الله من تكريت فقال لأصحابه انى سائر بكم الى عبد الملك بن مروان فتهيأوا وقال انى أخاف ان أفارق الحياة ولم أذعر مصعبا وأصحابه فارجعوا بنا الى الكوفة قال فسار الى كسكر فنفى عاملها وأخذ بيت مالها ثم أتى الكوفة فنزل لحام جرير فبعث اليه مصعب عمر بن عبيد الله بن معمر فقاتله فخرج الى دير الاعور فبعث اليه مصعب حجار بن أبجر فانهزم حجار فشتمه مصعب ورده وضم اليه الجون بن كعب الهمدانى وعمر بن عبيد الله بن معمر فقاتلوه بأجمعهم وكثرت الجراحات فى أصحاب ابن الحر وعقرت خيولهم وجرح المجشر وكان معه لواء ابن الحر فدفعه الى أحمر طيىء فانهزم حجار بن أبجر ثم كر فاقتتلوا قتالا شديدا حتى أمسوا فقال ابن الحر

لو أن لى مثل الفتى المجشر * ثلاثة بيتهم لا أمترى

ساعدنى ليلة دير الأعور * بالطعن والضرب وعند المعبر

لطاح فيها عمر بن معمر

وخرج ابن الحر من الكوفة فكتب مصعب الى يزيد بن الحارث بن رؤيم الشيبانى وهو بالمدائن يأمره بقتال ابن الحر فقدم ابنه حوشبا فلقيه بباجسرى فهزمه عبيد الله وقتل فيهم وأقبل ابن الحر فدخل المدائن فتحصنوا فخرج عبيد الله فوجه اليه الجون بن كعب الهمدانى وبشر بن عبد الله الأسدى فنزل الجون حولايا وقدم بشر الى تامرا فلقى ابن الحر فقتله ابن الحر وهزم أصحابه ثم لقى الجون بن كعب بحولايا فخرج اليه عبد الرحمن بن عبد الله فحمل عليه ابن الحر فطعنه فقتله وهزم أصحابه وتبعهم فخرج اليه بشير بن عبد الرحمن بن بشير العجلى فالتقوا بسوراء فاقتتلوا قتالا شديدا فانحاز بشير عنه فرجع الى عمله وقال قد هزمت ابن الحر فبلغ قوله مصعبا فقال هذا من الذين يحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا وأقام عبيد الله فى السواد يغير ويجبى الخراج فقال ابن الحر فى ذلك

سلوا ابن رؤيم عن جلادى وموقفى * بايوان كسرى لا أوليهم ظهرى

أكر عليهم معلما وأراهم * كمعزى تحنى خشية الذئب بالصخر

وبيتهم فى حصن كسرى بن هرمز * مشحوذة بيض وخطية سمر

فأجابتهم طعنا وضربا تراهم * يلوذون منا موهنا بذرى القصر

يلوذون منى رهبة ومخافة * لواذا كالاذ الحمائم من صقر

ثم ان عبيد الله بن الحر فباد كرلحق بعبد الملك بن مروان فلما صار اليه وجهه فى عشرة نفر نحو الكوفة وأمره بالمسير نحوها حتى تلحقه الجنود فسار بهم فلما بلغ الأنبار وجه الى الى الكوفة من يخبر أصحابه بقدومه ويسألهم أن يخرجوا اليه فبلغ ذلك القيسية فأتوا الحارث ابن عبد الله بن أبى ربيعة عامل ابن الزبير على الكوفة فسألوه أن يبعث معهم جيشا فوجه

معهم

الزبير واتبعه الناس قال محمد حدثني ابن نافع عن أبيه قال كان ابن عمر لم يدفع تلك العشية الا بدفعة ابن الزبير فلما أبطأ ابن الزبير وقد مضى ابن الحنفية ونجدة وبنو أمية قال ابن عمر ينتظر ابن الزبير أمر الجاهلية ثم دفع فدفع ابن الزبير على أثره قال محمد حدثني هشام بن عمارة عن سعيد بن محمد بن جبير عن أبيه قال خفت الفتنة فمشيت اليهم جميعا فجئت محمد بن علي في الشعب فقلت يا أبا القاسم اتق الله فإنا في مشعر حرام وبلد حرام والناس وفد الله الى هذا البيت فلا تفسد عليهم حجهم فقال والله ما أريد ذلك وما أحول بين أحد وبين هذا البيت ولا يؤتى أحد من الحاج من قبلي ولكني رجل أدفع عن نفسي من ابن الزبير وما يريد مني وما أطلب هذا الأمر الا أن لا يختلف علي فيه اثنان ولكن ائت ابن الزبير فكلمه وعليك بنجدة قال محمد فجئت ابن الزبير فكلمته بنحو مما كلمت به ابن الحنفية فقال أنا رجل قد اجتمع علي الناس وبايعوني وهؤلاء أهل خلاف فقلت أرى خيرا لك الكف فقال أفعل ثم جئت نجدة الحروري فأجده في أصحابه وأجد عكرمة غلام ابن عباس عنده فقلت له استأذن لي على صاحبك قال فدخل فلم ينشب أن أذن لي فدخلت فعظمت عليه وكلمته كما كلمت الرجلين فقال أما أن أبتدئ أحدا بقتال فلا ولكن من بدأنا بقتال قاتلناه قلت فإني رأيت الرجلين لا يريدان قتالك ثم جئت شيعة بني أمية فكلمتهم بنحو مما كلمت به القوم فقالوا نحن على أن لا نقاتل أحدا الا أن يقاتلنا فلم أر في تلك الألوية قوما أسكن ولا أسلم دفعة من ابن الحنفية ﴿قال أبو جعفر﴾ وكان العامل لابن الزبير في هذه السنة على المدينة جابر بن الأسود بن عوف الزهري وعلى البصرة والكوفة أخوه مصعب وعلى قضاء البصرة هشام ابن هبيرة وعلى قضاء الكوفة عبد الله بن عتبة بن مسعود وعلى خراسان عبد الله بن خازم السلمي وبالشأم عبد الملك بن مروان

﴿ ثم دخلت سنة سبعين ﴾

﴿فمنها﴾ كان خروج عبد الملك بن مروان فيما زعم الواقدي الى عين وردة واستخلف عمرو ابن سعيد بن العاص على دمشق فتحصن بها فبلغ ذلك عبد الملك فرجع الى دمشق فحاصره قال وقد قيل خرج معه فلما كان ببطنان حبيب رجع الى دمشق فتحصن بها ورجع عبد الملك الى دمشق وأما عوانة بن الحكم فانه قال فيما ذكر هشام بن محمد عنه أن عبد الملك ابن مروان لما رجع من بطنان حبيب الى دمشق مكث بدمشق ما شاء الله ثم سار يريد قرقيسياء وبها زفر بن الحارث الكلابي ومعه عمرو بن سعيد حتى اذا كان ببطنان حبيب فتك عمرو بن سعيد فرجع ليلا ومعه حميد بن حريث بن بحدل الكلبي وزهير بن الأبرد الكلبي حتى أتى دمشق وعليها عبد الرحمن ابن أم الحكم الثقفي قد استخلفه عبد الملك فلما بلغه رجوع عمرو بن سعيد هرب وترك عمله ودخلها عمرو فاستولى عليها وعلى خزائنها وقال

بلاد نفى عنها العدو سيوفنا * وصفرة عنها نازح الدار أجنب

وقال قصيدة يهجو فيها قيس عيلان يقول فيها

ألا ابن بنى قيس فإن كنت سائلا * بقيس تجدهم ذروة في القبائل

ألم تر قيساً قيس عيلان برقعت * لحاها وباعت نبلها بالمغازل

ومازلت أرجو الأزد حتى رأيتها * تقصر عن بنيانها المتطاول

فكتب زفر بن الحارث الى مصعب قد كفيتك قتال ابن الزرقاء وابن الحر يهجو قيسا ثم ان نفرا من بنى سليم أخذوا ابن الحر فأسروه فقال انى انما قلت

ألم تر قيسا قيس عيلان أقبلت * إلينا وسارت بالقنا والقنابل

فقتله رجل منهم يقال له عياش فقال زفر بن الحارث

لما رأيت الناس أولاد علة * وأغرق فينا نزغة كل قائل

تكلم عنا مشينا بسيوفنا * الى الموت واستنشاط حبل المراكل

فلو يسأل ابن الحر أخبر أنها * يمانية لا تشترى بالمغازل

وأخبر ناذات علم سيوفنا * بأعناق مابين الطلى والكواهل

وقال عبد الله بن همام

ترنمت يا ابن الحر وحدك خاليا * بقول امرىء نشوان أوقول ساقط

أتذكر قوما أوجعتك رماحهم * وذبوا عن الأحساب عند المساقط

وتبكى لما لاقت ربيعة منهم * وما أنت في أحساب بكر بواسط

فهلا بجعفى طلبت ذحولها * ورهطك دنيا في السنين الفوارط

تركناهم يوم الثرى أذلة * يلوذون من أسيافنا بالعرافط

وخالطكم يوم النخيل بجمعه * عمير فما استبشرتم بالمخالط

ويوم شراحيل جدعنا أنوفكم * ولاس علينا يوم ذاك بقاسط

ضربنا بحد السيف مفرق رأسه * وكان حديثا عهده بالمواشط

فإن رغمت من ذاك آنف مذحج * فرغما وسخطا للأنوف السواخط

﴿قال أبو جعفر﴾ وفي هذه السنة وافت عرفات أربعة ألوية قال محمد بن عمر حدثني شرحبيل بن أبي عون عن أبيه قال وقفت في سنة ٦٨ بعرفات أربعة ألوية ابن الحنفية في أصحابه في لواء قام عند جبل المشاة وابن الزبير في لواء فقام مقام الإمام اليوم ثم تقدم ابن الحنفية بأصحابه حتى وقفوا حذاء ابن الزبير ونجدة الحرورى خلفهما ولواء بنى أمية عن يسارهما فكان أول لواء انفض لواء محمد بن الحنفية ثم يتبعه نجدة ثم لواء بنى أمية ثم لواء ابن

الملك دعا كريب بن أبرهة بن الصبّاح الحميري فاستشاره في أمر عمرو بن سعيد فقال له في
هذا هلكت حمير لا أرى لك ذلك لا ناقة لي في ذا ولا جمل فلما أتى رسول عبد الملك عمرا يدعوه
صادف الرسول عبد الله بن يزيد بن معاوية عند عمرو فقال عبد الله لعمرو بن سعيد يا أبا
أمية والله لأنت أحبّ إليّ من سمعي وبصري وقد أرى هذا الرجل قد بعث إليك أن تأتيه
وأنا أرى لك أن لا تفعل فقال له عمرو ولم قال لأن تُبَيْع ابن امرأة كعب الأحبار قال إن
عظيما من عظماء ولد إسماعيل يرجع فيغلق أبواب دمشق ثم يخرج منها فلا يلبث أن يُقتل
فقال له عمرو والله لو كنتُ نائما ما تخوّفت أن ينبهني ابن الزرقاء ولا كان ليجترئ على ذلك
مني مع أن عثمان بن عفان أتاني البارحة في المنام فألبسني قميصه وكان عبد الله بن يزيد زوج
أم موسى بنت عمرو بن سعيد فقال عمرو للرسول أبلغه السلام وقل له أنا رائح إليك العشيّة
إن شاء الله فلما كان العشيّ لبس عمرو درعا حصينة بين قباء قوهيّ وقميص قُوهيّ وتقلد
سيفه وعنده امرأته الكلبية وحُميد بن حريث بن بحدل الكلبيّ فلما نهض متوجها عثر
بالبساط فقال له حميد أما والله لئن أطعتني لم تأته وقالت له امرأته تلك المقالة فلم يلتفت إلى
قولهم ومضى في مائة رجل من مواليه وقد بعث عبد الملك إلى بني مروان فاجتمعوا عنده
فلما بلغ عبد الملك أنه بالباب أمر أن يُحبس من كان معه وأذن له فدخل ولم تزل أصحابه
يحبسون عند كل باب حتى دخل عمرو قاعة الدار وما معه إلا وصيف له فرمى عمرو ببصره
نحو عبد الملك فإذا حوله بنو مروان وفيهم حسّان بن مالك بن بحدل الكلبي وقبيصة بن
ذؤيب الخزاعي فلما رأى جماعتهم أحسّ بالشر فالتفت إلى وصيفه فقال انطلق ويحك إلى
يحيى بن سعيد فقل له يأتيني فقال له الوصيف ولم يفهم ما قال له لبّيك فقال له اعزُبْ عني في
حرق الله وناره وقال عبد الملك لحسّان وقبيصة إذا شئتما فقوما فالتقيا وعمرو في الدار فقال عبد
الملك لهما كالمازح ليطمئن عمرو بن سعيد أيكما أطول فقال حسانُ قبيصةُ يا أمير المؤمنين
أطول منّي بالإمرة وكان قبيصة على الخاتم ثم التفت عمرو إلى وصيفه فقال انطلق إلى يحيى
فمره أن يأتيني فقال له لبيك ولم يفهم عنه فقال له عمرو اعزُبْ عني فلما خرج حسان وقبيصة
أمر بالأبواب فغلّقت ودخل عمرو فرحّب به عبد الملك وقال ههنا يا أبا أمية يرحمك الله فأجلسه
معه على السرير وجعل يحدثه طويلا ثم قال يا غلام خذ السيف عنه فقال عمرو إنا لله يا أمير
المؤمنين فقال عبد الملك أو تطمع أن تجلس معي متقلدا سيفك فأخذ السيف عنه ثم تحدّثا
ما شاء الله ثم قال له عبد الملك يا أبا أمية قال لبيك يا أمير المؤمنين فقال إنك حيث خلعتني
آليتُ بيمين إن أنا ملأت عيني منك وأنا مالك لك أن أجمعك في جامعة فقال له بنو مروان
ثم تطلقه يا أمير المؤمنين قال ثم أطلقه وما عسيت أن أصنع بأبي أمية فقال بنو مروان
أبرّ قسم أمير المؤمنين فقال عمرو قد أبرّ الله قسمك يا أمير المؤمنين فأخرج من تحت فراشه

غيرهما كانت هذه القصة في سنة ٧٠ وقال كان مسير عبد الملك من دمشق نحو العراق يريد مصعب بن الزبير فقال له عمرو بن سعيد بن العاص انك تخرج الى العراق وقد كان أبوك وعدني هذا الأمر من بعده وعلى ذلك جاهدت معه وقد كان من بلائي معه ما لم يخف عليك فاجعل لي هذا الأمر من بعدك فلم يجبه عبد الملك الى شيء فانصرف عنه عمرو راجعا الى دمشق فرجع عبد الملك في أثره حتى انتهى الى دمشق ﴿رجع الحديث﴾ الى حديث هشام عن عوانة قال ولما غلب عمرو على دمشق طلب عبد الرحمن بن أم الحكم فلم يصبه فأمر بداره فهدمت واجتمع الناس وصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال أيها الناس انه لم يقم أحد من قريش قبلي على هذا المنبر الا زعم ان له جنة ونارا يدخل الجنة من أطاعه والنار من عصاه واني أخبركم ان الجنة والنار بيد الله وانه ليس الي من ذلك شيء غير أن لكم علي حسن المؤاساة والعطية ونزل وأصبح عبد الملك ففقد عمرو بن سعيد فسأل عنه فأخبر خبره فرجع عبد الملك الى دمشق فاذا عمرو قد جلل دمشق المسوح فقاتله بها أياما وكان عمرو بن سعيد اذا أخرج حميد بن حريث الكلبي على الخيل أخرج اليه عبد الملك سفيان بن الأبرد الكلبي واذا أخرج عمرو بن سعيد زهير بن الأبرد الكلبي أخرج اليه عبد الملك حسان بن مالك بن بحدل الكلبي (قال هشام) حدثني عوانة ان الخيلين تواقفتا ذات يوم وكان مع عمرو بن سعيد رجل من كلب يقال له رجاء بن سراج فقال رجاء يا عبد الرحمن بن سليم ابرز وكان عبد الرحمن مع عبد الملك فقال عبد الرحمن قد أنصف القارة من راماها وبرز له فاطعنا وانقطع ركاب عبد الرحمن فنجاه منه ابن سراج فقال عبد الرحمن والله لولا انقطاع الركاب لرميت ما في بطنك من تبن وما اصطلح عمرو وعبد الملك أبدا فلما طال قتالهم جاء نساء كلب وصبيانهم فبكين وقلن لسفيان بن الأبرد ولابن بحدل الكلبي علام تقتلون أنفسكم لسلطان قريش فحلف كل واحد منهما أن لا يرجع حتى يرجع صاحبه فلما أجمعوا على الرجوع نظروا فوجدوا سفيان أكبر من حريث فطلبوا الى حريث فرجع ثم إن عبد الملك وعمرا اصطلحا وكتبا بينهما كتابا وآمنه عبد الملك وذلك عشية الخميس * قال هشام فحدثني عوانة ان عمرو بن سعيد خرج في الخيل متقلدا قوسا سوداء وأقبل حتى أوطأ فرسه أطناب سرادق عبد الملك فانقطعت الأطناب وسقط السرادق ونزل عمرو فجلس وعبد الملك مغضب فقال لعمرو يا أبا أمية كأنك تشبه بتقلدك هذه القوس بهذا الحي من قيس قال لا ولكني أتشبه بمن هو خير منهم العاص بن أمية ثم قام مغضبا والخيل معه حتى دخل دمشق ودخل عبد الملك دمشق يوم الخميس فبعث الى عمرو أن أعط الناس أرزاقهم فأرسل اليه عمرو ان هذا ليس لك ببلد فاشخص عنه فلما كان يوم الاثنين وذلك بعد دخول عبد الملك دمشق بأربع بعث الى عمرو أن ائتني وهو عند امرأته الكلبية وقد كان عبد

وانتفض عبد الملك رعدة وكذلك الرجل زعموا يصيبه اذا قتل ذا قرابة له فحمل عبد الملك عن صدره فوضع على سريره فقال ما رأيت مثل هذا قط قتله صاحب دنيا ولا طالب آخرة ودخل يحيى بن سعيد ومن معه على بنى مروان الدار فجرحوهم ومن كان معهم من مواليهم فقاتلوا يحيى وأصحابه وجاء عبد الرحمن بن أم الحكم الثقفى فدفع اليه الرأس فألقاه الى الناس وقام عبد العزيز بن مروان فأخذ المال فى البدور فجعل يلقيها الى الناس فلما نظر الناس الى الاموال ورأوا الرأس انتهبوا الاموال وتفرقوا وقد قيل ان عبد الملك بن مروان لما خرج الى الصلاة أمر غلامه أبا الزعيزعة بقتل عمرو فقتله وألقى رأسه الى الناس والى أصحابه (قال هشام) قال عوانة فحدثت ان عبد الملك أمر بتلك الاموال التى طرحت الى الناس فجبيت حتى عادت كلها الى بيت المال ورمى يحيى بن سعيد يومئذ فى رأسه بصخرة وأمر عبد الملك بسريره فأبرز الى المسجد وخرج فجلس عليه وفقد الوليد بن عبد الملك فجعل يقول ويحكم أين الوليد وأبيهم لئن كانوا قتلوه لقد أدركوا ثأرهم فأتاه ابراهيم بن عربى الكنانى فقال هذا الوليد عندى قد أصابته جراحة وليس عليه بأس فأتى عبد الملك بيحيى بن سعيد فأمر به أن يقتل فقام اليه عبد العزيز فقال جعلنى الله فداك يا أمير المؤمنين أتراك قاتلا بنى أمية فى يوم واحد فأمر بيحيى فحبس ثم أتى بعنبسة بن سعيد فأمر به أن يقتل فقام اليه عبد العزيز فقال أذكرك الله يا أمير المؤمنين فى استئصال بنى أمية وهلاكها فأمر بعنبسة فحبس ثم أتى بعامر بن الاسود الكلبى فضرب رأسه عبد الملك بقضيب خيزران كان معه ثم قال أتقاتلنى مع عمرو وتكون معه علىّ قال نعم لأن عمرا أكرمنى وأهنتنى وأدنانى وأقصيتنى وقربنى وأبعدتنى وأحسن الىّ وأسأت الىّ فكنت معه عليك فأمر به عبد الملك أن يقتل فقام عبد العزيز فقال أذكرك الله يا أمير المؤمنين فى خالى فوهبه له وأمر ببنى سعيد فحبسوا ومكث يحيى فى الحبس شهرا أو أكثر ثم ان عبد الملك صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم استشار الناس فى قتله فقام بعض خطباء الناس فقال يا أمير المؤمنين هل تلد الحية الا حية نرى والله أن تقتله فانه منافق عدو ثم قام عبد الله بن مسعدة الفزارى فقال يا أمير المؤمنين ان يحيى ابن عمك وقرابته ما قد علمت وقد صنعوا ما صنعوا وصنعت بهم ما قد صنعت ولست لهم بآمن ولا أرى لك قتلهم ولكن سيرهم الى عدوك فان هم قتلوا كنت قد كفيت أمرهم بيد غيرك وان هم سلموا ورجعوا رأيت فيهم رأيك فأخذ برأيه وأخرج آل سعيد فألحقهم بمصعب بن الزبير فلما قدموا عليه دخل عليه يحيى بن سعيد فقال له ابن الزبير انفلتّ وانحصّ الذنبُ فقال والله ان الذنب لبهلبه ثم ان عبد الملك بعث الى امرأة عمرو الكلبية ابعثى الىّ بالصلح الذى كنت كتبته لعمرو فقالت لرسوله ارجع اليه فأعلمه انى قد لففت ذلك الصلح معه فى أكفانه ليخاصمك به عند ربه وكان عمرو بن سعيد وعبد الملك يلتقيان فى النسب

جامعة فطرحها اليه ثم قال يا غلام قم فاجمعه فيها فقام الغلام فجمعه فيها فقال عمرو أذكرك الله يا أمير المؤمنين أن تخرجنى فيها على رؤس الناس فقال عبد الملك أمكراً أبا أمية عند الموت لاها الله اذاً ما كنا لنخرجك فى جامعة على رؤس الناس ولما نخرجها منك الا صعداً ثم اجتبذه اجتباذة أصاب فمه السرير فكسر ثنيته فقال عمرو أذكرك الله يا أمير المؤمنين أن يدعوك الى كسر عظم منى أن تركب ما هو أعظم من ذلك فقال له عبد الملك والله لو أعلم انك تبقى علىّ إن أبقى عليك وتصلح قريش لأطلقتك ولكن ما اجتمع رجلان قط فى بلدة على مثل ما نحن عليه الا أخرج أحدهما صاحبه فلما رأى عمرو ان ثنيته قد اندقت وعرف الذى يريد عبد الملك قال أغدراً يا ابن الزرقاء وقيل ان عبد الملك لما جذب عمراً فسقطت ثنيته جعل عمرو يمسها فقال عبد الملك له أرى ثنيتك قد وقعت منك موقعاً لا تطيب نفسك لى بعدها فأمر به فضرب عنقه ﴿رجع الحديث الى حديث عوانة﴾ وأذن المؤذن العصر فخرج عبد الملك يصلى بالناس وأمر عبد العزيز بن مروان أن يقتله فقام اليه عبد العزيز بالسيف فقال له عمرو أذكرك الله والرحم ان تلى أنت قتلى وليتول ذلك من هو أبعد رحما منك فألقى عبد العزيز السيف وجلس وصلى عبد الملك صلاة خفيفة ودخل وغلقت الابواب ورأى الناس عبد الملك حين خرج وليس عمرو معه فذكروا ذلك ليحيى بن سعيد فأقبل فى الناس حتى دخل بباب عبد الملك ومعه ألف عبد لعمرو وأناس بعد من أصحابه كثير فجعل من كان معه يصيحون أسمعنا صوتك يا أبا أمية وأقبل مع يحيى بن سعيد حميد بن حريث وزهير بن الابرد فكسروا باب المقصورة وضربوا الناس بالسيوف وضرب عبد لعمرو بن سعيد يقال له مصقلة الوليد بن عبد الملك ضربة على رأسه واحتمله ابراهيم بن عربى صاحب الديوان فأدخله بيت القراطيس ودخل عبد الملك حين صلى فوجد عمراً حيا فقال لعبد العزيز ما منعك من أن تقتله قال منعنى انه ناشدنى الله والرحم فرققت له فقال له عبد الملك أخزى الله أمك البوالة على عقبيها فانك لم تشبه غيرها وأم عبد الملك عائشة بنت معاوية بن المغيرة بن أبى العاص بن أمية وكانت أم عبد العزيز ليلى وذلك قول ابن الرقيات

ذاكَ ابنُ لَيلى عبدُ العزيزِ ببا + بِ اليونَ تغدو جفانُه رُذُما

ثم ان عبد الملك قال يا غلام ائتنى بالحربة فأتاه بالحربة فهزها ثم طعنه بها فلم تجز ثم ثنى فلم تجز فضرب بيده الى عضد عمرو فوجد مس الدرع فضحك ثم قال ودارع أيضاً يا أبا أمية ان كنت لمعداً يا غلام ائتنى بالصمصامة فأتاه بسيفه ثم أمر بعمرو فصرع وجلس على صدره فذبحه وهو يقول

يا عمرو إن لا تدع شتمى ومنقصتى * أضربْك حيثُ تقولُ الهامةُ اسقونى

مثل أبيك ولكنه نازع القوم ما في أيديهم فعطب * وكان الواقدي يقول انما كان في سنة ٦٩ بين عبد الملك بن مروان وعمرو بن سعيد الحصار وذلك أن عمرو بن سعيد تحصّن بدمشق فرجع عبد الملك اليه من بطنان حبيب فحاصره فيها وأما قتله اياه فانه كان في سنة ٧٠ ﴿وفي هذه السنة﴾ حكم محكّم من الخوارج بالخيف من منى فقتل عند الجمرة ذكر محمد بن عمران يحيى بن سعيد بن دينار حدثه عن أبيه قال رأيته عند الجمرة سلّ سيفه وكانوا جماعة فأمسك الله بأيديهم وبدرهم من بينهم فحكم فمال الناس عليه فقتلوه * وأقام الحج للناس في هذه السنة عبد الله بن الزبير وكان عامله فيها على المصرين الكوفة والبصرة أخوه مصعب بن الزبير وكان على قضاء الكوفة شريح وعلى قضاء البصرة هشام بن هبيرة وعلى خراسان عبد الله بن خازم

﴿ ثم دخلت سنة سبعين ﴾

ففي هذه السنة ثارت الروم واستجاشوا على من بالشام من المسلمين فصالح عبد الملك ملك الروم على أن يؤدي اليه في كل جمعة ألف دينار خوفا منه على المسلمين ﴿وفيها﴾ شخص فيما ذكر محمد بن عمر مصعب بن الزبير الى مكة فقدمها بأموال عظيمة فقسمها في قومه وغيرهم وقدم بدواب كثيرة وظهر وأثقال فارسل الى عبد الله بن صفوان وجبير بن شيبة وعبد الله بن مطيع مالا كثيرا ونحر بدنا كثيرة ﴿وحج﴾ بالناس في هذه السنة عبد الله بن الزبير وكان عماله على الأمصار في هذه السنة عماله في السنة التي قبلها على المعاون والقضاء

﴿ ثم دخلت سنة احدى وسبعين ﴾

﴿ذكر ما كان فيها من الاحداث﴾

فمن ذلك مسير عبد الملك بن مروان فيها الى العراق لحرب مصعب بن الزبير وكان عبد الملك فيما قيل لا يزال يقرب من مصعب حتى يبلغ بطنان حبيب ويخرج مصعب الى باجميرا ثم يهجم الشتاء فيرجع كل واحد منهما الى موضعه ثم يعودان فقال عدي بن زيد بن عدي بن الرقاع العاملي

لعمري لقد أصحرت خيلنا * بأكناف دجلة للمصعب
اذا ما منافق أهل العرا * ق عوتب ثمت لم يعتب
دلفنا إليه بذي تدرأ * قليل التفقد للغيب
يهزون كل طويل القنا * ة ملتئم النصل والثعلب
كأنّ وغاهم اذا ما عدوا * ضجيج قطا بلد مخصب
فقدّمنا واضح وجهه * كريم الضرائب والمنصب

الى أمية وكانت أم عمرو أم البنين ابنة الحكم بن أبي العاص عمة عبد الملك (قال هشام) فحدثنا عوانة ان الذى كان بين عبد الملك وعمرو كان شرا قديما وكان ابنا سعيد أمهما أم البنين وكان عبد الملك ومعاوية ابنى مروان فكانوا وهم غلمان لا يزالون يأتون أم مروان بن الحكم الكنانية يتحدثون عندها فكان ينطلق مع عبد الملك ومعاوية غلام لهم أسود وكانت أم مروان اذا أتوها هيأت لهم طعاما ثم تأتيهم به فتضع بين يدى كل رجل صحفة على حدة وكانت لا تزال تؤرش بين معاوية بن مروان ومحمد بن سعيد وبين عبد الملك وعمرو بن سعيد فيقتتلون ويتصارمون الحين لا يكلم بعضهم بعضا وكانت تقول ان لم يكن عند هذين عقل فعند هذين فكان ذلك دأبها كلما أتوها حتى أثبتت الشحناء فى صدورهم * وذكر ان عبد الله بن يزيد القسرى أبا خالد كان مع يحيى بن سعيد حيث دخل المسجد فكسر باب المقصورة فقاتل بنى مروان فلما قتل عمرو وأخرج رأسه الى الناس ركب عبد الله وأخوه خالد فلحقوا بالعراق فأقام مع ولد سعيد وهم مع مصعب حتى اجتمعت الجماعة على عبد الملك وقد كانت عين عبد الله بن يزيد فقئت يوم المرج وكان مع ابن الزبير يقاتل بنى أمية وأنه دخل على عبد الملك بعد الجماعة فقال كيف أنتم آل يزيد فقال عبد الله حربا حربا فقال عبد الملك ذلك بما قدمت أيديكم وما الله بظلام للعبيد (قال هشام) عن عوانة ان ولد عمرو بن سعيد دخلوا على عبد الملك بعد الجماعة وهم أربعة أمية وسعيد واسماعيل ومحمد فلما نظر اليهم عبد الملك قال لهم انكم أهل بيت لم تزالوا ترون لكم على جميع قومكم فضلا لم يجعله الله لكم وان الذى كان بينى وبين أبيكم لم يكن حديثا بل كان قديما فى انفس أوليكم على أولينا فى الجاهلية فأقطع بأمية بن عمرو وكان أكبرهم فلم يقدر أن يتكلم وكان أنبلهم وأعقلهم فقام سعيد بن عمرو وكان الأوسط فقال يا أمير المؤمنين ما تنعى علينا أمرا كان فى الجاهلية وقد جاء الله بالاسلام فهدم ذلك ووعد جنة وحذر نارا وأما الذى كان بينك وبين عمرو فان عمرا ابن عمك وأنت أعلم وما صنعت وقد وصل عمرو الى الله وكفى بالله حسيبا ولعمرى لئن أخذتنا بما كان بينك وبينه لبطن الأرض خير لنا من ظهرها فرق لهم عبد الملك رقة شديدة وقال ان اباكم خيرنى بين أن يقتلنى أو أقتله فاخترت قتله على قتلى وأما أنتم فما أرغبنى فيكم وأوصلنى لقرابتكم وأرعانى لحقكم فأحسن جائزتهم ووصلهم وقربهم * وذكر ان خالد بن يزيد بن معاوية قال لعبد الملك ذات يوم عجبت منك ومن عمرو بن سعيد كيف أصبت غرته فقتلته فقال عبد الملك

دانيته منى ليسكن روعه * فأصول صولة حازم مستمكن
غضبا ومحمية لدينى انه * ليس المسيء سبيله كالمحسن

قال عوانة لقى رجل سعيد بن عمرو بن سعيد بمكة فقال له ورب هذه البنية ما كان فى القوم

مثل

وأخبره بتفرّق الناس فلحق بعبد الملك * قال أبو زيد قال أبو الحسن حدثني شيخ من بني عنبر عن السّكن بن قتادة قال اقتتلوا أربعة وعشرين يوما وأصيبت عين مالك فضجر من الحرب ومشت السفراء بينهم يوسف بن عبد الله بن عثمان بن أبي العاص فصالحه على أن يخرج خالدا وهو آمن فأخرج خالدا من البصرة وخاف أن لا يجير المصعبُ أمان عبيد الله فلحق مالك بثأج فقال الفرزدق يذكر مالكا ولحوق الجهمية به وبخالد

عجبتُ لأقوام تميمٌ أبوهمُ * وهمْ في بني سعد عظام المبارك
وكانوا أعزّ الناس قبل مسيرهمْ * الى الأزْد مُصْفَرًّا لِخالدٍ ومالك
فما ظنّكمْ بابن الحواريّ مُصْعَبٍ * إذا افترّ عن أنيابه غيرَ ضاحك
ونحن نفينا مالكا عن بلاده * ونحن فقأنا عينَهُ بالنّيازك

قال أبو زيد قال أبو الحسن حدثني مسلمة أن المصعب لما انصرف عبد الملك الى دمشق لم يكن له همة إلا البصرة وطمع أن يدرك بها خالدا فوجده قد خرج وآمن ابن معمر الناس فأقام أكثرهم وخاف بعضهم مصعبا فشخص فغضب مصعب على ابن معمر وحلف أن لا يوليه وأرسل الى الجُهميّة فسبهم وأنبهم قال أبو زيد وزعم المدائني وغيره من رواة أهل البصرة أنه أرسل اليهم فأتي بهم فأقبل على عبيد الله بن أبي بكرة فقال يا ابن مسروح إنما أنت ابن كلبة تعاورها الكلاب فجاءت بأحمر وأسود وأصفر من كل كلب بما يشبهه وإنما كان أبوك عبدا نزل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم من حصن الطائف ثم أقمتم البينة تدعون أن أبا سفيان زنا بأمكم أما والله لئن بقيت لألحقنكم بنسبكم ثم دعا بحمران فقال يا ابن اليهودية إنما أنت علج نبطي سبيت من عين التمر ثم قال للحكم بن المنذر بن الجارود يا ابن الخبيث أتدري من أنت ومن الجارود إنما كان الجارود علجا بجزيرة ابن كاوان فارسيا فقطع الى ساحل البحر فانتمى الى عبد القيس ولا والله ما أعرف حيا أكثر اشتمالا على سوءة منهم ثم أنكح أخته المكعبر الفارسيّ فلم يصب شرفا قط أعظم منه فهؤلاء ولدها يا ابن قباذ ثم أتي بعبد الله بن فضالة الزهراني فقال ألست من أهل هجر ثم من أهل سماهيج أما والله لأردنك الى نسبك ثم أتي بعليّ بن أصمع فقال أعبد لبني تميم مرة وعربيّ من باهلة مرة ثم أتي بعبد العزيز بن بشر ابن حناط فقال يا ابن المشتور ألم تسرق عنزا في عهد عمر فأمر به فسير ليقطع أما والله ما أعنت الا من نكح أختك وكانت أختك تحت مقاتل بن مسمع ثم أتي بأبي حاضر الأسدي فقال يا ابن الإصطخرية ما أنت والأشراف وإنما أنت من أهل قطر دعيّ في بني أسد ليس لك فيهم فرع ولا نسب ثم أتي بزياد بن عمرو فقال يا ابن الكرماني إنما أنت علج من أهل كرمان قطعت الى فارس فصرت ملاحا مالك وللحرب لأنت بجر القلس أحذق ثم أتي بعبد الله بن عثمان بن أبي العاص فقال أعليّ تكثر وأنت علج من أهل هجر لحق أبوك بالطائف

أعِبنَ بِنَا ونُصِرْنا بهِ * ومن يَنْصُرِ اللهُ لم يُغلَبِ

حدثنى عمر بن شبة قال حدثنى على بن محمد قال أقبل عبد الملك من الشأم يريد مصعبا وذلك قبل هذه السنة في سنة ٧٠ ومعه خالد بن عبد الله بن خالد بن أسيد فقال خالد لعبد الملك إن وجّهتنى الى البصرة وأتبعتنى خيلا يسيرة رجوتُ ان أغلب لك عليها فوجهه عبد الملك فقدمها مستخفيا فى مواليه وخاصته حتى نزل على عمرو بن أصمع الباهلىّ قال عمر قال أبو الحسن قال مسلمة بن محارب أجار عمرو بن أصمع خالدا وأرسل الى عباد ابن الحصين وهو على شرطة ابن معمر وكان مصعب اذا شخص عن البصرة استخلف عليها عبيد الله بن عبيد الله بن معمر ورجا عمرو بن أصمع ان يبايعه عبّادُ بن الحصين بأنى قد أجرْتُ خالدا فأحببت ان تعلم ذلك لتكون لى ظهرا فوافاه رسوله حين نزل عن فرسه فقال له عباد قل له والله لا أضع لبدَ فرسى حتى آتيك فى الخيل فقال عمرو لخالد انى لا أغرّك هذا عباد يأتينا الساعة ولا والله ما أقدر على منعك ولكن عليك بمالك بن مسمع قال أبو زيد قال أبو الحسن ويقال انه نزل على علىّ بن أصمع فبلغ ذلك عبادا فأرسل اليه عباد انى سائر اليك

حدثنى عمر قال حدثنى على بن محمد عن مسلمة وعوانة ان خالدا خرج من عند ابن أصمع يركض عليه قميص قوهىّ رقيق قد حسر عن فخذيه وأخرج رجليه من الركابين حتى أتى مالكا فقال انى قد اضطررتُ اليك فأجرنى قال نعم وخرج هو وابنه وأرسل الى بكر ابن وائل والأزد فكانت أول راية أتته راية بنى يشكر وأقبل عباد فى الخيل فتواقفوا ولم يكن بينهم قتال فلما كان من الغد غدوا الى جفرة نافع بن الحارث التى نسبت بعدُ الى خالد ومع خالد رجال من بنى تميم قد أتوه منهم صعصعة بن معاوية وعبد العزيز بن بشر ومرة بن محكان فى عدد منهم وكان أصحاب خالد جفريّة ينسبون الى الجفرة وأصحاب ابن معمر زُبَيريّة فكان من الجفريّة عبيد الله بن أبى بكرة وحُمران والمغيرة بن المهلب ومن الزبيريّة قيس بن الهيثم السلمىّ وكان يستأجر الرجال يقاتلون معه فتقاضاه رجل اجرةً فقال غدا أعطيكها فقال غطفان بن أنيف أحد بنى كعب بن عمرو

لبِئس ما حكَمتَ ياجلاجِلُ * النَقْدُ دَيْنٌ والطعانُ عاجلْ
وأنتَ بالباب سمير آجلُ

وكان قيس يعلّق فى عنق فرسه جلاجل وكان على خيل بنى حنظلة عمرو بن وَبَرة القحيفى وكان له عبيد يؤاجرهم بثلاثين ثلاثين كلّ يوم فيعطيهم عشرةً عشرة فقيل له

لبئس ما حكمت يا ابنَ وَبَرهْ * تعطى ثلاثين وتُعطِى عشرَهْ

ووجه المصعب زَحْر بن قيس الجعفىّ مددا لابن معمر فى ألف ووجه عبدُ الملك عبيد الله ابن زياد بن ظَبيان مددا لخالد فكره ان يدخل البصرة وأرسل مطر بن التوأم فرجع اليه

فاخبره

أمدهم بالجيوش خشية على الناس ان أصيب فى لقائه مصعبا لم يكن وراءه ملك فقالوا يا أمير المؤمنين لو أقمت مكانك وبعثت على هؤلاء الجيوش رجلا من أهل بيتك ثم سرحته الى مصعب فقال عبد الملك إنه لا يقوم بهذا الأمر الا قرشى له رأى ولعلى أبعث من له شجاعة ولا رأى له وإنى أجد فى نفسى أنى بصير بالحرب شجاع بالسيف ان ألجئت الى ذلك ومصعب فى بيت شجاعة أبوه أشجع قريش وهو شجاع ولا علم له بالحرب يحب الخفض ومعه من يخالفه ومعى من ينصح لى فسار عبد الملك حتى نزل مسكن وسار مصعب الى باجميرا وكتب عبد الملك الى شيعته من أهل العراق فأقبل ابراهيم بن الأشتر بكتاب عبد الملك مختوما لم يقرأه فدفعه الى مصعب فقال ما فيه فقال ما قرأته فقرأه مصعب فإذا هو يدعوه الى نفسه ويجعل له ولاية العراق فقال لمصعب إنه والله ما كان من أحد آيس منه منى ولقد كتب الى أصحابك كلهم بمثل الذى كتب الىّ فأطعنى فيهم فاضرب أعناقهم قال اذا لا تناصحنا عشائرهم قال فأوقرهم حديدا وابعث بهم الى أبيض كسرى فاحبسهم هنالك ووكل بهم من إن غلبت ضرب أعناقهم وان غلبت مننت بهم على عشائرهم فقال يا أبا النعمان إنى لفى شغل عن ذلك يرحم الله أبا بحر إن كان ليحذرنى غدر أهل العراق كأنه كان ينظر الى ما نحن فيه ❊ حدثنى عمر قال حدثنا محمد بن سلام عن عبد القاهر بن السرى قال هم أهل العراق بالغدر بمصعب فقال قيس بن الهيثم ويحكم لا تدخلوا أهل الشأم عليكم فوالله لئن تطعموا بعيشكم ليضيقن عليكم منازلكم والله لقد رأيت سيد أهل الشأم على باب الخليفة يفرح إن أرسله فى حاجة ولقد رأيتنا فى الصوائف وأحدنا على ألف بعير وإن الرجل من وجوههم ليغزو على فرسه وزاده خلفه قال ولما تدانى العسكران بدير الجاثليق من مسكن تقدم ابراهيم بن الأشتر فحمل على محمد بن مروان فأزاله عن موضعه فوجه عبد الملك بن مروان عبد الله بن يزيد بن معاوية فقرب من محمد بن مروان والتقى القوم فقتل مسلم بن عمرو الباهلى وقتل يحيى بن مبشر أحد بنى ثعلبة بن يربوع وقتل ابراهيم بن الأشتر فهرب عتاب بن ورقاء وكان على الخيل مع مصعب فقال مصعب لقطن بن عبد الله الحارثى أبا عثمان قدّم خيلك قال ما أرى ذلك قال ولم قال أكره ان تقتل مذحج فى غير شىء فقال لحجار بن أبجر أبا أسيد قدم رايتك قال الى هذه العذرة قال ما تتأخر اليه والله أنتن وألأم فقال لمحمد بن عبد الرحمن بن سعيد بن قيس مثل ذلك فقال ما أرى أحدا فعل ذلك فأفعله فقال مصعب يا ابراهيم ولا ابراهيم لى اليوم ❊ حدثنى أبو زيد قال حدثنى محمد بن سلام قال أخبرنى شيخ من أهل ... قال أخبرنا ابن حازم بمسير مصعب الى عبد الملك فقال أمعه عمر بن عبيد الله بن معمر قيل لا استعمله على فارس قال أفمعه المهلب بن أبى صفرة قيل لا استعمله على الموصل قال أفمعه عباد بن الحصين قيل لا استخلفه على البصرة فقال وأنا بخراسان

وهم يضمون من تأشب اليهم يتعززون به أما والله لأردنك الى أصلك ثم أتى بشير بن النعمان فقال يا ابن الخبيث انما أنت علج من أهل زندورد هربت أمك وقتل أبوك فتزوج أحته رجل من بني يشكر فجاءت بغلامين فألحقاك بنسبهما ثم ضربهم مائة مائة وحلق رؤسهم ولحاهم وهدم دورهم وصهرهم في الشمس ثلاثا وحلفهم على طلاق نسائهم وجمر أولادهم في البعوث وطاف بهم في أقطار البصرة وأحلفهم ان لا ينكحوا الحرائر وبعث مصعب خداش ابن يزيد الاسدى فى طلب من هرب من أصحاب خالد فأدرك مرة بن محكان فأخذه فقال مرة ،

بنى أسدٍ إن تقتلونى تحاربوا * تميما اذا الحرب العوانُ اشمعلّتِ

بنى أسدٍ هلْ فيكم من هوادةٍ * فتعفون إنْ كانتْ بيَ النعلُ زلّتِ

فلا تحسبِ الأعداءُ إذ غبتُ عنهمُ * وأوريتُ معْنًا أنَّ حربيَ كلّتِ

تمشى خداشُ فى الأسكة آمنا * وقد نهلتْ منى الرماحُ وعلّتِ

فقربه خداش فقتله وكان خداش على شرطة مصعب يومئذ وأمر مصعب سنان بن ذهل أحد بنى عمرو بن مرثد بدار مالك بن مسمع فهدمها وأخذ مصعب ما كان فى دار مالك فكان فيما أخذ جارية ولدت له عمر بن مصعب قال وأقام مصعب بالبصرة حتى شخص الى الكوفة ثم لم يزل بالكوفة حتى خرج لحرب عبد الملك ونزل عبد الملك مسكن وكتب عبد الملك الى المروانية من أهل العراق فأجابه كلهم وشرط عليه ولاية اصبهان فأنعم بها لهم كلهم منهم حجار بن أبجر والغضبان بن القبعثرى وعتاب بن ورقاء وقطن بن عبد الله الحارثى ومحمد ابن عبد الرحمن بن سعيد بن قيس وزحر بن قيس ومحمد بن عمير وعلى مقدمته محمد بن مروان وعلى ميمنته عبد الله بن يزيد بن معاوية وعلى ميسرته خالد بن يزيد وسار اليه مصعب وقد خذله أهل الكوفة قال عروة بن المغيرة بن شعبة فخرج يسير متكئا على معرفة دابته ثم تصفح الناس يمينا وشمالا فوقعت عينه على فقال يا عروة الى فدنوت منه فقال أخبرنى عن الحسين بن على كيف صنع بإبائه النزول على حكم ابن زياد وعزمه على الحرب فقال

إنّ الألى بالطفّ من آل هاشمٍ * تأسّوا فسنّوا للكرام التأسّيا

قال فعلمت انه لا يريم حتى يقتل وكان عبد الملك فيما ذكر محمد بن عمر عن عبد الله بن محمد ابن عبد الله بن أبى فرة عن اسحاق بن عبد الله بن أبى فروة عن رجاء بن حيوة قال لما قتل عمرو بن سعيد وضع السيف فقتل من خالفه فلما أجمع بالمسير الى مصعب وقد صفت له الشأم وأهلها خطب الناس وأمرهم بالتهيّؤ الى مصعب فاختلف عليه رؤساء أهل الشأم من غير خلاف لما يريده ولكنهم أحبوا ان يقيم ويقدم الجيوش فإن ظفر وافذاك وإن لم يظفروا

امدهم

فقتله فبعث مصعب مُكرَم بن مطرّف في طلب ابن ظبيان فسار حتى بلغ عسكر مكرم فنسب اليه ولم يلق ابن ظبيان ولحق ابن ظبيان بعبد الملك لما قتل أخوه فقال البعيث اليشكري بعد قتل مصعب يذكر ذلك

ولما رأينا الأمرَ نكسًا صُدورُهُ * وهمّ أهل وادي أنْ تكونَ تواليا
صَبَرْنا لأمر الله حتى يُقيمهُ * ولم نَرْضَ الا منْ أميّةَ واليا
ونحن قتلنا مُصْعَبًا وابن مُصْعَبٍ * أخا أسدٍ والمذحجيَّ اليمانيا
ومرت عُقابُ الموت منّا بمسلم * فأهوَتْ له بابًا فأصبح ثاويا
سَقينا ابن سيدانٍ بكأسٍ رَوِيّةٍ * كَفَتْنا وخيرُ الأمر ما كان كافيا

حدثني أبو زيد قال حدثني علي بن محمد قال مر ابن ظبيان بابنة مطرف بالبصرة فقيل لها هذا قاتل أبيك فقالت في سبيل الله أبي فقال ابن ظبيان

فلا في سبيل الله لاقى حِمامَهُ * أبوكِ ولكن في سبيل الدراهم

فلما قتل مصعب دعا عبد الملك بن مروان أهل العراق الى البيعة فبايعوه وكان مصعب قتل على نهر يقال له الدُّجيل عند دير الجاثليق فلما قتل أمر به عبد الملك وبابنه عيسى فدفنا ذكر الواقدي عن عثمان بن محمد عن أبي بكر بن عمر عن عروة قال قال عبد الملك حين قتل مصعب واروه فقد والله كانت الحرمة بيننا وبينه قديمة ولكن هذا الملك عقيم قال أبو زيد وحدثني أبو نعيم قال حدثني عبد الله بن الزبير أبو أبي أحمد عن عبد الله بن شريك العامري قال إني لواقف الى جنب مصعب بن الزبير فأخرجت له كتابا من قبائي فقلت له هذا كتاب عبد الملك فقال ما شئت قال ثم جاء رجل من أهل الشأم فدخل عسكره فأخرج جارية فصاح واذلاه فنظر اليها مصعب ثم أعرض عنها قال وأتى عبد الملك برأس مصعب فنظر اليه فقال متى تلد قريش مثلك وكانا يتحدثان الى حُبّى وهما بالمدينة فقيل لها قتل مصعب فقالت تعس قاتله قيل قتله عبد الملك بن مروان قالت بأبي القاتل والمقتول * قال ودخل عبد الملك بعد ذلك فدخلت عليه حبى فقالت أقتلت أخاك مصعبا فقال

من يذُقِ الحربَ يجدْ طعمها * مرًّا وتتركهُ بجعجاع

وقال ابن قيس الرُّقيّات

لقد أورث المصرَين خزيًا وذلة * قتيلٌ بدَيرِ الجاثليقِ مقيمُ
فما نصحتْ لله بكرُ بنُ وائلٍ * ولا صَبَرتْ عند اللقاء تميمُ
ولو كان بكريًّا تعطّفَ حوله * كتائبُ يغلي حَمْيُها ويدومُ
ولكنه ضاع الذمامُ ولمْ يكنْ * بها مُضريٌّ يومَ ذاك كريمُ

خُذِيني فَجُرِّي جَعَارِ وأَبْشِرِي * بِلَحْمِ امرِئٍ لم يَشْهَدِ اليَوْمَ ناصِرُهْ

فقال مصعب لابنه عيسى بن مصعب يا بنيّ اركب أنت ومن معك الى عمك بمكة فأخبره ما صنع أهل العراق ودعني فإني مقتول فقال ابنه والله لا أخبر قريشا عنك أبدا ولكن إن أردت ذلك فالحق بالبصرة فهم على الجماعة أو الحق بأمير المؤمنين قال مصعب والله لا تتحدث قريش أني فررت بما صنعت ربيعة من خذلانها حتى أدخل الحرم منهزما ولكن أقاتل فإن قتلت فلعمري ما السيف بعار وما الفرار لي بعادة ولا خلق ولكن إن أردت ان ترجع فارجع فقاتل فرجع فقاتل حتى قتل * قال عليّ بن محمد عن يحيى بن اسماعيل بن أبي المهاجر عن أبيه ان عبد الملك أرسل الى مصعب مع أخيه محمد بن مروان إن ابن عمك يعطيك الأمان فقال مصعب إن مثلي لا ينصرف عن مثل هذا الموقف الا غالبا أو مغلوبا وقال الهيثم ابن عديّ حدثنا عبد الله بن عياش عن أبيه قال إنا لوقوف مع عبد الملك بن مروان وهو يحارب مصعبا اذ دنا منه زياد بن عمرو فقال يا أمير المؤمنين ان اسماعيل بن طلحة كان لي جارَ صدقٍ قلما أرادني مصعب بسوء الا دفعه عني فإن رأيت ان تؤمنه على جرمه قال هو آمن فمضى زياد وكان ضخما على ضخم حتى صار بين الصفين فصاح أين أبو البختري اسماعيل بن طلحة فخرج اليه فقال اني أريد ان أذكر لك شيأ فدنا حتى اختلفت أعناق دوابّهما وكان الناس ينتطقون بالحواشي المحشوّة فوضع زياد يده في منطقة اسماعيل ثم اقتلعه عن سرجه وكان نحيفا فقال أنشدك الله يا أبا المغيرة فإن هذا ليس بالوفاء لمصعب فقال هذا أحبّ اليّ من ان أراك غدا مقتولا ولما أبي مصعب قبول الأمان نادى محمد بن مروان عيسى بن مصعب وقال له يا ابن أخي لا تقتل نفسك لك الأمان فقال له مصعب قد آمنك عمك فامض اليه قال لا تتحدث نساء قريش اني أسلمتك للقتل قال فتقدّم بين يديّ أحتسبك فقاتل بين يديه حتى قتل وأثخن مصعب بالرمي ونظر اليه زائدة بن قدامة فشد عليه فطعنه وقال يا لثارات المختار فصرعه ونزل اليه عبيد الله بن زياد بن ظبيان فاحتز رأسه وقال إنه قتل أخي النابئ بن زياد فأتى به عبد الملك بن مروان فأثابه ألف دينار فأبى ان يأخذها وقال إني لم أقتله على طاعتك انما قتلته على وتر صنعه بي ولا آخذ في حمل رأس مالا فتركه عند عبد الملك وكان الوتر الذي ذكره عبيد الله بن زياد بن ظبيان انه قتل عليه مصعبا ان مصعبا كان ولى في بعض ولايته شرطه مطرف بن سيدان الباهليّ ثم أحد بني جاوة فحدثني عمر بن شبة قال حدثني أبو الحسن المدائنيّ ومخلد بن يحيى بن حاضر ان مطرّفا أتى بالنابئ بن زياد ابن ظبيان ورجل من بني نمير قد قطعا الطريق فقتل النابئ وضرب النميريّ بالسياط فتركه فجمع له عبيد الله بن زياد بن ظبيان جمعا بعد ان عزله مصعب عن البصرة وولاه الأهواز فخرج يريده فالتقيا فتواقفا وبينهما نهر فعبر مطرف اليه النهر وعاجله ابن ظبيان فطعنه

فقتله

قال فتركني عبد الملك ثم أقبل على الجيل فقال من هو قال لا أدرى فقلت من خلفه ذو الإصبع قال فأقبل على الجيل فقال ولم سمى ذا الإصبع فقال لا أدرى فقلت من خلفه لان حية عضت اصبعه فقطعتها فأقبل على الجيل فقال ما كان اسمه فقال لا أدرى فقلت من خلفه حرثان بن الحارث فأقبل على الجيل فقال من أيكم كان قال لا أدرى فقلت من خلفه من بنى ناج فقال

أبعد بنى ناج وسعيك بينهم * فلا تتبعن عينيك ما كان هالكا
اذا قلت معروفا لأصلح بينهم * يقول وهيب لا أصالح ذلكا
فأضحى كظهر العير جب سنامه * تطيف به الولدان أحدب باركا

ثم أقبل على الجيل فقال كم عطاؤك قال سبعمائة فقال لى فى كم أنت قلت في ثلثمائة فأقبل على الكاتبين فقال حطا من عطاء هذا أربعمائة وزيداها في عطاء هذا فرجعت وأنا فى سبعمائة وهو فى ثلثمائة ثم جاءت كندة فنظر الى عبد الله بن اسحاق بن الأشعث فأوصى به بشرا أخاه وقال اجعله فى صحابتك وأقبل داود بن قحذم فى مائتين من بكر بن وائل عليهم الاقبية الداودية وبه سميت فجلس مع عبد الملك على سريره فأقبل عليه عبد الملك ثم نهض ونهضوا معه فأتبعهم عبد الملك بصره فقال هؤلاء الفساق والله لولا ان صاحبهم جاءنى ما أعطانى أحد منهم طاعة ثم انه ولى فيما قيل قطن بن عبد الله الحارثى الكوفة أربعين يوما ثم عزله وولى بشر بن مروان وصعد منبر الكوفة فخطب فقال ان عبد الله بن الزبير لو كان خليفة كما يزعم لخرج فآسى بنفسه ولم يغرز ذنبه فى الحرم ثم قال انى قد استعملت عليكم بشر بن مروان وأمرته بالاحسان الى أهل الطاعة والشدة على أهل المعصية فاسمعوا له وأطيعوا واستعمل محمد بن عمير على همدان ويزيد بن رويم على الرى وفرق العمال ولم يف لأحد شرط عليه ولاية اصبهان ثم قال على هؤلاء الفساق الذين أنغلوا الشام وأفسدوا العراق فقيل قد أجارهم رؤساء عشائرهم فقال وهل يجير على أحد وكان عبد الله بن يزيد بن أسد لجأ الى على بن عبد الله بن عباس ولجأ اليه أيضا يحيى بن معيوف الهمدانى ولجأ الهذيل بن زفر بن الحارث وعمرو بن زيد الحكمى الى خالد بن يزيد بن معاويه فآمنهم عبد الملك فظهروا ﴿قال أبو جعفر﴾ وفى هذه السنة تنازع الرياسة بالبصرة عبيد الله بن أبى بكرة وحمران بن أبان ❊ فحدثنى عمر بن شبة قال حدثنى على بن محمد قال لما قتل المصعب وثب حمران بن أبان وعبيد الله بن أبى بكرة فتنازعا فى ولاية البصرة فقال ابن أبى بكرة أنا أعظم غناء منك أنا كنت أنفق على أصحاب خالد يوم الجفرة فقيل لحمران انك لا تقوى على ابن أبى بكرة فاستعن بعبد الله بن الأهتم فانه ان أعانك لم يقو عليك ابن أبى بكرة ففعل وغلب حمران على البصرة وابن الأهتم على شرطها

جزى الله كوفيًّا هناك ملامةً * وبصريّهم إنّ المليم مُليمُ
وانّ بنى العلّات أحلوا ظهورنا * ونحن صريحٌ بينهم وصميمُ
فإن نفن لا يبقوا أولئك بعدنا * لذى حرمةٍ فى المسلمين حريمُ

﴿قال أبو جعفر﴾ وقد قيل ان ما ذكرتُ من مقتل مصعب والحرب التى جرت بينه وبين عبد الملك كانت فى سنة ٧٢ وأن أمر خالد بن عبد الله بن خالد بن أسيد ومصيره الى البصرة من قبل عبد الملك كان فى سنة ٧١ وقتل مصعب فى جمادى الآخرة ﴿وفى هذه السنة﴾ دخل عبد الملك بن مروان الكوفة وفرق أعمال العراق والمصرين الكوفة والبصرة على عماله فى قول الواقدىّ وأما أبو الحسن فانه ذكر أن ذلك فى سنة ٧٢ ﴿وحدثنى﴾ عمر قال حدثنى علىّ بن محمد قال قتل مصعب يوم الثلاثاء لثلاث عشرة خلت من جمادى الأولى أو الآخرة سنة ٧٢ ولما أتى عبد الملك الكوفة فيما ذكر نزل النخيلة ثم دعا الناس الى البيعة فجاءت قضاعة فرأى قلّةً فقال يا معشر قضاعة كيف سلمتم من مضر مع قلتكم فقال عبد الله بن يعلى النهدى نحن أعزّ منهم وأمنع قال بمن قال بمن معك منا يا أمير المؤمنين ثم جاءت مذحج وهمدان فقال ما أرى لأحد مع هؤلاء بالكوفة شيأ ثم جاءت جُعفِىٌّ فلما نظر اليهم عبد الملك قال يا معشر جعفىّ اشتملتم على ابن اختكم وواريتموه يعنى يحيى بن سعيد بن العاص قالوا نعم قال فهاتوه قالوا وهو آمنٌ قال وتشترطون أيضا فقال رجل منهم إنا والله ما نشترط جهلا بحقك ولكنا نتسحب عليك تسحب الولد على والده فقال أما والله لنعم الحى أنتم ان كنتم لفرسانا فى الجاهلية والاسلام هو آمن فجاؤابه وكان يكنى أبا أيوب فلما نظر اليه عبد الملك قال أبا قبيح بأىّ وجه تنظر الى ربك وقد خلعتنى قال بالوجه الذى خلقه فبايع ثم ولى فنظر عبد الملك فى قفاه فقال لله درّه أىّ ابن زوملةَ هو يعنى غريبة وقال علىّ بن محمد حدثنى القاسم بن معن وغيره ان معبد بن خالد الجدلىّ قال ثم تقدمنا اليه معشر عدْوان قال فقدّمنا رجلا وسيما جميلا وتأخرتُ وكان معبد دميما فقال عبد الملك من فقال الكاتب عدوانُ فقال عبد الملك

عذيرَ الحىِّ من عدْوا * نَ كانوا حيّةَ الأرض
بغى بعضهُمْ بعضًا * فلم يرعوا على بعض
ومنهم كانت السادا * تُ والموفونُ بالقرض

ثم أقبل على الجميل فقال إيه فقال لا أدرى فقلتُ من خلفه

ومنهم حكَمٌ يقضى * فلا يُنقضُ ما يقضى
ومنهم من يُجيزُ الحجّ * بالسنّة والفرْض
وهُمْ مُذْ وُلدوا شبّوا * بسِرِّ النسب المحض

قال

معه ثم قال أيّ الطعام أكلت أحبّ اليك وأشهى عندك قال عناق حمراء قد أجيد تمليحها وأحكم نضجها قال ما صنعت شيأ فأين أنت من عمروس راضع قد أجيد سمطه وأحكم نضجه اختلجت اليك رجله فأتبعتها يده غذى بشريجين من لبن وسمن ثم جاءت الموائد فأكلوا فقال عبد الملك بن مروان ما ألذ عيشنا لو أن شيأ يدوم ولكنا كما قال الأول

وكلّ جديدٍ يا أميم الى بلى * وكلّ امرئٍ يومًا يصير الى كانْ

فلما فرغ من الطعام طاف عبد الملك في القصر يقول لعمرو بن حريث لمن هذا البيت ومن بنى هذا البيت وعمرو يخبره فقال عبد الملك

وكل جديد يا أميم الى بلى * وكل امرئ يوما يصير الى كان

ثم أتى مجلسه فاستلقى وقال

اعمل على مهلٍ فانك ميّتٌ * واكدح لنفسك أيها الانسانْ

فكأنّ ما قد كان لم يكُ اذ مضى * وكأنّ ما هو كائنٌ قد كانْ

﴿وفي هذه السنة﴾ افتتح عبد الملك في قول الواقدي قيسارية

﴿ ثم دخلت سنة اثنتين وسبعين ﴾

﴿ ذكر الخبر عما كان فيها من الاحداث الجليلة ﴾

﴿قال أبو جعفر﴾ فمن ذلك ما كان من أمر الخوارج وأمر المهلب بن أبي صفرة وعبد العزيز بن عبد الله بن خالد بن أسيد ﴿ذكر هشام بن محمد﴾ عن أبي مخنف ان حصيرة بن عبد الله وأبا زهير العبسي حدثاه ان الازارقة والمهلب بعد ما اقتتلوا بسولاف ثمانية أشهر أشد القتال أتاهم ان مصعب بن الزبير قد قتل فبلغ ذلك الخوارج قبل أن يبلغ المهلب وأصحابه فناداهم الخوارج الا تخبرونا ما قولكم في مصعب قالوا امام هدى قالوا فهو وليكم في الدنيا والآخرة قالوا نعم قالوا وأنتم أولياؤه أحياء وأمواتا قالوا ونحن أولياؤه أحياء وأمواتا قالوا فما قولكم في عبد الملك بن مروان قالوا ذلك ابن اللعين نحن الى الله منه برآء هو عندنا أحل دما منكم قالوا فأنتم منه براء في الدنيا والآخرة قالوا نعم كبراءتنا منكم قالوا وأنتم له أعداء أحياء وأمواتا قالوا نعم نحن له أعداء كعداوتنا لكم قالوا فان امامكم مصعبا قد قتله عبد الملك بن مروان ونراكم ستجعلون غدا عبد الملك امامكم وأنتم الآن تتبرؤن منه وتلعنون أباه قالوا كذبتم يا أعداء الله فلما كان من الغد تبين لهم قتل مصعب فبايع المهلب الناس لعبد الملك ابن مروان فأتتهم الخوارج فقالوا ما تقولون في مصعب قالوا يا أعداء الله لا نخبركم ما قولنا فيه وكرهوا أن يكذبوا أنفسهم عندهم قالوا فقد أخبرتمونا أمس أنه وليكم في الدنيا والآخرة وأنكم أولياؤه أحياء وأمواتا فأخبرونا ما قولكم في عبد الملك قالوا ذاك امامنا وخليفتنا ولم يجدوا اذ بايعوه بدا من أن يقولوا هذا القول قالت لهم الأزارقة يا أعداء الله أنتم أمس تتبرؤن

وكان لحمران منزلة عند بني أمية ❁ حدثني أبو زيد قال حدثني أبو عاصم النَّبيل قال أخبرني رجل قال قدم شيخ اعرابي فرأى حمران فقال من هذا فقالوا حمران فقال لقد رأيت هذا وقد مال رداؤه عن عاتقه فابتدره مروان وسعيد بن العاص أيهما يسوّيه قال أبو زيد قال أبو عاصم فحدثت بذلك رجلا من ولد عبد الله بن عامر فقال حدثني أبي ان حمران مد رجله فابتدر معاوية وعبد الله بن عامر أيهما يغمزها ﴿ وفي هذه السنة ﴾ بعث عبد الملك خالد ابن عبد الله على البصرة واليا ❁ حدثني عمر قال حدثني عليّ بن محمد قال مكث حمران على البصرة يسيرا وخرج ابن أبي بكرة حتى قدم على عبد الملك الكوفة بعد مقتل مصعب فولى عبد الملك خالد بن عبد الله بن خالد بن أسيد على البصرة وأعمالها فوجّه خالدٌ عبيد الله ابن أبي بكرة خليفته على البصرة فلما قدم على حمران قال أقَدْ جئتَ لا جئتَ فكان ابن أبي بكرة على البصرة حتى قدم خالد ﴿ وفي هذه السنة ﴾ رجع عبد الملك فيما زعم الواقدي الى الشأم * قال وفيها نزع ابن الزبير جابر بن الاسود بن عوف عن المدينة واستعمل عليها طلحة ابن عبد الله بن عوف قال وهو آخر والٍ لابن الزبير على المدينة حتى قدم عليها طارق بن عمرو مولى عثمان فهرب طلحة وأقام طارق بالمدينة حتى كتب اليه عبد الملك ﴿ وحج ﴾ بالناس في هذه السنة عبد الله بن الزبير في قول الواقدي وذكر أبو زيد عن أبي غسان محمد ابن يحيى قال حدثني مصعب بن عثمان قال لما انتهى الى عبد الله بن الزبير قتلُ مصعب قام في الناس فقال الحمد لله الذي له الخلق والأمر يؤتي الملك من يشاء وينزع الملك ممن يشاء ويعزّ من يشاء ويذلّ من يشاء ألا وانه لم يُذلل الله من كان الحق معه وان كان فردا ولم يُعزز من كان وليه الشيطان وحزبُه وان كان معه الأنام طرّا ألا وانه قد أتانا من العراق خبرٌ حزننا وأفرحنا أتانا قتل مصعب رحمة الله عليه فأما الذي أفرحنا فعلْمُنا انّ قتله له شهادةٌ وأما الذي حزننا فانّ لفراق الحميم لوعةً يجدها حميمُه عند المصيبة ثم يرعَوِي من بعدها ذو الرأي الى جميل الصبر وكريم العزاء ولئن أُصِبتُ بمصعب لقد أُصِبتُ بالزبير قبله وما أنا من عثمان بخلو مصيبة وما مصعب الا عبد من عبيد الله وعونٌ من أعواني ألا إن أهل العراق أهل الغدر والنفاق أسلموه وباعوه بأقل الثمن فان يقتل فانا والله ما نموت على مضاجعنا كما تموت بنو أبي العاص والله ما قتل منهم رجل في زحف في الجاهلية ولا الاسلام وما نموت الا قعصا بالرماح وموتا تحت ظلال السيوف ألا انما الدنيا عاريَةٌ من الملك الأعلى الذي لا يزول سلطانه ولا يبيد ملكه فان تُقبِل لا آخذها أخذ الأشِر البَطِر وان تُدبِرْ لا أبْكِ عليها بكاء الخرق المهين أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم وذكر ان عبد الملك لما قتل مصعبا ودخل الكوفة أمر بطعام كثير فصُنِع وأمر به الى الخَوَرْنَق وأذن اذنا عاما فدخل الناس فأخذوا مجالسهم فدخل عمرو بن حُريث المخزومي فقال اليّ وعلى سريري فأجلسه

اليك المهلب لاخبرك خبر ما عاينته قال وما عاينت قال رأيت عبد العزيز برامهرمز مهزوما قال كذبت قال لا والله ما كذبت وما قلت لك الا الحق فان كنت كاذبا فاضرب عنقي وان كنت صادقا فأعطني أصلحك الله جبتك ومطرفك قال ويحك ما أيسر ما سألت ولقد رضيت مع الخطر العظيم ان كنت كاذبا بالخطر الصغير ان كنت صادقا فحبسه وأمر بالاحسان اليه حتى تبينت له هزيمة القوم فكتب الى عبد الملك أما بعد فاني أخبر أمير المؤمنين أكرمه الله أني بعثت عبد العزيز بن عبد الله في طلب الخوارج وأنهم لقوه بفارس فاقتتلوا قتالا شديدا فانهزم عبد العزيز لما انهزم عنه الناس وقتل مقاتل بن مسمع وقدم الفل الى الاهواز أحببت ان أعلم أمير المؤمنين ذلك ليأتيني رأيه وأمره أنزل عنده ان شاء الله والسلام عليك ورحمة الله فكتب اليه أما بعد فقد قدم رسولك في كتابك تعلمني فيه بعثتك أخاك على قتال الخوارج وبهزيمة من هزم وقتل من قتل وسألت رسولك عن مكان المهلب فحدثني أنه عامل لك على الاهواز فقبح الله رأيك حين تبعث أخاك اعرابيا من أهل مكة على القتال وتدع المهلب الى جنبك يجبي الخراج وهو الميمون النقيبة الحسن السياسة البصير بالحرب المقاسي لها ابنها وابن ابنائها انظر أن تنهض بالناس حتى تستقبلهم بالاهواز ومن وراء الاهواز وقد بعثت الى بشر أن يمدك بجيش من أهل الكوفة فاذا أنت لقيت عدوك فلا تعمل فيهم رأيا حتى تحضره المهلب وتستشيره فيه ان شاء الله والسلام عليك ورحمة الله فشق عليه أنه فيل رأيه في بعثه أخيه وترك المهلب وفي أنه لم يرض رأيه خالصا حتى قال أحضره المهلب واستشره فيه وكتب عبد الملك الى بشر بن مروان أما بعد فاني قد كتبت الى خالد بن عبد الله آمره بالنهوض الى الخوارج فسرح اليه خمسة آلاف رجل وابعث عليهم رجلا من قبلك ترضاه فاذا قضوا غزاتهم تلك صرفتهم الى الري فقاتلوا عدوهم وكانوا في مسالحهم وجبوا فيأهم حتى تأتي أيام عقبهم فنعقبهم ونبعث آخرين مكانهم فقطع على أهل الكوفة خمسة آلاف وبعث عليهم عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث وقال اذا قضيت غزاتك هذه فانصرف الى الري وكتب له عليها عهدا وخرج خالد بأهل البصرة حتى قدم الأهواز وجاء عبد الرحمن ابن محمد بعث أهل الكوفة حتى وافاهم بالأهواز وجاءت الأزارقة حتى دنوا من مدينة الأهواز ومن معسكر القوم وقال المهلب لخالد بن عبد الله اني أرى ههنا سفنا كثيرة فضمها اليك والله ما أظن القوم الا محرقيها فما لبث الا ساعة حتى ارتفعت خيل من خيلهم اليها فحرقتها وبعث خالد بن عبد الله على ميمنته المهلب وعلى ميسرته داود بن قحذم من بني قيس بن ثعلبة ومر المهلب على عبد الرحمن بن محمد ولم يخندق فقال له يا ابن أخي ما يمنعك من الخندق فقال والله لهم أهون علي من ضرطة الجمل قال فلا يهونوا عليك يا ابن أخي فانهم سباع العرب لا أبرح أو تضرب عليك خندقا ففعل وبلغ الخوارج قول عبد الرحمن

منه فى الدنيا والآخرة وتزعمون أنكم له أعداء أحياء وأمواتا وهو اليوم امامكم وخليفتكم وقد قتل امامكم الذى كنتم تولونه فأيهما المحق وأيهما المهتدى وأيهما الضال قالوا لهم يا أعداء الله رضينا بذلك اذ كان ولى أمورنا ونرضى بهذا كما رضينا بذلك قالوا لا والله ولكنكم اخوان الشياطين وأولياء الظالمين وعبيد الدنيا وبعث عبد الملك بن مروان بشر بن مروان على الكوفة وخالد بن عبد الله بن خالد بن أسيد على البصرة فلما قدم خالد أثبت المهلب على خراج الاهواز ومعونتها وبعث عامر بن مسمع على سابور ومقاتل بن مسمع على اردشير خره ومسمع بن مالك بن مسمع على فساودرابجرد والمغيرة بن المهلب على اصطخر ثم انه بعث الى مقاتل فبعثه على جيش وألحقه بأخيه عبد العزيز فخرج يطلب الأزارقة فانحطوا عليه من قبل كرمان حتى أتوا دارابجرد فسار نحوهم وبعث قطرى مع صالح بن مخراق تسعمائة فارس فأقبل يسير بهم حتى استقبل عبد العزيز وهو يسير بالناس ليلا يجرون على غير تعبية فهزم الناس ونزل مقاتل بن مسمع فقاتل حتى قتل وانهزم عبد العزيز بن عبد الله وأخذت امرأته ابنة المنذر بن الجارود فأقيمت فيمن يريد فبلغت مائة ألف وكانت جميلة فغار رجل من قومها كان من رؤس الخوارج يقال له أبو الحديد الشنى فقال تنحوا هكذا ما أرى هذه المشركة الا قد فتنتكم فضرب عنقها ثم زعموا أنه لحق بالبصرة فرآه آل منذر فقالوا والله ما ندرى أنحمدك أم نذمك فكان يقول ما فعلته الا غيرة وحمية وجاء عبد العزيز حتى انتهى الى رام هرمز وأتى المهلب فأخبر به فبعث اليه شيخا من أشياخ قومه كان أحد فرسانه فقال ائته فان كان منهزما فعزه وأخبره انه لم يفعل شيأ لم يفعله الناس قبله وأخبره أن الجنود تأتيه عاجلا ثم يعزه الله وينصره فأتاه ذلك الرجل فوجده نازلا فى نحو من ثلاثين رجلا كئيبا حزينا فسلم عليه الأزدى وأخبره انه رسول المهلب وبلغه ما أمره به وعرض عليه أن يذكر له ما كانت له من حاجة ثم انصرف الى المهلب فأخبره الخبر فقال له المهلب الحق الآن بخالد بالبصرة فأخبره الخبر فقال أنا آتيه أخبره أن أخاه هزم والله لا آتيه فقال المهلب لا والله لا يأتيه غيرك أنت الذى عاينته ورأيته وأنت كنت رسولى اليه قال هو اذا يهديك يا مهلب ان ذهب اليه العام ثم خرج قال المهلب اما أنت والله فانك لى آمن أما والله لو أنك مع غيرى ثم أرسلك على رجليك خرجت تشتد قال له وأقبل عليه كانك انما تمن علينا بحلمك فنحن والله نكافيك بل نزيد أما تعلم انا نعرض أنفسنا للقتل دونك ونحميك من عدوك ولو كنا والله مع من يجهل علينا ويبعثنا فى حاجاته على أرجلنا ثم احتاج الى قتالنا ونصرتنا جعلناه بيننا وبين عدونا ووقيناه بأنفسنا قال له المهلب صدقت صدقت ثم دعا فتى من الأزد كان معه فسرحه الى خالد يخبره خبر أخيه فأتاه الفتى الأزدى وحوله الناس وعليه جبة خضراء ومطرف أخضر فسلم عليه فرد عليه فقال ما جاء بك قال أصلحك الله أرسلنى

الأهواز وأمر أبي فديك فبعث أخاه أمية بن عبد الله على جند كثيف الى أبي فديك فهزمه أبو فديك وأخذ جارية له فاتخذها لنفسه وسار أمية على فرس له حتى دخل البصرة في ثلاثة أيام فكتب خالد الى عبد الملك بحاله وحال الأزارقة ﴿وفي هذه السنة﴾ وجّه عبد الملك الحجاج بن يوسف الى مكة لقتال عبد الله بن الزبير وكان السبب في توجيهه الحجاج اليه دون غيره فيما ذُكر ان عبد الملك لما أراد الرجوع الى الشأم قام اليه الحجاج بن يوسف فقال يا أمير المؤمنين إني رأيت في منامي أني أخذت عبد الله بن الزبير فسلخته فابعثني اليه وولِّني قتاله فبعثه في جيش كثيف من أهل الشأم فسار حتى قدم مكة وقد كتب اليهم عبد الملك بالأمان ان دخلوا في طاعته فحدثني الحارث قال حدثني محمد بن سعد قال أخبرنا محمد بن عمر قال حدثنا مصعب بن ثابت عن أبي الأسود عن عباد بن عبد الله بن الزبير قال بعث عبد الملك بن مروان حين قتل مصعب بن الزبير الحجاجَ بن يوسف الى ابن الزبير بمكة فخرج في ألفين من جند أهل الشأم في جمادى من سنة ٧٢ فلم يعرض للمدينة وسلك طريق العراق فنزل بالطائف فكان يبعث البعوث الى عرفة في الحل ويبعث ابن الزبير بعثا فيقتتلون هنالك فكل ذلك تُهزم خيل ابن الزبير وترجع خيلُ الحجاج بالظفر ثم كتب الحجاج الى عبد الملك يستأذنه في حصار ابن الزبير ودخول الحرم عليه ويخبره ان شوكته قد كلّت وتفرّق عنه عامة أصحابه ويسأله أن يُمدّه برجال فجاءه كتاب عبد الملك وكتب عبد الملك الى طارق بن عمرو يأمره أن يلحق بمن معه من الجند بالحجاج فسار في خمسة آلاف من أصحابه حتى لحق بالحجاج وكان قدوم الحجاج الطائف في شعبان سنة ٧٢ فلما دخل ذو القعدة رحل الحجاج من الطائف حتى نزل بئر ميمون وحصر ابن الزبير وحجّ الحجاج بالناس في هذه السنة وابن الزبير محصورٌ وكان قدوم طارق مكة لهلال ذي الحجة ولم يطف بالبيت ولم يصل اليه وهو محرم وكان يلبس السلاح ولا يقرب النساء ولا الطيب الى ان قُتل عبد الله بن الزبير ونحر ابن الزبير بدنا بمكة يوم النحر ولم يحج ذلك العام ولا أصحابه لأنهم لم يقفوا بعرفة * قال محمد بن عمر وحدثني سعيد بن مسلم بن بابك عن أبيه قال حججت في سنة ٧٢ فقدمنا مكة فدخلناها من أعلاها فنجد أصحاب الحجاج وطارق فيما بين الحجون الى بئر ميمون فطفنا بالبيت وبالصفا والمروة ثم حج بالناس الحجاج فرأيته واقفا بالهضبات من عرفة على فرس وعليه الدرع والمغفر ثم صدر فرأيته عدل الى بئر ميمون ولم يطف بالبيت وأصحابه متسلحون ورأيت الطعام عندهم كثيرا ورأيت العير تأتي من الشأم تحمل الطعام الكعك والسويق والدقيق فرأيت أصحابه مخاصيب ولقد ابتعنا من بعضهم كعكا بدرهم فكفانا الى ان بلغنا الجحفة وإنا لثلاثة نفر * قال محمد بن عمر حدثني مصعب بن ثابت عن نافع مولى بني أسد قال وكان عالما بفتنة ابن الزبير قال حُصر ابن الزبير ليلة هلال ذي القعدة

ابن محمد لهم أهون عليّ من ضرطة الجمل فقال شاعرهم

يا طالبَ الحق لا تُستهوَ بالأملِ * فإن من دون ما تهوى مدى الأجلِ
واعمل لربك واسأله مثوبتهُ * فإن تقواه فاعلم أفضل العمَلِ
واغزُ المحابيش في الماذيّ مُعلَمةً * كيما تُصبِّحَ غدْواً ضرطةَ الجملِ

وأقاموا نحواً من عشرين ليلة ثم إن خالداً زحف إليهم بالناس فرأوا أمراً هالهم من عدد الناس وعُدّتهم فأخذوا ينصارون واجترأ عليهم الناسُ وكرّت عليهم الخيل وزحف إليهم فانصرفوا كأنهم على حامية وهم مولون لا يرون لهم طاقة بقتال جماعة الناس وأتبعهم خالدُ ابن عبد الله داود بن قحذم في جيش من أهل البصرة وانصرف خالد إلى البصرة وانصرف عبد الرحمن بن محمد إلى الريّ وأقام المهلب بالأهواز وكتب خالد بن عبد الله إلى عبد الملك أما بعد فإني أخبر أمير المؤمنين أصلحه الله أني خرجت إلى الأزارقة الذين مرقوا من الدين وخرجوا من ولاية المسلمين فالتقينا بمدينة الأهواز فتناهضنا فاقتتلنا كأشدّ قتال كان في الناس ثم إن الله أنزل نصره على المؤمنين والمسلمين وضرب الله وجوه أعدائه فأتبعهم المسلمون يقتلونهم ولا يمنعون ولا يمتنعون وأفاء الله ما في عسكرهم على المسلمين ثم أتبعتهم داود بن قحذم والله إن شاء الله مهلكهم ومستأصلهم والسلام عليك فلما قدم هذا الكتاب على عبد الملك كتب عبد الملك إلى بشر بن مروان أما بعد فابعث من قبلك رجلاً شجاعاً بصيراً بالحرب في أربعة آلاف فارس فليسيروا إلى فارس في طلب المارقة فإن خالداً كتب إليّ يخبرني أنه قد بعث في طلبهم داود بن قحذم فمر صاحبك الذي تبعث أن لا يخالف داود بن قحذم إذا ما التقيا فإن اختلاف القوم بينهم عونٌ لعدوّهم عليهم والسلام عليك فبعث بشرُ بن مروان عتّاب بن ورقاء في أربعة آلاف فارس من أهل الكوفة فخرجوا حتى التقوا هم وداود بن قحذم بأرض فارس ثم اتبعوا القوم يطلبونهم حتى نفقت خيول عامتهم وأصابهم الجهد والجوع ورجع عامة ذينك الجيشين مُشاةً إلى الأهواز فقال ابن قيس الرُّقيات من بني مخزوم في هزيمة عبد العزيز وفراره عن امرأته

عبد العزيز فضحتَ جيشَك كلَّهم * وتركتهم صرعى بكل سبيلِ
من بين ذي عَطَش يجودُ بنفسه * وملحّبٍ بين الرجال قتيلِ
هلاّ صبَرْتَ مع الشهيد مُقاتلا * إذ رُحتَ منتكِثَ القُوى بأصيل
وتركتَ جيشك لا أمير عليهم * فارجِع بعارٍ في الحياة طويل
ونسيتَ عِرسك إذ تُقاد سبيّة * تُبكي العيون برنّة وعويل

﴿وفي هذه السنة﴾ كان خروج أبي فُديك الخارجيّ وهو من بني قيس بن ثعلبة فغلب على البحرين وقتل نجدة بن عامر الحنفي فاجتمع على خالد بن عبد الله نزولُ قطري

وقيد بحيرا وحبسه وبعث بكير بالرأس الى عبد الملك وكتب اليه يخبره انه هو الذى قتله فلما قدم بالرأس على عبد الملك دعا الغدانى رسول بحير وقال ما هذا قال لا أدرى وما فارقت القوم حتى قتل فقال رجل من بنى سليم

أَلَيْلَتَنَا بنيسابورَ رُدّى * علىَّ الصبحَ ويحكِ أو أنيرى
كواكبُها زواحفُ لاغباتٌ * كأنَّ سماءها بيدى مُدير
تلومُ على الحوادثِ أمُّ زيدٍ * وهل لكِ فى الحوادث من نكير
جهلن كرامتى وصددن عنّى * الى أجلٍ من الدنيا قصير
فلو شهد الفوارسُ من سليم * غداة يُطافُ بالأسد العقير
لنازلَ حولهُ قومٌ كرامٌ * فعزَّ الوترُ فى طلب الوتور
فقد بقيت كلابٌ نابحاتٌ * وما فى الارض بعدك من زئير

فولى الحجّ بالناس فى هذه السنة الحجاج بن يوسف وكان العامل على المدينة طارق مولى عثمان من قبل عبد الملك وعلى الكوفة بشر بن مروان وعلى قضائها عبيد الله بن عبد الله ابن عتبة بن مسعود وعلى البصرة خالد بن عبد الله بن خالد بن أسيد وعلى قضائها هشام ابن هبيرة وعلى خراسان فى قول بعضهم عبد الله بن خازم السلمىّ وفى قول بعض بكير بن وشاح وزعم من قال كان على خراسان فى سنة ٧٢ عبد الله بن خازم أنّ عبد الله بن خازم انما قتل بعد ما قتل عبدُ الله بن الزبير وأن عبد الملك انما كتب الى عبد الله بن خازم يدعوه الى الدخول فى طاعته على أن يُطعمه خراسان عشر سنين بعد ما قتل عبدُ الله ابن الزبير وبعث برأسه اليه وأن عبد الله بن خازم حلف لما ورد عليه رأس عبد الله بن الزبير أن لا يعطيه طاعة أبدا وانه دعا بطست فغسل رأس ابن الزبير وحنطه وكفنه وصلى عليه وبعث به الى أهل عبد الله بن الزبير بالمدينة وأطعم الرسول الكتاب وقال لولا انك رسول لضربتُ عنقك وقال بعضهم فقطع يديه ورجليه وضرب عنقه

﴿ فصل نذكر فيه الكتّاب من بدء أمر الاسلام ﴾

﴿روى﴾ هشام وغيره ان أول من كتب من العرب حرب بن أمية بن عبد شمس بالعربية وان أول من كتب بالفارسية بيوراسب وكان فى زمان ادريس وكان أول من صنف طبقات الكتّاب وبيّن منازلهم لهراسب بن كاوغان بن كيموس وحكى ان أبرويز قال لكاتبه انما الكلام أربعة أقسام سؤالك الشئ وسؤالك عن الشئ وأمرك بالشئ وخبرك عن الشئ فهذه دعائم المقالات إن التمس لها خامس لم يوجد وان نقص منها رابع لم تتمّ فاذا طلبت فأسجح واذا سألت فأوضح واذا أمرت فاحتم واذا أخبرت فحقق * وقال أبو موسى الأشعرىّ أوّل من قال أما بعدُ داود وهى فصل الخطاب الذى ذكره الله عنه * وقال الهيثم

سنة ٧٢ ﴿وفي هذه السنة﴾ كتب عبد الملك الى عبد الله بن خازم السُلمي يدعوه الى بيعته ويُطعمه خراسان سبع سنين فذكر علي بن محمد ان المفضل بن محمد ويحيى بن طفيل وزهير بن هنيد حدّثوه قال وفي خبر بعضهم زيادة على خبر بعض أن مصعب بن الزبير قتل سنة ٧٢ وعبد الله بن خازم بأبرَشهر يقاتل بحير ابن ورقاء الصريمي صريم بن الحارث فكتب عبد الملك بن مروان الى ابن خازم مع سورة بن أشيم النميري ان لك خراسان سبع سنين على ان تبايع لي فقال ابن خازم لسوره لولا ان أضرّب بين بني سُليم وبني عامر لقتلتك ولكن كلْ هذه الصحيفة فأكلها قال وقال أبو بكر بن محمد بن واسع بل قدم بعهد عبد الله بن خازم سوادة بن عبيد الله النميري وقال بعضهم بعث عبد الملك الى ابن خازم سنان بن مكمل الغنوي وكتب اليه ان خراسان طعمة لك فقال له ابن خازم انما بعثك أبو الذبّان لأنك من غني وقد علم انى لا أقتل رجلا من قيس ولكن كلْ كتابه قال وكتب عبد الملك الى بكير بن وشاح أحد بني عوف بن سعد وكان خليفة ابن خازم على مرو بعهده على خراسان ووعده ومناه فخلع بكير بن وشاح عبد الله بن الزبير ودعا الى عبد الملك ابن مروان فأجابه أهل مرو وبلغ ابن خازم فخاف أن يأتيه بكير بأهل مرو فيجتمع عليه أهل مرو وأهل أبرشهر فترك بحيرا وأقبل الى مرو يريد أن يأتي ابنه بالترمذ فأتبعه بحير فلحقه بقرية يقال لها بالفارسية شاهميغد بينها وبين مرو ثمانية فراسخ قال فقاتله ابن خازم فقال مولى لبني ليث كنت قريبا من معترك القوم في منزل فلما طلعت الشمس تهايج العسكران فجعلت أسمع وقع السيوف فلما ارتفع النهار خفيت الأصوات فقلت هذا لارتفاع النهار فلما صليت الظهر أو قبل الظهر خرجت فتلقاني رجل من بني تميم فقلت ما الخبر قال قتلت عدوّ الله ابن خازم وها هو ذا واذا هو محمول على بغل وقد شدوا في مذاكيره حبلا وحجرا اعدلوه به على البغل قال وكان الذي قتله وكيع بن عميرة القريعي وهو ابن الدورقية اعتور عليه بحير بن ورقاء وعمار بن عبد العزيز الجشمي ووكيع فطعنوه فصرعوه فقعد وكيع على صدره فقتله فقال بعض الولاة لوكيع كيف قتلت ابن خازم قال غلبته بفضل القنا فلما صرع قعدت على صدره فحاول القيام فلم يقدر عليه وقلت يالثارات دُويلة ودويلة أخ لوكيع لأمه قتل قبل ذلك في غير تلك الايام قال وكيع فتنخم في وجهي وقال لعنك الله تقتل كبش مضر بأخيك علج لا يساوي كفا من نوى أو قال من تراب فما رأيت أحدا أكثر ريقا منه على تلك الحال عند الموت قال فذكر ابن هبيرة يوما هذا الحديث فقال هذه والله البسالة قال وبعث بحير ساعة قتل ابن خازم رجلا من بني غُدانة الى عبد الملك ابن مروان يخبره بقتل ابن خازم ولم يبعث بالرأس وأقبل بكير بن وشاح في أهل مرو فوافاهم حين قتل ابن خازم فأراد أخذ رأس ابن خازم فمنعه بحير فضربه بكير بعمود وأخذ الرأس

أبي سفيان ورجاء بن حيوة وكتب له اسماعيل بن أبي حكيم مولى الزبير وعلى ديوان الخراج سليمان بن سعد الخشني وقلد مكانه صالح بن جبير الغساني وقيل الغداني وعدي بن الصباح ابن المثنى ذكر الهيثم بن عدي انه كان من جلة كتابه * وكتب ليزيد بن عبد الملك قبل الخلافة رجل يقال له يزيد بن عبد الله ثم استكتب أسامة بن يزيد السليحي * وكتب لهشام سعيد بن الوليد بن عمرو بن جبلة الكلبي الأبرش ويكنى أبا مجاشع وكان نصر بن سيّار يتقلد ديوان خراج خراسان لهشام وكان من كتّابه بالرُصافة شُعيب بن دينار * وكان يكتب للوليد بن يزيد بكير بن الشمّاخ وعلى ديوان الرسائل سالم مولى سعيد بن عبد الملك ومن كتابه عبد الله بن أبي عمرو ويقال عبد الأعلى بن أبي عمرو وكتب له على الحضرة عمرو بن عتبة وكتب ليزيد ابن الوليد الناقص عبد الله بن نعيم وكان عمرو بن الحارث مولى بني جُمح يتولى له ديوان الخاتم وكان يتقلد له ديوان الرسائل ثابت بن سليمان بن سعد الخشني ويقال الربيع بن عرعرة الخشني وكان يتقلد له الخراج والديوان الذي للخاتم الصغير النصر بن عمرو من أهل اليمن * وكتب لابراهيم بن الوليد ابن أبي جمعة وكان يتقلد له الديوان بفلسطين وبايع الناس ابراهيم أعني ابن الوليد سوى أهل حمص فانهم بايعوا مروان بن محمد الجعدي وكتب لمروان عبد الحميد بن يحيى مولى العلاء بن وهب العامري ومصعب بن الربيع الخثعمي وزياد ابن أبي الورد وعلى ديوان الرسائل عثمان بن قيس مولى خالد القسري وكان من كتابه مخلد ابن محمد بن الحارث ويكنى أباهاشم ومن كتابه مصعب بن الربيع الخثعمي ويكنى أبا موسى وكان عبد الحميد بن يحيى من البلاغة في مكان مكين ومما اختير له من الشعر

تَرحّل ما ليس بالقافل * وأعقب ما ليس بالرائل
فلهفي على الخلف النازل * ولهفي على السلف الراحل
أبكّي على ذا وأبكي لذا * بكاءَ موَلّهة ثاكل
تُبكّي مِن ابن لها قاطع * وتبكي على ابن لها واصل
فليست تفَتّرُ عن عبرة * لهاق الضمير ومن هامل
تقضّت غوايات سُكر الصبي * وردّ التقى عن الباطل

وكتب لأبي العباس خالدُ بن برمك ودفع أبو العباس ابنته ريطة الى خالد بن برمك حتى أرضعتها زوجته أمّ خالد بنت يزيد بلبان بنت خالد تدعى أمّ يحيى وأرضعت أم سلمة زوجة أبي العباس أم يحيى بنت خالد بلبان ابنتها ريطة وولد ديوان الرسائل صالح بن الهيثم مولى ريطة بنت أبي العبّاس * وكتب لأبي جعفر المنصور عبد الملك بن حميد مولى حاتم بن النعمان الباهلي من أهل خراسان وكتب له هاشم بن سعيد الجعفي وعبد الأعلى بن أبي طلحة من بني تميم بواسط وروى ان سليمان بن مخلد كان يكتب لأبي جعفر ومما كان يتمثل به أبو جعفر

ابن عدي أوّل من قال أما بعد قُسّ بن ساعدة الإيادي (أسماء من كتب للنبي صلى الله عليه وسلم) علي بن أبي طالب عليه السلام وعثمان بن عفان كانا يكتبان الوحي فإن غابا كتبه أبي بن كعب وزيد بن ثابت وكان خالد بن سعيد بن العاص ومعاوية بن أبي سفيان يكتبان بين يديه في حوائجه وكان عبد الله بن الأرقم بن عبد يغوث والعلاء بن عقبة يكتبان بين القوم في حوائجهم وكان عبد الله بن الأرقم ربما كتب الى الملوك عن النبي صلى الله عليه وسلم (وكتب لأبي بكر) عثمان وزيد بن ثابت وعبد الله بن الأرقم وعبد الله بن خلف الخزاعي وحنظلة بن الربيع (وكتب لعمر بن الخطاب) زيد بن ثابت وعبد الله بن الأرقم وعبد الله بن خلف الخزاعي أبو طلحة الطلحات على ديوان البصرة وكتب له على ديوان الكوفة أبو جبيرة ابن الضحاك الأنصاري وقال عمر بن الخطاب لكتّابه وعماله ان القوة على العمل أن لا تؤخروا عمل اليوم لغد فإنكم اذا فعلتم ذلك تداءبت عليكم الأعمال فلا تدرون بأيها تبدؤن وأيها تأخذون وهو أوّل من دوّن الدواوين في العرب في الاسلام (وكان يكتب لعثمان) مروان بن الحكم وكان عبد الملك يكتب له على ديوان المدينة وأبو جبيرة الأنصاري على ديوان الكوفة وكان أبو غطفان بن عوف بن سعد بن دينار من بني دهمان من قيس عيلان يكتب له وكان يكتب له أهيب مولاه وحمران مولاه (وكان يكتب لعلي عليه السلام) سعيد بن نمران الهمداني ثم ولي قضاء الكوفة لابن الزبير وكان يكتب له عبد الله بن مسعود وروي ان عبد الله بن جبير كتب له وكان عبيد الله بن أبي رافع يكتب له واختلف في اسم أبي رافع فقيل اسمه ابراهيم وقيل أسلم وقيل سنان وقيل عبد الرحمن * وكان يكتب لمعاوية على الرسائل عبيد الله بن أوس الغساني وكان يكتب له على ديوان الخراج سرجون بن منصور الرومي وكتب له عبد الرحمن بن درّاج وهو مولى معاوية وكتب على بعض دواوينه عبيد الله بن نصر بن الحجاج بن علاء السلمي * وكان يكتب لمعاوية بن يزيد الريان بن مسلم ويكتب له على الديوان سرجون ويروى انه كتب له أبو الزعيزعة * وكتب لعبد الملك بن مروان قبيصة بن ذؤيب ابن حلحلة الخزاعي ويكنى أبا اسحاق وكتب له على ديوان الرسائل أبو الزعيزعة مولاه * وكان يكتب للوليد القعقاع بن خالد أو خليد العبسي وكتب له على ديوان الخراج سليمان بن سعد الخشني وعلى ديوان الخاتم شعيب العماني مولاه وعلى ديوان الرسائل جناح مولاه وعلى المستغلات نفيع بن ذؤيب مولاه * وكان يكتب لسليمان سليمان بن نعيم الحميري * وكان يكتب لمسلمة سميع مولاه وعلى ديوان الرسائل الليث بن أبي رقية مولى أم الحكم بنت أبي سفيان وعلى ديوان الخراج سليمان بن سعد الخشني وعلى ديوان الخاتم نعيم بن سلامة مولى لأهل اليمن من فلسطين وقيل بل رجاء بن حيوة كان يتقلد الخاتم * وكان يكتب ليزيد بن المهلب المغيرة بن أبي فروة * وكان يكتب لعمر بن عبد العزيز الليث بن أبي فروة مولى أم الحكم بنت

وقوله وقد أرانا كِلاَنا همّ صاحبُه * لو أن شيأً اذا ما فاتنا رجعا
وكان شيء الى شيء ففرّقه * دهر يكرّ على تفريق ما جمعا

وقول لبيد
ألا تسألان المرء ما ذا يحاول * أنحبٌ فيُقضى أم ضلال وباطلُ
ألا كلّ شيء ما خلا الله باطل * وكلّ نعيم لا محالة زائل
أرى الناس لا يدرون ما قدر أمرهم * بلى كلّ ذي رأي الى الله واسلُ

وكقول النابغة الجعدي
وقد طال عهدي بالشباب وأهله * ولاقيتُ رَوعات يُشيبُ النواصيا
فلم أجد الاخوان الا صحابة * ولم أجد الأهلين الا مثاويا
ألم تعلمي ان قد رُزئتُ محاربا * فمالك منه اليوم شيء ولا ليا

وكقول هُدْبة بن خشرم
ولستُ بمفراح اذا الدهر سرّني * ولا جازع من صرفه المتقلب
ولا أبتغي الشرّ والشرّ تاركي * ولكن متى أُحمَلْ على الشر أركب
وما يعرف الاقوامُ للدهر حقهُ * وما الدهرُ مما تكرهون بمُعتب
وللدهر في أهل الفتى وبلاده * نصيب كحزّ الجازر المتشعّب

وكقول زيادة بن زيد وتمثل به عبد الملك بن مروان
تذكّر عن شحط أميمة فارعوى * لها بعد اكنار وطول نحيب
وان امرءاً قد جرّب الدهر لم يخف * تقلب عصريه لغير لبيب
هل الدهرُ والايام الا كما ترى * رزيئة مال أو فراق حبيب
وكل الذي يأتي فأنت نسيبه * ولست لشيء ذاهب بنسيب
وليس بعيدٌ ما يجيء كمقبل * ولا ما مضى من مفرح بقريب

وكقول ابن مقبل
لما رأت بدل الشباب بكت له * والشيب أرذل هذه الابدال
والناس همهمُ الحياةُ ولا أرى * طول الحياة يزيد غير خبال
واذا افتقرت الى الذخائر لم تجد * ذخراً يكون كصالح الاعمال

ووزر له يحيى بن خالد ووزر للرشيد ابنه جعفر بن يحيى بن خالد وكان مليح الكلام ما خلط منه الحكمة به تفصيل شذورها ونظم منثورها قال ثمامة قلت لجعفر بن يحيى ما البيان فقال أن يكون الاسم محيطاً بمعناك مخبراً عن مغزاك مخرجاً من الشركة غير مستعان عليه بالفكرة

المنصور

ومال شفا نفساً كامر صريمة * اذا حاجة في النفس طال اعتراضها

وكتب له الربيع وكان عمارة بن حمزة من نبلاء الرجال وله

لاتشكون دهراً صححت به * إن الغنى في صحة الجسم

هبك الإمام أكنت منتفعاً * بغضارة الدنيا مع السقم

وكان يتمثل بقول عبد بني الحسحاس

أمن أمية دمع العين مذروف * لو أن ذا منك قبل اليوم معروف

لاتبك عينك ان الدهر ذو غير * فيه تفرق ذو إلف ومألوف

وكتب للمهدي أبو عبيد الله وأبان بن صدقة على ديوان رسائله ومحمد بن حميد الكاتب على ديوان جنده ويعقوب بن داود وكان اتخذه على وزارته وأمره وله

عجباً لتصريف الأمو * ر محبة وكراهيه

والدهر يلعب بالرجا * ل له دوائر جاريه

ولابنه عبد الله بن يعقوب وكان له محمد ويعقوب كلاهما شاعر مجيد

ورع المشيب شراستي وغرامي * ومرى الجفون بمسبل سجام

ولقد حرصت بأن أواري شخصه * عن مقلتي فرمت غير مرام

وصبغت ما صبغ الزمان فلم يدم * صبغي ودامت صبغة الأيام

* لاتبعدن شبيبة ذيالة * فارقتها في سالف الأعوام *

ما كان ما استصحبت من أيامها * الا كبعض طوارق الاحلام

﴿ ولأبيه ﴾

طلق الدنيا ثلاثا * واتخذ زوجا سواها انها زوجة سوء * لا تبالي من أتاها

واستوزر بعده الفيض بن أبي صالح وكان جواداً وكتب للهادي موسى عبيد الله بن زياد ابن أبي ليلى ومحمد بن حميد وسأل المهدي يوماً أبا عبيد الله عن أشعار العرب فصنفها له فقال أحكمها قول طرفة بن العبد

أرى قبر نحام بخيل بماله * كقبر غوي في البطالة مفسد

ترى جثوتين من تراب عليهما * صفائح صم من صفيح منضد

أرى الموت يعتام الكرام ويصطفي * عقيلة مال الفاحش المتشدد

أرى العيش كنزاً ناقصاً كل ليلة * وما تنقص الايام والدهر ينفد

لعمرك ان الموت ما أخطأ الفتى * لكالطول المرخى وثنياه باليد

ما أردت من الدنيا فما رأيك فقالت أنت والله يا بُنَيَّ أعلم بنفسك ان كنت تعلم انك على حق وإليه تدعو فامض له فقد قُتل عليه أصحابك ولا تُمكن من رقبتك يتلعب بها غلمان بُني أمية وان كنت انما أردت الدنيا فبئس العبدُ أنت أهلكت نفسك وأهلكت من قتل معك وان قلتَ كنتُ على حق فلما وهن أصحابي ضعفتُ فهذا ليس فعل الأحرار ولا أهل الدين وكم خلودُك في الدنيا القتلُ أحسنُ فدنا ابن الزبير فقبّل رأسها وقال هذا والله رأيي والذي قمتُ به داعيا الى يومي هذا ما ركنت الى الدنيا ولا أحببت الحياة فيها وما دعاني الى الخروج الا الغضب لله أن يُستحل حرمه ولكني أحببت ان أعلم رأيكِ فزدتيني بصيرة مع بصيرتي فانظري يا أمَّهْ فاني مقتول من يومي هذا فلا يشتدَّ حزنكِ وسلّمي لامر الله فانّ ابنكِ لم يتعمّد اتيان منكر ولا عملا بفاحشة ولم يَجُرْ في حكم الله ولم يغدر في أمان ولم يتعمد ظلم مسلم ولا معاهد ولم يبلغني ظلمٌ عن عُمّالي فرضيتُ به بل أنكرته ولم يكن شيء آثرَ عندي من رضى ربي اللهم اني لا أقول هذا تزكيةً مني لنفسي أنت أعلم بي ولكن أقوله تعزيةً لأمي لتسلو عنّي فقالت أمه اني لأرجو من الله أن يكون عزائي فيك حسنا ان تقدّمتَني وان تقدّمتك ففي نفسي اخرج حتى أنظر الى ما يصير أمرك قال جزاك الله يا أمّه خيرا فلا تدعي الدعاء لي قبلُ وبعدُ فقالت لا أدعه أبدا فمن قُتل على باطل فقد قُتلتَ على حق ثم قالت اللهم ارحم طول ذلك القيام في الليل الطويل وذلك النحيب والظمأ في هواجر المدينة ومكة وبرّه بأبيه وبي اللهم قد سلمته لأمرك فيه ورضيتُ بما قضيتَ فأثبني في عبد الله ثواب الصابرين الشاكرين قال مصعب بن ثابت فما مكثت بعده الا عشرا ويقال خمسة أيام * قال محمد بن عمر حدثني موسى بن يعقوب بن عبد الله عن عمه قال دخل ابن الزبير على أمه وعليه الدرع والمغفر فوقف فسلم ثم دنا فتناول يدها فقبّلها فقالت هذا وداع فلا تبعد قال ابن الزبير جئتُ مودّعا إني لأرى هذا آخر يوم من الدنيا يمرّ بي واعلمي يا أمّهْ أني ان قتلت فانما أنا لحم لا يضرّني ما صُنع بي قالت صدقت يا بنيَّ أتمم على بصيرتك ولا تمكن ابن أبي عقيل منك وادنُ مني أودّعك فدنا منها فقبلها وعانقها وقالت حيث مست الدرع ما هذا صنيع من يريد ما تريد قال ما لبست هذا الدرع الا لأشد منك قالت العجوز فإنه لا يشد مني فنزعها ثم أدرج كمّيه وشد أسفل قميصه وجُبة خز تحت القميص فأدخل أسفلها في المنطقة وأمه تقول البس ثيابك مشمّرة ثم انصرف ابن الزبير وهو يقول

إني اذا أعرفُ يومي أصبر * إذ بعضُهمْ يَعرِفُ ثم يُنكر

فسمعت العجوز قوله فقالت تصبر والله ان شاء الله أبوك أبو بكر والزبير وأمك صفية بنت عبد المطلب * حدثني الحارث قال حدثني ابن سعد قال أخبرني محمد بن عمر قال أخبرنا ثور بن يزيد عن شيخ من أهل حمص شهد وقعة ابن الزبير مع أهل الشأم قال رأيته يوم

قال الاصمعي سمعت يحيى بن خالد يقول الدنيا دول والمال عارية ولنا بمن قبلنا أسوة وفينا لمن بعدنا عبرة ونأتي بتسمية باقي كتاب خلفاء بني العباس اذا انتهينا الى الدولة العباسية ان شاء الله تعالى

﴿ ثم دخلت سنة ثلاث وسبعين ﴾

﴿ذكر الكائن الذي كان فيها من الامور الجليلة﴾

فمن ذلك مقتل عبد الله بن الزبير

﴿ذكر الخبر عن صفة ذلك﴾

حدثني الحارث قال حدثنا محمد بن سعد قال أخبرنا محمد بن عمر قال حدثني اسحاق ابن يحيى عن عبيد الله بن القبطية قال كانت الحرب بين ابن الزبير والحجاج ببطن مكة ستة أشهر وسبع عشرة ليلة قال محمد بن عمر وحدثني مصعب بن ثابت عن نافع مولى بني أسد وكان عالما بفتنة ابن الزبير قال حُصر ابن الزبير ليلة هلال ذي القعدة سنة ٧٢ وقُتل لسبع عشرة ليلة خلت من جمادي الاولى سنه ٧٣ وكان حصر الحجاج لابن الزبير ثمانية أشهر وسبع عشرة ليلة حدثنا الحارث قال حدثنا محمد بن سعد قال أخبرنا محمد بن عمر قال حدثني اسحاق بن يحيى عن يوسف بن ماهك قال رأيت المنجنيق يُرمى به فرعدت السماء وبرقت وعلا صوتُ الرعد والبرق على الحجارة فاشتمل عليها فأعظم ذلك أهلُ الشأم فأمسكوا بأيديهم فرفع الحجاج بركة قبائه فغرزها في منطقته ورفع حجر المنجنيق فوضعه فيه ثم قال ارموا ورمى معهم قال ثم أصبحوا فجاءت صاعقة تتبعها أخرى فقتلت من أصحابه اثني عشر رجلا فانكسر أهل الشأم فقال الحجاج يا أهل الشأم لا تُنكروا هذا فاني ابن تهامة هذه صواعق تُهامة هذا الفتح قد حضر فابشروا إن القوم يصيبهم مثلُ ما أصابكم فصعقت من الغد فأصيب من أصحاب ابن الزبير عدة فقال الحجاج ألا ترون أنهم يصابون وأنتم على الطاعة وهم على خلاف الطاعة فلم تزل الحرب بين ابن الزبير والحجاج حتى كان قُبيل مقتله وقد تفرق عنه أصحابه وخرج عامة أهل مكة الى الحجاج في الامان حدثني الحارث قال حدثنا ابن سعد قال أخبرنا محمد بن عمر قال حدثني اسحاق بن عبيد الله عن المنذر بن جهم الاسدي قال رأيت ابن الزبير يوم قُتل وقد تفرق عنه أصحابه وخذله مَن معه خذلانا شديدا وجعلوا يخرجون الى الحجاج حتى خرج اليه نحوٌ من عشرة آلاف وذكر انه كان ممن فارقه وخرج الى الحجاج ابناه حمزة وخُبيب فأخذا منه لانفسهما أمانا فدخل على أمه أسماء كما ذكر محمد بن عمر عن أبي الزناد عن مخرمة بن سليمان الوالبي قال دخل ابن الزبير على أمه حين رأى من الناس ما رأى من خذلانهم فقال يا أُمّهْ خذلني الناس حتى ولدي وأهلي فلم يبق معي الا اليسير ممن ليس عنده من الدفع أكثر من صبر ساعة والقومُ يعطونني

أَبَى لابنِ سَلْمَى أَنَّهُ غيرُ خالدٍ * مُلاقِي المنايا أيَّ صَرْفٍ تيمَّما

فلستُ بمبتاعِ الحياةِ بسُبَّةٍ * ولا مُرْتَقٍ من خَشْيَةِ الموتِ سُلَّما

احملوا على بركة الله ثم حمل عليهم حتى بلغ بهم الحجون فرُمي بآجُرَّة فأصابته في وجهه فأرعش لها ودمي وجهه فلما وجد سخونة الدم يسيل على وجهه ولحيته قال

لَسْنا على الأعقابِ تَدْمَى كُلُومُنا * ولكن على أقدامِنا تَقْطُرُ الدَّما

وتغاووا عليه قالوا وصاحت مولاة لنا مجنونة وا أمير المؤمنيناه قالوا وقد رأته حيث هوى فأشارت لهم إليه فقتل وإن عليه ثياب خزّ وجاء الخبر إلى الحجاج فسجد وسار حتى وقف عليه وطارق بن عمرو فقال طارق ما ولدت النساء أذكر من هذا فقال الحجاج تمدح من يخالف طاعة أمير المؤمنين قال نعم هو أعذر لنا ولولا هذا ما كان لنا عذر إنا محاصروه وهو في غير خندق ولا حصن ولا منعة منذ سبعة أشهر ينتصف منا بل يفضل علينا في كل ما التقينا نحن وهو فبلغ كلامهما عبد الملك فصوب طارقا ﴿حدثنا﴾ عمر قال حدثنا أبو الحسن عن رجاله قال كأني أنظر إلى ابن الزبير وقد قتل غلاما أسود ضربه فعرقبه وهو يمر في حملته عليه ويقول صبرا يا ابن حام ففي مثل هذه المواطن تصبر الكرام ﴿حدثني﴾ الحارث قال حدثنا ابن سعد قال أخبرنا محمد بن عمر قال حدثني عبد الجبار بن عمارة عن عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم قال بعث الحجاج برأس ابن الزبير ورأس عبد الله بن صفوان ورأس عمارة بن عمرو بن حزم إلى المدينة فنصبت بها ثم ذهب بها إلى عبد الملك بن مروان ثم دخل الحجاج مكة فبايع من بها من قريش لعبد الملك بن مروان ﴿قال أبو جعفر﴾ وفي هذه السنة ولى عبد الملك طارقا مولى عثمان المدينة فوليها خمسة أشهر ﴿وفي هذه السنة﴾ توفي بشر بن مروان في قول الواقدي وأما غيره فإنه قال كانت وفاته في سنة ٧٤ ﴿وفيها﴾ أيضا وجه فيما ذكر عبد الملك بن مروان عمر بن عبيد الله بن معمر لقتال أبي فديك وأمره أن يندب معه من أحب من أهل المصرين فقدم الكوفة فندب أهلها فانتدب معه عشرة آلاف ثم قدم البصرة فندب أهلها فانتدب معه عشرة آلاف فأخرج لهم أرزاقهم وأعطياتهم فأعطوها ثم سار بهم عمر بن عبيد الله فجعل أهل الكوفة على الميمنة وعليهم محمد بن موسى بن طلحة وجعل أهل البصرة على الميسرة وعليهم ابن أخيه عمر بن موسى بن عبيد الله وجعل خيله في القلب حتى انتهوا إلى البحرين فصف عمر بن عبيد الله أصحابه وقدم الرجالة في أيديهم الرماح قد ألزموها الأرض واستتروا بالبرادع فحمل أبو فديك وأصحابه حملة رجل واحد فكشفوا ميسرة عمر بن عبيد الله حتى ذهبوا في الأرض إلا المغيرة ابن المهلب ومعن بن المغيرة ومجاعة بن عبد الرحمن وفرسان الناس فإنهم مالوا إلى صف أهل الكوفة وهم ثابتون وارتُثَّ عمر بن موسى بن عبيد الله فهو في القتلى قد أثخن جراحة فلما

الثلاثاء وإنا لنطلع عليه أهل حمص خمسمائة خمسمائة من باب لنا ندخله لا يدخله غيرنا فيخرج إلينا وحده في أثرنا ونحن منهزمون منه فما أنسى أرجوزة له

إني إذا أعرف يومي أصبرْ * وإنما يعرفُ يَوْمَيْهِ الحرّ

إذ بعضهم يعرف ثم ينكر

فأقول أنت والله الحر الشريف فلقد رأيته يقف في الأبطح ما يدنو منه أحد حتى ظننا أنه لا يقتل ﴿ حدثني ﴾ الحارث قال حدثنا ابن سعد قال أخبرنا محمد بن عمر قال حدثنا مصعب بن ثابت عن نافع مولى بني أسد قال رأيت الأبواب قد شحنت من أهل الشام يوم الثلاثاء وأسلم أصحاب ابن الزبير المحارسَ وكثرهم القومُ فأقاموا على كل باب رجالا وقائدا وأهل بلد فكان لأهل حمص الباب الذي يواجه باب الكعبة ولأهل دمشق باب بني شيبة ولأهل الأردن باب الصفا ولأهل فلسطين باب بني جمح ولأهل قنسرين باب بني سهم وكان الحجاج وطارق بن عمرو جميعا في ناحية الأبطح إلى المروة فمرةً يحمل ابن الزبير في هذه الناحية ومرة في هذه الناحية فلكأنه أسد في أجمة ما يقدم عليه الرجال فيعدو في أثر القوم وهم على الباب حتى يخرجهم وهو يرتجز

اني إذا أعرف يومي أصبر * وإنما يعرف يوميه الحرّ

ثم يصيح يا أبا صفوان ويل أمه فتحا لو كان له رجال

لو كانَ قِرْني واحداً كفيتُهُ

قال ابن صفوان أي والله وألف ﴿ حدثني ﴾ الحارث قال حدثنا ابن سعد قال أخبرنا محمد بن عمر قال حدثني ابن أبي الزناد وأبو بكر بن عبد الله بن مصعب عن ابن المنذر وحدثنا نافع مولى بني أسد قالا لما كان يوم الثلاثاء صبيحة سبع عشرة من جمادى الأولى سنة ٧٣ وقد أخذ الحجاج على ابن الزبير بالأبواب بات ابن الزبير يصلي عامة الليل ثم احتبى بحمائل سيفه فأغفى ثم انتبه بالفجر فقال أذن يا سعد فأذن عند المقام وتوضأ ابن الزبير وركع ركعتي الفجر ثم تقدم وأقام المؤذن فصلى بأصحابه فقرأ ن والقلم حرفا حرفا ثم سلم فقام فحمد الله وأثنى عليه ثم قال اكشفوا وجوهكم حتى أنظر وعليهم المغافر والعمائم فكشفوا وجوههم فقال يا آل الزبير لو طبتم لي نفسا عن أنفسكم كنا أهل بيت من العرب اصطلمنا في الله لم تصبنا زبَّاءُ بتّة أما بعد يا آل الزبير فلا يرعكم وقع السيوف فإني لم أحضر موطنا قط إلا ارتثثتُ فيه من القتل وما أجد من دواء جراحها أشد مما أجد من ألم وقعها صونوا سيوفكم كما تصونون وجوهكم لا أعلم امرءا كسر سيفه واستبقى نفسه فإن الرجل إذا ذهب سلاحه فهو كالمرأة أعزل غُضوا أبصاركم عن البارقة وليشغل كل امرئ قرنه ولا يُلهينّكم السؤال عني ولا تقولُنّ أين عبدُ الله بن الزبير ألا من كان سائلا عني فإني في الرعيل الأول

﴿ذكر الخبر عن أمره وأمرهم فيها﴾

ولما صار بشر بالبصرة كتب عبد الملك اليه فيما ذكر هشام عن أبي مخنف عن يونس بن أبي اسحاق عن أبيه أما بعد فابعث المهلب في أهل مصره الى الأزارقة ولينتخب من أهل مصره وجوههم وفرسانهم وأولى الفضل والتجربة منهم فانه أعرف بهم وخله ورأيه في الحرب فاني أوثق شئ بتجربته ونصيحته للمسلمين وابعث من أهل الكوفة بعثا كثيفا وابعث عليهم رجلا معروفا شريفا حسيبا صليبا يعرف بالبأس والنجدة والتجربة للحرب ثم أنهض اليهم أهل المصرين فليتبعوهم أى وجه ما توجهوا حتى يبيدهم الله ويستأصلهم والسلام عليك فدعا بشر المهلب فأقرأه الكتاب وأمره ان ينتخب من شاء فبعث بجديع بن سعيد بن قبيصة بن سراق الأزدى وهو خال يزيد ابنه فأمره ان يأتى الديوان فينتخب الناس وشق على بشر ان امرة المهلب جاءت من قبل عبد الملك فلا يستطيع ان يبعث غيره فأوغرت صدره عليه حتى كأنه كان له اليه ذنب ودعا بشر بن مروان عبد الرحمن بن مخنف فبعثه على أهل الكوفة وأمره ان ينتخب فرسان الناس ووجوههم وأولى الفضل منهم والنجدة (قال أبو مخنف) فحدثنى أشياخ الحى عن عبد الرحمن بن مخنف قال دعانى بشر بن مروان فقال لى انك قد عرفت منزلتك منى وأثرتك عندى وقد رأيت ان أوليك هذا الجيش للذى عرفت من جزئك وغنائك وشرفك وبأسك فكن عند أحسن ظنى بك أنظر هذا الكذا كذا يقع فى المهلب فاستبد عليه بالأمر ولا تقبلن له مشورة ولا رأيا وتنقصه وقصر به قال فترك ان يوصينى بالجند وقتال العدو والنظر لأهل الاسلام وأقبل يغرينى بابن عمى كأنى من السفهاء أو ممن يستصبى ويستجهل ما رأيت شيخا مثلى فى مثل هيئتى ومنزلتى طمع منه فى مثل ما طمع فيه هذا الغلام منى شب عمرو عن الطوق قال ولما رأى انى لست بالنشيط الى جوابه قال لى ما لك قلت أصلحك الله وهل يسعنى الا انفاذ أمرك فى كل ما أحببت وكرهت قال امض راشدا قال فودعته وخرجت من عنده وخرج المهلب بأهل البصرة حتى نزل رامهرمز فلقى بها الخوارج فخندق عليه وأقبل عبد الرحمن بن مخنف بأهل الكوفة على ربع أهل المدينة معه بشر بن جرير وعلى ربع تميم وهمدان محمد بن عبد الرحمن بن سعيد بن قيس وعلى ربع كندة وربيعة اسحاق بن محمد بن الاشعث وعلى ربع مذحج وأسد زحر بن قيس فأقبل عبد الرحمن حتى نزل من المهلب على ميل أو ميل ونصف حيث تراءى العسكران برامهرمز فلم يلبث الناس الا عشرا حتى أتاهم نعى بشر بن مروان وتوفى بالبصرة فارفض ناس كثير من أهل البصرة وأهل الكوفة واستخلف بشر خالد بن عبد الله بن خالد بن أسيد وكان خليفته على الكوفة عمرو بن حريث وكان الذين انصرفوا من أهل الكوفة زحر بن قيس واسحاق بن محمد بن الأشعث ومحمد بن عبد الرحمن بن سعيد بن قيس فبعث عبد الرحمن بن

رأى أهل البصرة أهل الكوفة لم ينهزموا انهزموا ورجعوا وقاتلوا وما عليهم أمير حتى مروا بعمر بن موسى بن عبيد الله جريحا فحملوه حتى أدخلوه عسكر الخوارج وفيه تبن كثير فأحرقوه ومالت عليهم الريح وحمل أهل الكوفة وأهل البصرة حتى استباحوا عسكرهم وقتلوا أبا فديك وحصروهم في المُشَقَّر فنزلوا على الحكم فقتل عمر بن عبيد الله منهم فيما ذكر نحوا من ستة آلاف وأسر ثمانى مائة وأصابوا جارية لامية بن عبد الله حبلى من أبى فديك وانصرفوا الى البصرة ﴿وفى هذه السنة﴾ عزل عبد الملك خالد بن عبد الله عن البصرة وولاها أخاه بشر بن مروان فصارت ولايتها وولاية الكوفة اليه فشخص بشر لما ولى مع الكوفة البصرة الى البصرة واستخلف على الكوفة عمرو بن حريث ﴿وفيها﴾ غزا محمد ابن مروان الصائفة فهزم الروم وقيل انه كان فى هذه السنة وقعة عثمان بن الوليد بالروم فى ناحية أرمينية وهو فى أربعة آلاف والروم فى ستين ألفا فهزمهم وأكثر القتل فيهم وأقام الحج فى هذه السنة للناس الحجاج بن يوسف وهو على مكة واليمن واليمامة وعلى الكوفة والبصرة فى قول الواقدى بشر بن مروان وفى قول غيره على الكوفة بشر بن مروان وعلى البصرة خالد بن عبد الله بن خالد بن أسيد وعلى قضاء الكوفة شريح بن الحارث وعلى قضاء البصرة هشام بن هبيرة وعلى خراسان بكير بن وشاح

﴿ ثم دخلت سنة أربع وسبعين ﴾

﴿ذكر ما كان فيها من الأحداث الجليلة﴾

فما كان فيها من ذلك عزل عبد الملك طارق بن عمرو عن المدينة واستعماله عليها الحجاج بن يوسف فقدمها فيما ذكر فأقام بها شهرا ثم خرج معتمرا ﴿وفيها﴾ كان فيما ذكر نقض الحجاج بن يوسف بنيان الكعبة الذى كان ابن الزبير بناه وكان اذ بناه أدخل فى الكعبة الحجر وجعل لها بابين فأعادها الحجاج على بنائها الأول فى هذه السنة ثم انصرف الى المدينة فى صفر فأقام بها ثلاثة أشهر يتعبث بأهل المدينة ويتعنتهم وبنى بها مسجدا فى بنى سلمة فهو ينسب اليه واستخف فيها بأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فختم فى أعناقهم فذكر محمد ابن عمر ان ابن أبى ذيب حدثه عمن رأى جابر بن عبد الله مختوما فى يده وعن ابن أبى ذيب عن اسحاق بن يزيد انه رأى أنس بن مالك مختوما فى عنقه يريد ان يذله بذلك قال ابن عمر وحدثنى شرحبيل بن أبى عون عن أبيه قال رأيت الحجاج أرسل الى سهل بن سعد فدعاه فقال ما منعك ان تنصر أمير المؤمنين عثمان بن عفان قال قد فعلت قال كذبت ثم أمر به فختم فى عنقه برصاص ﴿وفيها﴾ استقضى عبد الملك أبا ادريس الخولانى فيما ذكر الواقدى ﴿وفى هذه السنة﴾ شخص فى قول بعضهم بشر بن مروان من الكوفة الى البصرة واليا عليها ﴿وفى هذه السنة﴾ ولى المهلب حرب الأزارقة من قبل عبد الملك

ذكر

أسيد فلما بلغ ذلك بكيرا أرسل الى بحير ليصالحه فأبى عليه وظن بكير ان خراسان تبقى له في الجماعة فمشت السفراء بينهم فأبى بحير فدخل عليه ضرار بن حصين الضبي فقال ألا أراك مائقا يرسل اليك ابن عمك يعتذر اليك وأنت أسيره والمشرفي في يده ولو قتلك ما حبقت فيك عنز ولا تقبل منه ما أنت بموفق اقبل الصلح واخرج وأنت على أمرك فقبل مشورته وصالح بكيرا فأرسل اليه بكير بأربعين ألفا وأخذ على بحير ان لا يقاتله وكانت تميم قد اختلفت بخراسان فصارت مقاعس والبطون يتعصبون له فخاف أهل خراسان ان تعود الحرب وتفسد البلاد ويقهرهم عدوهم من المشركين فكتبوا الى عبد الملك بن مروان ان خراسان لا تصلح بعد الفتنة الا على رجل من قريش لا يحسدونه ولا يتعصبون عليه فقال عبد الملك خراسان ثغر المشرق وقد كان به من الشر ما كان وعليه هذا التميمي وقد تعصب الناس وخافوا ان يصيروا الى ما كانوا عليه فيهلك الثغر ومن فيه وقد سألوا ان أولي أمرهم رجلا من قريش فيسمعوا له ويطيعوا فقال أمية بن عبد الله يا أمير المؤمنين تداركهم برجل منك قال لولا انحيازك عن أبي فديك كنت ذلك الرجل قال يا أمير المؤمنين والله ما انحزت حتى لم أجد مقاتلا وخذلني الناس فرأيت انحيازي الى فئة أفضل من تعريضي عصبة بقيت من المسلمين للهلكة وقد علم ذلك مرار بن عبد الرحمن بن أبي بكرة وكتب اليك خالد بن عبد الله بما لقيه من عذري قال وكان خالد كتب اليه بعذره ويخبره ان الناس قد خذلوه فقال مرار صدق أمية يا أمير المؤمنين لقد صبر حتى لم يجد مقاتلا وخذله الناس فولاه خراسان وكان عبد الملك يحب أمية ويقول نبتي أي لدتي فقال الناس ما رأينا أحدا عوض من هزيمة ما عوض أمية فر من أبي فديك فاستعمل على خراسان فقال رجل من بكر بن وائل في مجلس بكير بن وشاح

أتتك العيس تنفخ في براها * تكشف عن مناكبها القطوع
كأن مواقع الأكوار منها * حمام كنائس بقع وقوع
بأبيض من أمية مضرحي * كأن جبينه سيف صنيع

وبحير يومئذ بالسجن يسأل عن من يرأس فلما بلغه انه قد قارب أبرشهر قال لرجل من عجم أهل مرو يقال له رزين أو زريق دلني على طريق قريب لا ألقى الأمير قبل قدومه ولك كذا وكذا وأجزل لك العطية وكان عالما بالطريق فخرج به فسار من السجن الى أرض سرخس في ليلة ثم مضى به الى نيسابور فوافى أمية بنيسابور فلقيه فأخبره عن خراسان وما يصلح أهلها ويحسن به طاعتهم ويخف على الوالي مؤونتهم ورفع على بكير أموالا أصابها وحذره غدره قال وسار معه حتى قدم مرو وكان أمية سيدا كريما فلم يعرض لبكير ولا لعماله وعرض عليه ان يوليه شرطته فأبى بكير فولاها بحير بن ورقاء فلام بكيرا رجال من

مخنف ابنه جعفرا فى آثارهم فرد اسحاق ومحمدا وفاته زحر بن قيس فحبسهما يومين ثم أخذ عليهما ان لا يفارقاه فلم يلبثا الا يوما حتى انصرفا فأخذا غير الطريق وطلبا فلم يلحقا وأقبلا حتى لحقا زحر بن قيس بالأهواز فاجتمع بها ناس كثير ممن يريد البصرة فبلغ ذلك خالد بن عبد الله فكتب الى الناس كتابا وبعث رسولا يضرب وجوه الناس ويردهم فقدم بكتابه مولى له فقرأ الكتاب على الناس وقد جمعوا له بسم الله الرحمن الرحيم من خالد بن عبد الله الى من بلغه كتابى هذا من المؤمنين والمسلمين سلام عليكم فإنى أحمد اليكم الله الذى لا اله الا هو أما بعد فإن الله كتب على عباده الجهاد وفرض طاعة وُلاة الأمر فمن جاهد فإنما يجاهد لنفسه ومن ترك الجهاد في الله كان الله عنه أغنى ومن عصى وُلاة الأمر والقُوّام بالحق أسخط الله عليه وكان قد استحق العقوبة في بشره وعرض نفسه لاستفاءة ماله وإلقاء عطائه والتسيير الى أبعد الأرض وشر البلدان أيها المسلمون اعلموا على من اجترأتم ومن عصيتم انه عبد الملك بن مروان أمير المؤمنين الذى ليست فيه غميزة ولا لأهل المعصية عنده رخصة سوطه على من عصى وعلى من خالف سيفه فلا تجعلوا على أنفسكم سبيلا فإنى لم آلكم نصيحة عبادَ الله ارجعوا الى مَكتَبكم وطاعة خليفتكم ولا ترجعوا عاصين مخالفين فيأتيكم ما تكرهون أقسم بالله لا أثقف عاصيا بعد كتابى هذا إلا قتلته ان شاء الله والسلام عليكم ورحمة الله وأخذ كلما قرأ عليهم سطرا أو سطرين قال له زحر أوجز فيقول له مولى خالد والله انى لأسمع كلام رجل ما يريد أن يفهم ما يسمع أشهد لا يعيج بشىء مما فى هذا الكتاب فقال له اقرأ أيها العبد الأحمر ما أمرت به ثم ارجع الى أهلك فإنك لا تدرى ما فى أنفسنا فلما فرغ من قراءته لم يلتفت الناس الى ما فى كتابه وأقبل زحر واسحاق بن محمد ومحمد بن عبد الرحمن حتى نزلوا قرية لآل الأشعث الى جانب الكوفة وكتبوا الى عمرو بن حريث أما بعد فإن الناس لما بلغهم وفاة الأمير رحمة الله عليه تفرّقوا فلم يبق معنا أحد فأقبلنا الى الأمير والى مصرنا وأحببنا ان لا ندخل الكوفة الا بإذن الأمير وعلمه فكتب اليهم أما بعد فإنكم تركتم مَكتَبكم وأقبلتم عاصين مخالفين فليس لكم عندنا اذن ولا أمان فلما أتاهم ذلك انتظروا حتى اذا كان الليل دخلوا الى رحالهم فلم يزالوا مقيمين حتى قدم الحجاج بن يوسف ﴿وفي هذه السنة﴾ عزل عبد الملك بكير بن وشاح عن خراسان وولاها أمية بن عبد الله بن خالد بن أسيد

﴿ذكر الخبر عن سبب عزل بكير وولاية أمية﴾

وكانت ولاية بكير بن وشاح خراسان الى حين قدم أمية عليها والسنتين فى قول أبى الحسن وذلك أن ابن خازم قتل سنة ٧٢ وقدم أمية سنة ٧٤ وكان سبب عزل بكير عن خراسان ان بحيرا فيما ذكر على عن المفضل حبسه بكير بن وشاح لما كان منه فيما ذكرت فى رأس ابن خازم حين قتله فلم يزل محبوسا عنده حتى استعمل عبد الملك أمية بن عبد الله بن خالد بن

ليس أوان يكره الخلاط * جاءت به والقلص الأعلاط

تهوي هويّ سابق الغطاط

اني والله يا أهل العراق ما أغمز كتغماز التين ولا يقعقع لي بالشنان ولقد فُرِرْت عن ذكاء وجريت الى الغاية القصوى إن أمير المؤمنين عبد الملك نثر كنانته ثم عجم عيدانها فوجدني أمرّها عودا وأصلبها مكسرا فوجهني اليكم فانكم طال ما أوضعتم في الفتن وسننتم سنن الغيّ أما والله لألحونكم لحو العود ولأعصبنكم عصب السلمة ولأضربنكم ضرب غرائب الابل اني والله لا أعد الا وفيت ولا أخلق الا فريت فاياي وهذه الجماعات وقيلا وقالا وما يقول فيم أنتم وذاك والله لتستقيمن على سبل الحق أو لأدعن لكل رجل منكم شغلا في جسده من وجدت بعد ثالثة من بعث المهلب سفكت دمه وانهبت ماله ثم دخل منزله ولم يزد على ذلك * قال ويقال انه لما طال سكوته تناول محمد بن عمير حصى فأراد ان يحصبه بها وقال قاتله الله ما أعياه وأدمه والله انى لأحسب خبره كروائه فلما تكلم الحجاج جعل الحصى ينتثر من يده ولا يعقل به وأن الحجاج قال في خطبته شاهت الوجوه ان الله ضرب مثلاً قريةً كانت آمنةً مطمئنةً يأتيها رزقها رغدا من كل مكان فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون وأنتم أولئك وأشباه أولئك فاستوثقوا واستقيموا فوالله لأذيقنكم الهوان حتى تدروا ولأعصبنكم عصب السلمة حتى تنقادوا أقسم بالله لتقبلن على الإنصاف ولتدعن الارجاف وكان وكان وأخبرني فلان عن فلان والهبر وما الهبر أو لأهبرنكم بالسيف هبرا يدع النساء أيامى والولدان يتامى وحتى تمشوا السمهى وتقلعوا عن هاوها اياي وهذه الرايات لا يركبن الرجل منكم الا وحده الا انه لو ساغ لأهل المعصية معصيتهم ما جبي فيء ولا قوتل عدو ولعطلت الثغور ولولا انهم يغزون كرها ما غزوا طوعا وقد بلغني رفضكم المهلب واقبالكم على مصركم عصاة مخالفين واني أقسم لكم بالله لا أجد أحدا بعد ثالثة الا ضربت عنقه ثم دعا العرفاء وقال ألحقوا الناس بالمهلب وأتوني بالبراآت بموافاتهم ولا تغلقن أبواب الجسر ليلا ولا نهارا حتى تنقضي هذه المدة ﴿تفسير الخطبة﴾ قوله أنا ابن جلا فابن جلا الصبح لانه يجلو الظلمة والثنايا ما صغر من الجبال وسما وأينع الثمر بلغ ادراكه وقوله فاشتدي زيم فهي اسم للحرب والحطم الذي يحطم كل شيء مر به والوضم ما وقي به اللحم من الارض والعصلبي الشديد والدوية الأرض الفضاء التي يسمع فيها دوي اخفاف الابل والاعلاط الابل التي لا ارسان عليها أنشد أبو زيد الأصمعي

واعرورت العُلُطُ العُرْضِيُّ تركضه * أمُّ الفوارس بالدّيداء والرّبعه

والشنان جمع شنّة وهي القربة البالية اليابسة قال الشاعر

كأنك من جمال بني أقيش * يقعقع خلف رجليه بشنّ

قومه فقالوا أبيت ان تلى فولى بحيرا وقد عرفت ما بينكما قال كنتُ أمس والى خراسان تحمل الحرابُ بين يدى فأصير اليوم على الشرطة أحمل الحربة وقال أمية لبكير اختر ما شئت من عمل خراسان قال طخارستان قال هى لك قال فتجهز بكير وأنفق مالا كثيرا فقال بحير لأمية إن أتى بكيرٌ طخارستان خلعك فلم يزل يحذره حتى حذر فأمره بالمقام عنده ﴿وحج﴾ بالناس في هذه السنة الحجاج بن يوسف وكان ولى قضاء المدينة عبد الله بن قيس ابن مخرمة قبل شخوصه الى المدينة كذلك ذكر ذلك عن محمد بن عمر وكان على المدينة ومكة الحجاج بن يوسف وعلى الكوفة والبصرة بشر بن مروان وعلى خراسان أمية بن عبد الله بن خالد بن أسيد وعلى قضاء الكوفة شريح بن الحارث وعلى قضاء البصرة هشام بن هبيرة وقد ذكر ان عبد الملك بن مروان اعتمر فى هذه السنة ولا نعلم صحة ذلك

﴿ ثم دخلت سنة خمس وسبعين ﴾

﴿ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث﴾

فمن ذلك غزوة محمد بن مروان الصائفة حين خرجت الروم من قبل مرعش ﴿وفى هذه السنة﴾ ولى عبد الملك يحيى بن الحكم بن أبى العاص المدينة ﴿وفى هذه السنة﴾ ولى عبد الملك الحجاج بن يوسف العراق دون خراسان وسجستان ﴿وفيها﴾ قدم الحجاج الكوفة ﴿ فحدثنى ﴾ أبو زيد قال حدثنى محمد بن يحيى أبو غسان عن عبد الله بن أبى عبيدة بن محمد بن عمار بن ياسر قال خرج الحجاج بن يوسف من المدينة حين أتاه كتاب عبد الملك بن مروان بولاية العراق بعد وفاة بشر بن مروان فى اثنى عشر راكبا على النجائب حتى دخل الكوفة حين انتشر النهار فجاءة وقد كان بشر بعث المهلب الى الحرورِيّة فبدأ بالمسجد فدخله ثم صعد المنبر وهو متلثم بعمامة خزٍّ حمراء فقال علىّ بالناس فحسبوه وأصحابه خارجة فهموا به حتى اذا اجتمع اليه الناس قام فكشف عن وجهه وقال

أنا ابنُ جلا وطلّاعُ الثنايا * متى أضعِ العمامة تعرفونى

أما والله انى لأحمل الشر محمله وأحذوه بنعله وأجزيه بمثله وإنى لأرى رؤسا قد أينعت وحان قطافها وإنى لأنظر الى الدماء بين العمائم واللحى

قد شمّرتْ عن ساقها تشميرا

هذا أوانُ الشّدّ فاشتدى زِيَمْ * قد لفّها الليلُ بِسوّاقٍ حُطَمْ

ليس براعى إبلٍ ولا غنمْ * ولا بجزّارٍ على ظهر وَضَمْ

قد لفّها الليلُ بعَصْلَبِىّ * أروع خرّاج من الدّوِىّ

مُهاجِرٍ ليس بأعرابِىّ

هَمَمْتُ وَلَمْ أَفْعَلْ وَكِدْتُ وَلَيْتَنِي * تَرَكْتُ عَلَى عُثْمَانَ تَبْكِي حَلَائِلُهْ

اني لأحسب في قتلك صلاح المصرين قم اليه يا حرسي فاضرب عنقه فقام اليه رجل فضرب عنقه وأنهب ماله ويقال ان عنبسة بن سعيد قال للحجاج أتعرف هذا قال لا قال هذا أحد قتلة أمير المؤمنين عثمان فقال الحجاج يا عدو الله أفلا الى أمير المؤمنين بعثت بديلا ثم أمر بضرب عنقه وأمر مناديا فنادى الا ان عمير بن ضابئ أتى بعد ثالثة وقد كان سمع النداء فأمرنا بقتله ألا فان ذمة الله بريئة ممن بات الليلة من جند المهلب فخرج الناس فازدحموا على الجسر وخرجت العرفاء الى المهلب وهو برامهرمز فأخذوا كتبه بالموافاة فقال المهلب قدم العراق اليوم رجل ذكر اليوم قوتل العدو قال ابن أبي عبيدة في حديثه فعبر الجسر تلك الليلة أربعة آلاف من مذحج فقال المهلب قدم العراق رجل ذكر قال عمر عن أبي الحسن قال لما قرأ عليهم كتاب عبد الملك قال القارئ أما بعد سلام عليكم فانى أحمد اليكم الله فقال له اقطع يا عبيد العصا أيسلم عليكم أمير المؤمنين فلا يرد راد منكم السلام هذا أدب ابن نهية أما والله لأؤدبنكم غير هذا الادب ابدأ بالكتاب فلما بلغ الى قوله أما بعد سلام عليكم لم يبق منهم أحد الا قال وعلى أمير المؤمنين السلام ورحمة الله * قال عمر حدثني عبد الملك بن شيبان بن عبد الملك بن مسمع قال حدثني عمرو بن سعيد قال لما قدم الحجاج الكوفة خطبهم فقال انكم قد أخللتم بعسكر المهلب فلا يصبحن بعد ثالثة من جنده أحد فلما كان بعد ثالثة أتى رجل يستدمي فقال من بك قال عمير بن ضابئ البرجمي أمرته بالخروج الى معسكره فضربني وكذب عليه فأرسل الحجاج الى عمير بن ضابئ فأتى به شيخا كبيرا فقال له ما خلفك عن معسكرك قال أنا شيخ كبير لا حراك بي فأرسلت ابني بديلا فهو أجلد مني جلدا وأحدث مني سنا فسل عما أقول لك فان كنت صادقا والا فعاقبني قال فقال عنبسة بن سعيد هذا الذي أتى عثمان قتيلا فلطم وجهه ووثب عليه فكسر ضلعين من أضلاعه فأمر به الحجاج فضربت عنقه قال عمرو بن سعيد فوالله اني لأسير بين الكوفة والحيرة اذ سمعت رجزا مضريا فعدلت اليهم فقلت ما الخبر فقالوا قدم علينا رجل من شر أحياء العرب من هذا الحي من ثمود أسقف الساقين ممسوح الجاعرتين أخفش العينين فقدم سيد الحي عمير بن ضابئ فضرب عنقه ولما قتل الحجاج عمير بن ضابئ لقي ابراهيم بن عامر أحد بني غاضرة من بني أسد عبد الله بن الزبير في السوق فسأله عن الخبر فقال ابن الزبير

أَقُولُ لِابْرَاهِيمَ لَمَّا لَقِيتُهُ * أَرَى الأَمْرَ أَمْسَى مُنْصِبًا مُتَشَعِّبَا

تَجَهَّزْ وَأَسْرِعْ وَالْحَقِ الْجَيْشَ لَا أَرَى * سِوَى الْجَيْشِ إِلَّا فِي الْمَهَالِكِ مَذْهَبَا

تَخَيَّرْ فَإِمَّا أَنْ تَزُورَ ابْنَ ضَابِئٍ * عُمَيْرًا وَإِمَّا أَنْ تَزُورَ الْمُهَلَّبَا

هُمَا خُطَّتَا كُرْهٍ نَجَاؤُكَ مِنْهُمَا * رُكُوبُكَ حَوْلِيًّا مِنَ الثَّلْجِ أَشْهَبَا

وقوله فسحم عيدانها أى عضها والفحم بفتح الفاء حَبّ الزبيب قال الاعشى

وملفوطها كلقيط العَجَم

وقوله أمرّها عودا أى أصلبها يقال حبل مُمَرّ اذا كان شديد الفتل وقوله لأعصبنّكم عصب السَّلمَة فالعصب القطع والسلمة شجرة من العضاه وقوله لأحلق الافريت فالخلق التقدير قال الله تعالى من نطفة مُخَلَّقَةٍ وغيرِ مُخلّقةٍ أى مقدّرة وغير مقدرة يعنى ما يتم وما يكون سقطا قال الكميت يصف قربة

لم تَجْشَم الخالقات فَرْيَتَها * ولم يَفِضْ مِن نطاقِها السَّرَبُ

وانما وصف حواصل الطير يقول ليست كهذه وصخرة خلقاء أى ملساء قال الشاعر

وبَهْوٌ هواءٌ فوق مور كأنه * من الصَّخْرة الخَلْقاء زُحلوقُ ملعبِ

ويقال فريت الأديم اذا أصلحته وأفريت بالألف اذا أنت أفسدته والسمهى الباطل قال أبو عمرو الشيبانى وأصله ما تسميه العامة مُخاط الشيطان وهو لعاب الشمس عند الظهيرة قال أبو النجم العجلى

وذاب للشمس لُعابٌ فنزلْ * وقام ميزان الزمان فاعتدلْ

والزرافات الجماعات تم التفسير ﴿قال أبو جعفر﴾ قال عمر فحدثنى محمد بن يحيى عن عبد الله ابن أبى عبيدة قال فلما كان اليوم الثالث سمع تكبيرا فى السوق فخرج حتى جلس على المنبر فقال يا أهل العراق وأهل الشقاق والنفاق ومساوئ الأخلاق انى سمعت تكبيرا ليس بالتكبير الذى يراد الله به فى الترغيب ولكنه التكبير الذى يراد به الترهيب وقد عرفت انها عجاجة تحتها قصفٌ يا بنى اللكيعة وعبيد العصا وأبناء الايامى ألا يربع رجل منكم على ظلعه ويحسن حقن دمه ويبصر موضع قدمه فأقسم بالله لأوشك أن أوقع بكم وقعة تكون نكالا لما قبلها وأدبا لما بعدها * قوله تحتها قصفٌ فهو شدة الريح والنكباء الورهاء وهى الحمقاء من الاماء والظلع الضعف والوهن من شدة السير وقوله تهوى هوىّ سابق الغطاط فالغطاط بضم الغين ضرب من الطير قال الأصمعى الغطاط بفتح الغين ضرب من الطير وأنشد لحسان بن ثابت

يُغشَوْن حتى ما تهرّ كلابُهُمْ * لا يسألون عن السَّواد المقبِلِ

بفتح الغين قال والغُطاط بضم الغين اختلاط الضوء بالظلمة من آخر الليل قال الراجز

قام الى أدماء فى الغُطاطِ * يمشى مِثْلِ قائم الفُسطاط

﴿تم التفسير﴾ قال فقام اليه عمير بن ضابئ التميمى ثم الحنظلى فقال أصلح الله الأمير أنا فى هذا البعث وأنا شيخ كبير عليل وهذا ابنى وهو أشبّ منى قال ومن أنت قال عمير بن ضابئ التميمى قال أسمعت كلامنا بالأمس قال نعم قال ألست الذى غزا أمير المؤمنين عثمان قال بلى قال وما حملك على ذلك قال كان حبس أبى وكان شيخا كبيرا قال أوليس يقول

همهمت

وجماعة من أصحابه وبعث برأسه ورؤس عشرة من أصحابه الى المهلب وانصرف الى البصرة وكتب الى المهلب والى عبد الرحمن بن مخنف أما بعد اذا أتاكم كتابي هذا فناهضوا الخوارج والسلام ﴿وفي هذه السنة﴾ نفى المهلب وابن مخنف الأزارقة عن رامهرمز

﴿ذكر الخبر عن ذلك وما كان من أمرهم في هذه السنة﴾

﴿ذكر هشام﴾ عن أبي مخنف عن أبي زهير العبسي قال ناهض المهلب وابن مخنف الأزارقة برامهرمز بكتاب الحجاج اليهما لعشر بقين من شعبان يوم الاثنين سنة ٧٥ فأجلوهم عن رامهرمز من غير قتال شديد ولكنهم زحفوا اليهم حتى أزالوهم وخرج القوم كأنهم على حامية حتى نزلوا سابور بأرض منها يقال لها كازرون وسار المهلب وعبد الرحمن بن مخنف حتى نزلوا بهم في أول رمضان فخندق المهلب عليه فذكر أهل البصرة ان المهلب قال لعبد الرحمن بن مخنف ان رأيت أن تخندق عليك فافعل وان أصحاب عبد الرحمن أبوا عليه وقالوا انما خندقنا سيوفنا وان الخوارج زحفوا الى المهلب ليلا ليبيتوه فوجدوه قد أخذ حذره فمالوا نحو عبد الرحمن بن مخنف فوجدوه لم يخندق فقاتلوه فانهزم عنه أصحابه فنزل فقاتل في أناس من أصحابه فقتل وقتلوا حوله فقال شاعرهم

لمن العَسكرُ المكلَّلُ بالصرْ * عى فهُمْ بين ميّت وقتيلِ

فتَراهُم تَسْفي الرياح عليهم * حاصِبَ الرَّمْل بَعْد جرِّ الذيولِ

وأما أهل الكوفة فانهم ذكروا ان كتاب الحجاج بن يوسف أتى المهلب وعبد الرحمن بن مخنف أن ناهضا الخوارج حين يأتيكما كتابي فناهضاهم يوم الأربعاء لعشر بقين من رمضان سنة ٧٥ واقتتلوا قتالا شديدا لم يكن بينهم فيما مضى قتال كان أشد منه وذلك بعد الظهر فمالت الخوارج بحدّها على المهلب بن أبي صفرة فاضطرّوه الى عسكره فسرّح الى عبد الرحمن رجالا من صلحاء الناس فأتوه فقالوا ان المهلب يقول لك انما عدوّنا واحد وقد ترى ما قد لقي المسلمون فأمدّ اخوانك يرحمك الله فأخذ يُمدّه بالخيل بعد الخيل والرجال بعد الرجال فلما كان بعد العصر ورأت الخوارج ما يجيء من عسكر عبد الرحمن من الخيل والرجال الى عسكر المهلب ظنوا أن قد خفّ أصحابه فجعلوا خمس كتائب أو ست تجاه عسكر المهلب وانصرفوا بحدّهم وجمعهم الى عبد الرحمن بن مخنف فلما رآهم قد صمدوا له نزل ونزل معه القرّاء عليهم أبو الاحوص صاحب عبد الله بن مسعود وخزيمة بن نصر أبو نصر بن خزيمة العبسي الذي قتل مع زيد بن عليّ وصُلب معه بالكوفة ونزل معه من خاصة قومه احد وسبعون رجلا وحملت عليهم الخوارج فقاتلهم قتالا شديدا ثم ان الناس انكشفوا عنه فبقي في عصابة من أهل الصبر ثبتوا معه وكان ابنه جعفر بن عبد الرحمن فيمن بعثه الى المهلب فنادى في الناس ليتبعوه الى أبيه فلم يتبعه الا ناس قليل فجاء حتى اذا دنا من أبيه حالت الخوارج بينه وبين أبيه فقاتل

فقال ولو كانت خُرَاسَانُ دُونه * رآها مَكانَ السُّوقِ أوْ هِيَ أقربا

فكأن ترى من مُكْرِهِ العدْوِ مُسْمِنٍ * تَحَمَّمَ حِنْوَ السَّرْجِ حتى تَحَنَّبا

وكان قدوم الحجاج الكوفة فيما قيل في شهر رمضان من هذه السنة فوجّه الحكم بن أيوب الثقفي على البصرة أميرا وأمره أن يشتد على خالد بن عبد الله فلما بلغ خالدا الخبر خرج من البصرة قبل أن يدخلها الحكم فنزل الجلحاء وشيّعه أهل البصرة فلم يبرح مُصَلّاه حتى قسم فيهم ألف ألف ﴿وحج﴾ بالناس في هذه السنة عبد الملك بن مروان حدثني بذلك أحمد بن ثابت عمن حدثه عن اسحاق بن عيسى عن أبي معشر ووفد يحيى بن الحكم في هذه السنة على عبد الملك بن مروان واستخلف على عمله بالمدينة أبان بن عثمان وأمر عبد الملك يحيى بن الحكم أن يقرّ على عمله على ما كان عليه بالمدينة وعلى الكوفة والبصرة الحجاج بن يوسف وعلى خراسان أمية بن عبد الله وعلى قضاء الكوفة شريح وعلى قضاء البصرة زُرارة بن أوفى ﴿وفي هذه السنة﴾ خرج الحجاج من الكوفة الى البصرة واستخلف على الكوفة أبا يَعْفُور عروة بن المغيرة بن شعبة فلم يزل عليها حتى رجع اليها بعد وقعة رُستقباذ ﴿وفي هذه السنة﴾ ثار الناس بالحجاج بالبصرة

﴿ذكر الخبر عن سبب وثوبهم به﴾

* ذكر هشام عن أبي مخنف عن أبي زهير العبسي قال خرج الحجاج بن يوسف من الكوفة بعد ما قدمها وقتل ابن ضابئ من فوره ذلك حتى قدم البصرة فقام فيها بخطبة مثل الذي قام بها في أهل الكوفة وتوعّدهم مثل وعيده اياهم فأتي برجل من بني يشكر فقيل هذا عاص فقال ان بي فتقا وقد رآه بشر فعذرني وهذا عطائي مردود في بيت المال فلم يقبل منه وقتله ففزع لذلك أهل البصرة فخرجوا حتى تداكّوا على العارض بقنطرة رامهرمز فقال المهلب جاء الناس رجل ذكر وخرج الحجاج حتى نزل رُستقباذ في أول شعبان سنة ٧٥ فثار الناس بالحجاج عليهم عبد الله بن الجارود فقتل عبد الله بن الجارود وبعث بثمانية عشر رأسا فنصبت برامهرمز للناس فاشتدت ظهور المسلمين وساء ذلك الخوارج وقد كانوا رجوا أن يكون من الناس فرقة واختلاف فانصرف الحجاج الى البصرة وكان سبب أمر عبد الله بن الجارود ان الحجاج لما ندب الناس الى اللحاق بالمهلب بالبصرة فشخصوا سار الحجاج حتى نزل رُستقباذ قريبا من دستوَى في آخر شعبان ومعه وجوه أهل البصرة وكان بينه وبين المهلب ثمانية عشر فرسخا فقام في الناس فقال ان الزيادة التي زادكم ابن الزبير في أعطياتكم زيادة فاسق منافق ولست أجيزها فقام اليه عبد الله بن الجارود العبدي فقال انها ليست بزيادة فاسق منافق ولكنها زيادة أمير المؤمنين عبد الملك قد أثبتها لنا فكذّبه وتوعّده فخرج ابن الجارود على الحجاج وتابعه وجوه الناس فاقتتلوا قتالا شديدا فقتل ابن الجارود

وجماعة

على الأزد لمّا أن أصيب سراتهم * فنوح العيش بعد ذلك خائب
نرجّي الخلود بعدهم وتعوقنا * عوائق موت أو قراع الكتائب
وكنا بخير قبل قتل ابن مخنف * وكلّ امرئ يوما لبعض المذاهب
أمار دموع الشيب من أهل مصره * وعجّل في الشبّان شيب الذوائب
وقاتل حتى مات أكرم ميتة * وخرّ على خدٍّ كريم وحاجب
وضارب عنه المارقين عصابة * من الأزد تمشي بالسيوف القواضب
فلا ولدت أنثى ولا آب غائب * الى أهله إن كان ليس بآيب
فيا عيني ابكي مخنفا وابن مخنف * وفرسان قومي قصرة وأقاربي

وقال سراقة أيضا يرثي عبد الرحمن بن مخنف

ثوى سيد الأزدين أزد شنوءة * وأزد عمان رهن رمس بكازر
وضارب حتى مات أكرم ميتة * بأبيض صاف كالعقيقة باتر
وصرّع حول التل تحت لوائه * كرام المساعي من كرام المعاشر
قضى نحبه يوم اللقاء ابن مخنف * وأدبر عنه كل ألوث داثر
أمدّ فلم يمدد فراح مشمّرا * الى الله لم يذهب بأثواب غادر

وأقام المهلب بسابور يقاتلهم نحوا من سنة ﴿ وفي هذه السنة ﴾ تحرّك صالح بن مسرّح أحد بني امرئ القيس وكان يرى رأي الصفرية وقيل انه أوّل من خرج من الصفرية

﴿ ذكر الخبر عن تحرك صالح للخروج وما كان منه في هذه السنة ﴾

ذكر ان صالح بن مسرح أحد بني امرئ القيس حج سنة ٧٥ ومعه شبيب بن يزيد وسويد والبطين وأشباههم وحج في هذه السنة عبد الملك بن مروان فهمّ شبيب بالفتك به وبلغه ذلك من خبرهم فكتب الى الحجاج بعد انصرافه يأمره بطلبهم وكان صالح يأتي الكوفة فيقيم بها الشهر ونحوه فيلقى أصحابه ليعدهم فنبت بصالح الكوفة لما طلبه الحجاج فتنكّبها

﴿ ثم دخلت سنة ست وسبعين ﴾

﴿ ذكر الكائن من الأحداث فيها ﴾

فمن ذلك خروج صالح بن مسرح

﴿ ذكر الخبر عن خروج صالح بن مسرح وعن سبب خروجه ﴾

وكان سبب خروجه فيما ذكر هشام عن أبي مخنف عن عبد الله بن علقمة عن قبيصة بن عبد الرحمن الخثعمي ان صالح بن مسرّح التميمي كان رجلا ناسكا مخبتا مصفرّ الوجه صاحب عبادة وانه كان بدارا وأرض الموصل والجزيرة له أصحاب يقرئهم القرآن ويفقههم ويقصّ

حتى ارتثته الخوارج وقاتل عبد الرحمن بن مخنف ومن معه على تل مشرف حتى ذهب نحو من ثلثي الليل ثم قتل في تلك العصابة فلما أصبحوا جاء المهلب حتى أتاه فدفنه وصلى عليه وكتب بمصابه الى الحجاج فكتب بذلك الحجاج الى عبد الملك بن مروان فنعى عبد الرحمن بمنى وذم أهل الكوفة وبعث الحجاج على عسكر عبد الرحمن بن مخنف عتاب بن ورقاء وأمره اذا ضمتهما الحرب أن يسمع للمهلب ويطيع فساءه ذلك فلم يجد بدا من طاعة الحجاج ولم يقدر على مراجعته فجاء حتى أقام في ذلك العسكر وقاتل الخوارج وأمره الى المهلب وهو في ذلك يقضي أموره ولا يكاد يستشير المهلب في شيء فلما رأى ذلك المهلب اصطنع رجالا من أهل الكوفة فيهم بسطام بن مصقلة بن هبيرة فأغراهم بعتاب (قال أبو مخنف) عن يوسف بن يزيد ان عتابا أتى المهلب يسأله أن يرزق أصحابه فأجلسه المهلب معه على مجلسه قال فسأله أن يرزق أصحابه سؤالا فيه غلظة وتجهم قال فقال له المهلب وانك لههنا يا ابن اللخناء فبنو تميم يزعمون انه رد عليه وأما يوسف بن يزيد وغيره فيزعمون انه قال والله انها لمعمة مخولة ولوددت ان الله فرق بيني وبينك قال فجرى بينهما الكلام حتى ذهب المهلب ليرفع القضيب عليه فوثب عليه ابنه المغيرة فقبض على القضيب وقال أصلح الله الأمير شيخ من أشياخ العرب وشريف من أشرافهم ان سمعت منه بعض ما تكرهه فاحتمله له فانه لذلك منك أهل ففعل وقام عتاب فرجع من عنده واستقبله بسطام بن مصقلة يشتمه ويقع فيه * فلما رأى ذلك كتب الى الحجاج يشكو اليه المهلب ويخبره انه قد أغرى به سفهاء أهل المصر ويسأله أن يضمه اليه فوافق ذلك من الحجاج حاجة اليه فيما لقي أشراف الكوفة من شبيب فبعث اليه أن اقدم واترك أمر ذلك الجيش الى المهلب فبعث المهلب عليه حبيب بن المهلب وقال حميد بن مسلم يرثي عبد الرحمن بن مخنف

ان يقتلوك أبا حكيم غدوة * فلقد تشد وتقتل الأبطالا
أو يثكلونا سيد المسود * سمح الخليقة ماجدا مفضالا
فلمثل قتلك هد قومك كلهم * من كان يحمل عنهم الاثقالا
من كان يكشف غرمهم وقتالهم * يوما اذا كان القتال نزالا
أقسمت ما نلت مقاتل نفسه * حتى تدرع من دم سربالا
وتناجز الأبطال تحت لوائه * بالمشرفية والأكف نصالا
يوما طويلا ثم آخر ليلهم * حتى استبانوا في السماء هلالا
وتكشفت عنه الصفوف وخيله * فهناك نالته الرماح فمالا

وقال سراقة بن مرداس البارقي

أعيني جودا بالدموع السواكب * وكونا كواهي شنة معراكب

العدل قد عفا ولا تزداد هذه الوُلاة على الناس الا غلوًّا وعتوًّا وتباعدا عن الحق وجرأة على الرب فاستعدّوا وابعثوا الى اخوانكم الذين يريدون من انكار الباطل والدعاء الى الحق مثل الذى تريدون فيأتوكم فنلتقى وننظر فيما نحن صانعون وفى أىّ وقت ان خرجنا نحن خارجون قال فتراسل أصحاب صالح وتلاقوا فى ذلك فبيناهم فى ذلك اذ قدم عليهم المحلل بن وائل اليشكرىّ بكتاب من شبيب الى صالح بن مسرّح أما بعد فقد علمت انك كنت أردت الشخوص وقد كنت دعوتنى الى ذلك فاستجبت لك فإن كان ذلك اليوم من شأنك فأنت شيخ المسلمين ولن نعدل بك منا أحدا وان أردت تأخير ذلك اليوم أعلمتنى فان الآجال غادية ورائحة ولا آمن أن تخترمنى المنيّة ولما أجاهد الظالمين فياله غبنا وياله فضلا متروكا جعلنا الله واياك ممن يريد بعمله الله ورضوانه والنظر الى وجهه ومرافقة الصالحين فى دار السلام والسلام عليك قال فلما قدم على صالح المحلل بن وائل بذلك الكتاب من شبيب كتب اليه صالح أما بعد فقد كان كتابك وخبرك أبطأ عنى حتى أهمنى ذلك ثم ان أمرأ من المسلمين نبّأنى بنبإ مخرجك ومقدمك فنحمد الله على قضاء ربنا وقد قدم علىّ رسولك بكتابك فكل ما فيه قد فهمته ونحن فى جهاز واستعداد للخروج ولم يمنعنى من الخروج الا انتظارك فأقبل الينا ثم اخرج بنا متى ما أحببت فانك ممن لا يستغنى عن رأيه ولا تقضى دونه الأمور والسلام عليك * فلما قدم على شبيب كتابه بعث الى نفر من أصحابه فجمعهم اليه منهم أخوه مصاد بن يزيد بن نعيم والمحلل بن وائل اليشكرىّ والصقر بن حاتم من بنى تيم بن شيبان وابراهيم بن حجر أبو الصقير من بنى محلّم والفضل بن عامر من بنى ذهل بن شيبان ثم خرج حتى قدم على صالح بن مسرّح بدارا فلما لقيه قال اخرج بنا رحمك الله فوالله ما تزداد السنّة الا دروسا ولا يزداد المجرمون الا طغيانا فبثّ صالح رسله فى أصحابه وواعدهم الخروج فى هلال صفر ليلة الأربعاء سنة ٧٦ فاجتمع بعضهم الى بعض وتهيّأوا وتيسر والخروج فى تلك الليلة واجتمعوا جميعا عنده فى تلك الليلة لميعاده (قال أبو مخنف) فحدثنى فروة بن لقيط الأزدىّ قال والله انى لمع شبيب بالمدائن اذ حدّثنا عن مخرجهم قال لما هممنا بالخروج اجتمعنا الى صالح بن مسرّح ليلة خرج فكان رأيى استعراض الناس لما رأيت من المنكر والعدوان والفساد فى الأرض فقمت اليه فقلت يا أمير المؤمنين كيف ترى فى السيرة فى هؤلاء الظلمة أنقتلهم قبل الدعاء أم ندعوهم قبل القتال وسأخبرك برأيى فيهم قبل أن تخبرنى فيهم برأيك أما أنا فأرى أن نقتل كل من لا يرى رأينا قريبا كان أو بعيدا فانا نخرج على قوم غاوين طاغين باغين قد تركوا أمر الله واستحوذ عليهم الشيطان فقال لا بل ندعوهم فلعمرى لا يجيبك الا من يرى رأيك وليقاتلنك من يزرى عليك والدعاء أقطع لحجتهم وأبلغ فى الحجة عليهم قال فقلت له فكيف ترى فيمن قاتلنا فظفرنا به ما تقول

عليهم فكان قبيصة بن عبد الرحمن حدث أصحابنا ان قصص صالح بن مسرّح عنده وكان ممن يرى رأيهم فسألوه أن يبعث بالكتاب اليهم ففعل وكان قصصه الحمدُ لله الذي خلق السموات والأرض وجعل الظُّلُمَاتِ والنُّور ثم الذين كفروا بربهم يَعدِلون اللهمّ انّا لا نعدل بك ولا نحفد الا اليك ولا نعبد الا اياك لك الخلق والأمر ومنك النفع والضرّ واليك المصير ونشهد ان محمدا عبدك الذي اصطفيته ورسولك الذي اخترته وارتضيته لتبليغ رسالاتك ونصيحة عبادك ونشهد انه قد بلغ الرسالة ونصح للأمة ودعا الى الحق وقام بالقسط ونصر الدين وجاهد المشركين حتى توفاه الله صلى الله عليه وسلم أوصيكم بتقوى الله والزهد في الدنيا والرغبة في الآخرة وكثرة ذكر الموت وفراق الفاسقين وحبّ المؤمنين فان الزهادة في الدنيا ترغب العبد فيما عند الله وتفرغ بدنه لطاعة الله وان كثرة ذكر الموت يخيف العبد من ربه حتى يجأر اليه ويستكين له وان فراق الفاسقين حق على المؤمنين قال الله في كتابه وَلا تُصلِّ على أحدٍ منهم ماتَ أبدًا ولا تَقُمْ على قبره إنهم كفروا بالله ورسولِه وماتوا وهم فاسقون وان حبّ المؤمنين للسبب الذي ينال به كرامة الله ورحمته وجنته جعلنا الله واياكم من الصادقين الصابرين ألا ان من نعمة الله على المؤمنين ان بعث فيهم رسولا من أنفسهم فعلمهم الكتاب والحكمة وزكاهم وطهّرهم ووفّقهم في دينهم وكان بالمؤمنين رؤفا رحيما حتى قبضه الله صلوات الله عليه ثم ولى الأمر من بعده التقيّ الصدّيق على الرضى من المسلمين فاقتدى بهديه واستنّ بسنته حتى لحق بالله رحمه الله واستخلف عمر فولاه الله أمر هذه الرعية فعمل بكتاب الله وأحيا سنة رسول الله ولم يَحْنَقْ في الحق على جرّته ولم يخف في الله لومة لائم حتى لحق به رحمة الله عليه وولى المسلمين من بعده عثمان فاستأثر بالفيء وعطّل الحدود وجار في الحكم واستذلّ المؤمن وعزّز المجرم فسار اليه المسلمون فقتلوه فبرئ الله منه ورسوله وصالحُ المؤمنين وولى أمر الناس من بعده عليّ بن أبي طالب فلم ينشب ان حكّم في أمر الله الرجال وشك في أهل الضلال وركن وأدهن فنحن من عليّ وأشياعه براء فتيسّروا رحمكم الله لجهاد هذه الأحزاب المتحزّبة وأئمة الضلال الظلمة وللخروج من دار الفناء الى دار البقاء واللحاق باخواننا المؤمنين الموقنين الذين باعوا الدنيا بالآخرة وأنفقوا أموالهم التماسَ رضوان الله في العاقبة ولا تجزعوا من القتل في الله فان القتل أيسر من الموت والموت نازلٌ بكم غير ما ترجمُ الظنون فمفرّق بينكم وبين آبائكم وأبنائكم وحلائلكم ودنياكم وان اشتدّ لذلك كرهُكم وجزعكم ألا فبيعوا الله أنفسكم طائعين وأموالكم تدخلوا الجنة آمنين وتعانقوا الحور العين جعلنا الله واياكم من الشاكرين الذاكرين الذين يهدون بالحق وبه يعدلون (قال أبو مخنف) فحدثني عبد الله بن علقمة قال بينا أصحاب صالح يختلفون اليه اذ قال لهم ذات يوم ما أدري ما تنتظرون وحتى متى أنتم مقيمون هذا الجور قد فشا وهذا

وحوى ما فيه وذهب فلّ عديّ وأوائل أصحابه حتى دخلوا على محمد بن مروان فغضب ثم دعا خالد بن جزء السلمي فبعثه في ألف وخمسمائة ودعا الحارث بن جعونة من بني ربيعة ابن عامر بن صعصعة فبعثه في ألف وخمسمائة ودعاهما فقال اخرجا الى هذه الخارجة القليلة الخبيثة وعجّلا الخروج وأغذّا السير فأيكما سبق فهو الأمير على صاحبه فخرجا من عنده فأغذا السير وجعلا يسألان عن صالح بن مسرّح فيقال لهما انه توجه نحو آمد فأتبعاه حتى انتهيا اليه وقد نزل على أهل آمد فنزلا ليلا فخندقا وانتهيا اليه وهما متساندان كلّ واحد منهما في أصحابه على حدته فوجّه صالح شبيبا الى الحارث بن جعونة العامري في شطر أصحابه وتوجّه هو نحو خالد بن جزء السلمي (قال أبو مخنف) فحدّثني المحلمي قال انتهوا الينا في أول وقت العصر فصلى بنا صالح العصر ثم عبّانا لهم فاقتتلنا كأشدّ قتال اقتتله قوم قطّ وجعلنا والله نرى الظفر يحمل الرجل منا على العشرة منهم فيهزمهم وعلى العشرين فكذلك وجعلت خيلهم لا تثبت لخيلنا * فلما رأى أميراهم ذلك ترجلا وأمرا جلّ من معهما فترجّل فعند ذلك جعلنا لا نقدر منهم على الذي نريد اذا حملنا عليهم استقبلتنا رجالتهم بالرماح ونضحتنا رماتهم بالنبل وخيلهم تطاردنا في خلال ذلك فقاتلناهم الى المساء حتى حال الليل بيننا وبينهم وقد أفشوا فينا الجراحة وأفشيناها فيهم ووالله ما أمسينا حتى كرهناهم وكرهونا وقد قتلوا منا نحوا من ثلاثين رجلا وقتلنا منهم أكثر من سبعين فوقفنا مقابلهم ما يقدمون علينا وما نقدم عليهم فلما أمسوا رجعوا الى عسكرهم ورجعنا الى عسكرنا فصلينا وتروّحنا وأكلنا من الكسر ثم إن صالحا دعا شبيبا ورؤس أصحابه فقال يا أخلائي ماذا ترون فقال شبيب أرى انا قد لقينا هؤلاء القوم فقاتلناهم وقد اعتصموا بخندقهم فلا أرى أن نقيم عليهم فقال صالح وأنا أرى ذلك فخرجوا من تحت ليلتهم سائرين فمضوا حتى قطعوا أرض الجزيرة ثم دخلوا أرض الموصل فساروا فيها حتى قطعوها ومضوا حتى قطعوا الدّسكرة * فلما بلغ ذلك الحجاج سرّح اليهم الحارث بن عميرة بن ذي المشعار الهمداني في ثلاثة آلاف رجل من أهل الكوفة ألف من المقاتلة الأولى وألفين من الفرض الذي فرض لهم الحجاج فسار حتى اذا دنا من الدّسكرة خرج صالح بن مسرّح نحو جلولاء وخانقين واتّبعه الحارث بن عميرة حتى انتهى الى قرية يقال لها المدبج من أرض الموصل على تخوم ما بينها وبين أرض جوخى وصالح يومئذ في تسعين رجلا فعبّى الحارث بن عميرة يومئذ أصحابه وجعل على ميمنته أبا الرواع الشاكري وعلى ميسرته الزبير بن الأروح التميمي ثم شدّ عليهم وذلك بعد العصر وقد جعل صالح أصحابه ثلاثة كراديس فهو في كردوس وشبيب في كردوس في ميمنته وسويد بن سليم في كردوس في الميسرة في كلّ كردوس منهم ثلاثون رجلا * فلما شدّ عليهم الحارث بن عميرة في جماعة أصحابه انكشف سويد بن سليم وثبت صالح بن مسرّح فقتل وضارب شبيب حتى صُرع عن فرسه فوقع في رجّالة فشدّ

فى دمائهم وأموالهم فقال ان قتلنا وغنمنا فلنا وان تجاوزنا وعفونا فوسع علينا ولنا قال فأحسن القول وأصاب رحمة الله عليه وعلينا (قال أبو مخنف) فحدثنى رجل من بنى محلم ان صالح بن مسرح قال لأصحابه ليلة خرج اتقوا الله عباد الله ولا تعجلوا الى قتال أحد من الناس الا ان يكونوا قوما يريدونكم وينصبون لكم فانكم انما خرجتم غضبا لله حيث انتهكت محارمه وعُصى فى الارض فسُفكت الدماء بغير حلها وأخذت الأموال بغير حقها فلا تعيبوا على قوم أعمالا ثم تعملوا بها فان كل ما أنتم عاملون أنتم عنه مسؤلون وإن عظمكم رجّالة وهذه دواب لمحمد بن مروان فى هذا الرستاق فابدؤا بها فشدّوا عليها فاحملوا أرجلكم وتقوّوا بها على عدوّكم فخرجوا فأخذوا تلك الليلة الدواب فحملوا رجالتهم عليها وصارت رجالتهم فرسانا وأقاموا بأرض دارا ثلاث عشرة ليلة وتحصّن منهم أهل دارا وأهل نَصيبين وأهل سنجار وخرج صالح ليلة خرج فى مائة وعشرين وقيل فى مائة وعشرة قال وبلغ مخرجُهم محمد بن مروان وهو يومئذ أمير الجزيرة فاستخفّ بأمرهم وبعث اليهم عدىّ بن عدىّ بن عُميرة من بنى الحارث بن معاوية بن ثور فى خمسمائة فقال له أصلح الله الأمير أتبعثنى الى رأس الخوارج منذ عشرين سنة قد خرج معه رجال من ربيعة قد سُمّوا لى كانوا يعدّون الرجل منهم خيرا من مائة فارس فى خمسمائة رجل قال له فانى أزيدك خمسمائة أخرى فسر اليهم فى ألف فسار من حرّان فى ألف رجل فكان أوّل جيش سار الى صالح وسار اليه عدىّ وكأنما يساق الى الموت وكان عدىّ رجلا يتنسّك فأقبل حتى اذا نزل دوغان نزل بالناس وسرّح الى صالح بن مسرّح رجلا دسّه اليه من بنى خالد من بنى الوِرثة يقال له زياد ابن عبد الله فقال ان عدىّا بعثنى اليك يسألك ان تخرج من هذا البلد وتأتى بلدا آخر فتقاتل أهله فإنّ عديّا للقائك كارهٌ فقال له صالح ارجع اليه فقال له ان كنت ترى رأينا فأرِنا من ذلك ما نعرف ثم نحن مدلجون عنك من هذا البلد الى غيره وإن كنت على رأى الجبابرة وأئمة السوء رأينا رأينا فان شئنا بدأنا بك وإن شئنا رحلنا الى غيرك فانصرف اليه الرسول فأبلغه ما أرسل به فقال له ارجعْ اليه فقل له انى والله ما أنا على رأيك ولكنّى أكره قتالك وقتال غيرك فقاتلْ غيرى فقال صالح لأصحابه اركبوا فركبوا وحبس الرجل عنده حتى خرجوا ثم تركه ومضى بأصحابه حتى يأتى عدىّ بن عدىّ بن عُميرة فى سُوق دوغان وهو قائم يصلى الضحى فلم يشعر الا والخيل طالعة عليهم فلما بصروا بها تنادوا وجعل صالح شبيبا فى كتيبة فى ميمنة أصحابه وبعث سويد بن سُليم الهندىّ من بنى شيبان فى كتيبة فى ميسرة أصحابه ووقف هو فى كتيبة فى القلب فلما دنا منهم رآهم على غير تعبية وبعضهم يجول فى بعض فأمر شبيبا فحمل عليهم ثم حمل سُويد عليهم فكانت هزيمتهم ولم يقاتلوا وأُتى عدىّ بن عدىّ بدابته وهو يصلى فركبها ومضى على وجهه وجاء صالح بن مسرّح حتى نزل عسكره

فقتلوهم وأتوا برؤسهم عبد الملك بن مروان فلذلك أنزلهم بانقيا وفرض لهم ولم تكن لهم فرائض قبل ذلك الا قليلة فقال سلامة بن سيار أخو فضالة يذكر قتل أخيه وخذلان أخواله اياه

وَمَا خِلْتُ أَخْوَالَ الفَتَى يُسْلِمُونَهُ * لِوَقْعِ السِّلَاحِ قَبْلَ مَا فَعَلَتْ نَصْرُ

قال وكان خروج أخيه فضالة قبل خروج صالح بن مسرح وشبيب * فلما بايع سلامة شبيبا اشترط عليه هذا الشرط فخرج في ثلاثين فارسا حتى انتهى الى عنزة فجعل يقتل المحلة منهم بعد المحلة حتى انتهى الى فريق منهم فيهم خالته وقد أكبت على ابن لها وهو غلام حين احتلم فقالت وأخرجت ثديها اليه أنشدك برحم هذا يا سلامة فقال لا والله ما رأيت فضالة مذ أناخ بقمر الشجرة يعني أخاه لتقومن عنه أو لأجمعن جانبك بالرمح فقامت عن ابنها عند ذلك فقتله (قال أبو مخنف) فحدثني المفضل بن بكر من بني تيم بن شيبان ان شبيبا أقبل في أصحابه نحو راذان فلما سمعت به طائفة من بني تيم بن شيبان خرجوا هرابا منه ومعهم ناس من غيرهم قليل فأقبلوا حتى نزلوا دير خرزاد الى جنب حولايا وهم نحو من ثلاثة آلاف وشبيب في نحو من سبعين رجلا أو يزيدون قليلا فنزل بهم فهابوه وتحصنوا منه ثم ان شبيبا سرى في اثني عشر فارسا من أصحابه الى أمه وكانت في سفح ساتيدما نازلة في مظلة من مظال الأعراب فقال لآتين بأمي فلأجعلنها في عسكري فلا تفارقني أبدا حتى أموت أو تموت وخرج رجلان من بني تيم بن شيبان تخوفا على أنفسهما فنزلا من الدير فلحقا بجماعة من قومهما وهم نزول بالجال منهم على مسيرة ساعة من النهار وخرج شبيب في أولئك الرهط في أولهم وهم اثنا عشر يريد أمه بالسفح فاذا هو بجماعة من بني تيم بن شيبان غارين في أموالهم مقيمين لا يرون ان شبيبا يمر بهم لمكانهم الذي هم به ولا يشعر بهم فحمل عليهم في فرسانه تلك فقتل منهم ثلاثين شيخا فيهم حوثرة بن أسد وبرة بن عاصم اللذان كانا نزلا من الدير فلحقا بالجال ومضى شبيب الى أمه فحملها من السفح فأقبل بها وأشرف رجل من أصحاب الدير من بكر بن وائل على أصحاب شبيب وقد استخلف شبيب أخاه على أصحابه مصاد بن يزيد ويقال لذلك الرجل الذي أشرف عليهم سلام بن حيان فقال لهم يا قوم القرآن بيننا وبينكم ألم تسمعوا قول الله وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ فالوا بلى قال لهم فكفوا عنا حتى نصبح ثم نخرج اليكم على أمان لنا منكم لكيلا تعرضوا لنا بشئ نكرهه حتى تعرضوا علينا أمركم هذا فإن نحن قبلناه حرمت عليكم أموالنا ودماؤنا وكنا لكم اخوانا وإن نحن لم نقبله رددتمونا الى مأمننا ثم رأيتم رأيكم فيما بيننا وبينكم قالوا لهم فهذا لكم * فلما أصبحوا خرجوا اليهم فعرض عليهم أصحاب شبيب قولهم ووصفوا لهم أمرهم فقبلوا ذلك كله وخالطوهم ونزلوا اليهم فدخل بعضهم الى بعض

عليهم فانكشفوا انجاء حتى انتهى الى موقف صالح بن مسرح فأصابه قتيلا فنادى الىّ يامعشر المسلمين فلاذوا به فقال لأصحابه ليجعل كل واحد منكم ظهره الى ظهر صاحبه وليطاعن عدوّه اذا أقدم عليه حتى ندخل هذا الحصن ونرى رأينا ففعلوا ذلك حتى دخلوا الحصن وهم سبعون رجلا بشبيب وأحاط بهم الحارث بن عميرة ممسيا وقال لأصحابه أحرقوا الباب فاذا صار جمرا فدعوه فانهم لا يقدرون على أن يخرجوا منه حتى نصبّحهم فنقتلهم ففعلوا ذلك بالباب ثم انصرفوا الى عسكرهم فأشرف شبيب عليهم وطائفة من أصحابه فقال بعض أولئك الفرض يابنى الزوانى ألم يخزكم الله فقالوا يافسّاق نعم تقاتلوننا لقتالنا ايّاكم اذ عمّاكم الله عن الحق الذى نحن عليه فما عذركم عند الله فى الفرى على أمّهاتنا فقال لهم حلماؤهم انما هذا من قول شبّاب فينا سفهاء والله مايعجبنا قولهم ولا نستحله وقال شبيب لأصحابه ياهؤلاء ماتنتظرون فوالله لئن صبّحكم هؤلاء غدوة إنه لهلاككم فقالوا الله مرنا بأمرك فقال لهم إن الليل أخفى للويل بايعونى أو من شئتم منكم ثم أخرجوا بنا حتى نشدّ عليهم فى عسكرهم فإنهم لذلك منكم آمنون وأنا أرجو أن ينصركم الله عليهم قالوا فابسط يدك فلنبايعك فبايعوه ثم جاؤا ليخرجوا وقد صار بابهم جمرا فأتوا باللبود فبلوها بالماء ثم ألقوها على الجمر ثم قطعوا عليها فلم يشعر الحارث بن عميره ولا أهل العسكر الا وشبيب وأصحابه يضربونهم بالسيوف فى جوف عسكرهم فضارب الحارث حتى صرع واحتمله أصحابه وانهزموا وخلّوا لهم العسكر ومافيه ومضوا حتى نزلوا المدائن فكان ذلك الجيش أوّل جيش هزمه شبيب وأصيب صالح بن مسرّح يوم الثلاثاء لثلاث عشرة بقيت من جمادى الاولى من سنته ﴿وفى هذه السنة﴾ دخل شبيب الكوفة ومعه زوجته غزالة

﴿ذكر الخبر عن دخوله الكوفة وما كان من أمره وأمر الحجاج بها والسبب الذى دعا شبيبا الى ذلك﴾

وكان السبب فى ذلك فيما ذكر هشام عن أبى مخنف عن عبد الله بن علقمة عن قبيصة بن عبد الرحمن الخثعمى أن شبيبا لما قتل صالح بن مسرّح بالمدبّج وبايعه أصحاب صالح ارتفع الى أرض الموصل فلقى سلامة بن سيّار بن المضاء التيمى تيم شيبان فدعاه الى الخروج معه وكان يعرفه قبل ذلك اذ كان فى الديوان والمغازى فاشترط عليه سلامة أن ينتخب ثلاثين فارسا ثم لا يغيب عنه الا ثلاث ليال عددا ففعل فانتخب ثلاثين فارسا فانطلق بهم نحو عنزة وإنما أرادهم ليشفى نفسه منهم لقتلهم أخاه فضالة وذلك أن فضالة كان خرج قبل ذلك فى ثمانية عشر نفسا حتى نزل ماء يقال له الشجرة من أرض الحال عليه أثلة عظيمة وعليه عنزة * فلما رأته عنزة قال بعضهم لبعض نقتلهم ثم نغدو بهم الى الأمير فنعطى ونحبى فأجمعوا على ذلك فقالت بنو نصر أخواله لعمر الله لا نساعدكم على قتل ولدنا فنهضت عنزة اليهم فقاتلوهم

فقتلوهم

يقال له غزوان فنزل عن برذونه وقال اركب يا مولاي فركب سفيان وأحاط به أصحاب
شبيب فقاتل دونه غزوان فقتل وكانت معه رايته وأقبل سفيان بن أبي العالية حتى انتهى الى
بابل مَهْرُوذ فنزل بها وكتب الى الحجاج أما بعد فاني أخبر الامير أصلحه الله اني اتبعت
هذه المارقة حتى لحقتهم بخانقين فقاتلتهم فضرب الله وجوههم ونصرنا عليهم فبينا نحن كذلك
اذ أتاهم قوم كانوا غُيَّباً عنهم فحملوا على الناس فهزموهم فنزلتُ في رجال من أهل الدين
والصبر فقاتلتهم حتى خررت بين القتلى فحُملت مرتثّا فأتي بي بابل مهروذ فها أنا بها والجند
الذين وجّههم الى الأمير وافوا الا سَوْرَةَ بن أبجر فإنه لم يأتني ولم يشهد معي حتى اذا ما نزلت
بابل مهروذ أتاني يقول ما لا أعرف ويعتذر بغير العذر والسلام * فلما قرأ الحجاج
الكتاب قال من صنع كما صنع هذا وأبلى كما أبلى فقد أحسن ثم كتب اليه أما بعد فقد أحسنت
البلاء وقضيت الذي عليك فاذا خف عنك الوجع فأقبلْ مأجورا الى أهلك والسلام وكتب
الى سورة بن أبجر أما بعد فيا ابن أم سورة ما كنت خليقا ان تجترئ على ترك عهدي
وخذلان جندي فاذا أتاك كتابي فابعثْ رجلا ممن معك صليبا الى الخيل التي بالمدائن
فلينتخب منهم خمسمائة رجل ثم ليقدم بهم عليك ثم سرْ بهم حتى تلقى هذه المارقة واحزمْ في
أمرك وكدْ عدوّك فإن أفضل أمر الحرب حسن المكيدة والسلام * فلما أتى سورة
كتابُ الحجاج بعث عديَّ بن عُميرة الى المدائن وكان بها ألف فارس فانتخب منهم خمسمائة ثم
دخل على عبد الله بن أبي عُصَيْفير وهو أمير المدائن امارته الاولى فسلم عليه فأجازه بألف
درهم وحمله على فرس وكساه أثوابا ثم انه خرج من عنده فأقبل بأصحابه حتى قدم بهم على
سورة بن أبجر ببابل مهروذ فخرج في طلب شبيب وشبيب يجول في جوخى وسورة في
طلبه فجاء شبيب حتى انتهى الى المدائن فتحصّن منه أهل المدائن وتحرّزوا وهي أبنية
المدائن الاولى فدخل المدائن فأصاب بها دوابّ جند كثيرة وقتل من ظهر له ولم يدخلوا
البيوت فأتي فقيل له هذا سورة بن أبجر قد أقبل اليك فخرج في أصحابه حتى انتهى الى
النهْرَوَان فنزلوا به وتوضؤوا وصلوا ثم أتوا مصارع اخوانهم الذين قتلهم علي بن أبي طالب
عليه السلام فاستغفروا لاخوانهم وتبرؤوا من عليّ وأصحابه وبكوا فأطالوا البكاء ثم خرجوا
فقطعوا جسر النهروان فنزلوا من جانبه الشرقيْ وجاء سورة حتى نزل بقطراثا وجاءته عيونه
فأخبرته بمنزل شبيب بالنهروان فدعا رؤوس أصحابه فقال انهم قلما يلقون مُصحرين أو
على ظهر الا انتصفوا منكم وظهروا عليكم وقد حدّثت انهم لا يزيدون على مائة رجل الا
قليلا وقد رأيت أن أنتخبكم وأسير في ثلاثمائة رجل منكم من أقويائكم وشجعانكم فآتيهم
الآن وهم آمنون لبياتكم فوالله اني لارجو أن يصرعهم الله مصارع اخوانهم الذين
صُرعوا منهم بالنهروان من قبلُ فقالوا اصنعْ ما أحببت فاستعمل على عسكره حازم بن

وجاء شبيب وقد اصطلحوا فأخبره أصحابه خبرهم فقال أصبتم ووفّقتم وأحسنتم ثم ان شبيبا ارتحل فخرجت معه طائفة وأقامت طائفة جانحة وخرج يومئذ معه ابراهيم بن حجر المحلمي أبو الصقير كان مع بنى تيم بن شيبان نازلا فيهم ومضى شبيب فى أدانى أرض الموصل وتخوم أرض جوخى ثم ارتفع نحو آذربيجان وأقبل سفيان بن أبى العالية الخثعمى فى خيل قد كان أمر أن يدخل بها طَبَرِسْتان فأمر بالقفول فأقبل راجعا في نحو من ألف فارس فصالح صاحب طبرستان (قال أبو مخنف) فحدثنى عبد الله بن علقمة الخثعمى ان كتاب الحجاج أتاه أما بعد فسر حتى تنزل الدسكرة فيمن معك ثم أقم حتى يأتيك جيش الحارث بن عميرة الهمدانى بن ذى المشعار وهو الذى قتل صالح بن مسرّح وخيلُ المناظر ثم سر الى شبيب حتى تناجزه * فلما أتاه الكتاب أقبل حتى نزل الدسكرة ونودى فى جيش الحارث بن عميرة بالكوفة والمدائن ان برئت الذمّة من رجل من جيش الحارث بن عميرة لم يواف سفيانَ بن أبى العالية بالدسكرة قال فخرجوا حتى أتوه وأتته خيلُ المناظر وكانوا خمسمائة عليهم سَوْرة ابن أبجر التميمى من بنى أبان بن دارم فوافَوْه الا نحوا من خمسين رجلا تخلفوا عنه وبعث الى سفيان بن أبى العالية أن لا تبرح العسكر حتى آتيك فعجل سفيان فارتحل فى طلب شبيب فلحقه بخانقين في سفح جبل فجعل على ميمنته خازم بن سفيان الخثعمى من بنى عمرو ابن شَهْران وعلى ميسرته عدىّ بن عميرة الشيبانى وأصحر لهم شبيب ثم ارتفع عنهم حتى كأنه يكره لقاءه وقد أكمن له أخاه مصادا معه خمسون في هَزْم من الأرض فلما رأوه جمع أصحابه ثم مضى فى سفح الجبل مشرّقا فقالوا هرب عدوّ الله فاتبعوه فقال لهم عدى بن عميرة الشيبانى أيها الناس لا تعجلوا عليهم حتى نضرب فى الارض ونسير بها فان يكونوا قد أكمنوا لنا كمينا كنا قد حذرناه والا فإن طلبهم لن يفوتنا فلم يسمع منه الناس وأسرعوا فى آثارهم * فلما رأى شبيب انهم قد جازوا الكمين عطف عليهم * ولما رأى الكمين أن قد جازوهم خرجوا اليهم فحمل عليهم شبيب من أمامهم وصاح بهم الكمين من ورائهم فلم يقاتلهم أحد وكانت الهزيمة فثبت ابن أبى العالية فى نحو من مائتى رجل فقاتلهم قتالا شديدا حسنا حتى ظنّ انه انتصف من شبيب وأصحابه فقال سُويد بن سُليم لاصحابه أمنكم أحد يعرف أمير القوم ابن أبى العالية فوالله لئن عرفته لأجهدنّ نفسى فى قتله فقال شبيب أنا من أعرف الناس به أما ترى صاحب الفرس الاغرّ الذى دونه المرامية فإنه ذلك فإن كنت تريده فأمهلْه قليلا ثم قال يا قَعْنب أخرج فى عشرين فأتهم من ورائهم فخرج قعنب فى عشرين فارتفع عليهم * فلما رأوه يريد أن يأتيهم من ورائهم جعلوا ينتقضون ويتسللون وحمل سويد بن سليم على سفيان ابن أبى العالية فطاعنه فلم تصنع رمحاهما شيأ ثم اضطربا بسيفيهما ثم اعتنق كلّ منهما صاحبه فوقعا الى الارض يعتركان ثم تحاجزوا وحمل عليهم شبيب فانكشفوا وأتى سفيانَ غلامٌ له

يقال

ونادى منادي الحجاج أن برئت الذمة من رجل أصبناه من هذا البعث متخلفا قال فمضى
الجزل بن سعيد وقد قدّم بين يديه عياض بن أبي لينة الكندي على مقدمته فخرج
حتى أتى المدائن فأقام بها ثلاثا وبعث إليه ابن أبي عصيفير بفرس وبرذون وبغلين وألفي
درهم ووضع للناس من الجزر والعلف ما كفاهم ثلاثة أيام حتى ارتحلوا فأصاب الناس
ما شاؤوا من تلك الجزر والعلف الذي وضع لهم ابن أبي عصيفير ثم ان الجزل بن سعيد خرج
بالناس في أثر شبيب فطلبه في أرض جوخى فجعل شبيب يُريه الهيبة فيخرج من رستاق
الى رستاق ومن طسّوج الى طسوج ولا يقيم له ارادة أن يفرق الجزل أصحابه ويتعجّل اليه
فيلقاه في يسير من الناس على غير تعبية فجعل الجزل لا يسير الا على تعبية ولا ينزل الا خندق
على نفسه خندقا فلما طال ذلك على شبيب أمر أصحابه ذات ليلة فسروا (قال أبو مخنف)
حدّثني فروة بن لقيط ان شبيبا دعانا ونحن بدير بيرماسون ومائة رجل فجعل على كلّ
أربعين من أصحابه رجلا وهو في أربعين وجعل أخاه مصادا في أربعين وبعث سويد بن سُليم
في أربعين وبعث المحلل بن وائل في أربعين وقد أتته عيونه فأخبرته ان الجزل بن سعيد قد
نزل دير يزدجرد قال فدعانا عند ذلك فقسّمنا هذه القسمة وأمرنا فعلفنا دوابنا وقال
لنا سيروا فإذا قضمت دوابكم فاركبوا وليسر كل امرئ منكم مع أميره الذي أمّرناه
عليه ولينظر كل امرئ منكم ما يأمره أميره فليتبعه ودعا أمراءنا فقال لهم اني أريد أن
أبيّت هذا العسكر الليلة ثم قال لأخيه مصاد ائتهم فارتفع من فوقهم حتى تأتيهم من ورائهم
من قبل حلوان وسآتيهم أنا من امامي من قبل الكوفة وأتاهم سويد من قبل المشرق
وأتاهم المحلل من قبل المغرب وليلج كل امرئ منكم على الجانب الذي يحمل عليه ولا
تقلعوا عنهم تحملون وتكرّون عليهم وتصيحون بهم حتى يأتيكم أمري فلم نزل على تلك
التعبية وكنت أنا في الأربعين الذين كانوا معه حتى اذا قضمت دوابنا وذلك أول الليل أول
ما هدأت العيون خرجنا حتى انتهينا الى دير الخرارة فإذا القوم مسلحة عليهم عياض بن أبي
لينة فما هو الا أن انتهينا اليهم فحمل عليهم مصاد أخو شبيب في أربعين رجلا وكان امام شبيب
وقد كان أراد أن يسبق شبيبا حتى يرتفع عليهم ويأتيهم من ورائهم كما أمره * فلما لقي هؤلاء
قاتلهم فصبروا ساعة وقاتلوهم ثم انا دفعنا اليهم جميعا فحملنا عليهم فهزمناهم وأخذوا الطريق
الأعظم وليس بينهم وبين عسكرهم بدير يزدجرد الا قريب من ميل فقال لنا شبيب اركبوا
معاشر المسلمين أكتافهم حتى تدخلوا معهم عسكرهم ان استطعتم فاتبعناهم والله ملظين
بهم ملحين عليهم ما نُرفه عنهم وهم منهزمون ما لهم همة الا عسكرهم فانتهوا الى عسكرهم
ومنعهم أصحابهم أن يدخلوا عليهم ورشقونا بالنبل وكانت عيون لهم قد أتتهم فأخبرتهم بمكاننا
وكان الجزل قد خندق عليه وتحرّز ووضع هذه المسلحة الذين لقيناهم بدير الخرارة ووضع

قدامة الخثعمي وانتخب من أصحابه ثلثمائة رجل من أهل القوة والجلد والشجاعة ثم أقبل بهم نحو النهروان وبات شبيب وقد أذكى الحرس فلما دنا أصحاب سورة منهم نذروا بهم فاستووا على خيولهم وتعبّوا تعبيتهم * فلما انتهى اليهم سورة وأصحابه أصابوهم قد حذروا واستعدّوا فحمل عليهم سورة وأصحابه فثبتوا لهم وصاربوهم حتى صدّ عنهم سورة وأصحابه ثم صاح شبيب بأصحابه فحمل عليهم حتى تركوا له العرصة وحملوا عليهم معه وجعل شبيب يضرب ويقول

من يَنِكِ العيرَ يَنِكْ نيّاكا * جندلتانِ اصطكّتا اصطكاكا

فرجع سورة الى عسكره وقد هزم الفرسان وأهل القوّة فتحمّل بهم حتى أقبل بهم نحو المدائن فدفع اليهم وقد تحمّل وتعدّى الطريق الذي فيه شبيب واتبعه شبيب وهو يرجو أن يلحقه فيصيب عسكره ويصيب بهزيمته أهل العسكر فأغذّ السير في طلبهم فانتهوا الى المدائن فدخلوها وجاء شبيب حتى انتهى الى بيوت المدائن فدفع اليهم وقد دخل الناس وخرج ابن أبي عصيفير في أهل المدائن فرماهم الناس بالنبل ورموا من فوق البيوت بالحجارة فارتفع شبيب بأصحابه عن المدائن فمرّ على كلواذا فأصاب بها دوابّ كثيرة للحجاج فأخذها ثم خرج يسير في أرض جوخى ثم مضى نحو تكريت فبينا ذلك الجند في المدائن اذ أرجف الناس بينهم فقالوا هذا شبيب قد دنا وهو يريد أن يبيّت أهل المدائن الليلة فارتحل عامّة الجند فلحقوا بالكوفة (قال أبو مخنف) وحدّثني عبد الله بن علقمة الخثعمي قال والله لقد هربوا من المدائن وقالوا نُبيَّتُ الليلةَ وإن شبيبا لبتكريت قال ولما قدم الفلّ على الحجاج سرّح الجزل بن سعيد بن شُرَحبيل بن عمرو الكندي (قال أبو مخنف) حدثنا النضر بن صالح العبسي وفضيل بن خديج الكندي ان الحجاج لما أتاه الفلّ قال قبح الله سورة ضيّع العسكر والجند وخرج يبيّت الخوارج أما والله لأسوأنه وكان بعد قد حبسه ثم عفا عنه (قال أبو مخنف) وحدّثني فضيل بن خديج ان الحجاج دعا الجزل وهو عثمان بن سعيد فقال له تيسَّرْ للخروج الى هذه المارقة فإذا لقيتهم فلا تعجل عجلة الخرق ولا تُحْجم إحجام الواني الفرق هل فهمت لله أنت يا أخا بني عمرو بن معاوية فقال نعم أصلح الله الأمير قد فهمت قال له فاخرجْ فعسكر بدير عبد الرحمن حتى يخرج اليك الناس فقال أصلح الله الأمير لا تبعثنّ معي أحدا من أهل هذا الجند المفلول المهزوم فان الرعب قد دخل قلوبهم وقد خشيت أن لا ينفعك والمسلمين منهم أحد قال له فإن ذلك لك ولا أراك الا قد أحسنت الرأي ووفقت ثم دعا أصحاب الدواوين فقال اضربوا على الناس البعث فأخرجوا أربعة آلاف من الناس من كل ربع ألف رجل وأعجلوا ذلك فجمعت العرفاء وجلس أصحاب الدواوين وضربوا البعث فأخرجوا أربعة آلاف فأمرهم بالمعسكر فعسكروا ثم نودي فيهم بالرحيل ثم ارتحلوا

ونادى

وواقفهم واستعن بالله عليهم ولا تصنع صنيع الجزل واطلبهم طلب السبع وحد عنهم حيدان الضبع وأقبل الجزل في طلب شبيب حتى انتهوا الى النهروان فأدركوه فلزم عسكره وخندق عليه وجاء اليه سعيد بن المجالد حتى دخل عسكر أهل الكوفة أميرا فقام فيهم خطيبا فحمد الله وأثنى عليه ثم قال يا أهل الكوفة انكم قد عجزتم ووهنتم وأغضبتم عليكم أميركم أنتم في طلب هذه الاعاريب العجف منذ شهرين وهم قد خربوا بلادكم وكسروا خراجكم وأنتم حاذرون في جوف هذه الخنادق لا تزايلونها الا ان يبلغكم أنهم قد ارتحلوا عنكم ونزلوا بلدا سوى بلدكم اخرجوا على اسم الله اليهم فخرج وأخرج الناس معه وجمع اليه خيول أهل العسكر فقال له الجزل ما تريد ان تصنع قال اريد ان أقدم على شبيب في هذه الخيل فقال له الجزل أقم أنت في جماعة الجيش فارسهم وراجلهم وأصحر له فوالله ليقدمن عليك فلا تفرق أصحابك فان ذلك شر لهم وخير له فقال له قف أنت في الصف فقال يا سعيد بن مجالد ليس لي فيما صنعت رأى أنا بريء من رأيك هذا اسمع الله ومن حضر من المسلمين فقال هو رأيي ان أصبت فالله وفقني له وان يكن غير صواب فأنتم منه براء قال فوقف الجزل في صف أهل الكوفة وقد أخرجهم من الخندق وجعل على ميمنتهم عياض بن أبي لينة الكندي وعلى ميسرتهم عبد الرحمن بن عوف أبا حميد الرّواسيّ ووقف الجزل في جماعتهم واستقدم سعيد بن مجالد فخرج وأخرج الناس معه وقد أخذ شبيب الى براز الروز فنزل قطيطيا وأمر دهقانها ان يشترى لهم ما يصلحهم ويتخذ لهم غداء ففعل ودخل مدينة قطيطيا وأمر بالباب فأغلق فلم يفرغ من الغداء حتى أتاه سعيد بن مجالد في أهل ذلك العسكر فصعد الدهقان السور فنظر الى الجند مقبلين قد دنوا من حصنه فنزل وقد تغير لونه فقال له شبيب ما لي أراك متغير اللون فقال له الدهقان قد جاءتك الجنود من كل ناحية قال لا بأس هل أدرك غداؤنا قال نعم قال فقرّبه وقد أغلق الباب وأتى بالغداء فتغدى وتوضأ وصلى ركعتين ثم دعا ببغل له فركبه ثم انهم اجتمعوا على باب المدينة فأمر بالباب ففتح ثم خرج على بغله فحمل عليهم وقال لا حكم الا للحكم أنا أبو مدله اثبتوا ان شئتم وجعل سعيد يجمع قومه وخيله ثم يدلفها في أثره ويقول ما هؤلاء انما هم أكلة رأس فلما رآهم شبيب قد تقطعوا وانتشروا والفّ خيله كلها ثم جمعها ثم قال استعرضوهم استعراضا واطعنوا الى أميرهم فوالله لأقتلنه أو يقتلني وحمل عليهم مستعرضا لهم فهزمهم وثبت سعيد بن المجالد ثم نادى أصحابه الىّ الىّ أنا ابن ذي مران وأخذ قلنسوته فوضعها على قربوس سرجه وحمل عليه شبيب فعممه بالسيف فخالط دماغه فخر ميتا وانهزم ذلك الجيش وقتلوا كل قتلة حتى انتهوا الى الجزل ونزل الجزل ونادى أيها الناس الىّ وناداهم عياض بن أبي لينة أيها الناس ان كان أميركم القادم قد هلك فأميركم الميمون النقيبة المبارك حيّ لم يمت فقاتل الجزل قتالا شديدا حتى حمل من بين القتلى فحمل الى المدائن من شاء وقدم فلّ أهل ذلك

مسلحة أخرى مما يلي حلوان على الطريق فلما ان دفعنا الى هذه المسلحة التي كانت بدير الخرارة فألحقناهم بعسكر جماعتهم رجعت المسالح الأخر حتى اجتمعت ومنعها أهل العسكر دخول العسكر وقالوا لهم قاتلوا وانضحوا عنكم بالنبل (قال أبو مخنف) وحدثني جرير بن الحسين الكندي قال كان على المسلحتين الاخرتين عاصم بن حجر على التي تلي حلوان وواصل بن الحارث السكوني على الأخرى فلما ان اجتمعت المسالح جعل شبيب يحمل عليها حتى اضطرها الى الخندق ورشقهم أهل العسكر بالنبل حتى ردوهم عنهم فلما رأى شبيب انه لا يصل اليهم قال لأصحابه سيروا ودعوهم فمضى على الطريق نحو حلوان حتى اذا كان قريبا من موضع قباب حسين بن زفر من بني بدر بن فزارة وانما كانت قباب حسين بن زفر بعد ذلك قال لأصحابه انزلوا فاقضموا وأصلحوا نبلكم وتروحوا وصلوا ركعتين ثم اركبوا فنزلوا ففعلوا ذلك ثم انه أقبل بهم راجعا الى عسكر أهل الكوفة أيضا وقال سيروا على تعبيتكم التي عبأتكم عليها بدير بيرما أول الليل ثم أطيفوا بعسكرهم كما أمرتكم فأقبلوا قال فأقبلنا معه وقد أدخل أهل العسكر مسالحهم اليهم وقد أمنوا فما شعروا حتى سمعوا وقع حوافر خيولنا قريبا منهم فانتهينا اليهم قبيل الصبح فأحطنا بعسكرهم ثم صحناهم من كل جانب فاذاهم يقاتلوننا من كل جانب ويرموننا بالنبل ثم ان شبيبا بعث الى أخيه مصاد وهو يقاتلهم من نحو الكوفة أن أقبل الينا وخل لهم سبيل الطريق الى الكوفة فأقبل اليه وترك ذلك الوجه وجعلنا نقاتلهم من تلك الوجوه الثلاثة حتى أصبحنا فأصبحنا ولم نستفل منهم شيأ فسرنا وتركناهم فجعلوا يصيحون بنا أين يا كلاب النار أين أيتها العصابة المارقة أصبحوا اخرج اليكم فارتفعنا عنهم نحوا من ميل ونصف ثم نزلنا فصلينا الغداة ثم أخذنا الطريق على براز الروز ثم مضينا الى جرجرايا وما يليها فأقبلوا في طلبنا (قال أبو مخنف) فحدثني مولى لنا يدعى غاضرة أو قيصر قال كنت مع الناس تاجراوهم في طلب الحرورية وعلينا الجزل بن سعيد فجعل يتبعهم فلا يسير الا على تعبية ولا ينزل الا على خندق وكان شبيب يدعه ويضرب في أرض جوخى وغيرها يكسر الخراج وطال ذلك على الحجاج فكتب اليه كتابا فقرئ على الناس أما بعد فاني بعثتك في فرسان أهل المصر ووجوه الناس وأمرتك باتباع هذه المارقة الضالة المضلة حتى تلقاها فلا تقلع عنها حتى تقتلها وتفنيها فوجدت التعريس في القرى والتخييم في الخنادق أهون عليك من المضي لما أمرتك به من مناهضتهم ومناجزتهم والسلام فقرئ الكتاب علينا ونحن بقطراثا ودير أبي مريم فشق ذلك على الجزل وأمر الناس بالسير فخرجوا في طلب الخوارج جادين وأرجفنا بأمرنا وقلنا يعزل (قال أبو مخنف) فحدثني اسماعيل بن نعيم الهمداني ثم البرسمي ان الحجاج بعث سعيد بن المجالد على ذلك الجيش وعهد اليه ان لقيت المارقة فازحف اليهم ولا تناظرهم ولا تطاولهم

و واقفهم

وانكشف أصحاب سعيد بن مجالد حتى أتوا الجزل فناداهم الجزل أيها الناس اليّ اليّ وناداهم
عياض بن أبي لينة أيها الناس ان يكن أميركم هذا القادم قد هلك فهذا أميركم الميمون النقيبة
أقبلوا اليه وقاتلوا معه فمنهم من أقبل اليه ومنهم من ركب رأسه منهزما وقاتل الجزل قتالا شديدا
حتى صرع وقاتل عنه خالد بن نهيك وعياض بن أبي لينة حتى استنقذاه وهو مرتث وأقبل
الناس منهزمين حتى دخلوا الكوفة وأتي بالجزل حتى أدخل المدائن وكتب الى الحجاج بن
يوسف * قال أبو مخنف حدثني بذلك ثابت مولى زهير أما بعد فاني أخبر الأمير أصلحه الله اني
خرجت فيمن قبلي من الجند الذي وجهني فيه الى عدوه وقد كنت حفظت عهد الامير اليّ
فيهم ورأيه فكنت أخرج اليهم اذا رأيت الفرصة وأحبس الناس عنهم اذا خشيت الورطة
فلم أزل كذلك ولقد أرادني العدو بكل ارادة فلم يصب مني غرّة حتى قدم عليّ سعيد بن مجالد
رحمة الله عليه ولقد أمرته بالتؤدة ونهيته عن العجلة وأمرته ان لا يقاتلهم الا في جماعة الناس
عامّة فعصاني وتعجّل اليهم في الخيل فأشهدت عليه أهل المصرين اني بريء من رأيه الذي
رأى واني لا أهوى ما صنع فمضى فأصيب تجاوز الله عنه ودفع الناس اليّ فنزلت ودعوتهم
اليّ ورفعت لهم رايتي وقاتلت حتى صرعت فحملني أصحابي من بين القتلى فما أفقت الا وأنا
على أيديهم على رأس ميل من المعركة فأنا اليوم بالمدائن في جراحة قد يموت الرجل من دونها
ويعافى من مثلها فليسأل الأمير أصلحه الله عن نصيحتي له ولجنده وعن مكايدتي عدوّه وعن
موقفي يوم البأس فانه يستبين له عند ذلك أني قد صدقته ونصحت له والسلام وكتب اليه
الحجاج أما بعد فقد أتاني كتابك وقرأته وفهمت كل ما ذكرت فيه وقد صدّقتك في كل
ما وصفت به نفسك من نصيحتك لأميرك وحيطتك على أهل مصرك وشدتك على عدوّك
وقد فهمت ما ذكرت من أمر سعيد وعجلته الى عدوه فقد رضيت عجلته وتؤدتك فأما عجلته
فانها أفضت به الى الجنة وأما تؤدتك فانها لم تدع الفرصة اذا أمكنت وترك الفرصة اذا لم تمكن
حزم وقد أصبت وأحسنت البلاء وأجرت وأنت عندي من أهل السمع والطاعة والنصيحة
وقد أشخصت اليك حيان بن أبجر ليداويك ويعالج جراحتك وبعثت اليك بألفي درهم
فأنفقها في حاجتك وما ينوبك والسلام فقدم عليه حيان بن أبجر الكناني من بني فراس
وهم يعالجون الكي وغيره وكان يداويه وبعث اليه عبد الله بن أبي عصيفير بألف درهم وكان
يعوده ويتعاهده باللطف والهديّة قال وأقبل شبيب نحو المدائن فعلم انه لا سبيل له الى أهلها
مع المدينة فأقبل حتى انتهى الى الكرخ فعبر دجلة اليه وبعث الى أهل سوق بغداد وهو
بالكرخ أن آمنوا في سوقكم فلا بأس عليكم وكان ذلك يوم سوقهم وقد كان بلغه انهم يخافونه
قال ويخرج سويد حتى جعل بيوت مرسه وبني سليم في ظهره وظهور أصحابه وحمل عليهم
شبيب حملة منكرة وذلك عند المساء فلم يقدر منهم على شيء فأخذ على سوبا الكوفة نحو

العسكر الكوفة وكان من أشد الناس بلاء يومئذ خالد بن نهيك من بنى ذهل بن معاوية
وعياض بن أبى لينة حتى استنقذاه وهو مرتث هذا حديث طائفة من الناس والحديث
الآخر قتالهم فيما بين دير أبى مريم الى براز الروز ثم ان الجزل كتب الى الحجاج قال وأقبل
شبيب حتى قطع دجلة عند الكرخ وبعث الى سوق بغداذ فآمنهم وذلك اليوم يوم سوقهم
وكان بلغه انهم يخافونه فأحب ان يؤمنهم وكان أصحابه يريدون ان يشتروا من السوق دوابّ
وثيابا وأشياء ليس لهم منها بدّ ثم أخذ بهم نحو الكوفة وساروا أول الليل حتى نزلوا عقر الملك
الذى يلى قصر ابن هبيرة ثم اغذّ السير من الغد فبات بين حمّام عمر بن سعد وبين قبّين فلما
بلغ الحجاج مكانه بعث الى سويد بن عبد الرحمن السعدى فبعثه فى ألفى فارس نقاوة وقال له
اخرج الى شبيب فالقه واجعل مجنبة وميسرة ثم انزل اليه فى الرجال فإن استطرد لك فدعه
ولا تتبعه فخرج فعسكر بالسبخة فبلغه ان شبيبا قد أقبل فأقبل نحوه وكأنما يساقون الى الموت
وأمر الحجاج عثمان بن قطن فعسكر بالناس بالسبخة ونادى ألا برئت الذمة من رجل من هذا
الجند بات الليلة بالكوفة لم يخرج الى عثمان بن قطن بالسبخة وأمر سويد بن عبد الرحمن ان
يسير فى الألفين اللذين معه حتى يلقى شبيبا فعبر بأصحابه الى زرارة وهو يعبئهم ويحرضهم اذ
قيل له قد غشيك شبيب فنزل ونزل معه جل أصحابه وقدم رايته ومضى الى أقصى زرارة فأخبر
ان شبيبا قد أخبر بمكانك فتركك ووجد مخاضة فعبر الفرات وهو يريد الكوفة من غير الوجه
الذى أنت به ثم قيل له أما تراهم فنادى فى أصحابه فركبوا فى آثارهم وان شبيبا أتى دار الرزق
فنزلها فقيل له ان أهل الكوفة بأجمعهم معسكرون بالسبخة فلما بلغهم مكان شبيب صاح
بعضهم ببعض وجالوا وهموا ان يدخلوا الكوفة حتى قيل لهم ان سويد بن عبد الرحمن فى
آثارهم قد لحقهم وهو يقاتلهم فى الخيل (قال هشام) وأخبرنى عمر بن بشير قال لما نزل
شبيب الدير أمر بغنم تهيأ له فصعد الدهقان ثم نزل وقد تغير لونه فقال مالك قال قد والله جاءك
جمع كثير قال أبلغ الشواء بعد قال لا قال دعه قال ثم أشرف اشرافة أخرى فقال قد والله
أحاطوا بالجوسق قال هات شواءك فجعل يأكل غير مكترث لهم فلما فرغ توضأ وصلى بأصحابه
الأولى ثم تقلد سيفين بعد ما لبس درعه وأخذ عمود حديد ثم قال اسرجوا لى البغلة فقال أخوه
مصاد أفى هذا اليوم تسرج بغلة قال نعم اسرجوها فركبها ثم قال يا فلان أنت على الميمنة وأنت
يا فلان على الميسرة وقال لمصاد أنت فى القلب وأمر الدهقان ففتح الباب فى وجوههم قال
فخرج اليهم وهو يحكّم فجعل سعيد وأصحابه يرجعون القهقرى حتى صار بينهم وبين الدير
نحو من ميل قال وجعل سعيد يقول يا معشر همدان أنا ابن ذى مران الىّ الىّ ووجه سرا
مع ابنه وقد أحس أنها تكون عليه فنظر شبيب الى مصاد فقال أثكلنيك الله ان لم أثكله ولده
قال ثم علاه بالعمود فسقط ميتا وانهزم أصحابه وما قتل بينهم يومئذ الا قتيل واحد قال

فدخلوا الكوفة فجاء شبيب حتى انتهى الى السوق ثم شد حتى ضرب باب القصر بعموده قال أبو المنذر رأيت ضربة شبيب باب القصر قد أثرت أثرا عظيما ثم أقبل حتى وقف عند المصطبة ثم قال

وكأنّ حافرها بكلِّ خميلة * كيلٌ يكيل به شحيحٌ مُعْدِم
عبد دعيٌّ من ثمود أصله * لا بل يُقال أبو أبيهم يقدم

ثم اقتحموا المسجد الاعظم وكان لا يفارقه قوم يصلون فيه فقتل عقيل بن مصعب الوادعي وعديّ بن عمرو الثقفي وأبا الليث بن أبي سليم مولى عنبسة بن أبي سفيان وقتلوا أزهر بن عبد الله العامري ومروا بدار حوشب وهو على الشرط فوقفوا على بابه وقالوا ان الامير يدعو حوشبا فأخرج ميمون غلامه برذون حوشب ليركبه فكأنه أنكرهم فظنوا انه قد اتهمهم وأراد أن يدخل فقالوا له كما أنت حتى يخرج صاحبك فسمع حوشب الكلام فأنكر القوم وخرج اليهم فلما رأى جماعتهم أنكرهم وذهب لينصرف فعجلوا نحوه ودخل وأغلق الباب وقتلوا غلامه ميمونا وأخذوا برذونه ومضوا حتى مروا بالجحاف بن نبيط الشيباني من رهط حوشب فقال له سويد انزل الينا فقال له ما تصنع بنزولي قال له سويد أقضيك ثمن البكرة التي كنت ابتعتُ منك بالبادية فقال له الجحاف بئس ساعة القضاء هذه الساعة وبئس المكان لقضاء الدين هذا المكان أما ذكرت أمانتك الا والليل مظلم وأنت على ظهر فرسك قبح الله يا سويد دينا لا يصلح ولا يتم الا بقتل ذوي القرابة وسفك دماء هذه الامة قال ثم مضوا فمروا بمسجد بني ذهل فلقوا ذهل بن الحارث وكان يصلي في مسجد قومه فيُطيل الصلاة فصادفوه منصرفا الى منزله فشدوا عليه ليقتلوه فقال اللهم اني أشكو اليك هؤلاء وظلمهم وجهلهم اللهم اني عنهم ضعيف فانتصر لي منهم فضربوه حتى قتلوه ثم مضوا حتى خرجوا من الكوفة متوجهين نحو المردمة ﴿قال هشام﴾ قال أبو بكر بن عياش وابن عقيلة النضر بن قعقاع بن شور الذهلي وأمه ناجية بنت هانئ بن قبيصة بن هانئ الشيباني فأنظره شبيب بنظر اليه قال يعني قوله أنظره أفزعه فقال السلام عليك أيها الامير ورحمة الله قال له سويد بدّر أمير المؤمنين ويلك فقال أمير المؤمنين حتى خرجوا من الكوفة متوجهين نحو المردمة وأمر الحجاج المنادي فنادى يا خيل الله اركبي وابشري وهو فوق باب القصر وثم مصباح مع غلام له قائم فكان أول من جاءه من الناس عثمان بن قطن بن عبد الله بن الحصين ذي الغصة ومعه مواليه وناس من أهله فقال أعلموا الامير مكاني فليأمرني بأمره فقال له ذلك الغلام قف مكانك حتى يأتيك أمر الامير وجاء الناس من كل جانب وبات عثمان فيمن اجتمع اليه من الناس حتى أصبح ثم ان الحجاج بعث بشر بن غالب الاسدي من بني والبة في ألفي رجل وزائدة بن قدامة الثقفي في ألفي رجل وأبا الضريس مولى بني تميم في ألف من الموالي

الحيرة وأتبعه سويد لا يفارقه حتى قطع بيوت الكوفة كلها الى الحيرة وأتبعه سويد حتى انتهى الى الحيرة فيجده قد قطع قنطرة الحيرة ذاهبا فتركه وأقام حتى أصبح وبعث اليه الحجاج أن أتبعه فأتبعه ومضى شبيب حتى أغار في أسفل الفرات على من وجد من قومه وارتفع في البرّ من وراء خفان في أرض يقال لها الغلظة فيصيب رجالا من بني الورثة فحمل عليهم فاضطرّهم الى جدد من الأرض فجعلوا يرمونه وأصحابه بالحجارة من حجارة الأرحاء كانت حولهم فلما نفدت وصل اليهم فقتل منهم ثلاثة عشر رجلا منهم حنظلة بن مالك ومالك بن حنظلة وحمران ابن مالك كلهم من بني الورثة (قال أبو مخنف) حدثني بذلك عطاء بن عرفجة بن زياد بن عبد الله الورثيّ ومضى شبيب حتى يأتي بني أبيه على اللصف ماء لرهطه وعلى ذلك الماء الفزر ابن الاسود وهو أحد بني الصلت وهو الذي كان ينهى شبيبا عن رأيه وأن يفسد بني عمه وقومه فكان شبيب يقول والله لئن ملكت سبعة أعنة لأغزون الفزر فلما غشيهم شبيب في الخيل سأل عن الفزر فاتقاه الفزر فخرج على فرس لا تجارى من وراء البيوت فذهب عليها في الأرض وهرب منه الرجال ورجع وقد أخاف أهل البادية حتى أخذ على القطقطانة ثم على قصر مقاتل ثم أخذ على شاطئ الفرات حتى أخذ على الحصاصة ثم على الأنبار ثم مضى حتى دخل دقوقاء ثم ارتفع الى أداني آذربيجان فتركه الحجاج وخرج الى البصرة واستخلف على الكوفة عروة بن المغيرة بن شعبة فما شعر الناس بشئ حتى جاء كتاب من ماذرواسب دهقان بابل مهروذ وعظيمها الى عروة بن المغيرة بن شعبة ان تاجرا من تجار الأنبار من أهل بلادي أتاني فذكر ان شبيبا يريد ان يدخل الكوفة في أول هذا الشهر المستقبل أحببتُ إعلامك ذلك لترى رأيك ثم لم ألبث الا ساعة حتى جاءني جابيان من جباتي فحدثاني انه قد نزل خانيجار فأخذ عروة كتابه فأدرجه وسرّحه الى الحجاج بالبصرة فلما قرأه الحجاج أقبل جوادا الى الكوفة وأقبل شبيب يسير حتى انتهى الى قرية يقال لها حربى على شاطئ دجلة فعبر منها فقال ما اسم هذه القرية فقالوا حربَى فقال حربٌ يصلى بها عدوكم وحَرَبٌ تدخلونه بيوتهم انما يتطيّر من يقوف ويعيف ثم ضرب رايته وقال لأصحابه سيروا فأقبل حتى نزل عقرقوفا فقال له سويد بن سليم يا أمير المؤمنين لو تحوّلت بنا من هذه القرية المشؤمة الاسم قال وقد تطيّرت أيضا والله لا أتحوّل عنها حتى أسير الى عدوّي منها انما شؤمها ان شاء الله على عدوّكم تحملون عليهم فيها فالعقر لهم ثم قال لأصحابه يا هؤلاء ان الحجاج ليس بالكوفة وليس دون الكوفة ان شاء الله شئ فسيروا بنا فخرج يبادر الحجاج الى الكوفة وكتب عروة الى الحجاج ان شبيبا قد أقبل مسرعا يريد الكوفة فالعجلَ العجلَ فطوى الحجاج المنازل واستبقا الى الكوفة ونزلها الحجاج صلاة الظهر ونزل شبيب السبخة صلاة المغرب فصلى المغرب والعشاء ثم أصاب هو وأصحابه من الطعام شيئا يسيرا ثم ركبوا خيولهم

من شئ وأخذ الكوفة ان شاء الله فقالوا نحن لرأيك سمع تبع ونحن طوع يديك قال فانقض بهم جوادا حتى يأتى نجران وهى نجران الكوفة ناحية عين التمر ثم سأل عن جماعة القوم فخبر باجتماعهم بروذبار فى أسفل الفرات فى بهقباذ الاسفل على رأس أربعة وعشرين فرسخا من الكوفة فبلغ الحجاج مسيره اليهم فبعث اليهم عبد الرحمن بن الغرق مولى ابن أبى عقيل وكان على الحجاج كريما فقال له الحق بجماعتهم يعنى جماعة الامراء فأعلمهم بمسير المارقة اليهم وقل لهم ان جمعكم قتال فأمير الناس زائدة بن قدامة فأتاهم ابن الغرق فأعلمهم ذلك وانصرف عنهم ﴿قال أبو مخنف﴾ فحدثنى عبد الرحمن بن جندب قال انتهى الينا شبيب وفينا سبعة أمراء على جماعتهم زائدة بن قدامة وقد عبّى كل أمير أصحابه على حدة ففى ميمنتنا زياد بن عمرو العتكى وفى ميسرتنا بشر بن غالب الاسدى وكل أمير واقف فى أصحابه فأقبل شبيب حتى وقف على تل فأشرف على الناس وهو على فرس له كميت أغر فنظر الى تعبيتهم ثم رجع الى أصحابه فأقبل فى ثلاث كتائب يوجفون حتى اذا دنا من الناس مضت كتيبة فيها سويد بن سليم فتقف فى ميمنتنا ومضت كتيبة فيها مصاد أخو شبيب فوقفت على ميسرتنا وجاء شبيب فى كتيبة حتى وقف مقابل القلب قال وخرج زائدة بن قدامة يسير فى الناس فيما بين ميمنتهم الى ميسرتهم يحرّض الناس ويقول يا عباد الله أنتم الكثيرون الطيّبون وقد نزل بكم القليلون الخبيثون فاصبروا جعلت لكم الفداء كرّتين أو ثلاث تكرون عليهم ثم هو النصر ليس بينه حاجز ولا دونه شئ ألا ترونهم والله ما يكونون مائتى رجل انما هم أكلة رأس انما هم السرّاق المرّاق انما جاؤكم ليهريقوا دماءكم ويأخذوا فيأكم فلا يكونوا على أخذه أقوى منكم على منعه وهم قليل وأنتم كثير وهم أهل فرقة وأنتم أهل جماعة غضّوا الابصار واستقبلوهم بالاسنة ولا تحملوا عليهم حتى آمركم ثم انصرف الى موقفه قال ويحمل سويد بن سليم على زياد بن عمرو فانكشف صفهم وثبت زياد فى نحو من نصف أصحابه ثم ارتفع عنهم سويد قليلا ثم كرّ عليهم ثانية ثم اطّعنوا ساعة ﴿قال أبو مخنف﴾ فحدثنى فروة بن لقيط قال أنا والله فيهم يومئذ قال اطّعنا ساعة وصبروا لنا حتى ظننت انهم لن يزولوا وقاتل زياد بن عمرو قتالا شديدا وجعل ينادى يا خيلى ويشد بالسيف فيقاتل قتالا شديدا فلقد رأيت سويد بن سليم يومئذ وانه لاشجع العرب وأشده قتالا وما يعرض له قال ثم انا ارتفعنا عنهم آخرا فاذا هم يتقوّضون فقال له أصحابه ألا تراهم يتقوّضون احمل عليهم فقال لهم شبيب خلّوهم حتى يخفّوا فتركوهم قليلا ثم حمل عليهم الثالثة فانهزموا فنظرت الى زياد بن عمرو وانه ليضرب بالسيف وما من سيف يضرب به الانبا عنه وهو مجفّف ولقد رأيته اعتوره أكثر من عشرين سيفا فما ضرّه من ذلك شئ ثم انه انهزم وقد جرح جراحة يسيرة وذلك عند المساء قال ثم شددنا على عبد الاعلى بن عبد الله بن عامر فهزمناه وما قاتلنا كثير

وأعين صاحب حمام أعين مولى بشر بن مروان في ألف رجل وكان عبد الملك بن مروان قد بعث محمد بن موسى بن طلحة على سجستان وكتب له عليها عهده وكتب الى الحجاج أما بعد فاذا قدم عليك محمد بن موسى فجهز معه ألفي رجل الى سجستان وعجّل سراحه وأمر عبد الملك محمد بن موسى بمكاتبة الحجاج فلما قدم محمد بن موسى جعل يتحبّس في الجهاز فقال له نصحاؤه تعجّل أيها الامير الى عملك فانك لا تدري ما يكون من أمر الحجاج وما يبدو له فاقام على حاله وحدث من أمر شبيب ما حدث فقال الحجاج لمحمد بن موسى بن طلحة بن عبيد الله تلقى شبيبا وهذه الخارجة فتجاهدهم ثم تمضي الى عملك وبعث الحجاج مع هؤلاء الامراء أيضا عبد الاعلى بن عبد الله بن عامر بن كريز القرشي وزياد بن عمرو العتكي وخرج شبيب حيث خرج من الكوفة فأتى المردمة وبها رجل من حضرموت على العشور يقال له ناجية بن مرثد الحضرمي فدخل الحمام ودخل عليه شبيب فاستخرجه فضرب عنقه واستقبل شبيب النضر بن القعقاع بن شور وكان مع الحجاج حين أقبل من البصرة فلما طوى الحجاج المنازل خلّفه وراءه فلما رآه شبيب ومعه أصحابه عرفه فقال له شبيب يا نضر بن القعقاع لا حكم الا الله وانما أراد شبيب بمقالته له تلقينه فلم يفهم النضر فقال انا لله وانا اليه راجعون فقال أصحاب شبيب يا أمير المؤمنين كانك انما تريد بمقالتك أن تلقنه فشدوا على نضر فقتلوه قال واجتمعت تلك الامراء في أسفل الفرات فترك شبيب الوجه الذي فيه جماعة أولئك القوّاد وأخذ نحو القادسية ووجه الحجاج زحر بن قيس في جريدة خيل نقاوة ألف وثمانمائة فارس وقال له اتبع شبيبا حتى تواقعه حيثما أدركته الا أن يكون منطلقا ذاهبا فاتركه ما لم يعطف عليك أو ينزل فيقيم لك فلا تبرح ان هو أقام حتى تواقعه فخرج زحر حتى انتهى الى السيلحين وبلغ شبيبا مسيره اليه فأقبل نحوه فالتقيا فجعل زحر على ميمنته عبد الله بن كناز النهدي وكان شجاعا وعلى ميسرته عدي بن عدي بن عميرة الكندي ثم الشيباني وجمع شبيب خيله كلها كبكبة واحدة ثم اعترض بها الصف فوجف وجيفا واضطرب حتى انتهى الى زحر بن قيس فنزل زحر بن قيس فقاتل زحر حتى صُرع وانهزم أصحابه وظن القوم انهم قد قتلوه فلما كان في السحر وأصابه البرد قام يتمشى حتى دخل قرية فبات بها وحُمل منها الى الكوفة وبوجهه ورأسه بضعة عشر جراحة من بين ضربة وطعنة فمكث أياما ثم أتى الحجاج وعلى وجهه وجراحه القُطن فأجلسه الحجاج معه على السرير وقال لمن حوله من سرّه أن ينظر الى رجل من أهل الجنة يمشي بين الناس وهو شهيد فلينظر الى هذا وقال أصحاب شبيب لشبيب وهم يظنون انهم قد قتلوا زحرا فهزمنا لهم جندا وقتلنا لهم أميرا من أمرائهم عظيما انصرف بنا الآن وافرين فقال لهم ان قتلنا هذا الرجل وهزيمتنا هذا الجند قد أرعبت هذه الامراء والجنود التي بُعثت في طلبكم فاقصدوا بنا قصدهم فوالله لئن نحن قتلناهم ما دون الحجاج

يبق منهم أحد وقد ذكر من أمر محمد بن موسى بن طلحة غير أبي مخنف أمرا غير الذي
ذكرته عنه والذي ذكر من ذلك ان عبد الملك بن مروان كان ولى محمد بن موسى بن طلحة
سجستان فكتب اليه الحجاج انك عامل كل بلد مررت به وهذا شبيب في طريقك فعدل
اليه محمد فأرسل اليه شبيب انك امرؤ مخدوع قد اتقى بك الحجاج وأنت جار لك حق
فانطلق لما أمرت به ولك الله لا آذيك فأبى الا محاربته فواقفه شبيب وأعاد اليه الرسول
فأبى الا قتاله فدعا الى البراز فبرز اليه البطين ثم قعنب ثم سويد فأبى الا شبيبا فقالوا لشبيب
قد رغب عنا اليك قال فما ظنكم بهذه الاشراف فبرز اليه شبيب وقال انى انشدك الله في
دمك فان لك جوارا فأبى الا قتاله فحمل عليه شبيب فضربه بعمود حديد فيه اثنا عشر رطلا
بالشامي فهشم بيضة عليه ورأسه فسقط ثم كفنه ودفنه وابتاع ما غنموا من عسكره
فبعث به الى أهله واعتذر الى أصحابه وقال هو جاري بالكوفة ولي أن أهب ما غنمت لاهل
الردة * قال عمر بن شبة قال أبو عبيدة كان محمد بن موسى مع عمر بن عبيد الله بن معمر
بفارس وشهد معه قتال أبي فديك وكان على ميمنته وشهر بالنجدة وشدة البأس وزوجه
عمر بن عبيد الله بن معمر ابنته أم عثمان وكانت أخته تحت عبد الملك بن مروان فولاه
سجستان فمر بالكوفة وبها الحجاج بن يوسف فقيل للحجاج ان صار هذا الى سجستان مع
نجدته وصهره لعبد الملك فلجأ اليه أحد ممن تطلب منعك منه قال فما الحيلة قيل تأتيه
وتسلم عليه وتذكر نجدته وبأسه وأن شبيبا في طريقه وانه قد أعياك وأنك ترجو أن يريح
الله منه على يده فيكون له ذكر ذلك وشهرته ففعل فعدل اليه محمد بن موسى بن طلحة
ابن عبيد الله فواقفه شبيب فقال له شبيب انى قد علمت خداع الحجاج وانما اغترك ووقى
بك نفسه وكأني بأصحابك لو قد التقت حلقتا البطان قد أسلموك فصرعت مصرع أصحابك
فأطعني وانطلق لشأنك فاني أنفس بك عن الموت فأبى محمد بن موسى فبارزه شبيب فقتله
﴿رجع الحديث الى حديث أبي مخنف﴾ قال عبد الرحمن لقد كان فيمن بايعه تلك الليلة
أبو بردة بن أبي موسى الاشعري فلما بايعه قال له شبيب ألست أبا بردة قال بلى قال شبيب
لاصحابه يا أخلائي أبو هذا أحد الحكمين فقالوا ألا نقتل هذا فقال ان هذا لا ذنب له فيما
صنع أبوه قالوا أجل قال وأصبح شبيب فأتى مقبلا نحو القصر الذي فيه أبو الضريس
وأعين فرموه بالنبل وتحصنوا منه فأقام ذلك اليوم عليهم ثم شخص عنهم فقال له أصحابه
ما دون الكوفة أحد يمنعنا فنظر فاذا أصحابه قد جرحوا فقال لهم ما عليكم أكثر مما قد
فعلتم فخرج بهم على نفّر ثم على الصراة ثم على بغداذ ثم خرج الى خانيجار فأقام بها قال ولما
بلغ الحجاج أن شبيبا قد أخذ نحو نفّر ظن انه يريد المدائن وهي باب الكوفة ومن أخذ
المدائن كان ما في يده من أرض الكوفة أكثر فهال ذلك الحجاج وبعث الى عثمان بن قطن

قتال وقد ضارب ساعة وقد بلغني انه كان جُرِحَ ثم لحق بزياد بن عمرو فضيا منهزمين حتى انتهينا الى محمد بن موسى بن طلحة عند المغرب فقاتلنا قتالا شديدا وصبر لنا ﴿ ذكر هشام ﴾ عن أبي مخنف قال حدثني عبد الرحمن بن جندب وفروة بن لقيط ان أخا شبيب مصادا حمل على بشر بن غالب وهو في الميسرة فأبلى وكرم والله وصبر فنزل ونزل معه رجال من أهل الصبر نحو من خمسين فضاربوا بأسيافهم حتى قتلوا عن آخرهم وكان فيهم عروة بن زهير ابن ناجذ الأزدي وأمه زرارة امرأة ولدت في الأزد فيقال لهم بنو زرارة فلما قتلوه وانهزم أصحابه مالوا فشدوا على أبي الضريس مولى بني تميم وهو يلي بشر بن غالب فهزموه حتى انتهى الى موقف أعين ثم شدوا عليه وعلى أعين جميعا فهزموهما حتى انتهوا بهما الى زائدة ابن قدامة فلما انتهوا اليه نزل ونادى يا أهل الاسلام الأرض الارض الى الى لا يكونوا على كفرهم أصبر منكم على ايمانكم فقاتلهم عامة الليل حتى كان السحر ثم ان شبيبا شد عليه في جماعة من أصحابه فقتله وأصحابه وتركهم ربضة حوله من أهل الحفاظ ﴿ قال أبو مخنف ﴾ وحدثني عبد الرحمن بن جندب قال سمعت زائدة بن قدامة ليلتئذ رافعا صوته يقول يا أيها الناس اصبروا وصابروا يا أيها الذين آمنوا ان تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم ثم والله ما برح يقاتلهم مقبلا غير مدبر حتى قتل ﴿ قال أبو مخنف ﴾ وحدثني فروة بن لقيط ان أبا الصقر الشيباني ذكر أنه قتل زائدة بن قدامة وقد حاجه في ذلك آخر يقال له الفضل بن عامر قال ولما قتل شبيب زائدة بن قدامة دخل أبو الضريس وأعين جوسقا عظيما وقال شبيب لاصحابه ارفعوا السيف عن الناس وادعوهم الى البيعة فدعوهم الى البيعة عند الفجر * قال عبد الرحمن بن جندب فكنت فيمن قدم اليه فبايعه وهو واقف على فرس وخيله واقفة دونه فكل من جاء ليبايعه نزع سيفه عن عاتقه وأخذ سلاحه منه ثم يدنى من شبيب فيسلم عليه بإمرة المؤمنين ثم يخلى سبيله قال وأنا لكذلك اذ انفجر الفجر ومحمد بن موسى بن طلحة بن عبيد الله في أقصى العسكر معه عصابة من أصحابه قد صبروا فلما انفجر الفجر أمر مؤذنه فأذن فلما سمع شبيب الأذان قال ما هذا فقالوا هذا محمد بن موسى بن طلحة بن عبيد الله لم يبرح فقال قد ظننت ان حمقه وخيلاءه سيحمله على هذا نحوا هؤلاء عنا وانزلوا بنا فلنصل قال فنزل فأذن هو ثم استقدم فصلى بأصحابه فقرأ ويل لكل همزة لمزة وأرأيت الذي يكذب بالدين ثم سلم ثم ركبوا فحملوا عليهم فانكشفت طائفة من أصحابه وثبتت طائفة قال فروة فما أنسى قوله وقد غشيناه وهو يقاتل بسيفه وهو يقول الم أحسب النَّاسُ أن يُترَكوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمنّ الله الذين صدقوا وليعلمنّ الكاذبين قال وضارب حتى قتل قال فسمعت أصحابي يقولون ان شبيبا هو الذي قتله ثم انا نزلنا فأخذنا ما كان في العسكر من شيء وهرب الذين كانوا بايعوا شبيبا فلم

يبق

فيمضي ويدعه فيتبعه عبد الرحمن فإذا بلغه انه قد تحمل وأنه يسير أقبل في الخيل فاذا انتهى اليه وجده قد صف الخيل والرجال وأدنى المرامية فلا يصيب له غرة ولا له علة فيمضي ويدعه قال ولما رأى شبيب أنه لا يصيب لعبد الرحمن غرة ولا يصل اليه جعل يخرج اذا دنا منه عبد الرحمن في خيله فينزل على مسيرة عشرين فرسخا ثم يقيم في أرض غليظة جدبة فيجئ عبد الرحمن فإذا دنا من شبيب ارتحل شبيب فسار خمسة عشر أو عشرين فرسخا فنزل منزلا غليظا خشنا ثم يقيم حتى يدنو عبد الرحمن (قال أبو مخنف) فحدثني عبد الرحمن بن جندب ان شبيبا كان قد عذب ذلك العسكر وشق عليهم وأحفى دوابهم ولقوا منه كل بلاء فلم يزل عبد الرحمن يتبعه حتى مر به على خانقين ثم على جلولاء ثم على تامرا ثم أقبل حتى نزل البت قرية من قرى الموصل على تخوم الموصل ليس بينها وبين سواد الكوفة الا نهر يسمى حولايا قال وجاء عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث حتى نزل في نهر حولايا وفي راذان الأعلى من أرض جوخى ونزل عواقيل من النهر ونزلها عبد الرحمن حيث نزلها وهي تعجبه يرى انها مثل الخندق والحصن قال وأرسل شبيب الى عبد الرحمن ان هذه الأيام أيام عيد لنا ولكم فإن رأيتم أن توادعونا حتى تمضي هذه الأيام فافعلوا فقال له عبد الرحمن نعم ولم يكن شيء أحب الى عبد الرحمن من المطاولة والموادعة قال وكتب عثمان بن قطن الى الحجاج أما بعد فإني أخبر الأمير أصلحه الله ان عبد الرحمن بن محمد قد حفر جوخى كلها خندقا واحدا وخلى شبيبا وكسر خراجها وهو يأكل أهلها والسلام فكتب اليه الحجاج أما بعد فقد فهمت ما ذكرت لي عن عبد الرحمن وقد لعمري فعل ما ذكرت فسر الى الناس فأنت أميرهم وعاجل المارقة حتى تلقاهم فإن الله ان شاء الله ناصرك عليهم والسلام * قال وبعث الحجاج الى المدائن مطرف بن المغيرة بن شعبة وخرج عثمان حتى قدم على عبد الرحمن بن محمد ومن معه من أهل الكوفة وهم معسكرون على نهر حولايا قريبا من البت عشية الثلاثاء وذلك يوم التروية فنادى الناس وهو على بغلة أيها الناس اخرجوا الى عدوكم فوثب اليه الناس فقالوا ننشدك الله هذا المساء قد غشينا والناس لم يوطنوا أنفسهم على القتال فبت الليلة ثم اخرج بالناس على تعبية فجعل يقول لأناجزنهم ولتكونن الفرصة لي أو لهم فأتاهم عبد الرحمن فأخذ بعنان دابته وناشده الله لما نزل وقال له عقيل بن شداد السلولي ان الذي تريد من مناجزتهم الساعة أنت فاعله غدا وهو غدا خير لك وللناس ان هذه ساعة ريح وغبرة وقد أمسيت فانزل ثم أبكر بنا اليهم غدوة فنزل فسفت عليه الريح وشق عليه الغبار ودعا صاحب الخراج العلوج فبنوا له قبة فبات فيها ثم أصبح يوم الأربعاء فجاء أهل البت الى شبيب وكان قد نزل ببيعتهم فقالوا له أصلحك الله أنت ترحم الضعفاء وأهل الجزية ويكلمك من تلي عليه ويشكون اليك ما نزل بهم فتنظر لهم وتكف عنهم وان هؤلاء

ودعاه وسرّحه الى المدائن وولاه منبرها والصلاة ومعونة جوخى كلها وخراج الاستان فخرج مسرعا حتى نزل المدائن وعزل الحجاج عبد الله بن أبي عصيفير وكان بها الجزل مقيما أشهرا يداوي جراحته وكان ابن أبي عصيفير يعوده ويكرمه فلما قدم عثمان بن قطن المدائن لم يعُده ولم يكن يتعاهده ولا يُلطفه بشيء فقال الجزل اللهم زد ابن عصيفير جودا وكرما وفضلا وزد عثمان بن قطن ضيقا وبخلا قال ثم ان الحجاج دعا عبد الرحمن بن محمد ابن الأشعث فقال له انتخب الناس واخرج في طلب هذا العدوّ فأمره بنخبة ستة آلاف فانتخب فرسان الناس ووجوههم وأخرج من قومه ستمائة من كندة وحضرموت واستحثه الحجاج بالعسكر فعسكر بدير عبد الرحمن فلما أراد الحجاج اشخاصهم كتب اليهم أما بعد فقد اعتدتم عادة الأذلاء ووليتم الدبر يوم الزحف وذلك دأب الكافرين وإني قد صفحت عنكم مرّة بعد مرّة ومرة بعد مرة وإني أقسم لكم بالله قسما صادقا لئن عدتم لذلك لأوقعنّ بكم إيقاعا أكون أشدّ عليكم من هذا العدوّ الذي تهربون منه في بطون الأودية والشعاب وتستترون منه بأثناء الانهار وألواذ الجبال فخاف من له معقول على نفسه ولم يجعل عليها سبيلا وقد أعذر من أنذر وقد أسمعتَ لو ناديتَ حيًّا * ولكن لا حياة لمن تنادي والسلام عليكم قال ثم سرّح ابن الأصمّ مؤذّنه فأتى عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث عند طلوع الشمس فقال له ارتحل الساعة وناد في الناس أن برئت الذمة عن رجل من هذا البعث وجدناه متخلفا فخرج عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث في الناس حتى مر بالمدائن فنزل بها يوما وليلة وتشرى أصحابه حوائجهم ثم نادى في الناس بالرحيل فارتحلوا ثم أقبلوا حتى دخل على عثمان بن قطن ثم أتى الجزل فسأله عن جراحته وساءله ساعة وحدثه ثم ان الجزل قال له يا ابن عمّ انك تسير الى فرسان العرب وأبناء الحرب وأحلاس الخيل والله لكأنما خُلقوا من ضلوعها ثم بنوا على ظهورها ثم هم أسد الأجم الفارسُ منهم أشدّ من مائة ان لم تبدأ به بدأ وإن هُجهج أقدم فإني قد قاتلتهم وبلوتهم فإذا أصحرتُ لهم انتصفوا مني وكان لهم الفضل عليّ واذا خندقت عليّ وقاتلتهم في مضيق نلت منهم بعض ما أحبّ وكان لي عليهم الظفر فلا تلقهم وأنت تستطيع الا في تعبية أو في خندق ثم انه ودّعه فقال له الجزل هذه فرسي الفسيفساء خذها فإنها لا تجارَى فأخذها ثم خرج بالناس نحو شبيب فلما دنا منه ارتفع عنه شبيب الى دقوقاء وشهرزور فخرج عبد الرحمن في طلبه حتى اذا كان على التخوم أقام وقال انما هو في أرض الموصل فليقاتلوا عن بلادهم أو ليدعوه فكتب اليه الحجاج بن يوسف أما بعد فاطلب شبيبا واسلكْ في أثره أين سلك حتى تدركه فتقتله أو تنفيه فإنما السلطانُ سلطانُ أمير المؤمنين والجند جنده والسلام فخرج عبد الرحمن حين قرأ كتاب الحجاج في طلب شبيب فكان شبيب يدعه حتى اذا دنا منه بيّته فيجده قد خندق على نفسه وحذر

في الأشراف وأهل الصبر فضاربوهم حتى فرّقوا بينهم وحمل شبيب بالخيل من ورائهم فما شعروا إلّا والرماح في أكتافهم تكبّهم لوجوههم وعطف عليهم سويد بن سليم أيضا في خيله ورجع مصاد وأصحابه وقد كان شبيب رجّلهم فاضطربوا ساعة وقاتل عثمان بن قطن فأحسن القتال ثم انهم شدّوا عليهم فأحاطوا به وحمل عليه مصاد أخو شبيب فضربه ضربة بالسيف استدار لها ثم قال وكان أمرُ الله مَفعولاً ثم ان الناس قتلوه وقُتل يومئذ الأبرد ابن ربيعة الكندى وكان على تلّ فألقى سلاحه الى غلامه وأعطاه فرسه وقاتل حتى قتل ووقع عبد الرحمن فرآه ابن أبي سَبرة الجُعفى وهو على بغلة فعرفه فنزل اليه فناوله الرمح وقال له اركبْ فقال عبد الرحمن بن محمد أيّنا الرديف قال ابن أبي سبرة سبحان الله أنت الأمير تكون المقدّم فركب وقال لابن أبي سبرة نادِ في الناس الحقوا بدير أبي مريم فنادى ثم انطلقا ذاهبين ورأى واصل بن الحارث السكونى فرس عبد الرحمن الذى حمله عليه الجزل يجولُ في العسكر فأخذها بعض أصحاب شبيب فظن انه قد هلك فطلبه في القتلى فلم يجده وسأل عنه فقيل له قد رأينا رجلا قد نزل عن دابّته فحمله عليها فأخلقه أن يكون اياه وقد أخذ هٰهنا آنفا فاتبعه واصلُ بن الحارث على برذونه ومع واصل غلامه على بغل فلما دنوا منهما قال محمد ابن أبي سبرة لعبد الرحمن قد والله لحق بنا فارسان فقال عبد الرحمن فهل غيرُ اثنين فقال لا فقال عبد الرحمن فلا يعجز اثنان عن اثنين قال وجعل يحدّث ابن أبي سبره كأنه لا يكترث بهما حتى لحقهما الرجلان فقال له ابن أبي سبرة رحمك الله قد لحقنا الرجلان فقال له فانزل بنا فنزلا فانتضيا سيفيهما ثم مضيا اليهما * فلما رآهما واصل عرفهما فقال لهما إنكما قد تركتما النزول في موضعه فلا تنزلا الآن ثم حسر العمامة عن وجهه فعرفاه فرحّبا به وقال لابن الأشعث انى لمّا رأيت فرسك يجول في العسكر ظننتك راجلا فأتيتك ببرذوني هذا لتركبه فترك لابن أبي سبرة بغلته وركب البرذون وانطلق عبد الرحمن بن الاشعث حتى نزل دير اليعار وأمر شبيب أصحابه فرفعوا عن الناس السيف ودعاهم الى البيعة فأتاه من بقي من الرجّالة فبايعوه وقال له أبو الصقر المحلّمى قتلت من الكوفيين سبعة في جوف النهر كان آخرهم رجلا تعلّق بثوبى وصاح ورهّبني حتى رهبته ثم انى أقدمت عليه فقتلته وقتل من كندة مائة وعشرون يومئذ وألف من سائر الناس أو ستمائة وقتل عظم العرفاء يومئذ (قال أبو مخنف) حدثني قدامة بن حازم بن سفيان الخثعمى انه قتل منهم يومئذ جماعة وبات عبد الرحمن بن محمد تلك الليلة بدير اليعار فأتاه فارسان فصعدا اليه فوق البيت وقام آخرُ قريبا منهما فخلا أحدهما بعبد الرحمن طويلا يناجيه ثم نزل هو وأصحابه وقد كان الناس يتحدّثون ان ذلك كان شبيبا وانه قد كان كاتبه ثم خرج عبد الرحمن آخر الليل فسار حتى أتى دير أبي مريم فإذا هو بأصحاب الخيل قد وضع لهم محمدُ بن عبد الرحمن بن أبي سبرة صُبرَ الشعير والقتّ

القومَ جبابرة لا يكلمون ولا يقبلون العذر والله لئن بلغهم انك مقيم في بيعتنا ليقتلنا ان قُضى لك ان ترتحل عنا فإن رأيت فانزل جانب القرية ولا تجعل لهم علينا مقالا قال فإني أفعل ذلك بكم ثم خرج فنزل جانب القرية قال فبات عثمان ليلته كلها يحرّضهم فلما أصبح وذلك يوم الاربعاء خرج بالناس فاستقبلتهم ريح شديدة وغبرة فصاح الناس اليه فقالوا ننشدك الله أن تخرج بنا في هذا اليوم فإن الريح علينا فأقام بهم ذلك اليوم وأراد شبيب قتالهم وخرج أصحابه فلما رآهم لم يخرجوا اليه أقام فلما كان ليلة الخميس خرج عثمان فعبّى الناس على أرباعهم فجعل كلّ ربع في جانب العسكر وقال لهم اخرجوا على هذه التعبية وسألهم مَن كان على ميمنتكم قالوا خالد بن نَهيك بن قيس الكندي وكان على ميسرتنا عَقيل بن شدّاد السلولي فدعاهما فقال لهما قفا مواقفكما التي كنتما بها فقد وليتكما المجنبتين فأثبتا ولا تفرّا فوالله لا أزول حتى يزول نخل راذان عن أصوله فقالا ونحن والله الذي لا اله الا هو لا نفرّ حتى نظفر أو نقتل فقال لهما جزاكما الله خيرا ثم أقام حتى صلى بالناس الغداة ثم خرج فجعل ربع أهل المدينة تميم وهمدان نحو نهر حولايا في الميسرة وجعل ربع كندة وربيعة ومذحج وأسد في الميمنة ونزل يمشي في الرجال وخرج شبيب وهو يومئذ في مائة وأحد وثمانين رجلا فقطع اليهم النهر فكان هو في ميمنة أصحابه وجعل على ميسرته سويد بن سُليم وجعل في القلب مصاد بن يزيد أخاه وزحفوا وسما بعضهم لبعض (قال أبو مخنف) فحدثني النضر بن صالح العبسيّ ان عثمان كان يقول فيكثر لن يَنْفَعَكُمُ الفِرَارُ إِنْ فَرَرْتُمْ مِنَ المَوْتِ أَوِ القَتْلِ وإِذًا لا تُمَتَّعُونَ إِلا قَليلاً أين المحافظون على دينهم المحامون عن فيئهم فقال عقيل بن شدّاد بن حُبْشيّ السلوليّ لعلي أن أكون أحدهم قُتِل أولئك يوم رُوذبار ثم قال شبيب لأصحابه اني حامل على ميسرتهم مما يلي النهر فإذا هزمتها فليحمل صاحب ميسرتي على ميمنتهم ولا يبرحْ صاحبُ القلب حتى يأتيه أمري وحمل في ميمنة أصحابه مما يلي النهر على ميسرة عثمان بن قطن فانهزموا ونزل عقيل بن شدّاد فقاتل حتى قُتِل وقُتِل يومئذ مالك بن عبد الله الهمداني ثم المُرْهيّ عمّ عياش بن عبد الله بن عياش المنتوف وجعل يومئذ عقيل بن شدّاد يقول وهو يجالدهم

لأَضْرِبَنَّ بالحُسامِ الباتر * ضربَ غلامٍ من سَلولَ صابر

ودخل شبيب عسكرهم وحمل سُويد بن سليم في ميسرة شبيب على ميمنة عثمان بن قطن فهزمها وعليها خالد بن نهيك بن قيس الكندي ونزل خالد فقاتل قتالا شديدا وحمل عليه شبيب من ورائه وهو على ربع كندة وربيعة يومئذ وهو صاحب الميمنة فلم ينثنِ شبيب حتى علاه بالسيف فقتله ومضى عثمان بن قطن وقد نزلت معه العرفاء وأشراف الناس والفرسان نحو القلب وفيه أخو شبيب في نحو من ستين راجلا فلما دنا منهم عثمان بن قطن شدّ عليهم

ثم لحق بشبيب فكان معه بها وشهد معه مواطنه حتى قُتل فلما آمن الحجاج كلَّ من كان خرج الى شبيب من أصحاب المال والتباعات وذلك بعد يوم السبخة خرج اليه الحرُّ فيمن خرج فجاء أهلُ الدهقانَين يستعدُون عليه الحجاج فأُتي به فدخل وقد أوصى ويئس من نفسه فقال له الحجاج يا عدوَّ الله قتلت رجلين من أهل الخراج فقال له قد كان أصلحك الله ما هو أعظم من هذا فقال وما هو قال خروجي من الطاعة وفراق الجماعة ثم آمنتَ كل من خرج اليك فهذا أماني وكتابك لي فقال له الحجاج أولى لك قد لعمري فعلتُ وخلى سبيله قال ولما انسخ الحرّ عن شبيب خرج من ماه في نحو من ثمانمائة رجل فأقبل نحو المدائن وعليها مُطرّف بن المغيرة بن شعبة فجاء حتى نزل قناطر حذيفة بن اليمان فكتب ماذرواسب عظيم بابل مهروذ الى الحجاج أما بعد فإني أخبر الأمير أصلحه الله ان شبيبا قد أقبل حتى نزل قناطر حُذيفةِ ولا أدري أين يريد * فلما قرأ الحجاج كتابه قام في الناس فحمد الله وأثنى عليه ثم قال أيها الناس والله لتقاتلنّ عن بلادكم وعن فيئكم أو لأبعثنّ الى قوم هم أطوع وأسمع وأصبر على اللأواء والغيظ منكم فيقاتلون عدوَّكم ويأكلون فيأكم فقام اليه الناس من كل جانب فقالوا نحن نقاتلهم ونعتب الأمير فليندبنا الأمير اليهم فانا حيث سرّه وقام اليه زهرة بن حويّة وهو شيخ كبير لا يستتمّ قائما حتى يؤخذ بيده فقال له أصلح الله الأمير انك انما تبعث اليهم الناس متقطّعين فاستنفر الناس اليهم كافة فلينفر اليهم كافة وابعث عليهم رجلا ثبتا شجاعا مجرّبا للحرب ممن يرى الفرار هضما وعارا والصبر مجدا وكرما فقال الحجاج فأنت ذاك فاخرج فقال أصلح الله الأمير انما يصلح للناس في هذا رجل يحمل الرمح والدرع ويهزّ السيف ويثبت على متن الفرس وأنا لا أطيق من هذا شيأ وقد ضعف بصري وضعفت ولكن أخرجني في الناس مع الأمير فإني انما أثبت على الراحلة فأكون مع الأمير في عسكره وأشير عليه برأيي فقال له الحجاج جزاك الله عن الإسلام وأهله في أوّل الإسلام خيرا وجزاك الله عن الإسلام في آخر الإسلام خيرا فقد نصحت وصدقت أنا مُخرِج الناس كافةً ألا فسيروا أيها الناس فانصرف الناس فجعلوا يسيرون وليس يدرون مَنْ أميرهم وكتب الحجاج الى عبد الملك بن مروان أما بعد فإني أخبر أمير المؤمنين أكرمه الله ان شبيبا قد شارف المدائن وإنما يريد الكوفة وقد عجز أهل الكوفة عن قتاله في مواطن كثيرة في كلها يقتلُ أمراءهم ويفلّ جنودهم فان رأى أمير المؤمنين أن يبعث الى أهل الشام فيقاتلوا عدوَّهم ويأكلوا بلادهم فليفعل والسلام فلما أتى عبد الملك كتابُه بعث اليه سفيان بن الأبرد في أربعة آلاف وبعث اليه حبيب بن عبد الرحمن الحكمي من مذحج في ألفين فسرّحهم حين أتاه الكتاب الى الحجاج وجعل أهل الكوفة يجهزون الى شبيب ولا يدرون من أميرهم وهم يقولون يبعث

بعضه على بعض كأنه القصور ونحر لهم من الجزر ما شاؤا فأكلوا يومئذ وعلفوا دوابهم واجتمع الناس الى عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث فقالوا له ان سمع شبيب بمكانك أتاك وكنت له غنيمة قد ذهب الناس وتفرقوا وقتل خيارهم فالحق أيها الرجل بالكوفة فخرج الى الكوفة ورجع الناس أيضا وجاءوا فاختفى من الحجاج حتى أخذ الأمان بعد ذلك

﴿وفي هذه السنة﴾ أمر عبد الملك بن مروان بنقش الدنانير والدراهم ﴿ذكر الواقدي﴾ ان سعد بن راشد حدثه عن صالح بن كيسان بذلك قال وحدثني ابن أبي الزناد عن أبيه ان عبد الملك ضرب الدراهم والدنانير عامئذ وهو أول من أحدث ضربها قال وحدثني خالد بن أبي ربيعة عن أبي هلال عن أبيه قال كانت مثاقيل الجاهلية التي ضرب عليها عبد الملك اثنين وعشرين قيراطا الا حبة وكانت العشرة وزن سبعة قال وحدثني عبد الرحمن بن جرير الليثي عن هلال بن أسامة قال سألت سعيد بن المسيب في كم تجب الزكاة من الدنانير قال في كل عشرين مثقالا بالشامي نصف مثقال قلت ما بال الشامي من المصري قال هو الذي تضرب عليه الدنانير وكان ذلك وزن الدنانير قبل أن تضرب الدنانير كانت اثنين وعشرين قيراطا الا حبة قال سعيد قد عرفته قد أرسلت بدنانير الى دمشق فضربت على ذلك ﴿وفي هذه السنة﴾ وفد يحيى بن الحكم على عبد الملك بن مروان وولى أبان بن عثمان المدينة في رجب ﴿وفيها﴾ استقضى أبان بن نوفل بن مساحق بن عمرو بن خداش من بني عامر بن لوي ﴿وفيها﴾ ولد مروان بن محمد بن مروان ﴿وأقام الحج﴾ للناس في هذه السنة أبان بن عثمان وهو أمير على المدينة حدثني بذلك أحمد بن ثابت عمن ذكره عن اسحاق ابن عيسى عن أبي معشر وكذلك قال الواقدي وكان على الكوفة والبصرة الحجاج بن يوسف وعلى خراسان أمية بن عبد الله بن خالد وعلى قضاء الكوفة شريح وعلى قضاء البصرة زرارة بن أوفى

﴿ثم دخلت سنة سبع وسبعين﴾

﴿ففي هذه السنة﴾ قتل شبيب عتاب بن ورقاء الرياحي وزهرة بن حوية

﴿ذكر الخبر عن سبب مقتلهما﴾

وكان سبب ذلك فيما ذكر هشام عن أبي مخنف عن عبد الرحمن بن جندب وفروة بن لقيط ان شبيبا لما هزم الجيش الذي كان الحجاج وجهه مع عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث اليه وقتل عثمان بن قطن وذلك في صيف وحر شديد اشتد الحر عليه وعلى أصحابه فأتى ماه بهراذان فتصيف بها ثلاثة أشهر وأتاه ناس كثير ممن يطلب الدنيا فلحقوا به وناس ممن كان الحجاج يطلبهم بمال أو تباعات كان منهم رجل من الحي يقال له الحر بن عبد الله بن عوف وكان دهقانان من أهل نهر درقيط قد أساآ اليه وضيقا عليه فشد عليهما فقتلهما

فعنب وسويد والمحلل فلما أرادوا ان ينزلوا فى السفينة بعث اليهم شبيب ان لا تدخلوا السفينة حتى يرجع الى رسولى من عند مطرف فرجع الرسول وبعث الى مطرف أن ابعث الىّ من أصحابك بعدد أصحابى يكونوا رهنا فى يدى حتى تردّ علىّ أصحابى فقال مطرف لرسوله القه وقل له كيف آمنك انا على أصحابى اذا انا بعثتهم الآن اليك وأنت لا تأمننى على أصحابك فرجع الرسول الى شبيب فأبلغه فأرسل اليه شبيب انك قد علمت أنا لا نستحل الغدر فى ديننا وأنتم تفعلونه وتستحلونه فبعث اليه مطرف الربيع بن يزيد الاسدى وسليمان بن حذيفة بن هلال بن مالك المزنى ويزيد بن أبى زياد مولاه وصاحب حرسه فلما صاروا فى يدى شبيب سرح اليه أصحابه فأتوا مطرفا فمكثوا أربعة أيام يتراسلون ثم لم يتفقوا على شئ فلما تبين لشبيب ان مطرفا غير تابعه ولا داخل معه نهيأ للمسير الى عتاب بن ورقاء والى أهل الشأم (قال أبو مخنف) فحدثنى فروة بن لقيط ان شبيبا دعا رؤس أصحابه فقال لهم انه لم يثبطنى على رأى قد كنت رأيته الا هذا الثقفى منذ أربعة أيام قد كنت حدثت نفسى ان أخرج فى جريدة خيل حتى ألقى هذا الجيش المقبل من الشأم رجاء ان أصادف غرتهم أو يحذروا فلا أبالى كنت ألقاهم منقطعين من المصر ليس عليهم أمير كالحجاج يستندون اليه ولا مصر كالكوفة يعتصمون به وقد جاءتنى عيونى اليوم فخبرونى ان أوائلهم قد دخلوا عين التمر فهم الآن قد شارفوا الكوفة وجاءتنى عيونى من نحو عتاب بن ورقاء فحدثونى انه قد نزل بجماعة أهل الكوفة الصراة فما أقرب ما بيننا وبينهم فتيسروا بنا للمسير الى عتاب بن ورقاء قال وخاف مطرف ان يبلغ خبره وما كان من ارساله الى شبيب الحجاج فخرج نحو الجبال وقد كان أراد ان يقيم حتى ينظر ما يكون بين شبيب وعتاب فأرسل اليه شبيب أما اذ لم تبايعنى فقد نبذت اليك على سواء فقال مطرف لأصحابه اخرجوا بنا وافرين فإن الحجاج سيقاتلنا فيقاتلنا وبنا قوّة أمثل فخرج ونزل المدائن فعقد شبيب الجسر وبعث الى المدائن أخاه مصادا وأقبل اليه عتاب حتى نزل بسوق حكمة وقد أخرج الحجاج جماعة أهل الكوفة مقاتلتهم ومن نشط الى الخروج من شبابهم وكانت مقاتلتهم أربعين ألفا سوى الشباب ووافى مع عتاب يومئذ أربعون ألفا من المقاتلة وعشرة آلاف من الشباب بسوق حكمة فكانوا خمسين ألفا ولم يدع الحجاج قرشيا ولا رجلا من بيوتات العرب الا أخرجه (قال أبو مخنف) فحدثنى عبد الرحمن بن جندب قال سمعت الحجاج وهو على المنبر حين وجه عتابا الى شبيب فى الناس وهو يقول يا أهل الكوفة اخرجوا مع عتاب بن ورقاء بأجمعكم لا أرخص لاحد من الناس فى الإقامة الا رجلا قد وليناه من أعمالنا الا إن للصابر المجاهد الكرامة والأثرة الا وإن للناكل الهارب الهوان والجفوة والذى لا إله غيره لئن فعلتم فى هذا الموطن كفعلكم فى المواطن التى كانت لأولينكم كنفا خشنا ولأعركنكم بكلكل ثقيل ثم نزل وتوافى الناس

فلاناً أو فلاناً وقد بعث الحجاج الى عتاب بن ورقاء ليأتيه وهو على خيل الكوفة مع المهلب
وقد كان ذلك الجيش من أهل الكوفة هم الذين كان بشر بن مروان بعث عبد الرحمن بن
مخنف عليهم الى قطرىّ فلم يلبث عبد الرحمن بن مخنف الا انحوا من شهرين حتى قدم الحجاج
على العراق فلم يلبث عليهم عبد الرحمن بن مخنف بعد قدوم الحجاج الا رَجَبَ وشعبان وقتل
قطرىٌّ عبد الرحمن في آخر رمضان فبعث الحجاج عتابَ بن ورقاء على ذلك الجيش من
أهل الكوفة الذين أصيب فيهم عبد الرحمن بن مخنف وأمر الحجاج عتاباً بطاعة المهلب
فكان ذلك قد كبر على عتاب ووقع بينه وبين المهلب شر حتى كتب عتاب الى الحجاج
يستعفيه من ذلك الجيش ويضمه اليه فلما ان جاءه كتاب الحجاج بإتيانه سر بذلك قال ودعا
الحجاج اشراف أهل الكوفة فيهم زهرة بن حَوِيّة السَّعْدى من بنى الأعرج وقبيصة بن
والِق التغلبى فقال لهم من ترون ان ابعث على هذا الجيش فقالوا رأيك أيها الأمير أفضل قال
فانى قد بعثت الى عتاب بن ورقاء وهو قادم عليكم الليلة أو القابلة فيكون هو الذى يسير فى الناس
قال زهرة بن حوِيّة أصلح الله الأمير رَمَيْتَهُمْ بِحَجَرِهِمْ لا والله لا يرجع اليك حتى يظفر
أو يقتل وقال له قبيصة بن والق إنّى مشير عليك برأيى فان يكن خطأ فبعد اجتهادى فى
النصيحة لأمير المؤمنين وللأمير ولعامة المسلمين وان يك صواباً فالله سددنى له إنا قد تحدّثنا
وتحدّث الناس ان جيشاً قد فصل اليك من قبل الشأم وان أهل الكوفة قد هزموا وفلوا
واستخفوا بالصبر وهان عليهم عار الفرار فقلوبهم كأنها ليست فيهم كأنما هى فى قوم آخرين فإن
رأيت ان تبعث الى جيشك الذى أمددت به من أهل الشأم فيأخذوا حذرهم ولا يبيتُوا الا
وهم يرون أنهم مُبيّتون فعلتَ فإنك تحارب حُوَّلاً قُلَّباً ظعّاناً رحّالاً وقد جهزت اليه أهل
الكوفة ولستَ واثقاً بهم كلّ الثقة وإنما اخوانهم هؤلاء القوم الذين بعثوا اليك من الشأم إن
شبيباً بينا هو فى أرض اذ هو فى أخرى ولا آمنُ ان يأتيهم وهم غارون فإن يهلكوا نهلك ويهلك
العراق فقال لله أنت ما أحسن ما رأيت وما أحسن ما أشرت به علىّ قال فبعث عبد الرحمن
ابن الغرِق مولى أبى عقيل الى من أقبل اليه من أهل الشأم فأتاهم وقد نزلوا هيت بكتاب من
الحجاج أما بعد فإذا حاذيتم هيت فدعوا طريق الفرات والأنبار وخذوا على عين التمر حتى
تقدموا الكوفة ان شاء الله وخذوا حذركم وعجلوا السير والسلام فأقبل القوم سراعا قال
وقدم عتاب بن ورقاء فى الليلة التى قال الحجاج انه قادم عليكم فيها فأمره الحجاج فخرج
بالناس فعسكر بهم بحمّام أعينَ وأقبل شبيب حتى انتهى الى كَلْوَاذَا فقطع منها دجلة ثم أقبل
حتى نزل مدينة بهرسير الدنيا فصار بينه وبين مطرّف بن المغيرة بن شعبة جسرُ دجلة فلما
نزل شبيب مدينة بهرسير قطع مطرف الجسر وبعث الى شبيب أن ابعث الىّ رجالاً من وجوه
أصحابك أدارسهم القرآن وأنظر فيما تدعوا اليه فبعث اليه شبيب رجالاً من وجوه أصحابه فيهم

قعنب

أن نفترق حتى ألقاه في جماعتكم والكوفة في ظهورنا والحصن في أيدينا ﴿وفي هذه السنة﴾ دخل شبيب الكوفة دخلته الثانية

﴿ذكر الخبر عن ذلك وما كان من حربه بها الحجاج﴾

﴿قال هشام﴾ حدثني أبو مخنف عن موسى بن سوار قال قدم سبرة بن عبد الرحمن بن مخنف من الدسكرة الكوفة بعد ما قدم جيش الشأم الكوفة وكان مُطَرِّف بن المغيرة كتب الى الحجاج إن شبيبا قد أطلّ عليّ فابعث الى المدائن بعثا فبعث اليه سبرة بن عبد الرحمن بن مخنف في مائتي فارس فلما خرج مطرّف يريد الجبل خرج بأصحابه معه وقد أعلمهم ما يريد وكتم ذلك سبرة فلما انتهى الى دسكرة الملك دعا سبرة فأعلمه ما يريد ودعاه الى أمره فقال له نعم أنا معك فلما خرج من عنده بعث الى أصحابه فجمعهم وأقبل بهم فصادف عتّاب بن ورقاء قد قتل وشبيبا قد مضى الى الكوفة فأقبل حتى انتهى الى قرية يقال لها بيطرى وقد نزل شبيب حَمَّام عُمَر فخرج سبرة حتى يعبر الفرات في معبر قرية شاهي ثم أخذ الظهر حتى قدم على الحجاج فوجد أهل الكوفة مسخوطا عليهم فدخل على سفيان بن الابرد فقص قصته عليه وأخبره بطاعته وفراقه مُطَرِّفا وانه لم يشهد عتّابا ولم يشهد هزيمة في موطن من مواطن أهل الكوفة ولم أزل للامير عاملا ومعي مائتا رجل لم يشهدوا معي هزيمة قط وهم على طاعتهم لم يدخلوا في فتنة فدخل سفيان الى الحجاج فخبّره بخبر ما قص عليه سبرة بن عبد الرحمن فقال صدق وبرّ قل له فليشهد معنا لقاء عدوّنا فخرج اليه فأعلمه ذلك وأقبل شبيب حتى نزل موضع حَمَّام أعين ودعا الحجاج الحارث بن معاوية بن أبي زرعة بن مسعود الثقفي فوجّهه في ناس من الشرط لم يكونوا شهدوا يوم عتاب ورجالا كانوا عمّالا في نحو من مائتي رجل من أهل الشأم فخرج في نحو من ألف فنزل زرارة وبلغ ذلك شبيبا فتعجل اليه في أصحابه فلما انتهى اليه حمل عليه فقتله وهزم أصحابه وجاءت المنهزمة فدخلوا الكوفة وجاء شبيب حتى قطع الجسر وعسكر دونه الى الكوفة وأقام شبيب في عسكره ثلاثة أيام فلم يكن في أول يوم الا قتل الحارث بن معاوية فلما كان في اليوم الثاني أخرج الحجاج مواليه وغلمانه عليهم السلاح فأخذوا بأفواه السكك مما يلي الكوفة وخرج أهل الكوفة فأخذوا بأفواه سككهم وخشوا ان لم يخرجوا موجدة الحجاج وعبد الملك بن مروان وجاء شبيب حتى ابتنى مسجدا في أقصى السَّبَخة مما يلي موقف أصحاب القتّ عند الإيوان وهو قائم حتى الساعة فلما كان اليوم الثالث أخرج الحجاج أبا الورد مولى له عليه تجفاف وأخرج مجففة كثيرة وغلمانا له وقالوا هذا الحجاج فحمل عليه شبيب فقتله وقال ان كان هذا الحجاج فقد أرحتكم منه ثم ان الحجاج أخرج له غلامه طهمان في مثل تلك العدّة على مثل تلك الهيئة فحمل عليه شبيب فقتله وقال ان كان هذا الحجاج فقد أرحتكم منه ثم ان الحجاج خرج ارتفاع النهار من القصر فقال

وعظم فيه غناؤك ولرب خيل للمشركين قد هزمتها وسرية لهم قد أغرتها وقرية من قراهم جم أهلها قد افتتحتها ثم كان في علم الله أن تقتل ناصر الظالمين (قال أبو مخنف) فحدثني فروة بن لقيط قال رأيناه والله توجع له فقال رجل من شبان بكر بن وائل والله ان أمير المؤمنين منذ الليلة ليتوجع لرجل من الكافرين قال انك لست بأعرف بضلالتهم مني ولكني أعرف من قديم أمرهم ما لا تعرف ما لو ثبتوا عليه كانوا اخوانا وقتل في المعركة عمار بن يزيد بن شبيب الكلبي وقتل أبو خيثمة بن عبد الله يومئذ واستمكن شبيب من أهل العسكر والناس فقال ارفعوا عنهم السيف ودعا الى البيعة فبايعه الناس من ساعتهم وهربوا من تحت ليلتهم وأخذ شبيب يبايعهم ويقول الى ساعة يهربون وحوى شبيب على ما في العسكر وبعث الى أخيه فأتاه من المدائن فلما وافاه بالعسكر أقبل الى الكوفة وقد أقام بعسكره ببيت قرة يومين ثم توجه نحو وجه أهل الكوفة وقد دخل سفيان بن الأبرد الكلبي وحبيب بن عبد الرحمن الحكمي من مذحج فيمن معهما من أهل الشأم الكوفة فشدوا للحجاج ظهره فاستغنى بهما عن أهل الكوفة فقام على منبر الكوفة فحمد الله وأثنى عليه ثم قال أما بعد يا أهل الكوفة فلا أعز الله من أراد بكم العز ولا نصر من أراد بكم النصر اخرجوا عنا ولا تشهدوا معنا قتال عدونا الحقوا بالحيرة فانزلوا مع اليهود والنصارى ولا تقاتلوا معنا إلا من كان لنا عاملا ومن لم يكن شهد قتال عتاب بن ورقاء (قال أبو مخنف) فحدثني فروة بن لقيط قال والله خرجنا نتبع آثار الناس فانتهى الى عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث ومحمد بن عبد الرحمن بن سعيد ابن قيس الهمداني وهما يمشيان كأني أنظر الى رأس عبد الرحمن قد امتلأ طينا فصددت عنهما وكرهت ان اذعرهما ولو أني أوذن بهما أصحاب شبيب لقتلا مكانهما وقلت في نفسي لئن سقت الى مثلكما من قومي القتل ما أنا برشيد الرأي وأقبل شبيب حتى نزل الصراة (قال أبو مخنف) فحدثني موسى بن سوار ان شبيبا خرج يريد الكوفة فانتهى الى سوراء فندب الناس فقال أيكم يأتيني برأس عامل سوراء فانتدب له بطين وقعنب وسويد ورجلان من أصحابه فساروا مغذين حتى انتهوا الى دار الخراج والعمال في سمرجة فدخلوا الدار وقد كادوا الناس بأن قالوا أجيبوا الأمير فقالوا أي الأمراء قالوا أمير خرج من قبل الحجاج يريد هذا الفاسق شبيبا فاغتر بذلك العامل منهم ثم انهم شهروا السيوف وحكموا حين وصلوا اليه فضربوا عنقه وقبضوا على ما كان من مال ولحقوا بشبيب فلما انتهوا اليه قال ما الذي أتيتمونا به قالوا جئناك برأس الفاسق وما وجدنا من مال والمال على دابة في بدوره فقال شبيب أتيتمونا بفتنة للمسلمين هلم الحربة يا غلام فخرق بها البدور وأمر فنخس بالدابة والمال يتناثر من بدوره حتى وردت الصراة فقال إن كان بقي شيء فاقذفه في الماء ثم خرج اليه سفيان بن الأبرد مع الحجاج وكان أتاه قبل خروجه معه فقال ابغني أستقبله قبل أن يأتيك فقال ما أحب

المسجد معه نحوٌ من عشرين رجلا معهم النبل فقال ان دنوا منا فارشقوهم فاقتتلوا عامة النهار من أشد قتال في الارض حتى أقرّ كل واحد من الفريقين لصاحبه ثم ان خالد بن عتاب قال للحجاج ائذن لى في قتالهم فانى موتور وأنا ممن لا يُتّهم في نصيحة قال فانى قد أذنت لك قال فانى آتيهم من ورائهم حتى أغير على عسكرهم فقال له افعل ما بدا لك قال فخرج معه بعصابة من أهل الكوفة حتى دخل عسكرهم من ورائهم فقتل مُصَادًا أخا شبيب وقتل غزالة امرأته قتلها فروة بن الدفان الكلبي وحرق في عسكره وأتى ذلك الخبر الحجاج وشبيبا فأما الحجاج وأصحابه فكبر وا تكبيرة واحدة وأما شبيب فوثب هو وكل راجل معه على خيولهم وقال الحجاج لأهل الشأم شدوا عليهم فانه قد أتاهم ما أرعب قلوبهم فشدوا عليهم فهزموهم وتخلف شبيب في حامية الناس ﴿قال هشام﴾ فحدثنى أصغر الخارجى قال حدثنى من كان مع شبيب قال لما انهزم النّاس فخرج من الجسر تبعه خيل الحجاج قال فجعل يخفق برأسه فقلت يا أمير المؤمنين التفت فانظر من خلفك قال فالتفت غير مكترث ثم أكبّ يخفق برأسه قال ودنوا منا فقلنا يا أمير المؤمنين قد دنوا منك قال فالتفت والله غير مكترث ثم جعل يخفق برأسه قال فبعث الحجاج الى خيله أن دعوه في حرق الله وناره فتركوه ورجعوا ﴿قال هشام﴾ قال أبو مخنف حدثنى أبو عمرو العذرى قال فقطع شبيب الجسر حين عبر قال وقال لى فروة كنت معه حين انهزمنا فما حرّك الجسر ولا اتبعونا حتى قطعنا الجسر ودخل الحجاج الكوفة ثم صعد المنبر فحمد الله ثم قال والله ما قوتل شبيب قبلها ولّى والله هاربا وترك امرأته يُكسر في استها القصب ﴿وقد قيل﴾ في قتال الحجاج شبيبا بالكوفة ما ذكر عمر بن شبة قال حدثنى عبد الله بن المغيرة بن عطية قال حدثنى أبى قال حدثنا مزاحم بن زُفر بن جساس التيمى قال لما فض شبيب كتائب الحجاج أذن لنا فدخلنا عليه في مجلسه الذى يبيت فيه وهو على سرير وعليه لحاف فقال انى دعوتكم لأمر فيه أمان ونظر فأشيروا علىّ ان هذا الرجل قد تبحبح بحبوحتكم ودخل حريمكم وقتل مقاتلتكم فأشيروا علىّ فأطرقوا وفصل رجل من الصف بكرسيه فقال ان أذن لى الامير تكلمتُ فقال تكلمْ فقال ان الأمير والله ما راقب الله ولا حفظ أمير المؤمنين ولا نصح للرعية ثم جلس بكرسيه في الصف قال واذا هو قتيبة قال فغضب الحجاج وألقى اللحاف ودلى قدميه من السرير كأنى أنظر اليهما فقال من المتكلم قال فخرج قتيبة بكرسيه من الصف فأعاد الكلام قال فما الرأى قال الرأى أن تخرج اليه فتحاكمه قال فارتد لى معسكرا ثم اغدُ الىّ قال فخرجنا نلعن عنبسة بن سعيد وكان كلم الحجاج في قتيبة فجعله من أصحابه فلما أصبحنا وقد أوصينا جميعا غدونا في السلاح فصلى الحجاج الصبح ثم دخل فجعل رسوله يخرج ساعة بعد ساعة فيقول أجاء بعد أجاء بعد ولا ندرى من يريد وقد أفعمت المقصورة بالناس فخرج الرسول فقال أجاء بعد واذا قتيبة يمشى في

ائتونى ببغل أركبه ما بينى وبين السبخة فأتى ببغل محجل فقيل له ان الاعاجم أصلحك الله تطير أن تركب فى مثل هذا اليوم مثل هذا البغل فقال ادنوه منى فان اليوم يوم أغر محجل فركبه ثم خرج فى أهل الشأم حتى أخذ فى سكة البريد ثم خرج فى أعلى السبخة فلما نظر الحجاج الى شبيب وأصحابه نزل وكان شبيب فى ستمائة فارس فلما رأى الحجاج قد خرج اليه أقبل بأصحابه وجاء سبرة بن عبد الرحمن الى الحجاج فقال أين يأمرنى الامير أن أقف فقال قف على أفواه السكك فان جاؤكم فكان فيكم قتال فقاتلوا فانطلق حتى وقف فى جماعة الناس ودعا الحجاج بكرسى له فقعد عليه ثم نادى يا أهل الشأم أنتم أهل السمع والطاعة والصبر واليقين لا يغلبن باطل هؤلاء الارجاس حقكم غضوا الابصار واجثوا على الركب واستقبلوا القوم بأطراف الاسنة فجثوا على الركب وأشرعوا الرماح وكأنهم حرة سوداء وأقبل اليهم شبيب حتى اذا دنا منهم عبى أصحابه ثلاثة كراديس كتيبة معه وكتيبة مع سويد بن سليم وكتيبة مع المحلل بن وائل فقال لسويد احمل عليهم فى خيلك فحمل عليهم فثبتوا له حتى اذا غشى أطراف الاسنة وثبوا فى وجهه ووجوه أصحابه فطعنوهم قدما حتى انصرف وصاح الحجاج يا أهل السمع والطاعة هكذا فافعلوا قدم كرسى يا غلام وأمر شبيب المحلل فحمل عليهم ففعلوا به مثل ما فعلوا بسويد فناداهم الحجاج يا أهل السمع والطاعة هكذا فافعلوا قدم كرسى يا غلام ثم ان شبيبا حمل عليهم فى كتيبته فثبتوا له حتى اذا غشى أطراف الرماح وثبوا فى وجهه فقاتلهم طويلا ثم ان أهل الشأم طعنوه قدما حتى ألحقوه بأصحابه فلما رأى صبرهم نادى يا سويد احمل فى خيلك على أهل هذه السكة يعنى سكة لحام جرير لعلك تزيل أهلها عنها فتأتى الحجاج من ورائه ونحمل نحن عليه من امامه فانفرد سويد بن سليم فحمل على أهل تلك السكة فرمى من فوق البيوت وأفواه السكك فانصرف وقد كان الحجاج جعل عروة بن المغيرة ابن شعبة فى نحو من ثلثمائة رجل من أهل الشأم ردءا له ولاصحابه لئلا يؤتوا من ورائه ﴿قال أبو مخنف﴾ فحدثنى فروة بن لقيط ان شبيبا قال لنا يومئذ يا أهل الاسلام انما شرينا الله ومن شرى الله لم يكبر عليه ما أصابه من الاذى والألم فى جنب الله الصبر الصبر شده كشداتكم فى مواطنكم الكريمة ثم جمع أصحابه فلما ظن الحجاج انه حامل عليهم قال لاصحابه يا أهل السمع والطاعة اصبروا لهذه الشدة الواحدة ثم ورب السماء ما شئ دون الفتح فجثوا على الركب وحمل عليهم شبيب بجميع أصحابه فلما غشيهم نادى الحجاج بجماعة الناس فوثبوا فى وجهه فما زالوا يطعنون ويضربون قدما ويدفعون شبيبا وأصحابه وهو يقاتلهم حتى بلغوا موضع بستان زائده فلما بلغ ذلك المكان نادى شبيب أصحابه يا أولياء الله الارض الارض ثم نزل وأمر أصحابه فنزل نصفهم وترك نصفهم مع سويد بن سليم وجاء الحجاج حتى انتهى الى مسجد شبيب ثم قال يا أهل الشأم يا أهل السمع والطاعة هذا أول الفتح والذى نفس الحجاج بيده وصعد

عسكره ففطن بهما فقتل الرجل وأفلت سيف وتبعه رجل من الخوارج فأوثب سيف فرسه ساقية ثم سأل الرجل الامان على أن يصدقه فآمنه فأخبره ان الحجاج بعثه وصاحبه ليأتياه بخبر شبيب قال فأخبره انا نأتيه يوم الاثنين فأتى سيف الحجاج فأخبره فقال كذب وماق فلما كان يوم الاثنين توجهوا يريدون الكوفة فوجه اليهم الحجاج الحارث بن معاوية الثقفى فلقيه شبيب بزرارة فقتله وهزم أصحابه ودنا من الكوفة فبعث البطين فى عشرة فوارس يرتاد له منزلا على شاطئ الفرات فى دار الرزق فأقبل البطين وقد وجه الحجاج حوشب بن يزيد فى جمع من أهل الكوفة فأخذوا بأفواه السكك فقاتلهم البطين فلم يقو عليهم فبعث الى شبيب فأمده بفوارس فعقروا فرس حوشب وهزموه ونجا ومضى البطين الى دار الرزق وعسكر على شاطئ الفرات وأقبل شبيب فنزل دون الجسر فلم يوجه اليه الحجاج أحدا فمضى فنزل السبخة بين الكوفة والفرات فأقام ثلاثا لا يوجه اليه الحجاج أحدا فأشير على الحجاج أن يخرج بنفسه فوجه قتيبة بن مسلم فهيأ له عسكرا ثم رجع فقال وجدت المأتى سهلا فسر على الطائر الميمون فنادى فى أهل الكوفة فخرجوا وخرج معه الوجوه حتى نزلوا فى ذلك العسكر وتواقفوا وعلى ميمنة شبيب البطين وعلى ميسرته قعنب مولى بنى أبى ربيعة بن ذهل وهو فى زهاء مائتين وجعل الحجاج على ميمنته مطر بن ناجية الرياحى وعلى ميسرته خالد بن عتاب بن ورقاء الرياحى فى زهاء أربعة آلاف وقيل له لا تعرفه موضعك فتنكر وأخفى مكانه وشبه له أبا الورد مولاه فنظر اليه شبيب فحمل عليه فضربه بعمود وزنه خمسة عشر رطلا فقتله وشبه له أعين صاحب حمام أعين بالكوفة وهو مولى لبكر بن وائل فقتله فركب الحجاج بغلة غراء محجلة وقال ان الدين أغر محجل وقال لأبى كعب قدم لواءك أنا ابن أبى عقيل وحمل شبيب على خالد بن عتاب وأصحابه فبلغ بهم الرحبة وحملوا على مطر بن ناجية فكشفوه فنزل عند ذلك الحجاج وأمر أصحابه فنزلوا فجلس على عباءة ومعه عنبسة بن سعيد فانهم على ذلك اذ تناول مصقلة بن مهلهل الضبى لجام شبيب فقال ما تقول فى صالح بن مسرح وبما تشهد عليه قال أعلى هذه الحال وفى هذه الحالة والحجاج ينظر قال فبرئ من صالح فقال مصقلة برئ الله منك وفارقوه الا أربعين فارسا هم أشد أصحابه وانحاز الآخرون الى دار الرزق وقال الحجاج قد اختلفوا وأرسل الى خالد بن عتاب فأتاهم فقاتلهم فقتلت غزالة ومر برأسها الى الحجاج فارس فعرفه شبيب فأمر علوان فشد على الفارس فقتله وجاء بالرأس فأمر به فغسل ودفنه وقال هى أقرب اليكم رحما يعنى غزالة ومضى القوم على حاميتهم ورجع خالد الى الحجاج فأخبره بانصراف القوم فأمره أن يحمل على شبيب فحمل عليهم وأتبعه ثمانية منهم قعنب والبطين وعلوان وعيسى والمهذب وابن عويمر وسنان حتى بلغوا به الرحبة وأتى شبيب فى موقفه بحوط ابن عمير السدوسى فقال له شبيب يا حوط لا حكم الا لله فقال لا حكم الا لله فقال شبيب حوط من

المسجد عليه قباء هروي أصفر وعمامة خز أحمر متقلدا سيفا عريضا قصير الحمائل كأنه في
ابطه قد أدخل بركة قبائه في منطقته والدرع يصفق ساقيه ففتح له الباب فدخل ولم يحجب
فلبث طويلا ثم خرج وأخرج معه لواء منشورا فصلى الحجاج ركعتين ثم قام فتكلم وأخرج
اللواء من باب الفيل وخرج الحجاج يتبعه فاذا بالباب بغلة شقراء غراء محجلة فركبها وعارضه
الوصفاء بالدواب فأبى غيرها وركب الناس وركب قتيبة فرسا أغر محجلا كميتا كأنه في
سرجه رمانة من عظم السرج فأخذ في طريق دار السقاية حتى خرج الى السبخة وبها عسكر
شبيب وذلك يوم الأربعاء فتواقفوا ثم غدوا يوم الخميس للقتال ثم غادوهم يوم الجمعة فلما كان
وقت الصلاة انهزمت الخوارج * قال أبو زيد حدثني خلاد بن يزيد قال حدثنا الحجاج بن
قتيبة قال جاء شبيب وقد بعث اليه الحجاج أميرا فقتله ثم آخر فقتله أحدهما أعين صاحب حمام
أعين قال فجاء حتى دخل الكوفة ومعه غزالة وقد كانت نذرت أن تصلي في مسجد الكوفة
ركعتين تقرأ فيهما البقرة وآل عمران قال ففعلت قال واتخذ شبيب في عسكره أخصاصا فقام
الحجاج فقال لا أراكم تناصحون في قتال هؤلاء القوم يا أهل العراق وأنا كاتب الى أمير
المؤمنين ليمدني بأهل الشأم قال فقام قتيبة فقال انك لم تنصح لله ولا لأمير المؤمنين في
قتالهم ﴿قال عمر بن شبة﴾ قال خلاد فحدثني محمد بن حفص بن موسى بن عبيد الله بن معمر
ابن عثمان التيمي ان الحجاج خنق قتيبة بعمامته خنقا شديدا ﴿ثم رجع الحديث الى حديث
الحجاج وقتيبة﴾ قال فقال وكيف ذاك قال تبعث الرجل الشريف وتبعث معه رعاعا من
الناس فينهزمون عنه ويستحيي فيقاتل حتى يقتل قال فما الرأي قال أن تخرج بنفسك
ويخرج معك نظراؤك فيؤاسونك بأنفسهم قال فلعنه من ثم وقال الحجاج والله لأبرزن له
غدا فلما كان الغد حضر الناس فقال قتيبة اذكر يمينك أصلح الله الامير فلعنوه أيضا وقال
الحجاج اخرج فارتد لي معسكرا فذهب وتهيأ هو وأصحابه فخرجوا فأتى على موضع فيه بعض
القذر موضع كناسة فقال ألقوا لي ههنا فقيل ان الموضع قذر فقال ما تدعونني اليه أقذر
الارض تحته طيبة والسماء فوقه طيبة قال فنزل وصف الناس وخالد بن عتاب بن ورقاء
مسخوط عليه فليس في القوم وجاء شبيب وأصحابه فقربوا دوابهم وخرجوا يمشون فقال لهم
شبيب الهوا عن رميكم ودبوا تحت تراسكم حتى اذا كانت أسنتهم فوقها فأزلقوها صعدا ثم
ادخلوا تحتها لتستقلوا فتقطعوا أقدامهم وهي الهزيمة باذن الله فأقبلوا يدبون اليهم وجاء خالد
ابن عتاب في شاكريته فدار من وراء عسكرهم فأضرم أخصاصهم بالنار فلما رأوا ضوء النار
وسمعوا معمعتها التفتوا فرأوها في بيوتهم فولوا الى خيلهم وتبعهم الناس وكانت الهزيمة
ورضي الحجاج عن خالد وعقد له على قتالهم قال ولما قتل شبيب عتابا أراد دخول الكوفة
ثانية فأقبل حتى شارفها ووجه اليه الحجاج سيف بن هانئ ورجلا معه ليأتياه بخبر شبيب فأتيا

عسكره

القتلى قتلنا منهم نحوا من ثلاثين وقتلوا منا نحوا من مائة والله لو كانوا فيما نرى يزيدون على مائة رجل لأهلكونا وايم الله على ذلك ما فارقونا حتى مللناهم وملونا وكرهونا وكرهناهم ولقد رأيت الرجل منا يضرب بسيفه الرجل منهم فما يضره شيأ من الإعياء والضعف ولقد رأيت الرجل منا يقاتل جالسا ينفح بسيفه ما يستطيع أن يقوم من الإعياء فلما يئسوا منا ركب شبيب ثم قال لمن كان نزل من أصحابه اركبوا فلما استووا على متون خيولهم وجه منصرفا عنا ﴿قال أبو مخنف﴾ حدثني فروة بن لقيط عن شبيب قال لما انصرفنا عنهم وبنا كآبة شديدة وجراحة ظاهرة قال لنا ما أشد هذا الذي بنا لو كنا إنما نطلب الدنيا وما أيسر هذا في ثواب الله فقال أصحابه صدقت يا أمير المؤمنين قال فما أنسى منه إقباله على سويد بن سليم ولا مقالته له قتلت منهم أمس رجلين أحدهما أشجع الناس والآخر أجبن الناس خرجت عشية أمس طليعة لكم فلقيت منهم ثلاثة نفر دخلوا قرية يشترون منها حوائجهم فاشترى أحدهم حاجته ثم خرج قبل أصحابه وخرجت معه فقال كأنك لم تشتر علفا فقلت إن لي رفقاء قد كفوني ذلك فقلت له أين ترى عدونا هذا نزل قال بلغني أنه قد نزل منا قريبا وايم الله لوددت أني قد لقيت شبيبهم هذا قلت فتحب ذلك قال نعم قلت فخذ حذرك فأنا والله شبيب وانتضيت سيفي فخر والله ميتا فقلت له ارتفع ويحك وذهبت أنظر فإذا هو قد مات فانصرفت راجعا فأستقبل الآخر خارجا من القرية فقال أين تذهب هذه الساعة وإنما يرجع الناس إلى عسكرهم فلم أكلمه ومضيت يقرب بي فرسي وأتبعني حتى لحقني فعطفت عليه فقلت له ما لك فقال أنت والله من عدونا فقلت أجل والله فقال والله لا تبرح حتى تقتلني أو أقتلك فحملت عليه وحمل علي فاضطربنا بسيفينا ساعة فوالله ما فضلته في شدة نفس ولا إقدام إلا أن سيفي كان أقطع من سيفه فقتلته قال فمضينا حتى قطعنا دجلة ثم أخذنا في أرض جوخى حتى قطعنا دجلة مرة أخرى من عند واسط ثم أخذنا إلى الأهواز ثم إلى فارس ثم ارتفعنا إلى كرمان ﴿وفي هذه السنة﴾ هلك شبيب في قول هشام بن محمد وفي قول غيره كان هلاكه سنة ٧٨

﴿ذكر سبب هلاكه﴾

﴿قال هشام﴾ عن أبي مخنف قال حدثني أبو يزيد السكسكي قال أقفلنا الحجاج إليه يعني إلى شبيب فقسم فينا مالا عظيما وأعطى كل جريح منا وكل ذي بلاء ثم أمر سفيان بن الأبرد أن يسير إلى شبيب فتجهز سفيان فشق ذلك على حبيب بن عبد الرحمن الحكمي وقال تبعث سفيان إلى رجل قد فللته وقتلت فرسان أصحابه فأمضى سفيان بعد شهرين وأقام شبيب بكرمان حتى إذا انجبر واستراش هو وأصحابه أقبل راجعا فيستقبله سفيان بجسر دجيل الأهواز وقد كان الحجاج كتب إلى الحكم بن أيوب بن الحكم بن أبي عقيل وهو زوج ابنه

أصحابكم ولكنه كان يخاف فأطلقه وأتى بعمير بن القعقاع فقال له لا حكم الا الله يا عمير فجعل
لا يفقه عنه ويقول في سبيل الله شبابي فردّد عليه شبيب لا حكم الا الله ليتخلّصه فلم يفقه فأمر
بقتله وقُتل مُصاد أخو شبيب وجعل شبيب ينتظر النفر الذين تبعوا خالدا فأبطؤا ونعس شبيب
فأيقظه حبيب بن خدرة وجعل أصحاب الحجاج لا يقدمون عليه هيبة له وسار الى دار الرزق
فجمع رثة من قتل من أصحابه وأقبل الثمانية الى موضع شبيب فلم يجدوه فظنوا انهم قتلوه
ورجع مطر وخالد الى الحجاج فأمرهما فأتبعا الرهط الثمانية وأتبع الرهط شبيبا فمضوا جميعا
حتى قطعوا جسر المدائن فدخلوا ديرا هنالك وخالد يقفوهم فحصرهم في الدير فخرجوا عليه
فهزموه نحوا من فرسخين حتى ألقوا أنفسهم في دجلة بخيلهم وألقى خالد نفسه بفرسه فمرّ به
ولواؤه في يده فقال شبيب قاتله الله فارسا وفرسه هذا أشد الناس وفرسه أقوى فرس في
الارض فقيل له هذا خالد بن عتاب فقال مُعْرَقٌ له في الشجاعة والله لو علمت لأقحمت
خلفه ولو دخل النار ﴿رجع الحديث الى حديث أبي مخنف﴾ عن أبي عمرو العذري ان الحجاج
دخل الكوفة حين انهزم شبيب ثم صعد المنبر فقال والله ما قوتل شبيب قط قبلها مثلها ولّى
والله هاربا وترك امرأته يُكسر في استها القصب ثم دعا حبيب بن عبد الرحمن الحكمي
فبعثه في أثره في ثلاثة آلاف من أهل الشأم فقال له الحجاج احذر بياته وحيثما لقيته فنازله
فان الله قد فلّ حدّه وقصم نابه فخرج حبيب بن عبد الرحمن في أثر شبيب حتى نزل الانبار
وبعث الحجاج الى العمال ان دُسّوا الى أصحاب شبيب ان من جاءنا منهم فهو آمن فكان كل
من ليست له تلك البصيرة ممن قد هدّه القتال يجيء فيؤمَن وقبل ذلك ما قد نادى فيهم الحجاج
يوم هُزموا ان من جاءنا منكم فهو آمن فتفرّق عنه ناس كثير من أصحابه وبلغ شبيبا مَنْزِلُ
حبيب بن عبد الرحمن الانبار فأقبل بأصحابه حتى اذا دنا من عسكرهم نزل فصلى بهم المغرب
﴿قال أبو مخنف﴾ فحدثني أبو يزيد السكسكي قال أنا والله في أهل الشأم ليلة جاءنا شبيب
فبيّتنا قال فلما أمسينا جمعنا حبيب بن عبد الرحمن فجعلنا أرباعا وقال لكل ربع منا ليجزئ
كل ربع منكم جانبه فان قاتل هذا الربع فلا يُغِثْهم هذا الربع الآخر فانه قد بلغني ان هذه
الخوارج منا قريب فوطّنوا أنفسكم على انكم مبيَّتون ومقاتلون فما زلنا على تعبيتنا حتى
جاءنا شبيب فبيّتنا فشد على ربع منا عليهم عثمان بن سعيد العذري فضاربهم طويلا فما زالت
قَدَمُ الانسان منهم ثم تركهم وأقبل على الربع الآخر وقد جعل عليهم سعد بن نجل العامري
فقاتلهم فما زالت قدم انسان منهم ثم تركهم وأقبل على الربع الآخر وعليهم النعمان بن سعد
الحميري فما قدر منهم على شيء ثم أقبل على الربع الآخر وعليهم ابن أقيصر الخثعمي فقاتلهم
طويلا فلم يظفر بشيء ثم أطاف بنا يحمل علينا حتى ذهب ثلاثة أرباع الليل وألزّ بنا حتى قلنا
لا يفارقنا ثم نازلنا راجلا طويلا فسقطت والله بيننا وبينهم الايدي وفقئت الاعين وكثرت

القتلى

تيم بن شيبان من أصحاب شبيب فلما قتل شبيب رجالا من بني تيم بن شيبان أغار وهو على بني مرّة بن همام فأصاب منهم رجلا فقال له شبيب ما حملك على قتلهم بغير أمري فقال له أصلحك الله قتلت كفار قومي وقتلت كفار قومك قال وأنت الوالي عليّ حتى تقطع الأمور دوني فقال أصلحك الله أليس من ديننا قتل من كان على غير رأينا منا كان أو من غيرنا قال بلى قال فانما فعلت ما كان ينبغي ولا والله يا أمير المؤمنين ما أصبت من رهطك عُشر ما أصبت من رهطي وما يحل لك يا أمير المؤمنين أن تجد من قتل الكافرين قال اني لا أجد من ذلك وكان معه رجال كثير قد أصاب من عشائرهم فزعموا انه لما تخلف في أخريات أصحابه قال بعضهم لبعض هل لكم أن نقطع به الجسر فنُدرك ثأرنا الساعة فقطعوا الجسر فمالت السفن ففزع الفرس ونفر ووقع في الماء فغرق (قال أبو مخنف) فحدثني ذلك المُرّيّ بهذا الحديث وناس من رهط شبيب يذكرون هذا أيضا وأما حديث العامة فالحديث الاول (قال أبو مخنف) وحدثني أبو يزيد السكسكي قال إنّا والله لنتهيأ للانصراف اذ جاء صاحب الجسر فقال أين أميركم قلنا هو هذا فجاءه فقال أصلحك الله ان رجلا منهم وقع في الماء فتنادوا بينهم غرق أمير المؤمنين ثم انهم انصرفوا راجعين وتركوا عسكرهم ليس فيه أحد فكبّر سفيان وكبّرنا ثم أقبل حتى انتهى الى الجسر وبعث مهاصر بن صيفي فعبر الى عسكرهم فاذا ليس فيه منهم صافرٌ ولا آثرٌ فنزل فيه فاذا أكثر عسكر خلق الله خيرا وأصبحنا فطلبنا شبيبا حتى استخرجناه وعليه الدرع فسمعت الناس يزعمون انه شُقّ بطنه فأخرج قلبه وكان مجتمعا صلبا كأنه صخرة وانه كان يضرب به الأرض فيثب قامة انسان فقال سفيان احمدوا الله الذي أعانكم فأصبح عسكرهم في أيدينا (قال أبو زيد) عمر بن شبة حدثني خلاد بن يزيد الارقط قال كان شبيب يُنعى لأمه فيقال قتل فلا تقبل قال فقيل لها انه غرق فقبلت وقالت اني رأيت حين ولدته انه خرج مني شهاب نار فعلمت انه لا يطفئه الا الماء (قال هشام) عن أبي مخنف حدثني فروة بن لقيط الأزدي ثم الغامدي ان يزيد بن نُعَيم أبا شبيب كان ممن دخل في جيش سلمان بن ربيعة اذ بعثه وبعث معه الوليد بن عقبة عن أمر عثمان اياه بذلك مددا لأهل الشام أرض الروم فلما قفل المسلمون أقيم السبي للبيع فرأى يزيد بن نعيم أبو شبيب جارية حمراء لا شهلاء ولا زرقاء طويلة جميلة تأخذها العين فابتاعها ثم أقبل بها وذلك سنة ٢٥ أول السنة فلما أدخلها الكوفة قال أسلمي فأبت عليه فضربها فلم تزدد الا عصيانا فلما رأى ذلك أمر بها فأصلحت ثم دعا بها فأدخلت عليه فلما تغشّاها تلقّتْ منه بحمل فولدت شبيبا وذلك سنة ٢٥ في ذي الحجة في يوم النحر يوم السبت وأحبّت مولاها حبا شديدا وكانت تحدّثه وقالت ان شئت أجبتك الى ما سألتني من الاسلام فقال لها فقد شئت فأسلمت وولدتْ شبيبا وهي مُسلمة وقالت اني رأيت فيما يرى النائم انه خرج من قبلي

الحجاج وعامله على البصرة أما بعد فابعث رجلا شجاعا شريفا من أهل البصرة فى أربعة آلاف الى شبيب ومره فليلحق بسفيان بن الابرد وليسمع له وليطع فبعث اليه زياد بن عمرو العتكى فى أربعة آلاف فلم ينته الى سفيان حتى التقى سفيان وشبيب ولما ان التقيا بجسر دجيل عبر شبيب الى سفيان فوجد سفيان قد نزل فى الرجال وبعث مهاصر بن صيفى العذرى على الخيل وبعث على ميمنته بشر بن حسان الفهرى وبعث على ميسرته عمر بن هبيرة الفزارى فأقبل شبيب فى ثلاثة كراديس من أصحابه هو فى كتيبة وسويد فى كتيبة وقعنب المحلمى فى كتيبة وخلف المحلل بن وائل فى عسكره قال فلما حمل سويد وهو فى ميمنته على ميسرة سفيان وقعنب وهو فى ميسرته على ميمنته حمل هو على سفيان فاضطربنا طويلا من النهار حتى انحازوا فرجعوا الى المكان الذى كانوا فيه فكر علينا هو وأصحابه اكثر من ثلاثين كرة كل ذلك لا نزول من صفنا وقال لنا سفيان بن الأبرد لا تتفرقوا ولكن لتزحف الرجال اليهم زحفا فوالله ما زلنا نطاعنهم ونضاربهم حتى اضطررناهم الى الجسر فلما انتهى شبيب الى الجسر نزل ونزل معه نحو من مائة رجل فقاتلناهم حتى المساء أشد قتال قاتله قوم قط فما هو الا ان نزلوا فأوقعوا لنا من الطعن والضرب شيأ ما رأينا مثله من قوم قط فلما رأى سفيان انه لا يقدر عليهم ولا يأمن مع ذلك ظفرهم دعا الرماة فقال ارشقوهم بالنبل وذلك عند المساء وكان التقاؤهم نصف النهار فرماهم أصحاب النبل بالنبل عند المساء وقد صفهم سفيان بن الابرد على حدة وبعث على المرامية رجلا فلما رشقوهم بالنبل ساعة شدوا عليهم فلما شدوا على رماتنا شددنا عليهم فشغلناهم عنهم فلما رموا بالنبل ساعة ركب شبيب وأصحابه ثم كروا على أصحاب النبل كرة صرع منهم أكثر من ثلاثين رجلا ثم عطف بخيله علينا فمشى عامدا نحونا فطاعناه حتى اختلط الظلام ثم انصرف عنا فقال سفيان لأصحابه أيها الناس دعوهم لا تتبعوهم حتى نصبحهم غدوة قال فكففنا عنهم وليس شىء أحب الينا من أن ينصرفوا عنا ﴿قال أبو مخنف﴾ فحدثنى فروة بن لقيط قال فما هو الا ان انتهينا الى الجسر فقال اعبروا معاشر المسلمين فاذا أصبحنا باكرناهم ان شاء الله فعبرنا امامه وتخلف فى أخرانا فأقبل على فرسه وكانت بين يديه فرس أنثى ماذيانة فنزا فرسه عليها وهو على الجسر فاضطربت الماذيانة ونزل حافر رجل فرس شبيب على حرف السفينة فسقط فى الماء فلما سقط قال ليقضى الله أمرا كان مفعولا فارتمس فى الماء ثم ارتفع فقال ذلك تقدير العزيز العليم ﴿قال أبو مخنف﴾ فحدثنى أبو يزيد السكسكى بهذا الحديث وكان ممن يقاتله من أهل الشأم وحدثنى فروة بن لقيط وكان ممن شهد مواطنه فأما رجل من رهطه من بنى مرة بن همام فانه حدثنى انه كان معه قوم يقاتلون من عشيرته ولم يكن لهم تلك البصيرة النافذة وكان قد قتل من عشائرهم رجالا كثيرا فكان ذلك قد أوجع قلوبهم وأوغر صدورهم وكان رجل يقال له مقاتل من بنى

﴿ سنة ٧٧ ﴾ ٢٥٩

المدائن فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال أيها الناس إن الأمير الحجاج أصلحه الله قد ولاني عليكم وأمرني بالحكم بالحق والعدل في السيرة فإن عملت بما أمرني به فأنا أسعد الناس وإن لم أفعل فنفسي أوبقت وحظ نفسي ضيعت ألا إني جالس لكم العصرين فارفعوا إلي حوائجكم وأشيروا علي بما يصلحكم ويصلح بلادكم فإني لن آلوكم خيرا ما استطعت ثم نزل وكان بالمدائن إذ ذاك رجال من أشراف أهل المصر وبيوتات الناس وبها مقاتلة لا بأس بها عدة إن كان كون بأرض جوخى أو بأرض الأنبار فأقبل مطرف حين نزل حتى جلس للناس في الإيوان وجاء حكيم بن الحارث الأزدي يمشي نحوه وكان من وجوه الأزد وأشرافهم وكان الحجاج قد استعمله بعد ذلك على بيت المال فقال له أصلحك الله إني كنت منك بائنا حين تكلمت وإني أقبلت نحوك لأجيبك فوافق ذلك نزولك وإنا قد فهمنا ما ذكرت لنا أنه عهد إليك فأرشد الله العاهد والمعهود إليه وقد منيت من نفسك العدل وسألت المعونة على الحق فأعانك الله على ما نويت إنك تشبه أباك في سيرته برضى الله والناس فقال له مطرف ههنا إلي فأوسع له فجلس إلى جنبه (قال أبو مخنف) فحدثني الحصين بن يزيد أنه كان من خير عامل قدم عليهم قط أقمعه لمريب وأشده إنكارا للظلم فقدم عليه بشر بن الأجدع الهمداني ثم الثوري وكان شاعرا فقال

إني كلفت بخود غير فاحشة * غراء وهنانة حسانة الجيد

كأنها الشمس يوم الدجن إذ برزت * تمشي مع الأنس الهيف الأماليد

سل الهوى بعلنداة مذكرة * عنها إلى المجتدى ذي العرف والجود

إلى الفتى الماجد الفياض نعرفه * في الناس ساعة يحلى كل مردود

من الأكارم أنسابا إذا نسبوا * والحامل الثقل يوم المغرم الصيد

إني أعيذك بالرحمن من نفر * حمر السبال كأسد الغابة السود

فرسان شيبان لم نسمع بمثلهم * أبناء كل كريم النجل صنديد

شدوا على ابن حصين في كتيبته * فغادروه صريعا لدى العيد

وابن المجالد أردته رماحهم * كأنما زل عن خوصاء صيخود

وكل جمع بروذاباد كان لهم * قد فض بالطعن بين السهل والبيد

فقال له ويحك ما جئت إلا لترعبنا وقد كان شبيب أقبل من ساتيدما فكتب مطرف إلى الحجاج أما بعد فإني أخبر الأمير أكرمه الله أن شبيبا قد أقبل نحونا فإن رأى الأمير أن يمدني برجال أضبط بهم المدائن فعل فإن المدائن باب الكوفة وحصنها فبعث إليه الحجاج ابن يوسف سبرة بن عبد الرحمن بن مخنف في مائتين وعبد الله بن كناز في مائتين وجاء شبيب وأقبل حتى نزل قناطر حذيفة ثم جاء حتى انتهى إلى كلواذا فعبر منها دجلة ثم أقبل حتى

شهاب فثقب يسطع حتى بلغ السماء وبلغ الآفاق كلها فبينا هو كذلك اذ وقع في ماء كثير
جار فخبا وقد ولدته في يومكم هذا الذي تهريقون فيه الدماء واني قد أوّلت رؤياي هذه
اني أرى ولدي هذا غلاما أراه سيكون صاحب دماء يهريقها واني أرى أمره سيعلو ويعظم
سريعا قال فكان أبوه يختلف به وبأمه الى البادية الى أرض قومه على ماء يدعى اللصف (قال
أبو مخنف) وحدثني موسى بن أبي سويد بن رادي ان جند أهل الشأم الذين جاؤا حملوا
معهم الحجر فقالوا لا نفر من شبيب حتى يفر هذا الحجر فبلغ شبيبا أمرهم فأراد أن يكيدهم
فدعا بأفراس أربعة فربط في أذنابها ترسة في ذنب كل فرس ترسين ثم ندب معه ثمانية نفر
من أصحابه ومعه غلام له يقال له حيّان وأمره أن يحمل معه إداوة من ماء ثم سار حتى يأتي
ناحية من العسكر وأمر أصحابه أن يكونوا في نواحي العسكر وأن يجعلوا مع كل رجلين فرسا
ثم يُمسّوها الحديد حتى تجد حره ويخلوها في العسكر وواعدهم تلعة قريبة من العسكر فقال
من نجا منكم فان موعده هذه التلعة وكره أصحابه الاقدام على ما أمرهم به فنزل حين رأى
ذلك منهم حتى صنع بالخيل مثل الذي أمرهم ثم وغلت في العسكر ودخل يتلوها مُحكّماً
فضرب الناس بعضهم بعضا فقام صاحبهم الذي كان عليهم وهو حبيب بن عبد الرحمن
الحكمي فنادى أيها الناس ان هذه مكيدة فالزموا الارض حتى يتبين لكم الامر ففعلوا
وبقي شبيب في عسكرهم فلزم الارض حين رآهم قد سكنوا وقد أصابته ضربة عمود أوهنته
فلما ان هدأ الناس ورجعوا الى أبنيتهم خرج في غمارهم حتى أتى التلعة فاذا هو بحيان فقال
أفرغ يا حيان على رأسي من الماء فلما مد رأسه ليصبّ عليه من الماء همّ حيان أن يضرب
عنقه فقال لنفسه لا أجد لي مكرمة ولا ذكرا أرفع من قتلي هذا وهو أماني عند الحجاج
فاستقبلته الرعدة حين هم بما همّ به فلما أبطأ حلّ الاداوة قال ما يبطئك بحلها فتناول
السكين من موزجه فخرقها به ثم ناوله اياه فأفرغ عليه من الماء فقال حيان منعني والله
الجبن وما أخذني من الرعدة أن أضرب عنقه بعد ما هممت به ثم لحق شبيب بأصحابه في
عسكره ﴿قال أبو جعفر﴾ وفي هذه السنة خرج مُطرف بن المغيرة بن شعبة على الحجاج وخلع
عبد الملك بن مروان ولحق بالجبال فقُتل

﴿ذكر السبب الذي كان عنه خروجه وخلعه عبد الملك بن مروان﴾

﴿قال هشام﴾ عن أبي مخنف قال حدثني يوسف بن يزيد بن بكر الازدي ان بني المغيرة بن
شعبة كانوا صلحاء نبلاء أشرافا بأنفسهم سوى شرف أبيهم ومنزلتهم في قومهم قال فلما قدم
الحجاج فلقيهم وشافههم علم انهم رجال قومهم وبني أبيهم فاستعمل عروة بن المغيرة على الكوفة
ومطرف بن المغيرة على المدائن وحمزة بن المغيرة على همدان (قال أبو مخنف) حدثني
الحصين بن عبد الله بن سعد بن نفيل الأزدي قال قدم علينا مطرّف بن المغيرة بن شعبة

المدائن

فطمع فيه وقال لهم اذا أصبحتم فليأته أحدكم * فلما أصبحوا بعث اليه سويدا وأمره بأمره فجاء سويد حتى انتهى الى باب مطرّف فكنت أنا المستأذن له فلما دخل وجلس أردتُ أن أنصرف فقال لي مطرّف اجلسْ فليس دونك ستر فجلست وأنا يومئذ شاب أغيد فقال له سويد مَنْ هذا الذي ليس لك دونه ستر فقال له هذا الشريف الحسيب هذا ابن مالك ابن زُهير بن جَذيمة فقال له بخ أكرمتَ فارتبط ان كان دينه على قدر حسبه فهو الكامل ثم أقبل عليّ فقال انا لقينا أمير المؤمنين بالذي ذكرت لنا فقال لنا القوه فقولوا له ألست تعلم ان اختيار المسلمين منهم خيرَهم لهم فيما يرون رأى رشيد فقد مضت به السنة بعد الرسول صلى الله عليه فاذا قال لكم نعم فقولوا له فانا قد اخترنا لأنفسنا أرضانا فينا وأشدّنا اضطلاعا لما حُمّل فما لم يُغيّر ولم يُبدّل فهو وليُّ أمرنا وقال لنا قولوا له فيما ذكرت لنا من الشورى حين قلت ان العرب اذا علمت انكم انما تريدون بهذا الأمر قريشا كان أكثر لتبعكم منهم فان أهل الحق لا ينقصهم عند الله أن يقلوا ولا يزيد الظالمين خيرا أن يكثروا وان تركنا حقنا الذي خرجنا له ودعوتنا فيما دعوتنا اليه من الشورى خطيئة وعجز ورخصة الى نصرة الظالمين ووهن لأنا لا نرى ان قريشا أحقُّ بهذا الأمر من غيرها من العرب فقال له فان زعم انهم أحق بهذا الأمر من غيرها من العرب فقولوا له ولم ذاك فان قال لقرابة محمد صلى الله عليه بهم فقل له فوالله ما كان ينبغي اذًا لأسلافنا الصالحين من المهاجرين الأوَّلين ان يتولوا على أسرة محمد ولا على ولد أبي لهب لو لم يبق غيرُهم ولولا انهم علموا ان خير الناس عند الله أتقاهم وان أولاهم بهذا الأمر أتقاهم وأفضلهم فيهم وأشدّهم اضطلاعا بحمل أمورهم ما تولوا أمور الناس ونحن أوّل مَنْ أنكر الظلم وغيّر الجور وقاتل الأحزاب فان اتبعنا فله ما لنا وعليه ما علينا وهو رجل من المسلمين والا يفعل فهو كبعض مَنْ نعادي ونقاتل من المشركين فقال له مطرّف قد فهمت ما ذكرت ارجعْ يومَك هذا حتى ننظر في أمرنا فرجع ودعا مطرّف رجالا من أهل ثقاته وأهل نصائحه منهم سليمان ابن حذيفة المزنيّ والربيع بن يزيد الأسديّ قال النضر بن صالح وكنت أنا ويزيد بن أبي زياد مولى المغيرة بن شعبة قائمين على رأسه بالسيف وكان على حرسه فقال لهم مُطرّفٌ يا هؤلاء انكم نصحائي وأهل مودّتي ومَنْ أثق بصلاحه وحسن رأيه والله ما زلت لأعمال هؤلاء الظلمة كارها أنكرها بقلبي وأغيّرها ما استطعت بفعلي وأمري فلما عظمت خطيئتهم ومرّ بي هؤلاء القوم يجاهدونهم لم أر انه يسعني الا مناهضتهم وخلافهم ان وجدتُ أعوانا عليهم واني دعوت هؤلاء القوم فقلت لهم كيت وكيت وقالوا لي كيت وكيت فلستُ أرى القتال معهم ولو تابعوني على رأيي وعلى ما وصفت لهم خلعت عبد الملك والحجاج ولسرت اليهم أجاهدهم فقال له المزنيّ انهم لن يبايعوك وانك لن تتابعهم فأخف هذا الكلام

نزل مدينة بَهُرَسير ومطرّف بن المغيرة في المدينة العتيقة التى فيها منزل كسرى والقصر الأبيض * فلما نزل شبيب بهرسير قطع مطرّف الجسر فيما بينه وبين شبيب وبعث الى شبيب أن ابعثْ الىّ رجالا من صلحاء أصحابك أدارسهم القرآن وانظر ما تدعون اليه فبعث اليه رجالا منهم سُويد بن سُليم وقعْنب والمحلل بن وائل فلما أدنى منهم المِعْبر وأرادوا أن ينزلوا فيه أرسل اليهم شبيب أن لا تدخلوا السفينة حتى يرجع الىّ رسولى من عند مطرّف وبعث الى مطرف أن ابعث الىّ بعدّة من أصحابك حتى تردّ علىّ أصحابى فقال لرسوله القه فقل له فكيف آمنك على أصحابى اذا بعثتهم الآن اليك وأنت لا تأمننى على أصحابك فأرسل اليه شبيب انك قد علمت أنا لا نستحلّ فى ديننا الغدر وأنتم تفعلونه وتهوّنونه فسرّح اليه مطرف الربيع بن يزيد الأسدىّ وسليمان بن حذيفة بن هلال بن مالك المزنىّ ويزيد ابن أبى زياد مولى المغيرة وكان على حرس مطرّف فلما وقعوا فى يديه بعث أصحابه اليه (قال أبو مخنف) حدّثنى النضر بن صالح قال كنت عند مطرّف بن المغيرة بن شعبة فما أدرى أقال انى كنت فى الجند الذين كانوا معه أو قال كنت ازائه حيث دخلت عليه رسل شبيب وكان لى ولأخى ودّا مكرما ولم يكن ليستر منا شيأ فدخلوا عليه وما عنده أحد من الناس غيرى وغير أخى حلام بن صالح وهم ستة ونحن ثلاثة وهم شاكون فى السلاح ونحن ليس علينا الا سيوفنا * فلما دنوا قال سويد السلام على من خاف مقام ربه وعرف الهدى وأهله فقال له مطرّف أجلْ فسلّم الله على أولئك ثم جلس القوم فقال لهم مطرّف قصّوا علىّ أمركم وخبّرونى ما الذى تطلبون والى ما تدعون فحمد الله سُويد بن سُليم وأثنى عليه ثم قال أما بعد فان الذى ندعو اليه كتاب الله وسنة محمد صلى الله عليه وان الذى نقمنا على قومنا الاستئثار بالفئ وتعطيل الحدود والتسلط بالجبرية فقال لهم مطرّف ما دعوتم الا الى حق ولا نقمتم الا جورا ظاهرا أنا لكم على هذا متابع فتابعونى الى ما أدعوكم اليه ليجتمع أمرى وأمركم وتكون يدى وأيديكم واحدة فقالوا هات اذكر ما تريد ان تذكر فان يكن ما تدعونا اليه حقا نجبك قال فانى أدعوكم الى أن نقاتل هؤلاء الظلمة العاصين على احداثهم الذى أحدثوا وان ندعوهم الى كتاب الله وسنة نبيه وان يكون هذا الأمر شورى بين المسلمين يؤمّرون عليهم من يرضون لأنفسهم على مثل الحال التى تركهم عليها عمرُ بن الخطاب فان العرب اذا علمت انما يراد بالشورى الرضى من قريش رضوا وكثر تبعكم منهم وأعوانكم على عدوّكم وتمّ لكم هذا الأمر الذى تريدون قال فوثبوا من عنده وقالوا هذا ما لا نجيبك اليه أبدا فلما مضوا فكادوا أن يخرجوا من صفة البيت التفت اليه سويد ابن سليم فقال يا ابن المغيرة لو كان القوم عداة غُدُرا كنت قد أمكنتهم من نفسك ففزع لها مطرّف وقال صدقت والهِ موسى وعيسى قال ورجعوا الى شبيب فأخبروه بمقالته

عبد الله بن علقمة الخثعمي أن الحجاج بن جارية الخثعمي حين سمع بخروج مطرف من
المدائن نحو الجبل أتبعه في نحو من ثلاثين رجلاً من قومه وغيرهم قال وكنت فيهم فلحقناه
بحلوان وكنا ممن شهد معه قتال سويد بن عبد الرحمن (قال أبو مخنف) وحدثني بذلك أيضاً
النضر (قال أبو مخنف) وحدثني عبد الله بن علقمة قال ما هو إلا أن قدمنا على مطرف بن
المغيرة فسُرّ بمقدمنا عليه وأجلس الحجاج بن جارية معه على مجلسه (قال أبو مخنف)
وحدّثني النضر بن صالح وعبد الله بن علقمة أن سويداً لما خرج إليهم بمن معه وقف في
الرجال ولم يخرج بهم من البيوت وقدّم ابنه القعقاع في الخيل وما خيله يومئذ بكثير (قال أبو
مخنف) قال النضر بن صالح أراهم كانوا مائتين وقال ابن علقمة أراهم كانوا ينقصون من
الثلاثمائة قال ودعا مطرّف الحجاج بن جارية فسرّحه إليهم في نحو من عدّتهم فأقبلوا
نحو القعقاع وهم جادّون في قتاله وهم فرسان متعالمون فلما رآهم سويد قد تيسر وأحسب
أنه أرسل إليهم غلاماً له يقال له رُستم قتل معه بعد ذلك بدير الجماجم وفي يده راية بني سعد
فانطلق غلامه حتى انتهى إلى الحجاج بن جارية فأسرّ إليه إن كنتم تريدون الخروج من
بلادنا هذه إلى غيرها فاخرجوا عنا فإنا لا نريد قتالكم وإن كنتم إنا تريدون فلا بدّ لنا من
منع ما في أيدينا * فلما جاءه بذلك قال له الحجاج بن جارية ائت أميرنا فاذكر له ما ذكرت
لي فخرج حتى أتى مطرّفاً فذكر له مثل الذي ذكر للحجاج بن جارية فقال له مطرّف
ما أريدكم ولا بلادكم فقال له فالزم هذا الطريق حتى تخرج من بلادنا فإنا لا نجد بدّاً من أن
يرى الناس ويسمع بذلك أنا قد خرجنا إليك قال فبعث مطرّف إلى الحجاج فأتاه ولزموا
الطريق حتى مرّوا بالثنيّة فإذا الأكراد بها فنزل مطرّف ونزل معه عامة أصحابه وصعد
إليهم في الجانب الأيمن الحجاج بن جارية وفي الجانب الأيسر سليمان بن حذيفة فهزماهم
وقتلاهم وسلم مطرّف وأصحابه فمضوا حتى دنوا من همذان فتركها وأخذ ذات اليسار إلى ماه
دينار وكان أخوه حمزة بن المغيرة على همذان فكره أن يدخلها فيتهم أخوه عند الحجاج فلمّا
دخل مطرف أرض ماه دينار كتب إلى أخيه حمزة أما بعد فإن النفقة قد كثرت والمؤنة قد
اشتدت فأمدد أخاك بما قدرت عليه من مال وسلاح وبعث إليه يزيد بن أبي زياد مولى
المغيرة بن شعبة فجاء حتى دخل على حمزة بكتاب مطرّف ليلاً فلما رآه قال له ثكلتك أمك
أنت قتلت مطرّفاً فقال له ما أنا قتلته جعلت فداك ولكن مطرّفاً قتل نفسه ويقتلني ولعله
لا يقتلك فقال له ويحك من سوّل له هذا الأمر فقال نفسه سوّلت هذا له ثم جلس إليه فقص
عليه القصص وأخبره بالخبر ودفع كتاب مطرف إليه فقرأه ثم قال نعم وأنا باعث إليه بمال وسلاح
ولكن أخبرني أيخفى ذلك لي قال ما أظن أن يخفى فقال له حمزة فوالله لئن أنا خذلته في أمر
النصر له بنصر العلانية لا أخذله في أمر النصر بنصر السريرة قال فسرّح إليه مع يزيد

ولا تظهره لأحد وقال له الاسدى مثل ذلك فجثا مولاه ابن أبى زياد على ركبتيه ثم قال والله لا يخفى مما كان بينك وبينهم على الحجاج كلمة واحدة وليزادن على كل كلمة عشرة أمثالها والله ان لو كنت فى السحاب هاربا من الحجاج ليلتمسن أن يصل اليك حتى يهلكك أنت ومن معك فالنجاء النجاء من مكانك هذا فان أهل المدائن من هذا الجانب ومن ذلك الجانب وأهل عسكر شبيب يتحدثون بما كان بينك وبين شبيب ولا تمسى من يومك هذا حتى يبلغ الخبر الحجاج فاطلب دارا غير المدائن فقال له صاحباه ما نرى الرأى الا كما ذكر لك قال لهما مطرف فما عندكما قالا الاجابة الى مادعوتنا اليه والمؤاساة لك بأنفسنا على الحجاج وغيره قال ثم نظر الى فقال ما عندك فقلت قتال عدوك والصبر معك ما صبرت فقال لى ذلك الظن بك قال ومكث حتى اذا كان فى اليوم الثالث أتاه قعنب فقال له ان تابعتنا فأنت منا وان أبيت فقد نابذناك فقال لا تعجلوا اليوم فانا ننظر قال وبعث الى أصحابه أن ارحلوا الليلة من عند آخركم حتى توافوا الدسكرة معى لحدث حدث هنالك ثم أدلج وخرج أصحابه معه حتى مر بدير يزدجرد فنزله فلقيه قبيصة بن عبد الرحمن القحافى من خثعم فدعاه الى صحبته فصحبه فكساه وحمله وأمر له بنفقة ثم سار حتى نزل الدسكرة * فلما أراد أن يرتحل منها لم يجد بدا من ان يعلم أصحابه ما يريد فجمع اليه رؤس أصحابه فذكر الله بما هو أهله وصلى على رسوله ثم قال لهم أما بعد فان الله كتب الجهاد على خلقه وأمر بالعدل والاحسان وقال فيما أنزل علينا تعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان واتقوا الله ان الله شديد العقاب وانى أشهد الله انى قد خلعت عبد الملك بن مروان والحجاج بن يوسف فمن أحب منكم صحبتى وكان على مثل رأيى فليتابعنى فان له الأسوة وحسن الصحبة ومن أبى فليذهب حيث شاء فانى لست أحب أن يتبعنى من ليست له نية فى جهاد أهل الجور أدعوكم الى كتاب الله وسنة نبيه والى قتال الظلمة فاذا جمع الله لنا أمرنا كان هذا الامر شورى بين المسلمين يرتضون لأنفسهم من أحبوا قال فوثب اليه أصحابه فبايعوه ثم انه دخل رحله وبعث الى سبرة بن عبد الرحمن بن مخنف والى عبد الله بن كناز النهدى فاستخلاهما ودعاهما الى مثل ما دعا اليه عامة أصحابه فأعطياه الرضى فلما ارتحل انصرفا بمن معهما من أصحابه حتى أتيا الحجاج فوجداه قد نازل شبيبا فشهدا معه وقعة شبيب قال وخرج مطرف بأصحابه من الدسكرة موجها نحو حلوان وقد كان الحجاج بعث فى تلك السنة سويد بن عبد الرحمن السعدى على حلوان وماسبذان * فلما بلغه ان مطرف بن المغيرة قد أقبل نحو أرضه عرف انه ان رفق فى أمره أو داهن لا يقبل ذلك منه الحجاج فجمع له سويد أهل البلد والأكراد فأما الأكراد فأخذوا عليه ثنية حلوان وخرج اليه سويد وهو يحب أن يسلم من قتاله وان يعافى من الحجاج فكان خروجه كالتعذير (قال أبو مخنف) فحدثنى

وخمسة عشر خمسة عشر وعشرة عشرة حتى سرّح اليه نحوا من خمسمائة وكان في القبض وكان
الأسود بن سعد الهمداني أتى الري في فتح الله على الحجاج يوم لقي شبيبا السبخة فمرّ بهمدان
والجبال وقد دخل على حمزة فاعتذر اليه فقال الأسود فبلغت الحجاج عن حمزة فقال قد بلغني
ذاك وأراد عزله فخشي أن يمكر به إن بعث اليه فبعث الى قيس بن سعد العجلي وهو يومئذ
على شرطة حمزة بن المغيرة ولبني عجل وربيعة عدد بهمدان فبعث الى قيس بن سعد بعهده
على همدان وكتب اليه أن أوثق حمزة بن المغيرة في الحديد واحبسه قبلك حتى يأتيك أمري
فلما أتاه عهده وأمره أقبل ومعه ناس من عشيرته كثير فلما دخل المسجد وافق الاقامة لصلاة
العصر فصلى مع حمزة فلما انصرف حمزة انصرف معه قيس بن سعد العجلي صاحب شرطه
فأقرأه كتاب الحجاج اليه وأراه عهده فقال حمزة سمعا وطاعة فأوثقه وحبسه في السجن وتولى
أمر همدان وبعث عماله عليها وجعل عماله كلهم من قومه وكتب الى الحجاج أما بعد فاني
أخبر الامير أصلحه الله اني قد شددت حمزة بن المغيرة في الحديد وحبسته في السجن وبعثت
عمالي على الخراج ووضعت يدي في الجباية فان رأى الأمير أبقاه الله أن يأذن لي في المسير
الى مطرف أذن لي حتى أجاهده في قومي ومن أطاعني من أهل بلادي فإني أرجو أن يكون
الجهاد أعظم أجرا من جباية الخراج والسلام فلما قرأ الحجاج كتابه ضحك ثم قال هذا جانب
آمنّا ما قد أمّناه وقد كان مكان حمزة بهمدان أثقل ما خلق الله على الحجاج مخافة أن يمدّ أخاه
بالسلاح والمال ولا يدري لعله سيبدو له فيلحق فلم يزل يكيده حتى عزله فاطمأن وقصد قصد
مطرف (قال أبو مخنف) وحدثني مطرّف بن عامر بن واثلة أن الحجاج لما قرأ كتاب
قيس بن سعد العجلي وسمع قوله إن أحبّ الأمير سرت اليه حتى أجاهده في قومي قال
ما أبغض اليّ أن يكثر العرب في أرض الخراج قال فقال لي ابن الغرق ما هو الا أن سمعتها
من الحجاج فعلمت انه لو قد فرغ له قد عزله قال وحدثني النضر بن صالح أن الحجاج كتب
الى عدي بن وتاد الإيادي وهو على الري يأمره بالمسير الى مطرف بن المغيرة وبالمرّ على
البراء بن قبيصة فاذا اجتمعوا فهو أمير الناس (قال أبو مخنف) وحدثني أبي عن عبد الله
ابن زهير عن عبد الله بن سلم الأزدي قال إني لجالس مع عديّ بن وتاد على مجلسه بالري
اذ أتاه كتاب الحجاج فقرأه ثم دفعه اليّ فقرأته فإذا فيه أما بعد فإذا قرأت كتابي هذا فانهض
ثلاثة أرباع من معك من أهل الري ثم أقبل حتى تمرّ بالبراء بن قبيصة ثم سيرا جميعا فاذا
لقيتماه فأنت أمير الناس حتى يقتل الله مطرّفا فاذا كفى الله المؤمنين مؤنته فانصرف الى
عملك في كنف من الله وكلاءته وستره فلما قرأته قال لي قم فتجهز قال وخرج فعسكر ودعا
الكتّاب فضربوا البعث على ثلاثة أرباع الناس فما مضت جمعة حتى سرنا فانتهينا الى جيّ
ووافينا بها قبيصة القحافي في تسعمائة من أهل الشام فيهم عمر بن هبيرة قال ولم ألبث حتى

ابن أبي زياد بمال وسلاح فأقبل به حتى أتى مطرفا ونحن نزول في رستاق من رساتيق ماه دينار يقال له سامان متاخم أرض اصبهان وهو رستاق كانت الحمراء تنزله (قال أبو مخنف) فحدثني النضر بن صالح قال والله ما هو الا ان مضى يزيد بن أبي زياد فسمعت أهل العسكر يتحدثون ان الأمير بعث الى أخيه يسأله النفقة والسلاح فأتيت مطرفا فحدثته بذلك فضرب بيده على جبهته ثم قال سبحان الله قال الأول ما يخفى قال ما لا يكون قال وما هو الا ان قدم يزيد بن أبي زياد علينا فسار مطرف بأصحابه حتى نزل قم وقاشان واصبهان (قال أبو مخنف) فحدثني عبد الله بن علقمة ان مطرفا حين نزل قم وقاسان واطمأن دعا الحجاج بن جارية فقال له حدثني عن هزيمة شبيب يوم السبخة أكانت وأنت شاهدها أم كنت خرجت قبل الوقعة قال لا بل شهدتها قال فحدثني حديثهم كيف كان فحدثه فقال انى كنت أحب ان يظفر شبيب وإن كان ضالا فيقتل ضالا قال فظننت انه تمنى ذلك لأنه كان يرجو ان يتم له الذى يطلب لو هلك الحجاج قال ثم ان مطرفا بعث عماله (قال أبو مخنف) فحدثني النضر بن صالح ان مطرفا عمل عملا حازما لولا ان الأقدار غالبة قال كتب مع الربيع بن يزيد الى سويد بن سرحان الثقفى والى بكر بن هارون البجلى أما بعد فإنا ندعوكم الى كتاب الله وسنة نبيه والى جهاد من عند عن الحق واستأثر بالفىء وترك حكم الكتاب فإذا ظهر الحق ودمغ الباطل وكانت كلمة الله هى العليا جعلنا هذا الأمر شورى بين الأمة يرتضى المسلمون لأنفسهم الرضى فمن قبل هذا منا كان أخانا فى ديننا وولينا فى محيانا ومماتنا ومن رد ذلك علينا جاهدناه واستنصرنا الله عليه فكفى بنا عليه حجة وكفى بتركه الجهاد فى سبيل الله غبنا وبمداهنة الظالمين فى أمر الله وهنا ان الله كتب القتال على المسلمين وسماه كرها ولن ينال رضوان الله الا بالصبر على أمر الله وجهاد أعداء الله فأجيبوا رحمكم الله الى الحق وادعوا اليه من ترجون اجابته وعرفوه ما لا يعرفه وليقبل الىّ كل من رأى رأينا وأجاب دعوتنا ورأى عدوه عدونا أرشدنا الله وإياكم وتاب علينا وعليكم إنه هو التواب الرحيم والسلام فلما قدم الكتاب على ذينك الرجلين دبا فى رجال من أهل الرى ودعوا من تابعهما ثم خرجا فى نحو من مائة من أهل الرى سرا لا يفطن بهم فجاؤا حتى وافوا مطرفا وكتب البراء بن قبيصة وهو عامل الحجاج على اصبهان أما بعد فان كان للأمير أصلحه الله حاجة فى اصبهان وغير اصبهان فليبعث الى مطرف جيشا كثيفا يستأصله ومن معه فإنه لا تزال عصابة قد انتفجت له من بلدة من البلدان حتى توافيه بمكانه الذى هو به فانه قد استكثف وكثر تبعه والسلام فكتب اليه الحجاج أما بعد اذا أتاك رسولى فعسكر بمن معك فاذا مر بك عدى بن وتاد فاخرج معه فى أصحابك واسمع له وأطع والسلام فلما قرأ كتابه خرج فعسكر وجعل الحجاج بن يوسف يسرح الى البراء بن قبيصة الرجال على دواب البريد عشرين عشرين

فتنادوا من كل جانب يا عدوّ الله كذبت ليسا كذلك فقال لهم ويلكم لا تفتروا على الله كذباً فيسحتكم بعذاب وقد خاب من افترى ويلكم أو تعلّمون الله ما لا يعلم انى قد استشهدتكم وقد قال الله في الشهادة ومن يكتمها فانه آثم قلبه فخرج اليه صارم مولى عدى بن وتاد وصاحب رايته فحمل على بكير بن هارون البجلى فاضطربا بسيفيهما فلم تعمل ضربة مولى عدى شيأ وضربه بكير بالسيف فقتله ثم استقدم فقال فارس لفارس فلم يخرج اليه أحد فجعل يقول

صارمُ قد لاقيتَ سيفاً صارما * وأسداً ذا لِبْدَةٍ ضُبارما

قال ثم ان الحجاج بن جارية حمل وهو في الميمنة على عمر بن هبيرة وهو في الميسرة وفيها الطفيل ابن عامر بن وائلة فالتقى هو والطفيل وكانا صديقين متواخيين فتعارفا وقد رفع كل واحد منهما السيف على صاحبه فكفّا أيديهما فاقتتلوا طويلا ثم ان ميسرة عدى بن وتاد زالت غير بعيد وانصرف الحجاج بن جارية الى موقفه ثم ان الربيع بن يزيد حمل على عبد الله بن زهير فاقتتلوا طويلا ثم ان جماعة الناس حملت على الأسدى فقتلته وانكشفت ميسرة مطرف بن المغيرة حتى انتهت اليه ثم ان عمر بن هبيرة حمل على الحجاج بن جارية وأصحابه فقاتله قتالا طويلا ثم انه حدره حتى انتهى الى مطرّف وحمل ابن أقيصر الخثعمى في الخيل على سليمان بن صخر المزنى فقتله وانكشفت خيلهم حتى انتهى الى مطرّف فثمّ اقتتلت الفرسان أشد قتال رآه الناس قط ثم انه وصل الى مطرّف (قال أبو مخنف) فحدثنى النضر بن صالح انه جعل يناديهم يومئذ يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد الا الله ولا نشرك به شيأ ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله فان تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون قال ولم يزل يقاتل حتى قتل واحتزّ رأسه عمر بن هبيرة وذكر انه قتله وقد كان أسرع اليه غيرُ واحد غير أن ابن هبيرة احتزّ رأسه وأوفد به عدى بن وتاد وحظى به وقاتل عمر بن هبيرة يومئذ وأبلى بلاء حسنا (قال أبو مخنف) وقد حدثنى حكيم بن أبي سفيان الأزدى انه قتل يزيد بن أبي زياد مولى المغيرة بن شعبة وكان صاحب راية مطرّف قال ودخلوا عسكر مطرّف وكان مطرّف قد جعل على عسكره عبد الرحمن بن عبد الله بن عفيف الأزدى فقتل وكان صالحا ناسكا عفيفا (قال أبو مخنف) حدثنى زيد مولاهم انه رأى رأسه مع ابن أقيصر الخثعمى فما ملكتُ نفسى أن قلت له أما والله لقد قتلته من المصلين العابدين الذاكرين الله كثيراً قال فأقبل نحوى وقال من أنت فقال له مولاى هذا غلامى ماله قال فأخبره بمقالتى فقال انه ضعيف العقل قال ثم انصرفنا الى الرى مع عدى بن وتاد قال وبعث رجالا من أهل البلاء الى الحجاج فأكرمهم وأحسن اليهم قال ولما رجع الى الرى جاءت بجيلة الى عدى بن وتاد فطلبوا البكير بن هارون الأمان فآمنه وطلبت ثقيف

اليومين حتى نهض عدي بن وتاد بمن أطاعه من الناس ومعه ثلاثة آلاف مقاتل من أهل الري وألف مقاتل مع البراء بن قبيصة بعثهم اليه الحجاج من الكوفة وسبعمائة من أهل الشأم ونحو من ألف رجل من أهل اصبهان والأكراد فكان في قريب من ستة آلاف مقاتل ثم أقبل حتى دخل على مطرّف بن المغيرة (قال أبو مخنف) فحدثني النضر بن صالح عن عبد الله ابن علقمة ان مطرّفا لما بلغه مسيرهم اليه خندق على أصحابه خندقا فلم يزالوا فيه حتى قدموا عليه (قال أبو مخنف) وحدثني يزيد مولى عبد الله بن زهير قال كنت مع مولاي اذ ذاك قال خرج عدي بن وتاد فعبّى الناس فجعل على ميمنته عبد الله بن زهير ثم قال للبراء بن قبيصة قم في الميسرة فغضب البراء وقال تأمرني بالوقوف في الميسرة وأنا أمير مثلك تلك خيلي في الميسرة وقد بعثت عليها فارس مُضر الطُفيل بن عامر بن واثلة قال فأنهى ذلك الى عدي بن وتاد فقال لابن اقيصر الخثعمي انطلق فأنت على الخيل وانطلق الى البراء بن قبيصة فقل له انك قد أمرت بطاعتي ولست من الميمنة والميسرة والخيل والرّجالة في شيء انما عليك أن تؤمر فتطيع ولا تعرض لي في شيء أكرهه فأتنكّر لك وقد كان له مُنكرا ثم ان عديا بعث على الميسرة عمر بن هبيرة وبعثه في مائة من أهل الشأم فجاء حتى وقف برايته فقال رجل من أصحابه للطفيل بن عامر خلّ رايتك ودع عنا فانما نحن أصحاب هذا الموقف فقال الطفيل اني لا أخاصمكم انما عقد لي هذه الراية البراء بن قبيصة وهو أميرنا وقد علمنا ان صاحبكم على جماعة الناس فان كان قد عقد لصاحبكم هذا فبارك الله له ما أسمعنا وأطوعنا فقال لهم عمر بن هبيرة مهلا كفّوا عن أخيكم وابن عمكم رايتنا رايتك فان شئت آثرناك بها قال فما رأيت رجلين كانا أحلم منهما في موقفهما ذلك قال ونزل عدي بن وتاد ثم زحف نحو مطرّف (قال أبو مخنف) فحدثني النضر بن صالح وعبد الله بن علقمة ان مطرّفا بعث على ميمنته الحجاج بن جارية وعلى ميسرته الربيع بن يزيد الاسدي وعلى الحامية سليمان ابن صخر المُزني ونزل هو يمشي في الرجال ورايته مع يزيد بن أبي زياد مولى أبيه المغيرة ابن شعبة قال فلما زحف القوم بعضهم الى بعض وتدانوا قال لبكير بن هارون البجليّ أخرج اليهم فادعهم الى كتاب الله وسنة نبيه وسلهم بأعمالهم الخبيثة فخرج اليهم بكير بن هارون على فرس له أدهم أقرح ذنوب عليه الدرع والمغفر والساعدان في يده الرمح وقد شد درعه بعصابة حمراء من حواشي البرود فنادى بصوت له عال رفيع يا أهل قبلتنا وأهل ملتنا وأهل دعوتنا انا نسألكم بالله الذي لا اله الا هو الذي علمه بما تسرّون مثل علمه بما تعلنون لما أنصفتمونا وصدقتمونا وكانت نصيحتكم لله لا لخلقه وكنتم شهداء الله على عباده بما يعلمه الله من عباده خبّروني عن عبد الملك بن مروان وعن الحجاج بن يوسف ألستم تعلمونهما جبارين مستأثرين يتبعان الهوى فيأخذان بالظنة ويقتلان على الغضب قال

فتنادوا

﴿ذكر الخبر عن ذلك وعن السبب الذى من أجله حدث الاختلاف بينهم حتى صار أمرهم الى الهلاك﴾

*ذكر هشام عن أبى مخنف عن يوسف بن يزيد ان المهلب أقام بسابور فقاتل قطريا وأصحابه من الأزارقة بعد ما صرف الحجاج عتاب بن ورقاء عن عسكره نحوا من سنة ثم انه زاحفهم يوم البستان فقاتلهم قتالا شديدا وكانت كرمان فى أيدى الخوارج وفارس فى يد المهلب فكان قد ضاق عليهم مكانهم الذى هم به لا يأتيهم من فارس مادة وبعد ديارهم عنهم فخرجوا حتى أتوا كرمان وتبعهم المهلب حتى نزل بجيرفت وجيرفت مدينة كرمان فقاتلهم بها أكثر من سنة قتالا شديدا وحازهم عن فارس كلها فلما صارت فارس كلها فى يدى المهلب بعث الحجاج عليها عماله وأخذها من المهلب فبلغ ذلك عبد الملك فكتب الى الحجاج أما بعد فدع بيد المهلب خراج جبال فارس فانه لا بد للجيش من قوة ولصاحب الجيش من معونة ودع له كورة فسا ودرابجرد وكورة اصطخر فتركها للمهلب فبعث المهلب عليها عماله فكانت له قوة على عدوه وما يصلحه ففى ذلك يقول شاعر الازد وهو يعاتب المهلب

نقاتلُ عن قصور درابجردٍ * ونَجبى للمغيرةِ والرُّقادِ

وكان الرقاد بن زياد بن همام رجلا من العتيك كريما على المهلب وبعث الحجاج الى المهلب البراء بن قبيصة وكتب الى المهلب أما بعد فانك والله لو شئت فيما أرى لقد اصطلمت هذه الخارجة المارقة ولكنك تحب طول بقائهم لتأكل الارض حولك وقد بعثت اليك البراء بن قبيصة لينهضك اليهم فانهض اليهم اذا قدم عليك بجميع المسلمين ثم جاهدهم أشد الجهاد واياك والعلل والاباطيل والامور التى ليست لك عندى بسائغة ولا جائزة والسلام فأخرج المهلب بنيه كل ابن له فى كتيبة وأخرج الناس على راياتهم ومصافهم وأخماسهم وجاء البراء ابن قبيصة فوقفه على تل قريب منهم حيث يراهم فأخذت الكتائب تحمل على الكتائب والرجال على الرجال فيقتتلون أشد قتال رآه الناس من صلاة الغداة الى انتصاف النهار ثم انصرفوا فجاء البراء بن قبيصة الى المهلب فقال له لا والله ما رأيت كبنيك فرسانا قط ولا كفرسانك من العرب فرسانا قط ولا رأيت مثل قوم يقاتلونك قط اصبر ولا أبأس أنت والله المعذور فرجع بالناس المهلب حتى اذا كان عند العصر خرج اليهم بالناس وبنيه فى كتائبهم فقاتلوه كقتالهم فى أول مرة (قال أبو مخنف) وحدثنى أبو المغلس الكنانى عن عمه أبى طلحة قال خرجت كتيبة من كتائبهم لكتيبة من كتائبنا فاشتد بينهما القتال فأخذت كل واحدة منهما لا تصد عن الاخرى فاقتتلتا حتى حجز الليل بينهما فقالت احداهما للأخرى ممن أنتم فقال هؤلاء نحن من بنى تميم وقال هؤلاء نحن من بنى تميم فانصرفوا عند المساء قال المهلب للبراء كيف رأيت قال رأيت قوما والله ما يعينك عليهم الا الله فأحسن الى البراء بن

لسويد بن سرحان الثقفي الأمان فآمنه وطلبت في كل رجل كان مع مطرّف عشيرته فآمنهم وأحسن في ذلك وقد كان رجال من أصحاب مطرف أحيط بهم في عسكر مطرف فنادوا يا براء خذ لنا الأمان يا براء اشفع لنا فشفع لهم فتركوا وأسر عديّ ناسا كثيرا فخلى عنهم (قال أبو مخنف) وحدثني النضر بن صالح انه أقبل حتى قدم على سويد بن عبد الرحمن بحلوان فأكرمه وأحسن اليه ثم انه انصرف بعد ذلك الى الكوفة (قال أبو مخنف) وحدثني عبد الله بن علقمة ان الحجاج بن جارية الخثعمي أتى الري وكان مكتبه بها فطلب الى عدي فيه فقال هذا رجل مشهور قد شهر مع صاحبه وهذا كتاب الحجاج اليّ فيه (قال أبو مخنف) فحدثني أبي عن عبد الله بن زهير قال كنت فيمن كلّمه في الحجاج بن جارية فأخرج الينا كتاب الحجاج بن يوسف أما بعد فان كان الله قتل الحجاج بن جارية فبعدا له فذلك ما أهوى وأحب وان كان حيا فاطلبه قبلك حتى توثقه ثم سرّحه اليّ ان شاء الله والسلام قال فقال لنا قد كتب اليّ فيه ولا بدّ من السمع والطاعة ولو لم يكتب اليّ فيه آمنته لكم وكففت عنه فلم أطلبه وقمنا من عنده قال فلم يزل الحجاج بن جاريّة خائفا حتى عزل عدي بن وتاد وقدم خالد بن عتاب ابن ورقاء فمشيتُ اليه فيه فكلمته فآمنه وقال حبيب بن خدرة مولى لبني هلال بن عامر

هل أتى قائد عن أيسارنا * اذ حشدنا من عدوّ حرقا
اذ أتانا الخوفُ من مأمننا * فطوينا في سواد أفقا
وسلي هديه يوما هل رأتْ * نفرا أكرم منا خلقا
وسليها أعلى العهد لنا * أو يصرون علينا حنقا
ولكم من حلّة من قبلها * قد صرمنا حبلها فانطلقا
قد أصبنا العيش عيشا ناعما * وأصبنا العيش عيشا رنقا
وأصبتُ الدهر دهرا أشتهي * طبقا منه وألوى طبقا
وشهدتُ الخيل في ملمومة * ما ترى منهنّ الا الحدقا
يتساقون بأطراف القنا * من نجيع الموت كأسا دهقا
فطراد الخيل قد يؤرقني * ويرد اللهو عني الأنقا
بمشيح البيض حتى يتركوا * لسيوف الهند فيها طرقا
وكأيّ من غد واقعتها * مثل ما وافق شنّ طبقا

﴿قال أبو جعفر﴾ وفي هذه السنة وقع الاختلاف بين الأزارقة أصحاب قطري بن الفجاءة فخالفه بعضهم واعتزله وبايع عبد ربّ الكبير وأقام بعضهم على بيعة قطريّ

علقت خودًا بأعلى الطف منزلها * في غرفة دونها الابواب والحجر
درمًا مناكبها ريا مآكمها * تكاد اذ نهضت للمشى تنبتر
وقد تركت بشط الزابيين لها * دارًا بها يسعد البادون والحضر
واخترت دارًا بها حيّ أسرّ بهم * مازال فيهم لمن يختارهم خير
لما نبت بى بلادى سرت منتجعًا * وطالب الخير مرتاد ومنتظر
أبا سعيد فانى جئت منتجعًا * أرجو نوالك لما مسني الضرر
لولا المهلب مازرنا بلادهم * مادامت الأرض فيها الماء والشجر
فما من الناس من حيّ علمتهم * الا يرى فيهم من سيبكم أثر
أحييتهم بسجال من نداك كما * تحيا البلاد اذا ماسها المطر
إني لأرجو اذا مافاقة نزلت * فضلا من الله في كفيك يبتدر
فاجبر أخالك أوهى الفقر قوته * لعله بعد وهي العظم ينجبر
جفا ذوو نسبى عني وأخلفني * ظني فلله درى كيف آتمر
باواهب القينة الحسناء سنتها * كالشمس هركولة في طرفها فتر
وما تزال بدور منك رائحة * وآخرون لهم من سيبك الغرر
نمالك للمجد أملاك ورثتهم * شم العرانين في أخلاقهم يسر
ثاروا بقتلى وأوتار تعددها * في حين لاحدث في الحرب يثتأر
واستسلم الناس اذ حل العدو بهم * فما لأمرهم ورد ولا صدر
وما تجاوز باب الجسر من أحد * وعضت الحرب أهل المصر فانجحروا
وأدخل الخوف أجواف البيوت على * مثل النساء رجال مابهم غير
واشتدت الحرب والبلوى وحل بنا * أمر تشمر في أمثاله الازر
نظل من دون حفص معصمين بهم * فشمر الشيخ لما أعظم الخطر
كنا نهون قبل اليوم شأنهم * حتى تفاقم أمر كان يحتقر
لما وهنا وقد حلوا بساحتنا * واستنفر الناس تارات فما نفروا
نادى امرؤ لاخلاف في عشيرته * عنه وليس به في مثله قصر
أفشى هنالك مما كان مذعصروا * فيهم صنائع مما كان يدخر
تلبسوا لقراع الحرب بزتها * فأصبحوا من وراء الجسر قد عبروا
ساروا بألوية للمجد قد رفعت * وتحتهن ليوث في الوغا وقر

قبيصة وأجازه وحمله وكساه وأمر له بعشرة آلاف درهم ثم انصرف الى الحجاج فأتاه بعذر المهلب وأخبره بما رأى وكتب المهلب الى الحجاج أما بعد فقد أتانى كتاب الامير أصلحه الله واتهامه اياى فى هذه الخارجة المارقة وأمرنى الامير بالنهوض اليهم وإشهاد رسوله ذلك وقد فعلت فليسأله عما رأى فأما أنا فوالله لو كنت أقدر على استئصالهم أو ازالتهم عن مكانهم ثم أمسكت عن ذلك لقد غششت المسلمين وما وفيت لامير المؤمنين ولا نصحت الامير أصلحه الله فمعاذ الله أن يكون هذا من رأيى ولا مما أدين الله به والسلام ثم ان المهلب قاتلهم بها ثمانية عشر شهرا لا يستقل منهم شيأ ولا يرى فى موطن يتقعون له ولمن معه من أهل العراق من الطعن والضرب ما يردعونهم به ويكفونهم عنهم ثم ان رجلا منهم كان عاملا لقطرى على ناحية من كرمان خرج فى سرية لهم يدعى المقعطر من بنى ضبة فقتل رجلا قد كان ذا بأس من الخوارج ودخل منهم فى ولاية فقتله المقعطر فوثبت الخوارج الى قطرى فذكروا له ذلك وقالوا أمكنا من الضبى نقتله بصاحبنا فقال لهم ما أرى أن أفعل رجل تأول فأخطأ فى التأويل ما أرى أن تقتلوه وهو من ذوى الفضل منكم والسابقة فيكم قالوا بلى قال لهم لا فوقع الاختلاف بينهم فولوا عبد رب الكبير وخلعوا قطريا وبايع قطريا منهم عصابة نحو من ربعهم أو خمسهم فقاتلهم نحوا من شهر غدوة وعشية فكتب بذلك المهلب الى الحجاج أما بعد فان الله قد ألقى بأس الخوارج بينهم فخلع عظمهم قطريا وبايعوا عبد رب الكبير وبقيت عصابة منهم مع قطرى فهم يقاتل بعضهم بعضا غدوا وعشيا وقد رجوت أن يكون ذلك من أمرهم سبب هلاكهم ان شاء الله والسلام فكتب اليه أما بعد فقد بلغنى كتابك تذكر فيه اختلاف الخوارج بينها فاذا أتاك كتابى هذا فناهضهم على حال اختلافهم وافتراقهم قبل أن يجتمعوا فتكون مؤنتهم عليك أشد والسلام فكتب اليه أما بعد فقد بلغنى كتاب الامير وكل ما فيه قد فهمت ولست أرى أن أقاتلهم ما داموا يقتل بعضهم بعضا وينقص بعضهم عدد بعض فان تموا على ذلك فهو الذى نريد وفيه هلاكهم وان اجتمعوا لم يجتمعوا الا وقد رقق بعضهم بعضا فأناهضهم على تفيئة ذلك وهم أهون ما كانوا وأضعفه شوكة ان شاء الله والسلام فكف عنه الحجاج وتركهم المهلب يقتتلون شهرا لا يحركهم ثم ان قطريا خرج بمن اتبعه نحو طبرستان وبايع عامتهم عبد رب الكبير فنهض اليهم المهلب فقاتلوه قتالا شديدا ثم ان الله قتلهم فلم ينج منهم الا قليل وأخذ عسكرهم وما فيه وسبوا لانهم كانوا يسبون المسلمين وقال كعب الاشقرى والاشقر بطن من الأزد يذكر يوم رامهرمز وأيام سابور وأيام جيرفت

يا حفص انى عدانى عنكم السفر * وقد أرقت فآذى عينى السهر
علقت يا كعب بعد الشيب غانية * والشيب فيه عن الأهواء مزدجر
أممسك أنت عنها بالذى عهدت * أم حبلها اذ نأتك اليوم منبتر

علقت

سرنا اليهم بمثل الموج وازدلفوا * وقبل ذلك كانت بيننا مئرُ
وزادنا حنقا قتلى نذكّرها * لا تستفيق عيون كلما ذكروا
اذا ذكرنا جروزًا والذين بها * قتلى مضى لهم حولان ما قبروا
تأبى علينا حزازات النفوس فما * نبقي عليهم وما يبقون ان قدروا
ولا يقيلوننا في الحرب عثرتنا * ولا نقيلهم يومًا اذا عثروا
لا عذر يقبل منا دون أنفسنا * ولا لهم عندنا عذر لو اعتذروا
صفّان بالقاع كالطودين بينهما * كالبرق يلمع حتى تشخص البصر
على بصائر كلٌّ غير تاركها * كلا الفريقين تتلى فيهم السور
يمشون في البيض والأبدان اذ وردوا * مشي الروامل تهدي صفهم زمرُ
وشيخنا حوله منا ململمة * حيٌّ من الأزد فيها نابهم صبرُ
في موطن يقطع الابطال منظره * تشاط فيه نفوس حين تبتكر
مازال منا رجال ثمّ نضربهم * بالمشرفيّ ونار الحرب تستعر
وباد كلّ سلاح يستعان به * في حومة الموت الا الصارم الذكر
ندوسهم بعناجيج مجففة * وبيننا ثمّ من صمّ القنا كسر
يغشين قتلى وعقرى ما بها رمق * كأنما فوقها الجاديّ يعتصر
قتلى بقتلى قصاص نستقاد بها * تشفي صدور رجال طال ما وتروا
مجاورين بها حيلا معقّرة * للطير فيها وفي أجسادهم جزرُ
في معرك تحسب القتلى بساحته * أعجاز نخل زفته الريح ينقعر
وفي مواطن قبل اليوم قد سلفت * قد كان للأزد فيها الحمد والظفر
في كلّ يوم تلاقي الأزد مفظعة * يشيب في ساعة من هولها الشعر
والأزد قومي خيار القوم قد علموا * اذا فزعوا يوم الوغى حضروا
فيهم معاقل من عزّ يلاذ بها * يوما اذا شمّرت حرب لها درر
حيٌّ بأسيافهم يبغون مجدهم * ان المكارم في المكروه تبتدر
لولا المهلّب للجيش الذي وردوا * أنهار كرمان بعد الله ما صدروا
انا اعتصمنا بحبل الله اذ جحدوا * بالمحكمات ولم نكفر كما كفروا
جاروا عن القصد والإسلام واتبعوا * دينا يخالف ما جاءت به النذر
وقال الطفيل بن عامر بن واثلة وهو يذكر قتل عبد ربّ الكبير وأصحابه وذهاب قطري

حتى اذا خلفوا الأهواز واجتمعوا * برامهرمز وافاهم بها الخبر
نعي بشر فجال القوم وانصدعوا * الا بقايا اذا ما ذكروا ذكروا
ثم استمر بنا راض ببيعته * ينوي الوفاء ولم نغدر كما غدروا
حتى اجتمعنا بسابور الجنود وقد * شبت لنا ولهم نار لها شرر
نلقى مساعير أبطالا كأنهم * جن نقارعهم ما مثلهم بشر
نسقى ونسقيهم سما على حنق * مستأنفي الليل حتى أسفر السحر
قتلى هنالك لا عقل ولا قود * منا ومنهم دماء سفكها هدر
حتى تنحوا لنا عنها تسوقهم * منا ليوث اذا ما أقدموا جسروا
لم يغن عنهم غداة التل كيدهم * عند الطعان ولا المكر الذي مكروا
باتت كتائبنا تردى مسومة * حول المهلب حتى نور القمر
هناك ولوا خزايا بعد ما فرحوا * وحال دونهم الأنهار والجدر
عبوا جنودهم بالسفح اذ نزلوا * بكازرون فما عزوا ولا ظفروا
وقد لقوا مصدقا منا بمنزله * ظنوا بأن ينصروا فيها فما نصروا
بدشت بارين يوم الشعب اذ لحقت * أسد بسفك دماء الناس قد زأروا
لاقوا كتائب لا يخلون ثغرهم * فيهم على من يقاسي حربهم صعر
المقدمين اذا ما خيلهم وردت * والعاطفين اذا ما ضيع الدبر
وفي جبيرين اذ صفوا بزحفهم * ولوا خزايا وقد فلوا وقد قهروا
والله ما نزلوا يوما بساحتنا * إلا أصابهم من حربنا ظفر
ننفيهم بالقنا عن كل منزله * تروح منا مساعير وتبتكر
ولوا حذارا وقد هزوا أسنتنا * نحو الحروب فمنجاهم الحذر
صلت الجبين طويل الباع ذو فرج * ضخم الدسيعة لا وان ولا غمر
مجرب الحرب ميمون نقيبته * لا مستخف ولا من رأيه البطر
وفي ثلاث سنين يستديم لنا * تقارع الحرب أطوارا ويأتمر
يقول إن غدا مبد لناظره * وفي الليالي وفي الأيام معتبر
دعوا التتابع والإسراع وارتقبوا * ان المحارب يستأني وينتظر
حتى أتته أمور عندها فرج * وقد تبين ما يأتي وما يذر
لما زواهم الى كرمان وانصدعوا * وقد تقاربت الآجال والقدر

اليه نفرٌ من أهل الكوفة فابتدروه فقتلوه منهم سورة بن أبجر التميمى وجعفر بن عبد الرحمن بن مخنف والصباح بن محمد بن الاشعث وباذام مولى بنى الاشعث وعمر بن أبى الصلت ابن كنازمولى بنى نصر بن معاوية وهو من الدهاقين فكل هؤلاء ادّعوا قتله فدفع اليهم أبو الجهم بن كنانة الكلبى وكلهم يزعم انه قاتله فقال لهم ادفعوه الىّ حتى تصطلحوا فدفعوه اليه فأقبل به الى اسحاق بن محمد وهو على أهل الكوفة ولم يأته جعفر لشئ كان بينه وبينه قبل ذلك وكان لا يكلمه وكان جعفر مع سفيان بن الابرد ولم يكن مع اسحاق كان جعفر على ربع أهل المدينة بالرى * فلما مرّ سفيان بأهل الرى انتخب فرسانهم بأمر الحجاج فسار بهم معه فلما أتى القوم بالرأس فاختصموا فيه اليه وهو فى يدى أبى الجهم بن كنانة الكلبى قال له امض به أنت ودع هؤلاء المختلفين فخرج برأس قطرى حتى قدم به على الحجاج ثم أتى به عبد الملك بن مروان فألحق فى ألفين وأعطى فطمايعنى انه يفرض للصغار فى الديوان وجاء جعفر الى سفيان فقال له أصلحك الله ان قطريا كان أصاب والدى فلم يكن لى همٌّ غيره فاجمع بينى وبين هؤلاء الذين ادّعوا قتله فسلهم ألم أكن أمامهم حتى بدرتهم فضربته ضربة فصرعته ثم جاؤنى بعدُ فأقبلوا يضربونه بأسيافهم فان أقروا لى بهذا فقد صدقوا وان أبوا فأنا أحلف بالله أنى صاحبه والا فليحلفوا بالله أنهم أصحابه الذين قتلوه وانهم لا يعرفون ما أقول ولا حقّ لى فيه قال جئت الآن وقد سرحنا بالرأس فانصرف عنه فقال لاصحابه أما والله إنك لأحلق القوم أن تكون صاحبه ثم ان سفيان بن الابرد أقبل منصرفا الى عسكر عبيدة ابن هلال وقد تحصّن فى قصر بقومس فحاصره فقاتله أياما ثم ان سفيان بن الابرد سار بنا اليهم حتى أحطنا بهم ثم أمر مناديه فنادى فيهم أيما رجل قتل صاحبه ثم خرج الينا فهو آمن فقال عبيدة بن هلال

لعمرى لقد قام الاصمّ بخطبه * لذى الشك منها فى الصدور غليلُ
لعمرى لئن أعطيتُ سفيان بيعتى * وفارقتُ دينى إننى لجهولُ
الى الله أشكو ما ترى بجيادنا * تساوكُ هزلى مخهنّ قليلُ
تعاورها القُذّافُ من كل جانب * بقومس حتى صعبُهُنّ ذلولُ
فان يكُ أفناها الحصارُ فربما * تشحّط فيما بينهن قتيلُ
وقد كنّ مما ان يُقدنَ على الوجى * لهنّ بأبواب القباب صهيلُ

فحاصرهم حتى جهدوا وأكلوا دوابّهم ثم انهم خرجوا اليه فقاتلوه فقتلهم وبعث برؤسهم الى الحجاج ثم دخل الى دُنباوند وطبرستان فكان هنالك حتى عزله الحجاجُ قبل الجماجم ﴿قال أبو جعفر﴾ وفى هذه السنة قتل بكير بن وشاح السعدى أميةُ بن عبد الله بن خالد ابن أسيد

في الأرض واتباعهم اياه ومراوغته اياهم

لقد مسّ منا عبد ربّ وجنده * عقابٌ فأمسى سبيهم في المقاسم
سما لهم بالجيش حتى أزاحهم * بكرمان عن مثوىً من الأرض ناعم
وما قطريّ الكفر الا نعامة * طريد يدوّي ليله غير نائم
اذا فرّ منا هاربا كان وجهه * طريقا سوى قصد الهدى والمعالم
فليس بمنجيه الفرار وإن جرت * به الفلك في لج من البحر دائم

﴿قال أبو جعفر﴾ وفي هذه السنة كانت هلكة قطريّ وعبيدة بن هلال وعبد ربّ الكبير ومن كان معهم من الأزارقة

﴿ذكر سبب مهلكهم﴾

وكان سبب ذلك ان أمر الذين ذكرنا خبرهم من الأزارقة لما تشتت بالاختلاف الذي حدث بينهم بكرمان فصار بعضهم مع عبد ربّ الكبير وبعضهم مع قطريّ وهي أمر قطريّ توجه يريد طبرستان وبلغ أمره الحجاج فوجه فيما ذكر هشام عن أبي مخنف عن يونس بن يزيد سفيان بن الأبرد ووجّه معه جيشا من أهل الشأم عظيما في طلب قطريّ فأقبل سفيان حتى أتى الريّ ثم أتبعهم وكتب الحجاج الى اسحاق بن محمد بن الأشعث وهو على جيش لأهل الكوفة بطبرستان أن اسمع وأطع لسفيان فأقبل الى سفيان فسار معه في طلب قطريّ حتى لحقوه في شعب من شعاب طبرستان فقاتلوه فتفرّق عنه أصحابه ووقع عن دابته في أسفل الشعب فتدهدى حتى خرّ الى أسفله فقال معاوية بن محصن الكنديّ رأيته حيث هوى ولم أعرفه ونظرت الى خمس عشرة امرأة عربية هنّ في الجمال والبزازة وحسن الهيئة كما شاء ربك ما عدا عجوزا فيهنّ فحملت عليهنّ فصرفتهنّ الى سفيان بن الابرد * فلما دنوت بهنّ منه انتحت لي بسيفها العجوز فتضرب به عنقي فقطعت المغفر وقطعت جلدة من حلقي واختلج السيف فأضرب به وجهها فأصاب قحف رأسها فوقعت ميتة وأقبلت بالفتيات حتى دفعتهنّ الى سفيان وإنه ليضحك من العجوز وقال ما أردت الى قتل هذه أخزاها الله فقلت أو ما رأيت أصلحك الله ضربتها اياي والله ان كادت لتقتلني قال قد رأيت فوالله ما ألومك على فعلك أبعدها الله ويأتي قطريّا حيث تدهدى من الشعب علج من أهل البلد فقال له قطريّ اسقني من الماء وقد كان اشتدّ عطشه فقال أعطني شيأ حتى أسقيك فقال ويحك والله ما معي الا ما ترى من سلاحي وأنا مؤتيكه اذا أتيتني بماء قال لا بل أعطنيه الآن قال لا ولكن ائتني بماء قبل فانطلق العلج حتى أشرف على قطريّ ثم حدّر عليه حجرا عظيما من فوقه دهدأه عليه فأصاب احدى وركيه فأوهنته وصاح بالناس فأقبلوا نحوه والعلج حينئذ لا يعرف قطريّا غير أنه يظنّ انه من أشرافهم لحسن هيئته وكمال سلاحه فدفع

اليه

عرضت عليه شرطتي فأبى فأعفيته ثم وليته خفذرته فأمرته بالمقام وما كان ذلك الا نظراً له ثم رددته الى مرو ووليته الأمر فكفر ذلك كله وكافأني بما ترون فقال له قوم أيها الامير لم يكن هذا من شأنه انما أشار عليه باحراق السفن عتابُ اللقوة فقال وما عتاب وهل عتاب الا دجاجة حاضنة فبلغ قوله عتابا فقال عتاب في ذلك

إنَّ الحواضن تلقاها مجففةً * غُلْبَ الرقاب على المسوبة النُّجُبِ
تركت أمرك من جُبنٍ ومن خَوَرٍ * وجئتنا حُمُقًا يا ألأمَ العربِ
لما رأيتَ جبالَ الشُّغدِ مُعرضةً * وليتَ موسى ونوحا عكوة الذَّنبِ
وجئت ذيحا مغذًّا اما تُكلمنا * وطرتَ من سَعَفِ البحرين كالخربِ
أوعدْ وعيدَكَ انى سوف تَعرِفُني * تحتَ الخوافقِ دون العارضِ اللجِبِ
يَخُبُّ بي مشرفٌ عار نواهقُهُ * يَغْشَى الكتيبة بين العدْوِ والخبَبِ

قال فلما تهيأت السفن عبر أمية وأقبل الى مرو وترك موسى بن عبد الله وقال اللهم إني أحسنت الى بكير فكفر إحساني وصنع ما صنع اللهمّ أكفنيه فقال شماس بن دثار وكان رجع من سجستان بعد قتل ابن حازم فغزا مع أمية أيها الأمير أكفيكه ان شاء الله فقدّمه أميةُ في ثمانمائة فأقبل حتى نزل باسان وهي لبني نصر وسار اليه بكير ومعه مُدركُ بن أنيف وأبوه مع شماس فقال اما كان في تميم أحد يحارب بني غيرك ولامه فأرسل اليه شماس أنت ألوم وأسوء صنيعا مني لم تف لأمية ولم تشكر له صنيعه بك قدم فأكرمك ولم يعرض لك ولا لأحد من عمالك قال فبيّته بكير ففرّق جمعه وقال لا تقتلوا منهم أحدا وخذوا سلاحهم فكانوا اذا أخذوا رجلا سلبوه وخلوا عنه فتفرّقوا ونزل شماس في قرية لطيّئ يقال لها بُوَيْنه وقدم أمية فنزل كشماهن ورجع اليه شماس بن دثار فقدّم أمية ثابتَ بن قطبة مولى خزاعة فلقيه بكير فأسر ثابتا وفرّق جمعه وخلى بكير سبيل ثابت ليد كانت له عنده قال فرجع الى أمية فأقبل أمية في الناس فقاتله بكير وعلى شرطة بكير أبو رُستم الخليل بن أوس العَبْشمي فأبلى يومئذ فنادوه يا صاحب شرطة عارمة وعارمةُ جارية بكير فأحجم فقال له بكير لا أبالك لا يهدّك نداء هؤلاء القوم فإن للعارمة خلا يمنعها فقدّم لواءك فقاتلوا حتى انحاز بكير فدخل الحائط فنزل السوق العتيقة ونزل أميةُ باسان فكانوا يلتقون في ميدان يزيد فانكشفوا يوما فحماهم بكير ثم التقوا يوما آخر في الميدان فضرب رجل من بني تميم على رجله فجعل يسحبها وهُريم يحميه فقال الرجل اللهمّ أيّدنا فأمدّنا بالملائكة فقال له هريم أيها الرجل قاتلْ عن نفسك فإن الملائكة في شغل عنك فتحامل ثم أعاد قوله اللهمّ أمدّنا بالملائكة فقال هريم لتكفنّ عني أو لأدعنك والملائكة وحماه حتى ألحقه بالناس قال ونادى رجل من بني تميم يا أميةُ يا فاضحَ قريش فآلى أمية إن ظفر به أن يذبحه فظفر به

﴿ذكر سبب قتله إياه﴾

وكان سبب ذلك فيما ذكر علي بن محمد عن المفضل بن محمد أن أمية بن عبد الله وهو عامل عبد الملك بن مروان على خراسان ولى بكيرا غزو ما وراء النهر وقد كان ولاه قبل ذلك طخارستان فتجهز للخروج إليها وأنفق نفقة كثيرة فوشى به إليه بحير بن ورقاء الصريمي على ما بينت قبل فأمره أمية بالمقام * فلما ولاه غزو ما وراء النهر تجهز وتكلف الخيل والسلاح وادان من رجال السغد وتجارهم فقال بحير لأمية إن صار بينك وبينه النهر ولقي الملوك خلع الخليفة ودعا إلى نفسه فأرسل إليه أمية أقم لعلي أغزو فتكون معي فغضب بكير وقال كأنه يضارني وكان عتاب اللقوة الغداني استدان ليخرج مع بكير فلما أقام أخذه غرماؤه فحبس فأدى عنه بكير وخرج ثم أجمع أمية على الغزو قال فأمر بالجهاز ليغزو بخارى ثم يأتي موسى بن عبد الله بن خازم بالترمذ فاستعد الناس وتجهزوا واستخلف على خراسان ابنه زيادا وسار معه بكير فعسكر بكشماهن فأقام أياما ثم أمر بالرحيل فقال له بحير إني لا آمن أن يتخلف الناس فقل لبكير فليكن في الساقة وليحشر الناس قال فأمره أمية فكان على الساقة حتى أتى النهر فقال له أمية اقطع يا بكير فقال عتاب اللقوة الغداني أصلح الله الأمير أعبر ثم يعبر الناس بعدك فعبر ثم عبر الناس فقال أمية لبكير قد خفت أن لا يضبط ابني عمله وهو غلام حدث فارجع إلى مرو فاكفنيها فقد وليتكها فزين ابني وقم بأمره فانتخب بكير فرسانا من فرسان خراسان قد كان عرفهم ووثق بهم وعبر ومضى أمية إلى بخارى على مقدمته أبو خالد ثابت مولى خزاعة فقال عتاب اللقوة لبكير لما عبر وقد مضى أمية إنا قتلنا أنفسنا وعشائرنا حتى ضبطنا خراسان ثم طلبنا أميرا من قريش يجمع أمرنا فجاءنا أمير يلعب بنا يحولنا من سجن إلى سجن قال فما ترى قال احرق هذه السفن وامض إلى مرو فاخلع أمية وتقيم بمرو وتأكلها إلى يوم ما قال فقال الأحنف بن عبد الله العنبري الرأي ما رأى عتاب فقال بكير إني أخاف أن يهلك هؤلاء الفرسان الذين معي فقال أتخاف عدم الرجال أنا آتيك من أهل مرو بما شئت إن هلك هؤلاء الذين معك قال يهلك المسلمون قال إنما يكفيك أن ينادي مناد من أسلم رفعنا عنه الخراج فيأتيك خمسون ألفا من المصلين أسمع لك من هؤلاء وأطوع قال فيهلك أمية ومن معه قال ولم يهلكون ولهم عدة وعدد ونجدة وسلاح ظاهر وأداة كاملة ليقاتلوا عن أنفسهم حتى يبلغوا الصين فأحرق بكير السفن ورجع إلى مرو فأخذ ابن أمية فحبسه ودعا الناس إلى خلع أمية فأجابوه وبلغ أمية فصالح أهل بخارى على فدية قليلة ورجع فأمر باتخاذ السفن فاتخذت له وجمعت وقال لمن معه من وجوه تميم ألا تعجبون من بكير إني قدمت خراسان فحذرته ورفع عليه وشكي منه وذكروا أموالا أصابها وأعرضت عن ذلك كله ثم لم أفتشه عن شيء ولا أحدا من عماله ثم

فقال أمية ما أصدّق بهذا وقد فعل ما فعل فآمنّته ووصلته ، قال فأتاه بضرار بن حصين وعبد العزيز بن جارية فشهدا ان بكيرا قال لهما لو أطعتماني لقتلت هذا القرشي المخنث وقد دعانا الى الفتك بك فقال أمية أنتم أعلم وما شهدتم وما أظن هذا به وإن تركه وقد شهدتم بما شهدتم عجزٌ وقال لحاجبه عبيدة ولصاحب حرسه عطاء بن أبي السائب اذا دخل بكير وبدل وشمردل ابنا أخيه فنهضت فخذوهم وجلس أمية للناس وجاء بكير وابنا أخيه فلما جلسوا قام أمية عن سريره فدخل وخرج الناس وخرج بكير فحبسوه وابني أخيه فدعا أمية ببكير فقال أنت القائل كذا وكذا قال تثبّت أصلحك الله ولا تسمع قول ابن المحلوقة فحبسه وأخذ جاريته العارمة فحبسها وحبس الاحنف بن عبد الله العنبري وقال أنت ممن أشار على بكير بالخلع * فلما كان من الغد أخرج بكيرا فشهد عليه بحيرٌ وضرار وعبد العزيز ابن جارية أنه دعاهم الى خلعه والفتك به فقال أصلحك الله تثبت فان هؤلاء أعدائي فقال أمية لزياد ابن عقبة وهو رأس أهل العالية ولابن والان العدوي وهو يومئذ من رؤساء بني تميم وليعقوب بن خالد الذهلي أتقتلونه فلم يجيبوه فقال لبحير أتقتله قال نعم فدفعه اليه فنهض يعقوب بن القعقاع الاعلم الازدي من مجلسه وكان صديقا لبكير فاحتضن أمية وقال أذكرك الله أيها الامير في بكير فقد أعطيته ما أعطيته من نفسك قال يا يعقوب ما يقتله الا قومه شهدوا عليه فقال عطاء بن أبي السائب الليثي وهو على حرس أمية خلّ عن الامير قال لا فضربه عطاء بقائم السيف فأصاب أنفه فأدماه فخرج ثم قال لبحير يا بحير إن الناس أعطوا بكيرا ذمتهم في صلحه وأنت منهم فلا تخفر ذمتك قال يا يعقوب ما أعطيته ذمة ثم أخذ بحير سيف بكير الموصول الذي كان أخذه من إسوار الترجمان ترجمان ابن حازم فقال له بكير يا بحير انك تفرّق أمر بني سعد إن قتلتني ودع هذا القرشي يلي مني ما يريد فقال بحير لا والله يا ابن الإصبهانية لا تصلح بنو سعد ما دمنا حيّين قال فشأنك يا ابن المحلوقة فقتله وذلك يوم جمعة وقتل أمية ابني أخي بكير ووهب جارية بكير العارمة لبحير وكلّم أمية في الاحنف بن عبد الله العنبريّ فدعاه من السجن فقال وأنت ممن أشار على بكير وشتمه وقال قد وهبتك لهؤلاء قال ثم وجّه أمية رجلا من خزاعة الى موسى بن عبد الله بن خازم فقتله عمرو بن خالد بن حصين الكلابي غيلة فتفرّق جيشه فاستأمن طائفة منهم موسى فصار وا معه ورجع بعضهم الى أمية ﴿وفي هذه السنة﴾ عبر النهر نهر بلخ أمية للغزو فحوصر حتى جهد هو وأصحابه ثم نجوا بعد ما أشرفوا على الهلاك فانصرف والذين معه من الجند الى مرو وقال عبد الرحمن بن خالد ابن العاص بن هشام بن المغيرة يهجو أمية

ألا أبلغ أميةَ أن سيُجزى * ثواب الشرّ إنّ له ثوابا
ومن يَبطر عتابك أو يردّه * فلستُ بناظر منك العتابا
محا المعروف منك خلال سوء * مُنحت صنيعها بابا فبابا

فذبحه بين شرفتين من المدينة ثم التقوا يوما آخر فضرب بكير بن وشاح ثابت بن قطبة على رأسه وانتمى أنا ابن وشاح فحمل حريث بن قطبة أخو ثابت على بكير فانحاز بكير وانكشف أصحابه وأتبع حريث بكيرا حتى بلغ القنطرة فناداه أين يا بكير فكرّ عليه فضربه حريث على رأسه فقطع المغفر وعض السيف برأسه فصرع فاحتمله أصحابه فأدخلوه المدينة قال فكانوا على ذلك يقاتلونهم وكان أصحاب بكير يغدون متفضلين في ثياب مصبّغة وملاحف وأزر صفر وحمر فيجلسون على نواحي المدينة يتحدّثون وينادي مناد من رمى بسهم رمينا اليه برأس رجل من ولده وأهله فلا يرميهم أحد قال فأشفق بكير وخاف ان طال الحصار أن يخذله الناس فطلب الصلح وأحبّ ذلك أيضا أصحاب أمية لمكان عيالاتهم بالمدينة فقالوا لأمية صالحه وكان أمية يحبّ العافية فصالحه على أن يقضي عنه أربعمائة ألف ويصل أصحابه ويوليه أيّ كور خراسان شاء ولا يسمع قول بحير فيه وان رابه منه ريب فهو آمن أربعين يوما حتى يخرج عن مرو فأخذ الأمان لبكير من عبد الملك وكتب له كتابا على باب سنجان ودخل أمية المدينة قال وقوم يقولون لم يخرج بكير مع أمية غازيا ولكن أمية لما غزا استخلفه على مرو فخلعه فرجع أمية فقاتله ثم صالحه ودخل مرو ووفى أمية لبكير وعاد الى ما كان عليه من الاكرام وحسن الاذن وأرسل الى عتاب اللقوة فقال أنت صاحب المشورة فقال نعم أصلح الله الأمير قال ولم قال خفّ ما كان في يدي وكثر ديني وأعديت على غرمائي قال ويحك فضرّبت بين المسلمين وأحرقت السفن والمسلمون في بلاد العدوّ وما خفت الله قال قد كان ذلك فأستغفر الله قال كم دينك قال عشرون ألفا قال تكف عن غشّ المسلمين وأقضي دينك قال نعم جعلني الله فداك قال فضحك أمية وقال ان ظنّي بك غير ما تقول وسأقضي عنك فأدّى عنه عشرين ألفا وكان أمية سهلا لينا سخيا لم يعط أحد من عمال خراسان بها مثل عطاياه قال وكان مع ذلك ثقيلا عليهم كان فيه زهو شديد وكان يقول ما أكتفي بخراسان وسجستان لمطبخي وعزل أمية بحيرا عن شرطته وولاها عطاء ابن أبي السائب وكتب الى عبد الملك بما كان من أمر بكير وصفحه عنه فضرب عبد الملك بعثا الى أمية بخراسان فتجاعل الناس فأعطى شقيق بن سليل الأسديّ جعالته رجلا من جرم وأخذ أمية الناس بالخراج واشتدّ عليهم فيه فجلس بكير يوما في المسجد وعنده ناس من بني تميم فذكروا شدّة أمية على الناس فذمّوه وقالوا سلط علينا الدهاقين في الجباية وبحير وضرار بن حصين وعبد العزيز بن جارية بن قدامة في المسجد فنقل بحير ذلك الى أمية فكذبه فادّعى شهادة هؤلاء وادّعى شهادة مزاحم بن أبي المجشّر السلميّ فدعا أمية مزاحما فسأله فقال انما كان يمزح فأعرض عنه أمية ثم أتاه بحير فقال أصلح الله الأمير ان بكيرا والله قد دعاني الى خلعك وقال لولا مكانك لقتلت هذا القرشيّ وأكلت خراسان

فقال

بكرة على خراسان والمهلب بن أبي صفرة على سجستان فكره المهلب سجستان فلقي عبد الرحمن بن عبيد بن طارق العبشمي وكان على شرطة الحجاج فقال إن الأمير ولاني سجستان وولى ابن أبي بكرة خراسان وأنا أعرف بخراسان منه قد عرفتها أيام الحكم بن عمرو الغفاري وابن أبي بكرة أقوى على سجستان مني فكلم الأمير يحوّلني إلى خراسان وابن أبي بكرة إلى سجستان قال نعم وكلم زاذان فرُّوخ يُعِنّي فكلمه فقال نعم فقال عبد الرحمن بن عبيد للحجاج وليت المهلب سجستان وابن أبي بكرة أقوى عليها منه فقال زاذان فروخ صدق قال إنا قد كتبنا عهده قال زاذان فروخ ما أهونَ تحويل عهده فحوّل ابن أبي بكرة إلى سجستان والمهلب إلى خراسان وأخذ المهلب بألف ألف من خراج الأهواز وكان ولاها إياه خالد بن عبد الله فقال المهلب لابنه المغيرة إن خالدا ولاني الأهواز وولاك إصطخر وقد أخذني الحجاج بألف ألف فنصفٌ عليّ ونصف عليك ولم يكن عند المهلب مال كان إذا عزل استقرض قال فكلم أبا ماويّة مولى عبد الله بن عامر وكان أبو ماوية على بيت مال عبد الله بن عامر فأسلف المهلب ثلثمائة ألف فقالت خيرةُ القشيرية امرأة المهلب هذا لا يفي بما عليك فباعت حليًا لها ومتاعا فأكملت خمسمائة ألف وحمل المغيرة إلى أبيه خمسمائة ألف فحملها إلى الحجاج ووجه المهلب ابنه حبيبا على مقدمته فأتى الحجاج فودعه فأمر الحجاج له بعشرة آلاف وبغلة خضراء قال فسار حبيب على تلك البغلة حتى قدم خراسان هو وأصحابه على البريد فسار عشرين يوما فلقاهم حين دخلوا حمل حطب فنفرت البغلة فعجبوا منها ومن نفارها بعد ذلك التعب وشدة السير فلم يعرض لأمية ولا لعماله وأقام عشرة أشهر حتى قدم عليه المهلب سنة ٧٩

﴿وحج﴾ بالناس في هذه السنة الوليد بن عبد الملك حدثني بذلك أحمد بن ثابت عمن ذكره عن إسحاق بن عيسى عن أبي معشر وكان أمير المدينة في هذه السنة أبان بن عثمان وأمير الكوفة والبصرة وخراسان وسجستان وكرمان الحجاج بن يوسف وخليفته بخراسان المهلب وبسجستان عبيد الله بن أبي بكرة وعلى قضاء الكوفة شريح وعلى قضاء البصرة [illegible] موسى بن أنس وأغزى عبد الملك في هذه السنة يحيى بن الحكم

﴿ ثم دخلت سنة ثمانين ﴾

﴿ذكر ما كان فيها من الأحداث الجليلة﴾

فمن ذلك ما أصاب أهل الشأم في هذه السنة من الطاعون حتى كادوا يفنون من شدته فلم يغز في تلك السنة أحد فيما قيل للطاعون الذي كان بها وكثرة الموت ﴿وفيها﴾ فيما قيل أصابت الروم أهل أنطاكية ﴿وفيها﴾ غزا عبيد الله بن أبي بكرة رتبيل

﴿ذكر الخبر عن غزوه إياه﴾

﴿قال هشام﴾ حدثني أبو مخنف عن أبي المخارق الراسبي قال لما ولي الحجاج المهلب خراسان

ومن سمّاك إذ قسم الاسامي * أمية اذ ولدت فقد أصابا

﴿قال أبو جعفر﴾ وحج بالناس في هذه السنة أبان بن عثمان وهو أمير على المدينة وكان على الكوفة والبصرة الحجاج بن يوسف وعلى خراسان أمية بن عبد الله بن خالد بن أسيد وحدثني أحمد بن ثابت عمن حدثه عن اسحاق بن عيسى عن أبي معشر قال حج أبان بن عثمان وهو على المدينة بالناس حجتين سنة ٧٦ وسنة ٧٧ وقد قيل ان هلاك شبيب كان في سنة ٧٨ وكذلك قيل في هلاك قطري وعبيدة بن هلال وعبد ربه الكبير وغزا في هذه السنة الصائفة الوليد

﴿ ثم دخلت سنة ثمان وسبعين ﴾

﴿ذكر الخبر عن الكائن في هذه السنة من الأحداث الجليلة﴾

فمن ذلك عزل عبد الملك بن مروان أمية بن عبد الله عن خراسان وضمه خراسان وسجستان الى الحجاج بن يوسف فلما ضم ذلك اليه فرّق فيه عماله

﴿ذكر الخبر عن العمال الذين ولاهم الحجاج خراسان وسجستان وذكر السبب في توليته من ولاه ذلك وشيأ منه﴾

﴿ذكر﴾ ان الحجاج لما فرغ من شبيب ومطرف شخص من الكوفة الى البصرة واستخلف على الكوفة المغيرة بن عبد الله بن أبي عقيل وقد قيل انه استخلف عبد الرحمن بن عبد الله ابن عامر الحضرمي ثم عزله وجعل مكانه المغيرة بن عبد الله فقدم عليه المهلب بها وقد فرغ من الازارقة فقال هشام حدثني أبو مخنف عن أبي المخارق الراسي ان المهلب بن أبي صفرة لما فرغ من الازارقة قدم على الحجاج وذلك سنة ٧٨ فأجلسه ودعا بأصحاب البلاء من المهلب فأخذ الحجاج لا يذكر له المهلب رجلا من أصحابه ببلاء حسن الا صدّقه الحجاج بذلك فحملهم الحجاج وأحسن عطاياهم وزاد في أعطياتهم ثم قال هؤلاء أصحاب الفعال وأحق بالاموال هؤلاء حماة الثغور وغيظ الاعداء (قال هشام) عن أبي مخنف قال يونس بن أبي اسحاق قد كان الحجاج ولى المهلب سجستان مع خراسان فقال له المهلب الا أدلك على رجل هو أعلم بسجستان مني وقد كان ولي كابل وزابل وجباهم وقاتلهم وصالحهم قال له بلى فمن هو قال عبيد الله بن أبي بكرة ثم انه بعث المهلب على خراسان وعبيد الله بن أبي بكرة على سجستان وكان العامل هنالك أمية بن عبد الله بن خالد بن أسيد بن أبي العيص بن أمية وكان عاملا لعبد الملك بن مروان لم يكن للحجاج شيء من أمره حين بعث على العراق حتى كانت تلك السنة فعزله عبد الملك وجمع سلطانه للحجاج فمضى المهلب الى خراسان وعبيد الله بن أبي بكرة الى سجستان فمكث عبيد الله بن أبي بكرة بقية سنته فهذه رواية أبي مخنف عن أبي المخارق وأما علي بن محمد فانه ذكر عن المفضل بن محمد ان خراسان وسجستان جمعتا للحجاج مع العراق في أول سنة ٧٨ بعد ما قتل الخوارج فاستعمل عبيد الله بن أبي

بكرة

أهل الاسلام قد حلوا بلادهم وغلبوا على كل حصونهم وقصورهم وقد أردت أن أوجّه اليهم جندا كثيفا من أهل المصرين فأحببت أن أستطلع رأى أمير المؤمنين فى ذلك فان رأى لى بعثة ذلك الجند أمضيته وان لم ير ذلك فان أمير المؤمنين أولى بجنده مع انى أتخوّف ان لم يأت رتبيل ومن معه من المشركين جندٌ كثيف عاجلا أن يستولوا على ذلك الفرج كله ﴿وفى هذه السنة﴾ قدم المهلب خراسان أميرا وانصرف عنها أميةُ بن عبد الله وقيل استعفى شريح القاضى من القضاء فى هذه السنة وأشار بأبى بُردة بن أبى موسى الأشعرى فأعفاه الحجاج وولى أبا بردة ﴿وحج﴾ بالناس فى هذه السنة فيما حدثنى أحمد بن ثابت عمن ذكره عن اسحاق بن عيسى عن أبى معشر أبان بن عثمان وكذلك قال الواقدى وغيره من أهل السير وكان أبان هذه السنة أميرا على المدينة من قبل عبد الملك بن مروان وعلى العراق والمشرق كله الحجاج بن يوسف وكان على خراسان المهلب من قبل الحجاج وقيل ان المهلب كان على حربها وابنه المغيرة على خراجها وعلى قضاء الكوفة أبو بردة بن أبى موسى وعلى قضاء البصرة موسى ابن أنس

تم الجزء السابع ويليه الجزء الثامن وأوله

﴿ سنة ثمانين من الهجرة ﴾

وعبيد الله بن أبي بكرة سجستان فمضى المهلب الى خراسان وعبيد الله بن أبي بكرة الى سجستان وذلك في سنة ٧٨ فمكث عبيد الله بن أبي بكرة بقية سنته ثم انه غزا رتبيل وقد كان مصالحا وقد كانت العرب قبل ذلك تأخذ منه خراجا وربما امتنع ولم يفعل فبعث الحجاج الى عبيد الله بن أبي بكرة أن ناجزه بمن معك من المسلمين ولا ترجع حتى تستبيح أرضه وتهدم قلاعه وتقتل مقاتلته وتسبي ذريّته فخرج بمن معه من المسلمين من أهل الكوفة وأهل البصرة وكان على أهل الكوفة شريح بن هانئ الحارثي ثم الضبابي وكان من أصحاب عليّ وكان عبيد الله على أهل البصرة وهو أمير الجماعة فمضى حتى وغل في بلاد رتبيل فأصاب من البقر والغنم والاموال ما شاء وهدم قلاعا وحصونا وغلب على أرض من أرضهم كثيرة وأصحاب رتبيل من الترك يخلون لهم عن أرض بعد أرض حتى أمعنوا في بلادهم ودنوا من مدينتهم وكانوا منها على ثمانية عشر فرسخا فأخذوا على المسلمين العقاب والشعاب وخلوهم والرساتيق فسُقط في أيدي المسلمين وظنوا أن قد هلكوا فبعث ابن أبي بكرة الى شريح بن هانئ اني مصالح القوم على أن أعطيهم مالا ويخلوا بيني وبين الخروج فأرسل اليهم فصالحهم على سبعمائة ألف درهم فلقيه شريح فقال انك لا تصالح على شيء الا حسبه السلطان عليكم في أعطياتكم قال لو منعنا العطاء ما حيينا كان أهون علينا من هلاكنا قال شريح والله لقد بلغت سنا وقد هلكت لداتي ما تأتي عليّ ساعة من ليل أو نهار فأظنها تمضي حتى أموت ولقد كنت أطلب الشهادة منذ زمان ولئن فاتتني اليوم ما اخالني مُدركها حتى أموت وقال يا أهل الاسلام تعاونوا على عدوّكم فقال له ابن أبي بكرة انك شيخ قد خرفت فقال شريح انما حسبك أن يقال بستان ابن أبي بكرة وحمّام ابن أبي بكرة يا أهل الاسلام من أراد منكم الشهادة فاليّ فاتبعه ناس من المتطوّعة غير كثير وفرسان الناس وأهل الحفاظ فقاتلوا حتى أصيبوا الا قليلا فجعل شريح يرتجز يومئذ ويقول

أصبحت ذا بثّ أقاسي الكبرا * قد عشت بين المشركين أعصرا
ثمّت أدركتُ النبيّ المُنذرا * وبعده صدّيقهُ وعمرا
ويوم مِهران ويوم تسترا * والجمع في صفّينهم والنّهرا
وباجميرات مع المُشقّرا * هيهات ما أطول هذا عُمُرا

فقاتل حتى قتل في ناس من أصحابه ونجا من نجا فخرجوا من بلاد رتبيل حتى خرجوا منها فاستقبلهم من خرجوا اليهم من المسلمين بالاطعمة فاذا أكل أحدهم وشبع مات فلما رأى ذلك الناس حذروا يطعمونهم ثم جعلوا يطعمونهم السمن قليلا قليلا حتى استمرؤا وبلغ ذلك الحجاج فأخذه ما تقدّم وما تأخّر وبلغ ذلك منه كلّ مبلغ وكتب الى عبد الملك أما بعد فان جُند أمير المؤمنين الذين بسجستان أصيبوا فلم ينج منهم الا القليل وقد اجترأ العدوّ بالذي أصابه على

اهل

﴿فهرست الجزء السابع من تاريخ الأمم والملوك لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري﴾

صحيفة

صحيفة

صحيفة

صحيفة

﴿تمت﴾

DUE DATE